

الْأُنُسُ الْجَلِيلُ
بِتَارِيخِ
الْقُدْسِ وَالْخَلِيلِ

تأليف

قاضى القضاة أبو الين القاضى

بحير الدين الحنبلى

حـمـد الله تعالى

الجزء الأول



جميع الحقوق محفوظة

الكتاب / الانس الجليل
المؤلف / مجير الدين الحنبلي
القطع / وزيري
عدد المطبوع / (١٠٠٠ دورة).
المطبعة / امير - قم
الناشر / انتشارات الشريف الرضي .
عدد النسخ / (٨٨٠) .
سنة الطبع ١٤١٥ هـ = ١٣٦٨
الطبعة / الاولى

نصت المصادر على ان اسم مؤلف هذا الكتاب هو :

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العليمي (١) المقدسي ، الحنبلي ابو اليمن ، مجير الدين ، العمري المنتهي نسبه إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب (٢) .
ولد بالقدس عام ٨٦٠ هـ ، وما ان بلغ مرحلة التعلم حتى تعهده ابوه بالرعاية والتوجيه ، حيث تنص الرواية بأنه تفقه على والده ، واخذ عنه جملة من العلوم (٣) .
واختلف على جماعة من اهل الفضل والعلم للاستفادة والتحصيل اشار اليهم في كتابه هذا « الانس الجليل » وم :

١ - الشيخ تقي الدين عبد الله بن اسماعيل القرقيشندي (٤) .

قال مجير الدين : « وقد عرضت عليه ملحة الاعراب في ثاني جادى الاولى سنة ست وستين وثمانمائة بمنزله بجوار المدرسة الصلاحية ، ولي دون ست سنين ... وهو أول شيخ عرضت عليه ، وتشرفت بالجلوس بين يديه ، وأجازني بالملحة بسنده

(١) العليمي : نسبة إلى جده سيدي علي بن عليل ، المشهور بعلي بن عليم .

(٢) مختصر طبقات الحنابلة - محمد جميل الشطي : ٧٣ / ط دمشق الترقى ١٣٣٩ هـ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) شيخ الاسلام تقي الدين ابو بكر عبد الله بن شمس الدين ابي عبد الله

محمد بن الشيخ تقي الدين اسماعيل القرقيشندي المقدسي الشافعي ، سبط الحافظ

ابي سعيد العلائي . ولد بالقدس عام ٧٨٣ هـ ، واشتغل في صغره على والده وغيره

وسمع المشائخ ، وأجازه جمع من العلماء والحفاظ . ثم افتى ودرس وحدث ، وسمع

عليه جمع كبير انتهت اليه الرياسة بالقدس ، وعظم عند المسؤولين ، توفي سنة ٨٦٧ هـ .

راجع ترجمته في هذا الكتاب : ١٨٩ - ١٩٠ / ٢

المنصل إلى المصنف وبغيرها من كتب الحديث الشريف ، وما يجوز روايته ، وكذا
والذي الاجازة بخطه ، وكتب الشيخ خطه الكريم عليها » (١)

٢ - الشيخ شهاب الدين ابو العباس احمد بن عمر العميري (٢) .

قال مجير الدين : « وقد عرضت عليه في حياة الوالد قدامة من كتاب المقة
في الفقه . واجازني في شهور سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، ثم لما توفي الوالد لاز
للاشتغال ، فكنت اقرأ عليه في المقنع ، واحضر مجلس وعظه ، ودرسه بالمسجد -
الأقصى ، وحصلت الاجازة منه غير مرة خاصة وعامة » (٣) .

٣ - الفقيه علاء الدين علي بن عبد الله بن محمد الغزي المقرئ الحنفي (٤) .

قال مجير الدين : « وقد قرأت عليه القرآن - ولي نحو عشر سنين - بمكة
باب الناظرة ، فأقرأني من سورة الأنبياء إلى الفاتحة ، ثم كررت ختم القرآن
عليه مرات كثيرة ، وقرأت بعضه عليه برواية عاصم ، واحضرني مجلس شيخنا ابن عمر

(١) هذا الكتاب : ١٨٩ : ٢

(٢) الحافظ العلامة شهاب الدين ابو العباس احمد بن القاضي زين الدين

العميري الشافعي . ولد سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بالقدس ، اشتغل ودأب وح
واخذ الحديث عن الحافظ ابن حجر ، ولقي جماعة من اهل العلم واخذ عنهم ، وإ
الحكم بالقدس نيابة عن القاضي شهاب الدين قاضي الخليل . وكان حافظاً فصيح
مشاركة في كثير من العلوم توفي عام ٨٩٠ هـ ودفن بالقدس .

راجع ترجمته في هذا الكتاب ٢٠٣ /

(٣) هذا الكتاب : ٢٠٣ / ٢

(٤) الفقيه علاء الدين علي بن محمد الغزي المقرئ الحنفي المعروف (بابن قا

ذكر انه لما نزل الأشرف برسباي إلى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة كار
مراهقاً حفظ القرآن العظيم وتلى بالسبع على العلامة شمس الدين بن عمران و
اقام بيت المقدس دهرأ ، وأدب به الأطفال ، وسمع الحديث ، وقرأ القرآن ، و

لسماع الحديث ، واعتنى بتحصيل الاجازة لي منه « (١) .

٤ - الشيخ كمال الدين محمد بن محمد بن ابي بكر بن علي بن ابي شريف (٢) .
قال مجير الدين : « عرضت عليه في حياة الوالد رحمه الله قطعة من كتاب
المقنع في الفقه على مذهب الامام أحمد ، ثم عرضت عليه مرة ثانية . ما حفظت بعد
العرض الأول ، وابلزاني في شهور سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، وحضرت بعض
محاضراته من الدروس والاملاء بالمدرسة الصلاحية ، وحضرت كثيراً من محاضراته
بالمسجد الأقصى الشريف قبل رحلته إلى القاهرة ، وبعد قدومه إلى بيت المقدس
- جيد الحفظ له سريع القراءة ، توفي عام تسعين وثمانمائة هـ بالقدس .

راجع ترجمته في هذا الكتاب : ٢٣٧ / ٢

(١) هذا الكتاب ٢٣٧ / ٢

(٢) شيخ الاسلام كمال الدين ابو المعالي محمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن
ابي بكر بن علي بن ابي شريف المقدسي الشافعي ، سبط قاضي القضاة شهاب الدين
ابي العباس احمد العمري المالكي المشهور (بابن عوجان) .
ولد سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة بمدينة القدس ، ونشأ بها ودرس في المدارس
العلمية ، وحفظ القرآن ، واذن له في التدريس سنة اربع واربعين وثمانمائة ورحل
إلى القاهرة في هذه السنة ، واخذ عن العلماء هناك ، وكتب له ابن حجر اجازة
ووصفه بالفاضل البارع الأوحد .

ومن سنة ٨٤٦ نظم وانشأ ودرس وأفتى ، ودامت له الامور ، واصبح يشار
له بالبنان في الاوساط العلمية ، ذكره المؤرخون إلى عام ١٠٩٠ هـ وله شعر رقيق
منه في بيت المقدس :

أحيي بقاع القدس ما هبت الصبا فتلک رباع الالس في زمن الصبا
ومازات من شوقي اليها مواصلا سلامي على تلك المعاهد والربا
راجع ترجمته في هذا الكتاب : ٣٧٧ - ٣٨٢ / ٢

وحصلت الاجازة منه غير مرة خاصة وعامة « (١) .

٥ - قاضي القضاة نور الدين علي بن ابراهيم المالكي المصري (٢) .

قال مجير الدين : « وقد قرأت عليه قطعة من آخر كتاب الخرقى في فقه مذهب الامام رضي الله عنه قراءة ببحث وفهم ، ثم قرأت عليه قطعة من اول المقنع قراءة ببحث وفهم ، فكان يقرر العبارة تقريراً حسناً لعل كثيراً من اهل المذهب لا يقرره ، وقرأت عليه في النحو ، ولازمت مجالسه ، وترددت اليه كثيراً . وحصل لي منه غاية الخير والنفع ولكن اختصرته المنية بسرعة قبل بلوغ المراد منه » (٣) .

٦ - شمس الدين ابو مساعد محمد بن عبد الوهاب (٤) .

قال مجير الدين : « وقد عرضت عليه قطعة من كتاب المقنع في الفقه في سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وأجازني » (٥) .

(١) هذا الكتاب : ٢ / ٣٨٢

(٢) قاضي القضاة نور الدين ، ابو الحسن علي بن ابراهيم البدرشي البحري المالكي المصري ، من اهل العلم ، له معرفة تامة بالعربية ، وعلم الفرائض ، والحساب والحديث الشريف ، باشر نيابة الحكم بالقاهرة . له مصنف في النحو ، وكان يحفظ القرآن حفظاً جيداً ، ويكثر من التلاوة . نشر العلم وانتفع به الطلبة . توفي عام ٨٧٨ هـ بالقدس .

راجع ترجمته في هذا الكتاب : ٢ / ٢٥١

(٣) هذا الكتاب : ٢ / ٢٥١

(٤) الشيخ العلامة المحقق شمس الدين ابو مساعد محمد بن عبد الوهاب الشافعي . من اعيان علماء بيت المقدس ، وكان يستفيد به الناس فائدة عظيمة . توفي عام ٨٧٣ هـ بالطاعون .

راجع ترجمته في هذا الكتاب ١٩١ - ١٩٢ / ٢

(٥) هذا الكتاب : ٢ / ١٩٢

٧ - الشيخ برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن الانصاري (١) .
قال مجير الدين : « وقد عرضت عليه قطعة من كتاب المقنع في الفقه بالزاوية
الختنية سنة ٨٧٣ هـ ، واجازني بما يجوز له روايته » (٢) .

٨ - الشيخ المقرئ المحدث شمس الدين محمد بن موسى بن عمران الغزي الحنفي (٣) .
قال مجير الدين : « وقد سمعت عليه صحيح البخاري بقراءة القاضي

(١) الشيخ برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم بن زين الدين عبد الرحمن
الأنصاري الخليلي الشافعي .

ولد عام ٨١٩ هـ ببلدة الخليل . لقي جماعة من اهل العلم والفضل واخذ عنهم .
رحل إلى القاهرة ، واخذ الحديث عن ابن حجر ، والفقه عن تقي الدين ابى بكر
ابن قاضي شعبة ، وأذن له في الافتاء والتدريس ، وباشر في نيابة الحكم عن القاضي
برهان الدين بن جماعة ، ثم ترك الحكم وصار من اعيان علماء بيت المقدس .
وعاد من القاهرة عام ٨٨٨ إلى مسقط رأسه الخليل ، واقام بها متصدياً لاشتغال
الطلبة إلى ان وافته المنية عام ثلاث وسبعين وثمانمائة هـ .

راجع ترجمته في هذا الكتاب : ٢٠٦ - ٢٠٧ : ٢

(٢) هذا الكتاب : ٢٠٦ / ٢

(٣) الشيخ العلامة المقرئ المحدث شمس الدين ابو عبد الله محمد بن موسى
ابن عمران الغزي المقدسي الحنفي شيخ القراء بالقدس .

ولد عام ٧٩٤ بغزة . سمع الحديث على الحافظ شمس الدين الجزري ، واخذ
عنه علم القراءات ، واجازه ، وكان رجلاً صالحاً ملازماً لقراء القرآن انتفع به
الناس وتخرج عليه جماعة ، وعرف هذا الفن معرفة جيدة ، وكان قنوعاً طارحاً
التسكف ، ولم يبق في القدس شيخ متقن لفن القراءة سواء . وكان شيخاً
بهبي المنظر ، توفي سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة .

راجع ترجمته في هذا الكتاب ٢٢٩ - ٢٣٠ : ٢

شهاب الدين بن عبيد الشافعي في سنة ٨٧١ هـ ، واجازني بروايته وبرواية غيره من الأحاديث العشارية ، والمسلسل بالأولية . . . وما يجوز له وعنه روايته « (١) .

٩ - الشيخ محمد بن محمد بن ابى بكر السعدي (٢) .

قال الشطبي : « ورحل سنة ٨٨٠ هـ إلى القاهرة ، وأقام بها عاكفاً على طلب العلم ، ولزم قاضي الحنابلة بالديار المصرية بدر الدين محمد بن محمد بن ابى بكر السعدي وأقام تحت نظره ، وتفقه عليه ، ولقد اكرم مثواه ، ومكث بالديار المصرية نحو عشر سنين » (٣) .

هؤلاء هم طليعة اساتذته وشيوخ اجازته ، وعلى هذا الضوء يمكن تقسيم مراحل تحصيله العلمي إلى قسمين :

قسم يختص بالقدس . ونكاد نستفيد من مجموع ما قدمناه ان تلك المدة محددة لعام ٨٨٠ هـ ، وتحصيله بين المسجد الأقصى والمدرسة الصلاحية ، واختلف فيها على عدد من الأعلام ذكرنا أهمهم .

وقسم يختص بالقاهرة . ويحدد بنحو عشر سنين ، حيث تنص المصادر على عودته إلى القدس عام ٨٨٩ هـ وكان أهم اساتذته هو ابن ابى بكر السعدي . وبعد عودته من القاهرة تولى قضاء القدس . ولعله بقي في مركزه حتى وفاته .

(١) هذا الكتاب : ٢٣٠ / ٢

(٢) محمد بن محمد بن ابى بكر السعدي ، قاض من فقهاء الحنابلة ، من أهل القاهرة ولد عام ٨٣٦ هـ ودرس ، وولي قضاء القضاة بالديار المصرية ، والف كتباً ، منها : الجوهر المحصل في مناقب الامام احمد مخطوط . قال السخاوي : كتب بخطه من تصانيفه اشياء ، واستكتب كذلك . توفى فجأة عام : ٩٠٠ راجع ترجمته : (الضوء اللامع : ٥٨ ٩ وشذرات الذهب : ٣٦٦ ٧ والاعلام : ٢٨١ / ٧) .

(٣) مختصر طبقات الحنابلة : ٧٣

ولقد وصفته الرواية : بأنه كان فطنا يحب العلم من صغره ذكي مجد . .
واذا ما عدنا إلى ادعائه بأنه عرض على شيخه تقي الدين اسماعيل القرقيشندي المقدسي
ملحة الاعراب ، وهو دون الست سنين ، واجازه الشيخ بالملحة لسنده المتصل إلى
المصنف وبغيرها من كتب الحديث ، وما يجوز له روايته ، نستطيع ان نؤكد
بأن هذا الانسان كان يتمتع بقابلية خاصة ، ونضوج مبكر أهله كل ذلك لان يكون
موضع عناية اساتذته وهو صبي لم يتجاوز الحلم .

وكيفما كان فقد واصل تحصيله ، وتبعه العلمي ، على يد اساتذة معروفين
بالفضل والكمال ، بحيث عرف بالأوساط العلمية بمكانة مقدرة .

ولقد خلف نتاجاً يدل على فضل ، وسعة اطلاع وهو :

١ - فتح الرحمن في تفسير القرآن : في مجلدين . . هكذا اسماء الزركلي (١).
اما بقية المصادر فأشارت الى انه له تفسير جليل على القرآن العظيم ، يشبه القاضي
البيضاوي (٢) .

٢ - المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد : قال جرجي زيدان :
توجد منه نسخة في الخزانة التيمورية في مجلدين عدد صفحاتها ٥٢٣ ، وهو مرتب
على سني الوفاة (٣) .

٣ - التاريخ المعتبر في انباء من غبر : ذكره الحاجي جلي ، ووصفه الشطي
بأنه تاريخ جليل ابتدأ فيه من سيدنا آدم الى سنة ٨٩٦ هـ ، مرتباً على السنين
ذاكراً فيه الحوادث العجيبة ، والوقائع الغريبة على وجه الاختصار (٤) .

(١) الاعلام : ١٠٨ / ٤

(٢) مختصر طبقات الحنابلة : ٧٤

(٣) مختصر طبقات الحنابلة : ٧٤ والاعلام : ١٠٨ / ٤ وتاريخ آداب اللغة

العربية : ١٩٨ / ٣

(٤) كشف الظنون : ١٣٠٥ ومختصر طبقات الحنابلة : ٧٤ والاعلام : ١٠٨ / ٤

٤ - اتحاف الزائر واطواف المقيم المسافر : ذكره البغدادي . وقال الجلي :
« اتحاف الزائر واطراف المقيم المسافر - للشيخ ابي اليمن زيد بن الحسن المكندي
البغدادي ، ثم الدمشقي ، المتوفي سنة ٦١٣ هـ » (١)

٥ - الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل : وبعض المصادر تسميه الانيس
الجليل . وهو الكتاب الذي يدور حديثنا حوله في الفصل الثالث من هذا البحث .
ولم نشر لنا المصادر المختصة بأن مؤلفاته قد طبعت عدى كتاب
« الانس الجليل » .

وقد اختلف في تلرخ وفاته ، فالشطبي لم يعثر على تاريخ وفاته ، ويقول :
« ولعله كان في اوائل القرن العاشر » .

بينما نرى اغلب المصادر التي تترجمه تذهب إلى ان وفاته كانت عام ٩٢٨ هـ
وقسم قليل يرى انها عام ٩٢٧ هـ (٢) .

من مجموع ما قدمناه عن حياة المؤلف نستطيع ان نجزم بأن المؤلف من
الأعلام الذين يتمتعون بمقدرة لا تفتقر من الفضيلة والكمال . .

(١) هداية العارفين : ٥٤٤ / ١ ومعجم المؤلفين - لكحالة : ١٧٧ / ٥
وكشف الظنون : ٦ / ١

(٢) مختصر طبقات الخبابة : ٧٤ ومعجم المطبوعات : ٣٥٨ ومعجم المؤلفين :
١٧٧ / ٥ وهداية العارفين : ٥٤٤ / ١ وتاريخ آداب اللغة العربية : ١٩٨ / ٣
والاعلام : ١٠٨ / ٥

ولقد اجمع المترجمون لحياة مجير الدين العليمي بأن كتاب « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » من مؤلفاته ، وانه في مقدمة ما دبجته يراعتة ، ضمنه خلاصة تواريخ القدس الشريف وبلدة الخليل ، مشوى سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام .

كما اضاف اليه نبذة من الحوادث والوفيات ، وما يتماق به من ذكر الملوك والكبراء والقضاة والعلماء حتى عام ٩٠٠ هـ - كما سيمر علينا في عرض منهجه - .
وقد تحدث المؤلف عن طيبة مؤلفه بقوله :

« فهذا مختصر استخرت الله تعالى في جمعه ، وسألته المعونة لي بفضله في ترتيب وضعه . . . »

عن لي أن اجمعه من كتب المتقدمين ، واهذب الفاظه من فوائد المؤرخين ...
وتراجم الأعيان على وجه الاختصار ، فاستعنت بالله سبحانه فيما قصدته « (١) .
ولقد كتب عدد من الأعلام في تاريخ القدس الشريف ممن سبقوا مجير الدين فخلعوا من نتاجهم روعة علمية كانت هي المنبع الرئيسي لكتاب « الانس الجليل » كما قال هو . ويمكننا ان نضم قائمة تقريبية لأولئك الذين كتبوا في هذا المضمار ، من جميع جوانبه ، واعتقادي اننا نستطيع ان نقيم الكتاب على ضوءها ، وهم حسب التسلسل الزمني :

١ - الواقدي : ابو عبد الله محمد بن عمر (٢) ، فقد تحدث عن تاريخ القدس

(١) هذا الكتاب : ١ - ٢ / ط الثانية .

(٢) ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المعروف بـ (الواقدي) ، ولد بالمدينة عام ١٣٠ هـ ، واتصل ببني المباس ، واصبح قاضياً عندهم . من اقدم مؤرخي -

وفتوحه في كتابه (فتوح الشام) الذي طبع عدة مرات .

٢ - اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب (١) ، الكاتب والمؤرخ المعروف اورد ذكرآ للقدس في كتابه المعروف بـ (تاريخ اليعقوبي) المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف وغيرها .

٣ - الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (٢) ، المؤرخ والمفسر الشهير ، جاء في تاريخه (تاريخ الامم والملوك) ذكر للقدس ومن تولاه ، وبناءه .

٤ - الاسلام . قال ابن النديم : خلف الواقدي بعد وفاته ستمائة قمطر كتباً ، كل قمطر منها حمل رجلين ، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار . مات ببغداد عام ٢٠٧ هـ ، وله مؤلفات عديدة . راجع ترجمته في (تذكرة الحفاظ : ٣١٧ / ١ ووفيات الأعيان : ٥٠٦ / ١ وتاريخ بغداد : ٣ - ٢١ / ٣ وميزان الاعتدال : ١١٠ / ٣ وتهذيب التهذيب ٣٦٣ - ٣٦٨ / ٩ والفهرست لابن النديم : ٩٨ / ١ واعيان الشيعة : ١٧٠ - ١٧٨ / ٤٠) .

(١) احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، الكاتب المعروف مؤرخ ، جغرافي كثير الاسفار من أهل بغداد ، صنف كتباً جيدة ، توفي عام : ٢٨٤ هـ ، وخلف مؤلفات قيمة منها تاريخه المشهور وكتاب البلدان وغيرها . راجع ترجمته في : (معجم الادباء : ١٥٣ / ٥ وايضاح المكنون - للبغدادي : ٢١٩ ، ١ و ٢٧٩ / ٢ واعيان الشيعة : ٣٣٠ - ٣٣٦ / ١٠ ومعجم المطبوعات : ١٩٤٨ والاعلام : ٩٠ - ٩١ / ١ ومعجم المؤلفين : ١٦١ / ١) .

(٢) محمد بن جرير بن يزيد ، ابو جعفر الطبري ، مؤرخ شهير ، ومفسر جليل ، وفقه ضليع . ولد في آمل طبرستان عام ٢٢٤ هـ ، واستوطن بغداد ، وتوفي فيها عام ٣١٠ هـ ، قال ابن الأثير : ابو جعفر أوثق من نقل التاريخ ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير ، عرض عليه القضاء فامتنع ، له مؤلفات تدل على سعة اطلاع وغزارة علم . راجع ترجمته في : (تذكرة الحفاظ : ٣٥١ / ٢ ووفيات الاعيان : -

٤ - ابن البطريق : سعيد بن البطريق (١) مؤرخ مسيحي ، اورد للقدس ذكرآ في كتابه (نظم الجوهر - او التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق في معرفة التواريخ) للطبوع في ليدن .

٥ - الاصطخري : ابراهيم بن محمد الفارسي (٢) عالم جغرافي ، ورحالة ، تطرق لحديث القدس في كتابه (مسالك الممالك) المطبوع في ليدن .

٦ - المسمودي : علي بن الحسين (٣) من مشاهير المؤرخين ، ذكر القدس وولاتها

- ٤٥٦ / ١ ، طبقات السبكي ١٣٥ - ١٤٠ / ٢ وروضات الجنات : ١٦٣ - ١٦٥ ورجال المماقاني : ٩٠ - ٩١ / ٢ وشذرات الذهب : ٢٦٠ / ٢) .

(١) سعيد بن البطريق ، طبيب مؤرخ من اهل مصر ، ولد بالقسطاط عام ٢٦٣ هـ ، وأقيم بطريقاً في الاسكندرية ، توفي عام ٣٢٨ هـ وله مؤلفات عديدة . راجع ترجمته في : (طبقات الاطباء : ٢ / ٨٦ وحسن المحاضرة - للسيوطي : ١ / ١١٣ ومعجم المؤلفين : ٢٢١ / ٤ وآداب اللغة العربية : ٢٠٠ / ٢) .

(٢) ابراهيم بن محمد الفارسي ، ابو اسحاق الاصطخري ، الكرخي . نشأ باصطخر (في ايران) وقام بسياحة طاف بها بلاد العرب ، وبعض بلاد الهند ، ووصفته المصادر : بأنه جغرافي ، رحالة من العلماء ، لم تكن مصادر علم البلدان موفورة في عصره فآلف كتابيه : « صورة الأقاليم » و « مسالك الممالك » ، توفي عام ٣٤٦ هـ . راجع ترجمته في : (هداية المارفين : ١٦ ودائرة المعارف للبشتاني : ٧٤٤ / ٣ ودائرة المعارف الاسلامية : ٢٥٦ / ٢ ومعجم المطبوعات : ٤٥٣ والاعلام : ٥٨ / ١) .

٢ - علي بن الحسين بن علي ، ابو الحسن المسمودي ، من اعلام التاريخ ومن مشاهير الرحالين ، ومن الباحثين المقدرين ، من اهل بغداد ، أقام بمصر ، وتوفى فيها عام ٣٤٦ هـ له مؤلفات عديدة منها مروج الذهب ، واخبار الزمان وغير ذلك من المؤلفات القيمة . راجع ترجمته في : (فوات الوفيات : ٤٥ / ٢ ولسان -

في كتابه (التنبيه والاشراف) المطبوع .

٧ - المقدسي : محمد بن احمد (١) ، من مشاهير الرحلة والجغرافيين . تناول ذكر القدس في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) المطبوع في لندن .

٨ - ابن عساكر : علي بن الحسن (٢) ، اورد فتوحات بيت المقدس ، وتعرض لتراجم بعض رجاله في كتابه (تاريخ ابن عساكر) طبع قسم منه .

٩ - اسامة بن منقذ (٣) ، من العلماء الشجعان والمؤرخين ، ذكر حروبه

- الميزان : ٤/٢٢٤ وطبقات الشافعية ٣٠٧/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٣/٣١٥ وتذكرة الحفاظ : ٣/٧٠ والفهرست لابن النديم : ١/١٥٤ و اعيان الشيعة : ١٩٨ ، ٤١/٢١٣ ، والدرية إلى تصانيف الشيعة : ٣/٣٤٧ .

(١) محمد بن احمد بن ابي بكر البناء البشاري ، الحنفي المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله ، ولد بالقدس عام : ٣٦٦ هـ ، ولم في الاسفار ، فطاف اكثر بلاد الاسلام ، وعرفته المصادر : بأنه رحالة جغرافي مات نحو سنة ٣٨٠ هـ وقالوا عنه : انه امتاز بكثرة ملاحظاته ، وسعة نظره ، له مؤلفات في فنه تدل على اهمية . راجع ترجمته في : (معجم المطبوعات : ١٧٧٣ ، والاعلام : ٢٠٣ / ٦) .

(٢) علي بن الحسن بن هبة الله ، ابو القاسم ثقة الله ابن عساكر الدمشقي ولد بدمشق عام : ٤٩٩ هـ . كان محدث الديار الشامية ، ومن اعيان فقهاء الشافعية وقالت عنه الرواية : بأنه مؤرخ ، حافظ رحالة ، توفي بدمشق عام : ٥٧١ هـ له مؤلفات عديدة في مقدمتها تاريخه الكبير . راجع ترجمته في : (وفيات الاعيان : ٣٣٥ / ١ والبداية والنهاية : ٢٩٤ / ١٢ وطبقات الشافعية : ٢٧٣ / ٤ وتاريخ ابن الوردي : ٨٧ / ٢ ومرآة الزمان : ١٠٠ / ١ ودائرة المعارف الاسلامية : ٢٣٧ / ١ والاعلام : ٨٢ / ٥) .

(٣) أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنساني الكلبي الشيرازي ، ابو المظفر ، مؤيد الدولة ، ولد بشيراز عام : ٤٨٨ هـ ، وسكن دمشق -

لبيت المقدس ومشاهداته فيها في كتابه (الاعتبار) المطبوع .

١٠ - العماد الاصبهاني: محمد بن محمد (١) من اكابر الكتاب، واعلام التاريخ ذكر تاريخ القدس وفتوحاته في كتابه (الفتح القمي في الفتح المقدسي) المطبوع .
١١ - ياقوت الحموي (٢) من المؤرخين المعروفين ، اورد للقدس ذكراً مفصلاً في كتابه (معجم البلدان) المطبوع .

- وانتقل إلى مصر ، وقاد عدة حملات على الصليبيين في فلسطين من الاسراء ، ومن العلماء الشجمان ، له تصانيف في الادب والتاريخ ، مات في دمشق عام : ٥٨٤ هـ .
راجع ترجمته في : (تاريخ ابن عساكر : ٤٠٠ / ٢ / البداية والنهاية : ٣٣١ / ١٢ ووفيات الاعيان ٦٣ / ١ / ومعجم الادباء : ١٨٨ - ٢٤٥ / ٥ ودائرة المعارف الاسلامية : ٧٩ / ٢ والاعلام : ٢٨٢ / ١) .

(١) محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين حامد ، ابو عبد الله ، المعروف بـ (عماد الدين الكاتب) الاصبهاني ، مؤرخ ، عالم بالأدب ، من اكابر الكتاب ولد باصبهان عام : ٥١٩ هـ ، وقدم إلى بغداد حدثاً فتأدب وتفقه ، فلمع اسمه في اوساطها وقلد عدة مناصب كبيرة في الدولة ، ثم رحل إلى دمشق فاستخدم عند السلطان نور الدين في ديوان الانشاء ، وتنقل في مناصب بعدها بنى مدرسة عرفت باسمه « العمادية » وتوفى بها عام : ٥٩٧ هـ .
راجع ترجمته في : (وفيات الأعيان : ٧٤ / ٢ و مرآة الزمان : ٥٠٤ / ٨ و تاريخ ابن الوردي : ١١٧ / ٢ والمختصر المحتاج : ١٢٢ وحسن المحاضرة : ٢٧٠ / ١ والروضتين : ١٤٤ / ١) .

(٢) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ابو عبد الله ، شهاب الدين ، مؤرخ من أئمة الجغرافية ، ومن اعلام اللغة والأدب ، أصله من الروم ، ولد عام : ٥٧٤ هـ .
له مؤلفات عديدة في طليعتها : معجم البلدان ومعجم الادباء . توفى عام : ٦٢٦ هـ .
راجع ترجمته في : (وفيات الأعيان : ٢١٠ / ٢ و مرآة الجنان : ٥٩ - ٦٣ / ٤ ومعجم المطبوعات : ١٩٤١ وآداب اللغة العربية : ٨٨ / ٢ والاعلام : ١٥٧ / ٩) .

١٢ - ابن الأثير : علي بن محمد (١) ، المؤرخ الشهير ، تطرق لذكر تاريخ القدس وبنائه في كتابه (التاريخ الكامل) المطبوع .

١٣ - ابو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل (٢) ، مؤرخ محدث ، ذكر ولاية القدس في كتابه (الروضتين في اخبار الدولتين - النورية والصلاحية) المطبوع :
١٤ - ابن العبري : ابو الفرج (٣) ، مؤرخ سرياني مستعرب ، اورد

(١) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، ابو الحسن ، عز الدين ، ابن الأثير ، المؤرخ الشهير ، من العلماء في النسب والادب ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر عام : ٥٥٥ هـ ، وسكن الموصل ، وتجول في البلدان وعاد إلى الموصل ، فكان منزله مجمع الفضلاء والادباء ، وتوفي بها عام : ٦٣٠ هـ . في مقدمة مؤلفاته تاريخه الكامل الذي طبع عدة مرات . راجع ترجمته في : (وفيات الاعيان : ٣٤٧ : ١ ، وطبقات الشافعية ١٢٧ / ٥ ومفتاح السعادة : ٢٠٦ : ١ وتاريخ ابي الفداء : ١٥٤ : ٣) .

(٢) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي ، الدمشقي ، ابو القاسم شهاب الدين ، ابو شامة . مؤرخ ، محدث باحث ، اصله من القدس ، مولده في دمشق عام ٥٩٩ هـ ، وبها منشاء ووفاته عام : ٦٦٥ هـ ، تولى مشيخة دار الحديث الاشرفية ، ودخل عليه اثنان في صورة مستفتين فضرباه ضرباً مبرحاً تعرض على آره ومات معلولاً منها ، له مؤلفات عديدة منها : (الروضتين في اخبار الدولتين - النورية والصلاحية) مطبوع . راجع ترجمته في : (فوات الوفيات ٢٥٢ : ١ وبغية الوعاة ٣٩٧ والبداية والنهاية ٢٥٠ : ١٣ وطبقات الشافعية ٦١ : ٥ ونفح الطيب ٤٦ : ١ ومجمع المطبوعات : ٣١٧ ، والأعلام ٧٠ : ٤) .

(٣) غريغوريوس بن توما المملطي ، ابو الفرج المعروف بابن العبري ، ولد في ملطية سنة ٦١٣ هـ وفر إلى انطاكية مع أبيه ، مؤرخ سرياني مستعرب توفي سنة ٦٨٥ هـ ونقل إلى الموصل ودفن بها . وقالت المصادر انه خلف -

للقدس ذكرآ في كتابه (تاريخ مختصر الدول) المطبوع .

١٥ - ابن فضل الله العمري (١) : من المعروفين بخطوط الأقاليم والبلدان
أورد ذكرآ للقدس في كتابه (مسالك الإبرار في ممالك الأمصار) المطبوع .

١٦ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٢) ، ذكر فتوح القدس وأخباره
وبناءه ، وولاته في كتابه (التاريخ الكبير - المسمى : العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب -) المطبوع مرتين .

- ٣٥ مصنفاً في علوم مختلفة . راجع ترجمته في : (دائرة المعارف الإسلامية
١: ٢٢٦ والؤلؤل المنشور ٤١١-٤٣٠ ومعجم المطبوعات ٣٣٩ والاعلام ٣٠٨-٣٠٩ : ٥
ومعجم المؤلفين ٣٩ - ٤٠ : ٨) .

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدين
مؤرخ ضليع ، وحجة في معرفة الممالك والمسالك ، وخطوط الأقاليم والبلدان ، عارف
بأخبار رجال عصره ، وراجهم ، غزير المادة واسع الاطلاع ، ولد عام ٧٠٠ هـ
بدمشق ، ونشأ بها ، وتوفى فيها عام ٧٤٩ هـ له مؤلفات متعددة قيمة . راجع
ترجمته في : (فوات الوفيات ٧ : ١ وتاريخ ابن الوردي ٣٥٤ : ٢ والدرر الكامنة
٣٣١ : ١ والنجوم الزاهرة ٣٣٤ : ١٠ وشذرات الذهب ١٦٠ : ٦ وحسن المحاضرة
٣٢٩ : ١ ومعجم المؤلفين : ٢٠٤ : ٢) .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون ، أبو زيد ، ولي الدين
الحضري الاشيلي ، الفيلسوف المؤرخ الاجتماعي البهائي ، ولد بأشيلية عام ٧٣٢ هـ
تنقل في البلدان ، وتولى القضاء فيها في المذهب المالكي ، توفى بالقاهرة فجأة
عام ٨٠٨ هـ له مؤلفات تدل على سعة إفاقه . راجع ترجمته في : (الضوء اللامع
١٤٥ : ٤ والعبر ٣٧٩ : ٧ ونفح الطيب ٤١٤ : ٤ وشذرات الذهب ٨٣ : ٤ ودائرة
المعارف الإسلامية : ١٠٥٢ : ١ ومعجم المطبوعات : ٩٥ - ٩٧ والاعلام ١٠٦ : ٤) .

- ١٧ - المقرئزي احمد بن علي (١) ، المؤرخ المصري المعروف ، تطرق لذكر هذا البيت المقدس وملوكه في كتابه (السلوك لمعرفة الملوك) وقد طبع .
- ١٨ - ابن شاهين : غرس الدين خليل (٢) ، مؤرخ شهير من المماليك ذكر خطط القدس في كتابه (زبدة كشف الممالك) المطبوع في باريس .
- ١٩ - ابن تغري بردي (٣) : من المؤرخين المشهورين ، اورد ذكراً لتاريخ

(١) احمد بن علي بن عبد القادر ، ابو العباس الحسيني المبيدي ، تقي الدين المقرئزي ، مؤرخ الديار المصرية ، أصله من بعلبك ، ونسبته إلى حارة المقارزة ولد عام ٧٦٦ هـ ونشأ بها ونال مراتب مرموقة في الدولة ، واصبح شخصية لامعة مات في القاهرة عام ٨٤٥ هـ ، وصفته المصادر بأنه : عمدة المؤرخين ، وعين المحدثين مؤلفاته قيمة تدل على مقدرة علمية وتاريخية ، وسعة افق . راجع ترجمته في : (مقدمة كتاب النقود الإسلامية طبع النجف ، التبر المسبوك للسخاوي : ٢١ وحسن المحاضرة : ٢٦٦ ، ١ ، والبدر الطالع : ٧٩ / ١ وآداب اللغة العربية : ١٧٥ / ٣ والأعلام : ١٧٢ ، ١)

(٢) غرس الدين ، خليل بن شاهين الظاهري ، المعروف بابن شاهين . أمير من المماليك ، اشتهر بمصر كان من المولعين بالبحث ، وله تصانيف ونظم ، ولد ببيت المقدس عام ٨١٣ هـ وتعلم بالقاهرة ، وتولى مناصب رسمية فيها ، وتوفي بطرابلس سنة ٨٧٣ هـ ، ذكرت الرواية بأن له نحو ثلاثين مصنفاً . راجع ترجمته في : (الضوء اللامع : ١٩٥ / ٣ وهداية العارفين : ٣٥٣ / ١ والخطط التوفيقية : ٦٨ / ٨ ومجمع المطبوعات : ١٣٣ والأعلام : ٣٦٧ / ٢) .

(٣) يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، ابو المحاسن جمال الدين . مؤرخ ، بحانة مولده بالقاهرة عام ٨١٣ هـ ، ووفاته فيها ايضاً عام ٨٧٤ هـ له مؤلفات تدل على تأدب وتفقه ، وولع بالتاريخ في طليعتها موسوعته التاريخية « النجوم الزاهرة » . راجع ترجمته في : (النجوم الزاهرة : ٩ - ٢٨ / ١ -

القدس وولائه وفتحته في كتابه (النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة) مطبوع .
٢٠ - شمس الدين السيوطي (١) . خص ذكر القدس وأهمية هذا البيت الشريف بكتابته (اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى) المطبوع .
٢١ - مجير الدين العليمي : في كتابه (الانس الجليل) والذي نحن بصدد تقديمه .

وعلى ضوء هذه القائمة التي قدمناها نستطيع ان نستنتج أمرين مهمين عن هذا الكتاب هما :

أولاً - ان هذه المناجم التي ذكرناها - وقد تكون هناك غيرها - لم تتناول موضوع القدس وما يتعلق به بصورة خاصة ، وإنما جاء الحديث عنه بصورة عامة وواحداً من المواضيع التي عالجتها تلك الكتب ، عدى كتاب « اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى » وفيما يبدو لي ان الكتاب خاص بالموضوع نفسه ، ويؤسفني اني لم اطلع على الكتاب .

أما كتاب « الفتح النفسي في الفتح القدسي » وإن لم يكن مخصصاً لهذا الموضوع فحسب ، غير ان حديث القدس ، وما يتصل به قد أخذ قسماً كبيراً منه . وهنا تظهر مزية كتاب « الانس الجليل » إذ ان الكتاب بحجزه قد كرس في الموضوع نفسه ، ولم يخرج عن الصدد .

ثانياً - ان كتاب « الانس الجليل » جاء حصيلة هذه المجموعة القيمة

- والضوء اللامع : ٣٠٥ / ١٠ وشذرات الذهب : ٣١٧ / ٧ ودائرة المعارف الاسلامية : ٣٩٦ / ١ وآداب اللغة العربية : ١٨٠ / ٣ والاعلام : ٢٩٥ / ٩) .
(١) محمد بن شهاب الدين احمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي المعروف بـ (شمس الدين السيوطي) نبغ في حدود سنة ٨٧٥ هـ . ولم نطلع على ترجمته بأكثر من هذا . له كتاب وهو (اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى) .
راجع : (معجم المطبوعات : ١٠٨٥ - ١٠٨٦) .

من المصادر التي تناولت حديث القدس وتاريخه من جميع جوانبه ، مضافاً إلى ان مؤلفه هو من تلك المنطقة ومعلوماته مبنية على الدراسة المعمقة ، والاطلاع الشخصي ، والمعلومات التاريخية الشخصية .
وعلى أساس هذين الجانبين جاء الكتاب بعيداً عن كل شائبة ، وعن الزيادات الخلة ، وعن الاستنتاجات المرجحة .

— ٣ —

وإذا عدنا إلى الكتاب نفسه لنلقى عليه أضواءً تكشف لنا جوانبه الجديرة بالبحث والاهتمام ، نراها لا تتجاوز ما يلي :

١ - منهج المؤلف في عرض كتابه .

٢ - الاسباب والدوافع التي بعثته لوضع هذا الكتاب .
ومن هذين الجانبين نستطيع ان نقيم الكتاب ومدى أهميته .

أولاً - منهج المؤلف في عرض الكتاب .:

ونستطيع ان نحدد منهج المؤلف في كتابه هذا بالنقاط التالية :

أولاً - عرض لتاريخ بيت المقدس ، يتضمن اسماء هذه المدينة ، وابتداء بنائها وما وقع فيها من الاخبار والانباء حتى عام ٩٠٠ هـ .

ثانياً - ذكر الانبياء والرسل الذين لهم أثر في هذا المسجد حتى رسول الانسانية النبي الأعظم محمد (ص) ، وما رافقه من احداث هامة بالنسبة لهذا البيت المقدس امثال الاسراء ، وتحويل القبة .

ثالثاً - عرض لذكر الخلفاء والولاة الذين فتحوا أو أشادوا في هذا البلد من صدر الاسلام حتى نهاية التاريخ المحدد للكتاب ، وحوادث الافرنج وحروبهم .

رابعاً - عرض لذكر اعيان التابعين ، والعلماء ، والزهاد ، ممن دخلوا بيت المقدس سواء كانوا زائرين او مستوطنين .

خامساً - تقديم صورة موجزة عن تاريخ مدينة الخليل ، وما حولها من المشاهد والاماكن المعدة للزيارة .

سادساً - ترجمة اعيان ملوك الاسلام الذين تولوا الحكم في البيت المقدس والخليل ، وما فعلوه من الخيرات والمبرات .

سابعاً - ترجمة عدد من اعيان البلدين من المذاهب الاربعة ، ومن ولي فيهما المناصب الحكومية ، والوظائف الديفية ، مضمناً هذه التراجم أهم الحوادث والاخبار التي ترافقها .

ثامناً - يختم الكتاب بترجمة الملك الأشرف ابي النصر قايتباي ، واهم مشاريعه الثقافية وفي مقدمتها مدرسته . ثم يتعرض لترجمة كمال الدين ابي المعالي محمد بن ابي شريف الشافعي رئيس مشيختها - وهو احد اساتذة المؤلف - .

ولسنا مبالغين اذا ادعينا ان هذا الكتاب بهذا المنهج الضخم يكاد يكون اوسع مؤلف كتب في تاريخ هذه المدينة المقدسة ، سواء من الكتب الخاصة او المصاحف التاريخية العامة التي تناولت تاريخ هاتين المدينتين .

خاصة وان المؤلف هو من تلك الديار ، ومن ثقف في اوساطها وعانى بؤسها ونعيمها ، وتذوق حلوها ومرها . لهذا كله فهو أمكن من غيره في اعطاء الصور الواضحة المعالم عنها ، وأقدر على استخلاص النتائج والحقائق من بين ثنايا الحوادث والاخبار التي مرت بها تاريخ البلدين .

وقد جاء هذا المنهج بأسلوب سهل ، وعرض جميل ، بعيداً عن التكلف والتعقيد ، مبوباً في أحسن تبويب .

ثانياً - الأسباب والدوافع لوضع الكتاب :

ولعل الأسباب والدوافع التي تحدث عنها المؤلف نفسه في تأليف هذا الكتاب توضح جلياً هذا الجانب الهام ، فهو يقول :

« وإنما دعاني لذلك أن غالب بلاد الاسلام قد اعتنى بها الحفاظ ، وكتبوا ما يتعلق بتاريخها مما يفيد اخبارها الواقعة في الزمن السابق . وبيت المقدس لم اطلع له على شيء من ذلك يختص به ، وإنما ذكروا في التواريخ اشياء في اماكن متفرقة ، ورأيت الأنفس متشوقة إلى شيء من هذا النمط الذي قصدت فعله فان بعض العلماء كتب شيئاً يتعلق بالفضائل فقط ، وبعضهم تعرض لذكر الفتح العمري ، وعمارة بني امية ، وبعضهم ذكر الفتح الصلاحي ، واقتصر عليه ولم يذكر ما وقع بعده ، وبعضهم كتب تاريخاً تعرض فيه لذكر بعض جماعة من اعيان بيت المقدس مما ليس فيه كبير فائدة ، فأحببت ان اجمع بين ذكر البناء والفضائل والفتوحات وتراجع الأعيان ، وذكر بعض الحوادث المشهورة ليكون تاريخاً كاملاً والله سبحانه وتعالى المسؤول ، وهو المأمول أن يمنّ عليّ بتيسير إتمامه » (١) .

ومع ضخامة الكتاب وتوسعه في تنوع مواضيعه ، فقد صرح المؤلف في آخر كتابه بأنه كان قد ابتدأ في جمعه في الخامس عشر من شهر ذى الحجة سنة ١٩٠٠ هـ وفرغ من ترتيبه وجمعه في دون اربعة اشهر رغم العوارض التي صرفت المؤلف عن الاستمرار في مشروعه مدة شهر لم يكتب فيها شيئاً (٢) .

(١) هذا الكتاب : ١ / ٥

(٢) نفس المصدر : ٢ / ٣٨٣

وكان من المنتظر ان يكون الكتاب بهذه السرعة مرتجلاً ، خفيف الوزن
ولكنه برغم ذلك كله فإنه كتاب قيم ممتد يدل على سعة اطلاع ، وُبعد في التاريخ .
ولذا فلا نخشى إن ادعينا انه من المصادر القيمة في بابهِ .

ويؤكد هذا المعنى ما قاله بعض الكتاب عنه : « وظني انه لم يصنف في مثله
مثله ، ولم يوجد في بابهِ نظيره » (١) .

ورغم ان هذا الكتاب طبع مرة واحدة في المطبعة الوهبية بمصر في عام ١٢٨٣هـ
في مجلدين عدد صفحاته ٧١٢ صفحة بقطع الوسط ، فقد ترجم إلى الفرنسية - نظراً
لأهميته - قام بترجمته الاستاذ هنري سوفار وطبع في باريس عام ١٨٧٦ م (٢) .
وصرحت بعض المصادر بوجود نسخ مخطوطة من هذا الكتاب في اكثر مكاتب
اوربا وكذلك توجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تقع في ٤٤٠
صفحة (٣) .

ولقد مرت على طبع الكتاب قرن واحد ، وتعد من الاسواق في ظرف هذه
المدة الطويلة ، لهذا فكر الأخ الفاضل الشيخ محمد كاظم الكتبي ان يعيد طبعه ثانية
في سلسلة مطبوعات (مكتبة الحيدرية) ، وبصورة بسيطة ليوفره لدى المسلمين
نظراً لما للكتاب من أهمية خاصة بالنسبة لمدينة القدس في الوقت الحاضر وهي تمر
بدور خطير ، قد وضع الصهاينة الغاصبون يد الاحتلال على معالم هذه المدينة
المقدسة قبله المسلمين الاولى ، ومهبط الوحي ، ومثوى الأنبياء .

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية : ١٦٨ / هامش ١

(٢) معجم المطبوعات : ٣٥٨

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : ١٩٨ / ٣

أقد شاء الأخ الناشر ان يعيد للاذهان المصلحة تاريخ هذه المدينة المقدسة
بطبعه هذا الكتاب ، وتداوله بين الناس ، ويشعر الضمير الانساني المسلم بأن
المسلمين الذين يسكنون هذه البقعة الطاهرة هم الآن يرزحون تحت كابوس الاحتلال
الصهيوني الغادر ، فلا بد من ان يستيقظ العالم الاسلامي من غفوته ، ويعمل على
محو العار من عاتقه، وذلك بتحرير هذه البقعة الطاهرة من براثن اليهودية التي تضمر
الحقد الأسود للاسلام والمسلمين من يوم « خير » .

وليس من السهل على امة تشمر بالكرامة أن تتناسى ماضيها الزاهر ، وتتغاضى
عن مجدها العظيم ، وهي في قوتها وعزتها ، فلا بد لها من جولة حاسمة لتطهر المدينة
المقدسة من الارجاس الصهاينة ، لتربط حاضرها بماضيها ، وتم سجل التاريخ بالدم
والتضحية ، وما النصر إلا من عند الله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتفضل على خلقه بفتح أبواب الرحمة ، المحسن الى أهل الملة
الحنيفية بترادف الخير والنعمة ، الذي يسر لمن اختاره لنصرة دينه أسباب علو
الهمة ، وأنعم على عبيده سكان البيت المقدس بما منحهم من الإقامة به وكشف
عنهم الغمة ، أحمده سبحانه على ما منَّ به علينا من المجاورة للمسجد الشريف
الأقصى ، وأشكره على مننه التي كثرت فلا تعد ولا تحصى ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له الفعال لما يريد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
الذي نصر به دينه وقمع به كل جبار عنيد ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله
وأصحابه الذين أيد الله بهم الاسلام ، فمهدوا قواعد الدين من بعده وقاموا
بنصرته أعظم قيام ، صلاة وسلاماً دائماً إلى أن نلقاه إن شاء الله بدار السلام .
(أما بعد) فهذا مختصر استخرت الله تعالى في جمعه ، وسألته المعونة لي
بفضله في ترتيب وضعه ، يتضمن تاريخ البيت المقدس ، الذي هو على التقوى
مؤسس ، وقصة السيد الجليل ، سيدنا ابراهيم الخليل ، وأبنائه السادة الكرام
وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، عن لي أن أجمعه من كتب المتقدمين
وأهذب الفاظه من فوائد المؤرخين ، واذكر ما يتعلق ببيت المقدس من ابتداء
أمره وبنائه ، وما وقع من أخباره وانبائه ، من لدن سيدنا آدم عليه السلام

الى عصرنا هذا وهو آخر عام تسعمائة من هجرة النبي المصطفى خير الأنام واضيف الى ذلك نبذة من الحوادث والأخبار ، وتراجم الأعيان على وجه الاختصار ، فاستعنت بالله سبحانه فيما قصده ، وتوكلت عليه في تيسير ما تصورته وشرعت في ذلك طالباً من الله التوفيق ، والمان بالهداية لأقوم طريق ، فأذكر اولاً نبذة يسيرة من تفسير اول سورة الاسراء او اسماء المسجد الأقصى وبيت المقدس وما ورد من الخلاف في ابتداء أمره ، ثم اذكر أول ما خلق الله سبحانه وتعالى من مخلوقاته الى حين خلق آدم . ثم اذكر سيدنا آدم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء الى سيدنا ابراهيم ونبذة يسيرة من اخبارهم .

ثم اذكر قصة سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ومولده ونبوته ونبذة من سيرته ومعجزاته واولاده الكرام وهجرته وبناء الكعبة المشرفة وقصة الذبيح وشراء المغارة ووفاته وبناء السور السليمانى المحيط بقبره وكونه صار مسجداً وذرع طولا وعرضاً : واذكر صفة المسجد وما هو مشتمل عليه وترتيب قبور الانبياء عليهم السلام ، ثم اذكر نبذة من اخبار السماط الكريم ونظامه ، ثم اذكر ما بعد ابراهيم من الانبياء الى سيدنا موسى واخيه هارون عليهما السلام ثم اذكر السبب في ملك سيدنا داود عليه السلام ونبذة يسيرة من سيرته واهتمامه ببناء المسجد الأقصى الشريف باذن الله تعالى ، ثم اذكر عماره سيدنا سليمان عليه السلام لمدينة القدس والمسجد الأقصى وما كان عليه من الصفات والعجائب ونبذة من سيرة سيدنا سليمان ، ثم اذكر تخريبه على يد بخت نصر والسبب فيه ثم اذكر عمارته الثانية على يد كوروش ملك الفرس ، واذكر من كان من الانبياء من بعد سيدنا سليمان الى سيدنا يونس عليهم السلام ، ثم اذكر مولد سيدنا زكريا ويحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام ونزول المائدة على عيسى وصعده الى السماء ونبذة من سيرته . ثم اذكر خراب بيت المقدس الثانى على يد طيطوش وزوال دولة اليهود ، ثم اذكر عمارته الثالثة .

ثم اذكر مولد سيد الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ونبذة من سيرته الشريفة وقصة المعراج وما وقع له ليلة الاسراء بالمسجد الاقصى الشريف وهجرته وبناء مسجده الشريف وتحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الى المسجد الحرام ونبذة من أخباره وغزواته ووفاته صلى الله عليه وسلم ، ثم اذكر نبذة من فضائل المسجد الاقصى وما ورد فيه ، ثم اذكر الفتح العمري الذي يسره الله تعالى على يد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعمارته على يديه ومن دخله من اعيان الصحابة واستوطنه ، واذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان بالقدس الشريف ، ثم اذكر بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة الشريفة وبناء المسجد الاقصى وما وقع في ذلك ، واذكر طرفاً من اخبار عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وما وقع له مع الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك وهدم الكعبة وبناءها مرة بعد اخرى ونبذة من اخبارها وذرع المسجد الحرام طولاً وعرضاً وعدد ابوابه ومنايره ، ثم اذكر جماعة من اعيان التابعين والعلماء والزهاد ممن دخل بيت المقدس زائراً ومستوطناً قبل استيلاء الفرنج عليه ، ثم اذكر تغلب الفرنج واستيلائهم على بيت المقدس بعد ذلك لضعف دولة الفاطميين وسوء تدبيرهم ، ثم اذكر الفتح الصلاحي الذي يسره الله تعالى على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب تفعمده الله برحمته وما وقع له من الغزوات ونبذة من سيرته ووفاته ، ثم اذكر ما وقع بعده من تسليم القدس للفرنج وانزاعه منهم مرة بعد اخرى لوقوع الخلف بين ملوك بني ايوب .

ثم اذكر صفة المسجد الاقصى وما هو عليه في عصرنا وذرعه طولاً وعرضاً وكذلك صحن الصخرة الشريفة وارتفاع القبة . ثم اذكر غالب ما في بيت المقدس من المدارس والمشاهد مما هو مجاور لسور المسجد الاقصى وغيره واسماء من عرفته من الواقفين للمدارس وما اطلعت عليه من تواريخ اوقافهم ، ثم اذكر ما بظاهر بيت المقدس من عين سلوان وعين المقدوفات وبئر ايوب وطول زيتا وقبر مريم

والساهرة وبيت لحم ورملة فلسطين ولد وغير ذلك .

ثم اذكر نبذة من اخبار مدينة سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وما فيها وما حولها مما اشتهر من المشاهد والاماكن المقصودة للزيارة ، واذكر الاقطاع التميمي ، ثم اذكر جماعة من اعيان ملوك الاسلام ممن تولى على بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه السلام وفعل فيهما الخير من انواع البر والعمارة ، ثم اذكر ما تيسر من اعيان علماء البلدين من المذاهب الاربع ومن ولى فيهما المناصب الحكمية والوظائف الدينية ومن عرف منهم بالزهد والصلاح واذكر في تراجمهم نبذة مما اطلعت عليه من الحوادث والاخبار مما لا يخلو من فائدة إن شاء الله تعالى ثم أختم الكتاب بذكر ترجمة ملك العصر والزمان مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي نصره الله تعالى واذكر مدرسته الشريفة وانها من محاسن بيت المقدس لا سيما كونها في المسجد الاقصي الشريف وهي آخر مدرسة بنيت فيه واذكر ابتداء ولايته السلطنة واحوال بيت المقدس واحوال بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في ايامه ، واذكر سبب بناء مدرسته وتولية مشيختها لشيخ الاسلام الشيخ كمال الدين أبي المعالي محمد بن أبي شريف الشافعي ادام الله النفع بعلمه ، واذكر تاريخ مولده واسماء مصنفاته وما تيسر من ترجمته واجتهده في ايجاز لفظ هذا الكتاب حسب الامكان طالبا للاختصار .

(وسميته بالانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) واذا من الله بأكمالته كان تاريخا للقدس والخليل خاصة وبغيرهما عامة فانه يكون فيه تاريخ المساجد الثلاثة وغيرها فالكعبة المشرفة ذكرها بالنسبة الى ذكر قصة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ذكره بالنسبة الى ذكره الشريف وغير ذلك من الحوادث بالنسبة لارتباط الاخبار بعضها ببعض وحين عزمي على جمعه لم اقصد ذلك وانا قصدت ذكر ما يتعلق بالقدس والخليل فقط فتأمل ما قصدت جمعه فرأيت الحال يتطرق الى ذكر جميع ذلك لا أمور لا تخفى علي من تأمل .

والله يعلم اني لم اقصد بذلك الفخر ولا أن يقال اني من جملة المصنفين لعلمي بحقيقة حالي في التقصير وأن بضاعتي في العلم مزجاة وانما دعائي لذلك أن غالب بلاد الاسلام قد اعتنى بها الحفاظ وكتبوا ما يتعلق بتاريخها بما يفيد أخبارها الواقعة في الزمن السابق . وبيت المقدس لم اطلع له على شيء من ذلك يختص به وانما ذكروا في التواريخ اشياء في اماكن متفرقة ورأيت الأنفس متشوقة الى شيء من هذا النمط الذي قصدت فعله فان بعض العلماء كتب شيئاً يتعلق بالفضائل فقط وبعضهم تعرض لذكر الفتح العمري وعمارة بني امية وبعضهم ذكر الفتح الصلاحي واقتصر عليه ولم يذكر ما وقع بعده وبعضهم كتب تاريخاً تعرض فيه لذكر بعض جماعة من اعيان بيت المقدس مما ليس فيه كبير فائدة فأحببت ان اجمع بين ذكر البناء والفضائل والفتوحات وتراجم الأعيان وذكر بعض الحوادث المشهورة ليكون تاريخاً كاملاً والله سبحانه وتعالى المسئول وهو المأمول أن يمن علي بتيسير أعماله ، وكما وفقني لبدايته يعينني على اكماله وختامه ، وان ينفعني والمسلمين بما فيه انه قريب محبوب وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب .

﴿ نبذة يسيرة من تفسير أول سورة الاسراء وذكر أسماء المسجد الأقصى ﴾

قال الله تعالى في كتابه العزيز - بعد قوله تعالى وهو اصدق القائلين - :
 بسم الله الرحمن الرحيم (سبحان الذي اسرى بمبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) . قال المفسرون رضي الله تعالى عنهم : سبحان هي تنزيه الله تعالى عن كل سوء ووصفه بالبراءة من كل نقص وتكون سبحان بمعنى التعجب ، اسرى بمبده ليلاً اي سيره والعبد هو محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف في ذلك احد من الامة ، من المسجد الحرام يعني مكة الى المسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس ، الذي باركنا حوله يعني بالانهار والاشجار والأمار .

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله باركنا حوله فلسطين والاردن
ويأتي ذكر فلسطين فيما بعد ان شاء الله تعالى ، واما الأردن فهو نهر الشريعة
المذكور في قوله تعالى (ان الله مبتليكم بنهر) وهو بضم الهمزة وسكون الراء
وضم الدال المهملة وتشديد النون .

وقال ابو القاسم السهيلي : قوله : الذي باركنا حوله يعني الشام والشام
بالسريانية الطيب سميت بذلك لطيبها وخصبها . وقيل باركنا حوله بعقابر الانبياء
وقيل غير ذلك ، وقيل سماء مباركاً لأنه مقر الانبياء وقبلتهم ومهبط الملائكة
والوحي وفيه يحشر الناس يوم القيامة ، وسمي الاقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد
الحرام ، وقيل كان هذا أبعد مسجد عن اهل مكة في الارض يعظم للزيارة ، وقيل
لبعده عن الأقدار والخبائث ، وروي انه سمي الاقصى لأنه وسط الدنيا لا يزيد
شيئاً ولا ينقص .

وقوله تعالى : (والذين والزيتون وطور سينين * وهذا البلد الأمين) روي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : اقسم ربنا جل جلاله بأربعة اجبل فقال والذين
والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين . قال الذين طور سيناء مسجد دمشق
والزيتون طور زيتا مسجد بيت القدس وطور سينين حيث كلم الله موسى عليه
السلام وهذا البلد الأمين جبل مكة .

ومن اسماء بيت المقدس ايليا بهمة مكسورة ثم ياء آخر الحروف ساكنة
ثم لام مكسورة ثم ياء آخر الحروف ثم الف ممدودة ككبرياء . وحكى فيها القصر
ومعناه بيت الله المقدس وبيت المقدس بفتح الميم وسكون القاف اي المكان المطهر
من الذنوب واشتقاقه من القدس وهي الطهارة والبركة فمعنى بيت المقدس المكان
الذي يتطهر فيه من الذنوب ويقال المرتفع المنزه عن الشرك والبيت المقدس بضم
الميم وفتح الدال المشددة اي المطهر وتطهيره اخلاؤه من الأصنام وبيت القدس بضم
الدال وسكونها لفتان .

ومن اسماء بيت المقدس وورشلم بشين معجمة وتشديد اللام ويروى بالمهملة وكسر اللام ويروى شلم ومعناه بالعبرانية بيت السلام وصهيون بكسر الصاد المهملة ويقال لمسجد بيت المقدس الزيتون ولا يقال له الحرم .

وقد اختلف في اول من بنى مسجد بيت المقدس قبل داود عليه السلام..
فروى بعض العلماء ان اول من بناه الملائكة بأمر الله تعالى ويقال ان الذي بناه اسرافيل عليه السلام .

وقد روى المحدثون عن ابي ذر رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال المسجد الحرام، قال : قلت ثم أي؟ قال المسجد الأقصى. قلت كم بينهما؟ قال اربعون سنة ثم اينما ادر كنتك الصلاة فصل فان الفضل فيه وقد روى ان الملائكة بنوا المسجد الحرام قبل خلق آدم بألفي عام فكانوا يحجون له. قال الامام ابو العباس القرطبي : يجوز ان يكون بناء يعني مسجد بيت المقدس الملائكة بعد بنائها البيت المعمور باذن الله تعالى وظاهر الحديث يدل على ذلك والله اعلم .
ومن العلماء من قال : بنى مسجد بيت المقدس آدم عليه السلام ، ومنهم من قال : اسسه سام بن نوح عليهما السلام ، ومنهم من قال : اول من بناه وأرى موضعه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام روى ان اياه اسحاق امره ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وامره ان ينكح من بنات خاله فلما توجه الى خاله لينكح ابذنه ادركه الليل في بعض الطريق فبات منوسداً حجباً فرأى فيما يرى النائم ان مسلماً منصوباً الى باب من ابواب السماء والملائكة تمرج فيه وتنزل فأوحى الله اليه : اني انا الله لا إله إلا انا وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك ثم انا معك احفظك حتى اردك الى هذا المسكان فأجمله بيتاً تعبدني فيه فهو بيت المقدس.
وقد تأول بعض العلماء معنى الحديث الشريف الوارد ان بناء المسجد الأقصى كان بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة على ان المراد به بناء يعقوب عليه السلام لمسجد بيت المقدس بعد بناء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة الشريفة والله اعلم .

والحديث الشريف المتقدم وهذه الأقوال تدل على ان بناء داود وسليمان عليهما السلام إياه انما كان على اساس قديم لا انهما المؤسسان له بل هما مجددان وكل قول من الأقوال الواردة في بناء المسجد الأقصى لا ينافي الآخر فانه يحتمل ان يكون بناء الملائكة اولاً ثم جدده آدم عليه السلام ثم سام بن نوح عليهما السلام ثم يعقوب بن اسحاق عليهما السلام ثم داود وسليمان عليهما السلام فان كل نبي منهم بينه وبين الآخر مدة تحتمل ان يجدد فيها البناء المتقدم قبله، والقول بأن سام بن نوح أسسه ظاهر فان سام ابن نوح هو الذي اختط مدينة بيت المقدس وبنائها وكان ملكاً عليها فلا يبعد ان يكون اسس المسجد حين بنائه المدينة ولكن يحمل على تجديده للبناء القديم لتأسيسه والله اعلم .
واما مدينة القدس فكانت ارضها في ابتداء الزمان صحراء بين اودية وجبال وهي خالية لا بناء فيها ولا عمارة فأول من بناها واختطها سام بن نوح عليهما السلام وكان ملكاً عليها وكان يلقب ملكيصادق بفتح الميم وسكون اللام وكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الصاد المهملة وبعدها الف ثم دال مهملة مكسورة وبعدها قاف ومعناه بالعبرانية ملك الصدق .

ومما حكي في امر بناء القدس في تواريخ الامم السالفة ان ملكيصادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه واشتهر امره حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من ارض بيت المقدس وبالشام وسدوم وغيرها وعندهم اثنا عشر ملكاً فحضروا إليه فلما رأوه وسمعوا كلامه اعتقدوه واجبوه حباً شديداً ودفنوا له مالا ليعمر به مدينة القدس فاختطها وعمرها وسميت بروشلم وتقدم ان معناه بالعبرانية بيت السلام فلما انتهت عمارتها اتفقت الملوك كلهم ان يكون ملكيصادق ملكاً عليها وكنوه بأبي الملوك وكانوا بأجمعهم تحت طاعته واستمر حتى مات بها وسيأتي ذكر مولده ووفاته عند ذكر والده نوح ان شاء الله تعالى .

ولما بنيت مدينة بيت المقدس كان محل المسجد في وسطها وهو ضعيد واحد والصخرة الشريفة قائمة في وسطه حتى بناه داود ثم سليمان كما سنذكر ان شاء الله تعالى .

﴿ ذكر أول ما خلق الله سبحانه وتعالى ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أول ما خلق الله تعالى اللوح المحفوظ فحفظه بما كتب الله فيه مما كان. ويكون لا يعلم ما فيه إلا الله عز وجل وهو من درة بيضاء ذفتاه ياقوتتان حمراوان وهو في عظم لا يوصف .

وخلق الله قلماً من جوهره طولها مسيرة خمسمائة عام مشقوق السن ينبع منه النور كما ينبع من أقلام أهل الدنيا المسداد ثم نودي القلم ان اكتب فأضطرب من هول النداء حتى صار له ترجيع كترجيع الرعد ثم جرى في اللوح بما هو كائن وما هو فاعله في الوقت الذي يفعله الى يوم القيامة فامتلاً للريح وجف القلم سعد من سعد وشقى من شقى .

وخلق الله الماء ثم خلق الله من بعد ذلك درة بيضاء في عظم السماوات والأرضين ثم نادى الرب سبحانه وتعالى فأضطربت وذابت من هول النداء حتى صارت ماء يَموج بعضها في بعض ثم نودي ان اسكن فأستقر وهو ماء صافي لا كدر فيه ولا موج ولا زبد .

﴿ خلق العرش والكرسي والريح ﴾

ثم خلق الله تعالى العرش والكرسي من جوهرتين عظيمتين ووضعهما على تيار الماء قال الله تعالى : (وكان عرشه على الماء) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كل صانع بنى الأساس فإذا تم يتخذ عليه السقف وإن الله تعالى خلق السقف أولاً ثم خلق الأساس لأنه خلق العرش قبل السماوات والأرضين ثم خلق الله الريح وجعل لها اجنحة لا يعلم كثرتها إلا الله وأمرها ان تحتل هذا الماء وكان العرش على الماء والماء على الريح ثم خلق الله حملة العرش وهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخر فذلك قوله

تعالى : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) ، وهم في عظم لا بوصفون ثم خلق الله حول العرش حية محدقة به رأسها من درة بيضاء وجسدها من ذهب وعيناها ياقوتتان لا يعلم عظم تلك الحية إلا الله تعالى فالعرش عرش العظمة والكبرياء والكرسي كرسي الجلال أو البهاء لأن الله تعالى لا حاجة له اليهما فقد كان قبل تكونهما لا على مكان .

(خلق الأرضين والجبال والبحار)

لما اراد الله خلق الأرضين امر الريح ان تضرب الماء بعضه في بعض فلما اضطرب ازبد وارتفعت امواجه وعلا بخاره فأمر الله الزبد ان يجسد فصار يابسا فهو الأرض فدحاها على وجه الماء في يومين فذلك قوله تعالى (قل أئنكم انكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) ثم امر تلك الأمواج فسكنت فذهي الجبال فجعلها عماد الأرض وذلك قوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي ان تמיד بكم فولوها لماناجت الأرض بأهلها) وعروق هذه الجبال متصلة بعروق جبل قاف وهو الجبل المحيط بالأرض ثم خلق الله تعالى سبعة ابجر فأولها محيط بالأرض وراء جبل قاف وكل بحر منها محيط بالبحر الذي تقدمه .

واما هذه البحار التي على وجه الأرض فانها بمنزلة الخليج لها وفي تلك البحار من الخلائق والدواب ما لا يسلم عدده إلا الله تعالى وخلق الله تعالى هذه البحار وما فيها من الدواب في اليوم الثالث ثم خلق الله تعالى ارزاقها وقدرها في اليوم الرابع وذلك قوله تعالى (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين) وهي سبع ارضين كل ارض تلي الاخرى . وكانت الأرض تموج بأهلها كالسمينة تذهب وتجيء لأنه لم يكن لها قرار فأهبط الله ملكاً ذا بهاء عظيم وقوة وأمره الله ان يدخل تحميها فيحملها على منكبه فأخرج الله له يداً في المشرق ويداً في المغرب فقبض على اطراف الأرض وامسكها .

ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله له صخرة مرتفعة من ياقوتة خضراء وامرها حتى دخلت تحت قدمي الملك فاستقرت اقدام الملك عليها .

ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله للصخرة ثوراً عظيماً صفته لا يحيط بها إلا الله تعالى لعظمها وامره ان يدخل تحتها فحملها على ظهره وقيل على قرونيه .

ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله له حوتاً عظيماً لا يقدر احد ان ينظر اليه لعظمه ولبروق عينيه وامره الله تعالى ان يصير تحت قوائم الثور واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قراره على الماء وتحت الماء الهواء وتحت الهواء الظلمة والأرضون كلها على منكبي الملك والملك على الصخرة والصخرة على الثور والثور على الحوت والحوت على الماء والماء على الهواء والهواء على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق بما تحت الظلمة .

(العقل)

ثم خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي منك بك آخذ وبك اعطي وعليك ائيب وبك اعاقب .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : العاقل هو الصادق الطويل صمته الذي يسلم الناس من شره فان الله تعالى يدخله الجنة وان الله تعالى ليعاقب العاقل يوم القيامة بما لا يعاقب به الجاهل وان الجاهل هو الكاذب بلسانه الخائض فيما لا يعنيه وان كان قارئاً او كاتباً ، ثم قال ما تزين العبد بزينه احسن من العقل وما من شيء اقبح من الجهل فالعقل ما يحصل به التمييز وهو بعض العلوم الضرورية وهو غريزة نص عليه الامام احمد رضي الله عنه والمشهور عنه : انه في الدماغ وثقافة للحنفية ، وعند اصحاب احمد والشافعي والأطباء ان محله القلب وله اتصال بالدماغ قال اصحاب احمد العقل يختلف فعقل بعض الناس اكثر .

﴿ خلق الله السماوات وسكانها وصفة الملائكة وخلق الشمس والقمر ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما : امر الله تعالى البخار الذي علا من الماء ان يعلو الهواء فخلق الله تعالى منه السماء في يومين فكانت ارضا واحدة في يومين وسماء واحدة في يومين وما بينهما في يومين ايام ثم تفتقت السماء والارض خوفا من ربها فصارت سبع سماوات وسبع ارضين وذلك قوله تعالى : (أولم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ثم قال فقمنا من سبع سماوات في يومين واوحى في كل سماء امرها .

فالسما الاولى من زبرجدة خضراء وسكانها ملائكة على صورة البقر .

والسما الثانية من ياقوتة حمراء وسكانها ملائكة على صورة العقبان .

والسما الثالثة من ياقوتة صفراء وسكانها ملائكة على صورة النسر .

والسما الرابعة من فضة بيضاء وسكانها ملائكة على صورة الخيل .

والسما الخامسة من ذهب وسكانها ملائكة على صورة الحور العين .

والسما السادسة من درة بيضاء وسكانها ملائكة على صورة الولدان .

والسما السابعة من نور يتلأأ وسكانها ملائكة على صورة بني آدم وهؤلاء

الملائكة لا يفترقون عن التسبيح فذلك قوله تعالى : (يسبحون الليل والنهار

لا يفترقون) فأفضلهم جبريل وهو الروح الأمين له ستة اجنحة في كل جناح مائة

جناح وله وراء ذلك جناحان اخضران ينشرهما ليلة القدر وجناحان ينشرهما عند

هلاك القرى والاجنحة كلها من انواع الجواهر .

ويليه اسرافيل وهو ملك عظيم الشأن وله اربعة اجنحة جناح يسد به المشرق

وجناح يسد به المغرب والثالث يسد به ما بين السماء والارض والرابع قد انشم به

قدماء تحت الارض السابعة ورأسه قد انتهى الى اركان قوائم العرش وبين عينيه

لوح من جوهرة فاذا اراد الله ان يحدث في عباده امراً امر القلم ان يخط في اللوح

ثم يدلي اللوح الى اسرافيل فيكون بين عينيه ثم ينتهي الوحي الى جبريل عليه السلام وهو اقرب من اسرافيل . ومن وراء البيت الممور ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، وفي السماء السابعة البحر المسجور .

وأما ملك الموت عزرائيل فسكنه في سماء الدنيا وقد خلق الله له عيوناً بعدد من يذوق طعم الموت ، رجلاه في تخوم الارض ورأسه في السماء العليا عند آخر الحجب ووجهه مقابل اللوح المحفوظ وهو ينظر اليه وكل الخلق بين عينيه ولا يقبض روح مخلوق إلا بعد ان يستوفي رزقه ويقضي اجله .

(خلق الشمس والقمر)

ثم خلق الله الشمس والقمر نالشمس من نور عرشه والقمر من نور حجابها الذي يليه واننى الله تعالى عليهما فقال : (وبسخر لكم الشمس والقمر دائبين) ثم وكل بهما جمعاً من الملائكة يرسلونهما بمقدار ويقبضونهما بمقدار فذلك قوله تعالى : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) فما نقص من احدهما زاد في الآخر . وقال اهل النوراة : ابدأ الله تعالى الخلق في يوم الاحد وانتهى في السبت فاستوى على العرش فيه . فاتخذوا السبت عيداً .

وقالت النصارى : وقع الابتداء في يوم الاثنين والانتهاى في الاحد ثم استوى على العرش فيه . فاتخذوا الاحد عيداً .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان الابتداء في السبت والانتهاى يوم الجمعة سيد الايام وهو عند الله اعظم من يوم الفطر ويوم الاضحى وفيه ستة فضائل : فيه خلق الله آدم عليه السلام وفيه نفخ الروح فيه وفيه تاب الله عليه وفيه توفاه وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا اعطاه الله إياه ما لم يكن حراماً وفيه تقوم الساعة .

(ذكر الجنة والنار وما فيهما)

ثم خلق الله الجنة وهي ثمان جنات : اولها دار الجلال من الاولئ الابيض

ثم دار السلام وهي من الياقوت الاحمر ، ثم جنة المأوى وهي من الزبرجد الاخضر
ثم جنة الخلد وهي من المرجان الاصفر ، ثم جنة النعيم وهي من الفضة البيضاء ، ثم
الفردوس وهي من الذهب الاحمر ثم جنة دار القرار وهي من المسك ، ثم جنة عدن
وهي من الدر وهي مشرفة على الجنان لها بابان من ذهب بين كل مصراع كما بين
السماء والارض وبنائها لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطلا المسك وترباها المنبر
وحشيشها الزعفران وقصورها اللؤلؤ وغرفها الياقوت وابوابها الجواهر وفيها انهار
منها نهر الرحمة ونهر الكوثر وهو لنبينا صلى الله عليه وسلم ونهر الكافور ثم التسليم
ثم السلسيل ثم الرحيق وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وللجنان ثمانية ابواب
وفيها من الخور العين ما لا يقدر علي وصفهن إلا الذي خلفهن .

واما جهنم فلها سبعة ابواب : اولها جهنم والثاني لظى والثالث الحطمة
والرابع السعير والخامس سقر والسادس الجحيم والسابع الهاوية ، ولها سبع طباق
وفيها اشجار من النار شوكها كأمثال الرماح الطوال تتلظى بالنيران وعليها ثمار
من نار في كل ثمرة حية تأخذ بأجنان عين الكافر وشفته تسقط لحمه الى قدميه
وفيها عقارب واسود وذئاب وكلاب من نار وزبانية بأيديهم مقامع من نار ، وعليها
تسعة عشر من الملائكة كما قال الله تعالى : (لواحة للبشر * عليها تسعة عشر) وقال
الله تعالى : (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم وينعون ما يؤمرون) .

﴿ ذكر الجن والجان وما كان من ابتداء أمرهم وعبادة ابليس ﴾

روي عن وهب قال : خلق الله نار السموم وهي نار لا حر لها ولا دخان ، ثم
خلق الله منها الجان فذلك قوله تعالى : (والجان خلقناه من قبل من نار السموم)
قال وخلق الله خلقاً عظيماً وسماء مارجاً وخلق منه زوجة وسماءها مرجة فواقهما
فولدت الجان وولد للجان ولد فسماه الجن فممنه تفرعت قبائل الجن ومنهم ابليس
اللعين وكان يلد من الجان الذكر والانثى ومن الجن كذلك توأمين فصاروا سبعين

الفأ وتوالدوا حتى بلغوا عدد الرمل فتزوج ابليس امرأة من ولد الجان فكثر اولاده وانتشروا حتى امتلأت الاقطار منهم ، ثم اسكن الله الجان في الهواء وابليس واولاده في سماء الدنيا وامرهم بالعبادة والطاعة فكانت السماء تفتخر على الارض بأن الله رفعها وجعل فيها ما لم يكن في الارض .

فشكت الارض الى خالقها الوحشة إذ ليس على ظهرها خلق يذكر الله فنوديت الارض اسكني فاني خالق من اديك صورة لا مثل لها في الجن وأرزقها العقل واللسان واعلمها من علمي وانزل عليها من كلامي فأملأ منها بطنك وظهرك وشرقك وغربك على مزاج تربتك في الالوان والخيرية والشرية فافتخري يا ارض على السماء بذلك . فاستقرت الارض وهي مع ذلك بيضاء نقية كأنها النقضة البيضاء فأشرفت الجان على الارض وقالت ربنا اهبنا الى الارض فأذن الله لهم بذلك على ان يعبدوه ولا يعصوه فأعطوه اليهود على ذلك ونزلوا وهم الوف فعبدوا الله حق عبادته دهرأ طويلا .

ثم اخذوا في المعاصي وسفك الدماء حتى استغاثت الارض منهم وقالت ان خلوي يارب أحب إلي من ان يكون على ظهري من يعبدك فأوحى الله اليها ان اسكني فاني باعث اليهم رسلي .

قال كعب الاحبار : فأول نبي بعثه الله من الجان نبيا منهم يقال له عامر بن عمير بن الجان فقتلوه . ثم بعث لهم من بعد عامر صاعق بن ماعق بن مارد بن الجان فقتلوه حتى بعث الله اليهم ثمانمائة نبي في ثمانمائة سنة في كل سنة نبيا وهم يقتلونهم فلما كذبوا الرسل اوحى الله الى اولاد الجن في السماء ان انزلوا الى الارض وقتلوا من فيها من اولاد الجان وعليهم ابليس اللعين فقاتلهم ابليس الذين هو ومن كان معه حتى ادخلهم الى بقعة من الارض فاجنموا فيها فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقهم وسكن ابليس الارض مع الجن وعبد الله حق عبادته فكانت عبادته اكثر من عباداتهم كلهم ، ثم رفعه الله تعالى الى سماء الدنيا لكثرة عبادته فعبد الله فيها الف سنة حتى سمي فيها

العابد ، ثم رفعه الله تعالى الى السماء الثانية فعبد الله فيها الف سنة ، ثم رفعه الى الثالثة فعبد الله كذلك حتى رفعه الى السماء السابعة ، فيقال انه في يوم السبت يكون في الاولى ويوم الاحد في الثانية حتى اذا كان يوم الجمعة يكون في السماء السابعة يعبد الله في كل سماء يوماً .

وكان ابليس لعنه الله بمنزلة عظيمة بحيث اذا مر به جبريل او ميكائيل او غيرها من الملائكة يقول بعضهم لبعض لقد اعطى الله هذا العابد من القوة على طاعة ربه ما لم يعط احداً من الملائكة . فلما كان بعد ذلك بدهر طويل امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يهبط الى الارض ويقبض قبضة من شرقها وغربها ووعرها وسهها ليخلق منها خلقاً جديداً ليجمعه افضل الخلائق فعرف ذلك ابليس فهبط الى الارض حتى وقف في وسطها وقال لها اني جئتكم ناصحاً ، فقالت وما نصحك يا زين العابدين وإمام الزاهدين ؟ فقال لها : ان الله يريد ان يخلق منك خلقاً يفضلته على جميع خلقه واخاف منه ان يعصيه فيعذبه وقد ارسل الله اليك جبريل فاذا جاءك فأقسمي عليه ان لا يقبض منك شيئاً .

فلما هبط جبريل عليه السلام نادته الارض وقالت : يا جبريل بحق من ارسلك إلي ألا تقبض مني شيئاً فاني اخاف ان يخلق الله مني خلقاً فيعصيه ذلك الخلق فيعذبه بالنار ، فارتعد جبريل من هذا القسم فرجع ولم يأخذ منها شيئاً ، فأخبر جبريل ربه بذلك، فبعث الله ميكائيل ليأتيه بالقبضة فكانت حالته كحالة جبريل فبعث الله ملك الموت فلما هم ان يقبض ما امزه ربه اقسمت عليه ايضاً ، فقال ملك الموت عليه السلام : وعزة ربي لا اعصي له امراً ، فقبض منها قبضة من جميع بقاعها عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها ، وكل ابن آدم مخلوق من تلك القبضة . فلما رجع ملك الموت بالقبضة وقف في موقفه اربعين عاماً لا ينطق .

سم اتاه النداء : يا مملك الموت ما الذي صنعته ؟ - وهو اعلم - فأخبره بقسمه

وقسم الأرض عليه فقال تعالى: وعزتي وجلالي لأخلقن مما أتيت به خلقاً ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك بهم . فجعل نصف تلك القبضة في الجنة ونصفها في النار وقال : أنا الله الذي لا إله إلا أنا اقضي ولا يقضى علي .

(ذكر آدم عليه السلام)

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وما بين ذلك ومنهم الحزن والسهل وبين ذلك . وانما سمي آدم لأنه خلق من أديم الارض . ولما خلق الله جسد آدم تركه اربعين ليلة وقيل اربعين سنة ملق بغير روح . (وقال الله تعالى للملائكة اذا تمخض فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فلما نفخ فيه الروح سجد له الملائكة كلهم اجمعون * إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) ولم يسجد كبراً وبغياً فأوقع الله تعالى على ابليس اللعنة والاياس من رحمته وجعله شيطاناً رجيماً واخرجه من الجنة بعد ان كان ملكاً على سماء الدنيا والارض وخازناً من خزنة الجنة .

واسكن الله تعالى آدم الجنة ثم خلق الله تعالى من ضلع آدم حواء زوجته سميت بذلك لأنها خلقت من شيء حي فأوحى الله تعالى اليه : (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) . ثم اراد ابليس عليه اللعنة ان يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فعرض نفسه على دواب الارض ان تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبت ذلك إلا الحية فانها أدخلته الجنة بين ناييها وكانت اذ ذاك على غير شكلها الآن . فلما دخل ابليس الجنة وسوس لآدم وحواء وحسن عندهما الاكل من الشجرة التي نهاها الله تعالى عنها وهى الحنطة في قول وقرر عندهما بعد ان حلف لهما انهما إن أكلا منها خلدا ولم يموتا ، (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما) أي ظهرت لهما

عوراتهما ، وكانا لا يريان ذلك .

فقال الله تعالى : (اهبطوا بمضكم لبعض عدو) . وهم آدم وحواء وابليس والحية فأهبطهم الله من الجنة الى الارض وسلب عن آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة فهبط آدم بسر نديب من ارض الهند على جبل يقال له نود ، وحواء بجدة وابليس بايلة والحية باصفهان . فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بمرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي ذلك اليوم عرفة والموضع عرفات . وكان هبوط آدم من باب التوبة وهبوط حواء من باب الرحمة وابليس من باب اللعنة والحية من باب السخط ، وكان في وقت العصر .

وكان بين هبوط آدم والهجرة النبوية ستة آلاف سنة ومائتان وستة عشر سنة على حكم التوراة اليونانية وهي المعتمدة عند المحققين من المؤرخين وفي ذلك خلاف لا فائدة لذكره خشية الاطالة . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضي من هبوط آدم الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة سبعة آلاف سنة ومائة وستة عشر سنة وهو المعتمد عند المؤرخين .

ولما هبط آدم الى الارض كان له ولدان هابيل وقايل فقربا قربانا فتقبل من هابيل ولم يتقبل قربان قايل فحسده على ذلك وكان لقائيل اخت توأمة وكانت أحسن من توأمة هابيل وكان آدم اراد ان يزوج توأمة قايل بهابيل وعكسه فلم يطب لقائيل ذلك ورأى قربان اخيه قد تقبل دون قربانه ، فقتل اخاه هابيل واخذ قايل توأمة وهرب بها . وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة وذلك باتفاق المؤرخين . وكان آدم رجلا طويلا كأنه نخلة سحق كثير شعر الرأس وقد بلغ عدد ولده لصلبه وولد ولده لما توفى اربعين الفا ونزل عليه جبريل عليه السلام اثني عشر مرة . وقد تقدم ذكر الخلاف في انه اول من بنى مسجد بيت المقدس . وقد اختلف في مدفنه فقيل ان قبره في مغارة بين القدس ومسجد ابراهيم رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام والخلاف في ذلك كثير .

ثم بعد قتل هابيل ولد لآدم شيث عليه السلام وهو وصيه ، وتفسير شيث هبة الله عاش تسعمائة سنة واثني عشر سنة ومات لمضي الف ومائة واثنين واربعين سنة لهبوط آدم والى شيث تنتهي انساب بني آدم كلهم .

ثم ولد لشيث انوش عاش تسعمائة سنة وخمسين سنة . ثم ولد لآنوش قينان عاش تسعمائة وعشرين سنة . ثم ولد لقينان مهلايل عاش ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة . ثم ولد لمهلايل يود - بالدال المهملة - عاش تسعمائة واثنين وستين سنة .

ثم ولد ليود حنوخ - بخاء مهملة ونون وواو وحاء معجمة - وهو ادريس عليه السلام وادرك ادريس من حياة شيث جد جده عشرين سنة ، ولما صار له من العمر ثلثمائة وخمس وستون سنة رفعه الله الى السماء ، وكان قد نبأه الله وانكشفت له الاسرار السماوية ونزل عليه جبريل عليه السلام اربع مرات وله صحف : (منها) لا تروموا ان تحيطوا بالله خبرة فانه اعظم وأعلى من أن تدركه فطن المخلوقين إلا من ائمه . ثم ولد لحنوخ متوشلح - بتاء مثناة من فوق وآخره حاء مهملة - عاش تسعمائة وتسعاً وستين سنة . ثم ولد لمنوشلح لاخ ولما صار له من العمر مائة وثمان وثمانون سنة ولد له نوح .

﴿ ذكر نوح عليه السلام ﴾

واسمه عبد الغفار ولد بعد ان مضى الف وستمائة وثلثان واربعون سنة من هبوط آدم عليه السلام . وكان بعد رفع ادريس الى السماء بمائة وخمس وسبعين سنة . ويقال ان دمشق كانت دار نوح عليه السلام . وارسله الله تعالى الى قومه وكانوا اهل اوئان فصار يدعوهم الى طاعة الله وهم لا يلتفتون اليه وكانوا يخذلونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . وكانوا يضربونه حتى يظنوا انه مات . فاذا افاق اغتسل واقبل عليهم وهو يدعوهم الى الله تعالى . فلما طال ذلك شكاهم الى الله تعالى ، فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك

إلا من قد آمن فلما إيس منهم دعا عليهم فقال (رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) فأوحى الله اليه ان اصنع السفينة فصنعها من خشب الساج .
فلما اقبل على عمل الفلك جعل يقطع الخشب ويضرب الحديد وكان قومه يعمرون عليه وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يانوح قد صرت نجاراً بعد البوة ويضحكون عليه فقال لهم (إن تسخروا منا فانا نسكر منكم اذا عاينتم عذاب الله كما تسخرون) . واتخذ السفينة وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، وقيل غير ذلك .

فلما فار التور وكان هو الآية بين نوح وبين ربه حمل نوح من أمره الله بمحملة من أهله وغيرهم سوى ولده كنعان فإنه كان كافراً ، ثم ادخل في السفينة ما امره الله به من الدواب . واختلف في موضع التور : ف قيل كان بالكوفة ، وقيل بالشام وقيل غير ذلك .

فلما دخل نوح ومن معه السفينة ففتح الله عز وجل عيون الماء ففارت الارض والتقت البحار وأمطر الله من السماء ماءً فارتفع الماء وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال وعلا الماء على رؤوس الجبال اربعين ذراعاً فهلك كل من على وجه الأرض من حيوان ونبات سوى عوج ابن عناق - نسبة لأمه عناق بنت آدم - وهي اول من بنت علي وجه الأرض وعمت الفجور وعملت السحر وجاهرت بالمعاصي وولدت عوج الجبار ولم يفرقه الطوفان ولا بلغ بعض جسده وطلب السفينة ليفرقها وكان طولها ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع بالهاشمي ، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ، ويتناول الخوت من قرار البحر ويشويه في عين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله .

وعاش ثلاثة آلاف سنة وعمر الى زمان فرعون وقطع صخرة على قدر عسكر موسى عليه السلام ليطرحها عليهم ، وكان الممسكر فرسخاً في فرسخ فأرسل الله طيراً فنقر الصخرة فنزلت من رأسه الى عنقه ومنعته الحركة ، فوثب موسى وكانت

وثبته عشرة اذرع وطوله مثل ذلك وطول عصاه مثل ذلك ولم يلحق سوى عرقوبه فقتله وتركه بموضعه وردم عليه بالصخر والرمل فكان كالجبل العظيم في صحراء مصر ، وقيل غير ذلك .

وكان بين أن ارسل الله ماء الطوفان وبين أن غاض ستة اشهر وعشر ليال وكان ركوب نوح في السفينة في مستهل شهر رجب ، وقيل لعشر ليال مضت من رجب وكان أيضاً لعشر ليال خلت من آب ، وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم وكان استفرار السفينة على الجودي وهو جبل من ارض الموصل .

وقد ورد حديث ان السفينة طافت بالبيت الحرام اسبوعاً ثم طافت بيت المقدس اسبوعاً واسودت على الجودي . وروي ان السفينة سارت حتى بلغت بيت المقدس فوقعت ونطقت بأذن الله تعالى وقالت يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذي يسكنه الأنبياء من اولادك . وكان الطوفان بعد هبوط آدم بألفي سنة ومائتين واثنين واربعين سنة . وكان لسمائة سنة مضت من عمر نوح ، وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربع وسبعون سنة ، وقد مضى من الهجرة الى عصرنا تسعمائة سنة كاملة ، فيكون الماضي من الطوفان الى سنة تسعمائة من الهجرة اربعة آلاف ومائتا سنة واربعاً وسبعين سنة والله أعلم .

ولما مضت ثلثمائة وخمسون سنة للطوفان توفي نوح عليه السلام وله من العمر تسعمائة وخمسون سنة ، هكذا وقع في كلام المؤرخين ان نوحاً عاش القدر المذكور فقط . وظاهر الآية الشريفة يخالفه لأنه يدل على انه لبث القدر المذكور في قومه بعد إرساله اليهم ينذرهم وان الطوفان وقع بعد ذلك . وقيل ان عمر نوح الف واربعمائة وخمسون سنة وهو موافق الآية قال الله تعالى : (ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) وظاهر الآية الشريفة انه عاش اكثر مما ذكره المؤرخون والله أعلم .

ونزل عليه جبريل عليه السلام خمسين مرة وقبره بكرك نوح ومن اولاده

سام ولد قبل الطوفان بمائة سنة وعاش ستمائة سنة ووفاته بعد الطوفان بخمسائة سنة وهو ابو العرب وفارس والروم وكان هو القيم بعد نوح في الأرض ومن ذريته الأنبياء كلهم عربهم وعجمهم . وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب ونزل بنوه سرّة الارض وهو الذي اختط مدينة القدس واسس مسجدها وكان ملكاً عليها كما تقدم . وحام ابو السودان ، وياث ابو الترك . ويأجوج ومأجوج والافرنج والقبط من ولد فوط بن حام .

ولما خرج نوح من السفينة قسم الأرض بين اولاده الثلاث فأعطى سام الحجاز واليمن والشام والجزيرة ، واعطى حام الغرب ، واعطى يافث الشرق . وولد لسام ولد سماه أرفخشذ عاش اربعمائة وخمساً وستين سنة . ثم ولد لأرفخشذ ولد سماه قينان عاش اربعمائة وثلاثين سنة ، وولد لقينان شالح عاش اربعمائة وستين سنة ، وولد لشالح غابر عاش اربعمائة واربعاً وستين سنة ، ثم ولد لغابر فالغ عاش ثلثمائة وتسعاً وثلاثين سنة ، ثم ولد لفالغ رعون عاش ثلثمائة وتسعاً وثلاثين سنة وعند مولد رعون تبلبلت الألسن وتقسمت الأرض وتفرق بنو نوح وذلك لمضي ستمائة وسبعين سنة للطوفان ، ثم ولد لرعون شاروع واسمه في التوراة سرور عاش ثلثمائة وثلاثين سنة ، ثم ولد لشاروع ناحور عاش مائتين وثمانين وستين سنة ، ثم ولد لناحور ولد اسمه تارخ وهو آزر عاش مائتين وخمس سنين . وهو ابو ابراهيم الخليل عليه السلام .

(ذكر هود وصالح عليهما السلام)

وهما نبيان ارسل الله نوح وقيل ابراهيم الخليل ، وارسل الله هوداً الى عاد وكانوا اهل اصنام . وكان عاد وعمود جبارين طوال القامة ، فدعا هود قوم عاد فلم يؤمن منهم إلا القليل فأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً . والحسوم الدائم فلم تدع غير هود والمؤمنين معه فلم يعتزلوا

في حضرموت وبقي هود كذلك حتى مات وقبره بحضرموت . وقيل بالحجر من مكة ، وقيل ان هوداً هو غابر المتقدم ذكره . والذي صححه جماعة من أكابر العلماء ان هوداً هو ابن عبد الله بن رباح وليس هو غابر والله اعلم .

ويروى انه كان من عاد شخص اسمه لقمان وهو غير لقمان الحكيم الذي كان على عهد سيدنا داود عليه السلام .

(وأما صالح) : فهو ابن آسف ارسله الله الى ثمود فدعاهم الى التوحيد وكان مسكنهم بالحجر وهي مدينة بين المدينة الشريفة والشام فلم يؤمن به إلا قليل مستضعفون ثم ان كفارهم عاهدوه على انه ان اتاهم بما يقترحونه عليه آمنوا ، واقترحوا عليه ان يخرج لهم من صخرة معينة ناقة . فسأل الله تعالى في ذلك فخرج من تلك الصخرة ناقة وولدت فصيلاً ، فلم يؤمنوا وعقروا الناقة فأهلكهم الله تعالى بعد ثلاثة ايام بصيحة من السماء فيها صوب كل صاعقة فتقطعت قلوبهم فأصبحوا في دارهم جاثمين .

وسار صالح الى فلسطين ، ثم انتقل الى الحجاز . يعبد الله الى ان مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة . وورد انه توفي في فلسطين وأقام بها بعد أن هلك قومه ويقال ان قبره بالمغارة التي بالجامع الأبيض بالرملة والله اعلم .

(ذكر سيدنا ابراهيم الخليل وابنائيه الكرام عليهم الصلاة والسلام)

اقول وبالله التوفيق : ابراهيم خليل الرحمن وهو ابو الأنبياء الكرام من اولي العزم من المرسلين ، روي انه انزل الله عليه عشر صحف وكانت كلها امثالا وجعل له لسان صدق في الآخرين اي ثناء حسنا فليس احد من الامم إلا يحبه واكرمه الله تعالى بالخلقة وجعل اكثر الانبياء من ذريته وختم ذلك بسيد المرسلين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، وابراهيم هو ابن تارخ وهو آزر . ولما اراد الله عز وجل ان يبعث السيد ابراهيم عليه السلام حجة على قومه

ورسولا الى عبادته رأى التمرد في منامه كأن كوكباً قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع لذلك فزعاً شديداً وجمع السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا له : هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة ويكون هلاكك وذهاب ملكك على يده . ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء عليهم السلام . وكانت الملوك الذين ملكوا الارض اربعة : مؤمنان وها سليمان بن داود وذو القرنين وكافران وها عمروذ وبخت نصر .

فعمروذ هو ابن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وهو اول من وضع الناج على رأسه وتجبر في الأرض ودعا الناس الى عبادته ، فلما اخبر عمروذ بذلك امر بذبح كل غلام يولد في تلك الاحياء تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل حامل اميناً فكانت الحامل اذا وضعت حملها فان كان ذكراً ذبحه . وقيل انه حبس جميع الحوامل إلا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم حملها وعيت عنها الابصار ، وخرج عمروذ بجميع الرجال الى المعسكر ونحاهم عن النساء كل ذلك تخوفاً من ذلك المولود الذي اخبر به .

وقيل : ان عمروذ لما خرج بمسكره بادت له حاجة في المدينة لم يأمن عليها احداً من قومه سوى آزر وذلك قبل حمل ام ابراهيم به ، فبعث الى آزر وأسر له حاجته وقال له اما اني لم ابعثك إلا لتفتي بك فأقسمت عليك ان لا تدنو من اهلك ، فقال آزر انا اشج على ديني منك ، ثم دخل آزر المدينة وقضى حاجته ثم يدا له الدخول على اهله لرؤية حالهم واصلاح شأنهم فلما دخل الدار واجتمع بأهله حكم عليه نفوذ القدر فنسى ما التزم به للعمروذ فواقع زوجته واسمها نونا . وقيل غير ذلك فحملت بابراهيم عليه السلام فلما استقر في بطنها تنكست الاصنام وظهر نجم ابراهيم عليه السلام وله طرفان احدهما بالشرق والآخر بالمغرب ، فلما رأى عمروذ ذلك النجم تحير وازداد خوفه .

ولما تم حمل ابراهيم وجاء لأمه الطلق ارسل الله تعالى اليها ملكاً على احسن

صورة واجمل وجه من بني آدم فأَنسها وسكن روعها وبشرها بولد يكون له شأن عظيم وهو خليل رب المالمين ، فلما ثقل عليها الحال قال لها انهضي نمعي فقامت معه وتبعته فتوجه بها حتى أدخلها غاراً هناك معمي عن الخلق . فلما دخلت الغار وجدت فيه جميع ما تحتاجه وخنف الله تعالى عنها الطلق فوضعت ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ليلة الجمعة وكانت ليلة عاشوراء .

وكان مولده لمضي الف واحد وثمانين سنة من الطوفان ، وكان الطوفان بعد هبوط آدم عليه السلام بألفين ومائتين واثنين واربعين سنة وبين مولد ابراهيم الخليل عليه السلام والهجرة الشريفة النبوة الفان وثمانمائة وثلاث وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ، وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عامنا هذا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضي من مولد سيدنا ابراهيم الخليل الى آخر تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة والاختلاف في ذلك كثير .

فلما سقط الى الارض نزل جبريل عليه السلام وقطع سرتة واذن في اذنه وكساه ثوباً أبيض ثم عاد بأمه الملك الى مكانها وترك ولدها في الغار .

ولما طالت غيبة نمرود عن ارضه وبلاده عاد الى تدير ما كان قد اهمه ، فينما هو جالس ذات يوم على سريريه واذا هو بالسرير قد انتفض من تحته انتفاضاً شديداً فسمع نمرود هاتفاً يقول تعس من كفر بأله ابراهيم فقال لا آزر هل سمعت ما سمعت؟ قال نعم ، قال فمن هو ابراهيم ؟ قال آزر اني لا اعرفه فأرسل للسحرة والكهنة يدلوك عليه . فأرسل نمرود خلف السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فلم يخبروه بشيء مع علمهم به وكان ذلك في يوم ولادته ثم توالى على نمرود الهواتف حتى نطقت الوحوش والطيور بمثل ذلك فكان نمرود لا يمر بمكان إلا ويسمع قائلاً يقول تعس من كفر بأله ابراهيم فآزداهم ورأى رؤيا هائلة في منامه وذلك انه رأى القمر قدطلع من ضلع آزر وبقي نوره كالعمود الممدود بين السماء والارض وسمع قائلاً يقول قد جاء الحق وزهق الباطل فنظر الى الاصنام فوجدها كلها منكسة

على رؤسها ، فاستيقظ النمرود من منامه فزعاً خائفاً مرعوباً فقص رؤياه على آزر .
فخاف آزر على نفسه منه وقال انما ذلك لكثرة عبادتي لها .

وكان نمرود بليداً جبناً فرضى بقول آزر وسكت ، ثم بدا له الدخول الى البلد
فلما دخلها دخل آزر على الأضنام وكان هو القيم لها فلما وقع نظره عليها تساقطت
عن كراسيها فسجد آزر حين رأى ذلك وانطقها الله تعالى وقالت يا آزر جاء الحق
وزهق الباطل . ووافى نمرود ما كان يحذره فدخل آزر بيته وكان قد توهم
في زوجته انها حامل فلما رآها وهي نشطة سأها عن حالها فتالت ان الذي كان يبطنني
لم يكن ولداً وانما كان ريحاً وقد تصرف غني ، فصدقها على ذلك . وألقى الله تعالى
على نمرود النسيان لأمر ابراهيم فكانت امه تنوجه الى الغار في كل ثلاثة ايام مرة
لترى حال ولدها فتراه في احسن هيئة ، فتوجهت اليه مرة فرأت الوحوش والطيور
على باب المغارة فخافت واضطربت وظنت ان ولدها قد هلك ، فلما دخلت عليه
وجدته بخير وعافية وهو جالس على فراش من السندس وهو مدهون مكحول بأحسن
حال فلما رأت ذلك منه ازدادت فيه محبة وعظمته وعلمت ان له شأناً عظيماً وان له
رباً يحرسه ويتولاه فنظرت اليه فوجدته يمس في اصابعه فوجدت يخرج له من
اصبع لبن ومن اصبع عسل ومن اصبع سمن ومن اصبع ماء صلوات الله وسلامه عليه
وكان يشب شباً لا يشبه احداً من الغلمان يومه كالشهر وشهره كالسنة .

ولم يمكث في الغار سوى خمسة عشر شهراً وتكلم فقال لامه يوماً : يا اماه
من ربي ؟ قالت : انا ، فقال لها : ومن ربك ؟ فقالت له : ابوك ، قال : فمن رب
ابي ؟ قالت : نمرود ، قال : فمن رب نمرود ؟ فلطمته لطمه وقالت له : اسكت
فسكت ، ورجعت الى زوجها وقالت له : يا آزر أرايت الغلام الذي يتحدث به
انه يغير دين اهل الارض ؟ قال : لا ، قالت : انه هو ابنيك ثم اخبرته بأمره وبمكانه .
فأتاه ابوه ونظره وفرح به وقال له : انت ولدي ؟ فقال ابراهيم : نعم يا ابت ثم قال
ابراهيم : يا ابتاه من ربي ؟ قال : امك . قال : فمن رب امي ؟ قال : انا . قال فمن ربك ؟ قال : نمرود

قال : فمن رب نمرود ؟ فلطمه لطمه كادت ان تخرج عينيه وقال له : اسكت ، وذلك قوله تعالى : (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عاقلين) .

ثم ان ابراهيم قال لاهمه يوماً : اخرجيني من النار ، فأخرجته عشاء . فلما خرج نظر . وتفكر في خلق السماوات والارض ثم قال ان الذي خلقتني ورزقتني ويطعمني ويسقيني ربي ما لي إله غيره ثم نظر الى السماء فرأى كواكبها ورأى كوكباً فقال : هذا ربي ، ثم اتبعه بصره حتى غاب وهو ينظر اليه فلما غاب قال : لا احب الآفلين وهذا يدل على كمال عقله وعلمه اذ الآفل لا يجوز ان يكون إلهاً ، ثم رأى القمر بازغاً قال : هذا ربي فاتبعه بصره حتى غاب فسكته وقال : انا لا احب الآفلين ورجع بفكره متوجهاً الى ربه وقال : (لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : لئن لم يهدني ربي ان الهداية والتوفيق بيده سبحانه ، ثم طلب الشمس فقال : هذا ربي هذا اكبر فلما افلت سعتها وتوجه الى ربه بقلب سليم ووجه وجهه للحق بالصدق واليقين ونادى على قومه بالشرك المبين (وقال يا قوم اني بريء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفاً وما انا من المشركين) فنقله الله تعالى من علم اليقين الى عين اليقين .

ثم ان اياه ضمه اليه فشب شباباً حسناً ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم بجحلا في جميع احواله حتى اكرمه الله تعالى بما اكرمه من الآيات البينات والكرامات الباهرات ثم البسه خلعة الخلة وجعله من اولي العزم من الرسل وجعله ابا الأنبياء وتاج الأصفياء ونصرة اهل الارض وشرف اهل السماء .

وكان مولده عليه السلام بكوثا من اقليم بابل من ارض العراق على ارجح الأقوال . وكان آزر ابو ابراهيم يصنع الأصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعهما ، فكان ابراهيم يقول : من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته ، فحاجه قومه في دينه فقال لهم :

أتعاجوني في الله وقد هداني للتوحيد والحق ولا اخاف ما تشركون به ؟ وذلك انهم قالوا له ، احذر الأصنام فانا نخاف ان تمسك بسوء من خبل او جنون لسبك إياها . فقال لهم : لا اخاف ما تشركون به إلا ان يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً - اي احاط علمه بكل شيء - أفلا تتذكرون .

ثم لما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يدعو قومه الى التوحيد دعا اياه فلم يجبه ، ودعا قومه وفشا امره واتصلت اخباره بنمرود وهو ملك تلك البلاد . ثم جاهد ابراهيم قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واطهر دينه وقال : (أفرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الأقدمون * فانهم عدو لي إلا رب العالمين) فقالوا له : فمن تمبد انت ؟ قال : رب العالمين ، قالوا : نحن ربنا نمرود ، قال : (انا عبد الله الذي خلقتني فهو يهديني * والذي هو يطعمني ويسقينني * واذا مرضت فهو يشفيني * والذي يميتني * والذي اطعم ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين * رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدق في الآخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم * واغفر لأبي انه كان من الضالين * ولا تحزني يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم) .

قال : ففشا ذلك الخبر في الناس حتى بلغ النمرود فدعاه اليه وقال : يا ابراهيم أرايت الملك الذي بعثك وتدعو الناس الى عبادته وتذكر عظيم قدرته ما هو ؟ فقال له ابراهيم : هو ربي الذي يحيي ويميت . فقال نمرود : انا احيي واميت قال ابراهيم : كيف يحيي ويميت ؟ قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فأقتل احدهما فأكون قد امته ثم اغفو عن الآخر وأتركه فأكون قد احيينه . قال فانتقل ابراهيم الى حجة اخرى اعجز فان حجته كانت لازمة لأنه اراد بالاحياء إحياء الميت فكان له ان يقول فأحي من أمت ان كنت صادقاً فانتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى . (فقال ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) اي تحير واندesh وانقطعت حجته .

ولما أراد ابراهيم عليه السلام ان يرى قومه ضعف الذي كانوا عليه وضعف الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وعجزها الزاماً للحجة عليهم فجعل ينتظر لذلك فرصة الى ان حضر عيد لهم . وكان لهم في كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه وكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فيسجدون لها ثم يعودون الى منازلهم .

فلما كان ذلك العيد قال آزر ابو ابراهيم لابراهيم : لو خرجت معنا الى عيدنا لأعجبك ديننا . فخرج معهم ، فلما كان في بعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم فقعد ومضوا وهو صريع . فلمسا مضوا نادى في آخرهم - وقد بقى ضعفاء الناس - : (تالله لا أكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين) . فسمعوا كلامه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة فاذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعه بين أيدي الآلهة وقالوا اذا رجعنا تكون قد باركت الآلهة في طعامنا فنأكله .

فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الأصنام والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم - على طريق الاستهزاء - (ألا تأكلون) ؟ فلم يجبه احد منهم . فقال لهم (ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضرباً باليمين) وجعل يكسرهم بفأس في يده حتى لم يبق منهم إلا الصنم الكبير فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله تعالى : (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون) .

فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوا اصنامهم جذاذاً إلا كبيراً لهم (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه من الظالمين) - اي المجرمين - قال الذين سمعوا كلام ابراهيم - حيث قال : وتالله لا أكيدن اصنامكم . بعد ان تولوا مدبرين - : سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم وهو الذي نظن انه فعل هذا بآلهتنا . فبلغ ذلك عمروذ الجبار واشراف قومه قالوا : (فأتوا به على اعين الناس - اي ظاهراً - لعلهم يشهدون) عليه انه الذي فعله كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فلما أتوا به (قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا)

غضب من ان تعبدوا معه هؤلاء الصغار وهو اكبر منهم فكسرهم . واراد ابراهيم عليه السلام بذلك إقامة الحجة عليهم فذلك قوله تعالى : (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) حتى يخبروا من فعل بهم ذلك .

روى ابو هريرة رضي الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لم يكذب ابراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله عز وجل قوله : اني سقيم . وقوله : بل فعله كبيرهم هذا . وقوله : لسارة هذه اختي . وليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله وانما اطلاق الكذب علي هذا تجوز ، ويجوز ان يكون الله تعالى قد اذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف عليه السلام حيث امر مناديه فقال لأخوته (ايها العير انكم لساارقون) ولم يكونوا سارقوا ، فرجموا الى انفسهم اي تمكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه إلا كما قال انكم انتم الظالمون يعني بعبادتكم من لا يتكلم ثم نكسوا على رؤسهم اي ردوا الى الكفر بعد ان اقرؤا على انفسهم بالظلم (وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف نسألهم ؟ .

فلما اتجهت الحجة عليهم لا ابراهيم عليه السلام قال (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً) ان عبدتموه ولا يضركم إن تركتم عبادته ، (اف لكم - اي ننأ لكم وقدرأ لكم - ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) . فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) اي ان كنتم ناصرين لها .

فلما جمع جمود قومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنياناً كالخضيرة قيل طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملؤه من الحطب وواقدوا فيه النار ليطرحوه فيه ، فلم يطيقوا لشدة حر النار ان يقربوها ولا علموا كيف يلقوه فيها فجاء ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه . ثم عمدوا الى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق

مقيداً مغلولاً والقوه في النار فكانت عليه برداً وسلاماً .

ولما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن المياه وقال : يا ابراهيم إن اردت ان اخذ لك النار اخذتها فقال : لا . ثم أتاه خازن الرياح وقال له : إن شئت طيرت لك النار في الهواء فقال ابراهيم عليه السلام : لا حاجة لي بكم حسبي الله ونعم الوكيل .

ولما بقي في النار كان ابن ستة عشر سنة وقد مدحه الله في كتابه العزيز بقوله تعالى : (واذا ابتلي ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) والكلمات التي ابتلاه الله بها من اجل شرائع الاسلام واعز ما امتحن به اهل الايمان ، ولذلك مدحه الله تعالى بقوله : (وابراهيم الذي وفى) ومعنى النوفية هو الاتمام لما طلب به في دينه وماله ونفسه وولده فأتم الجميع على الوجه المطلوب ولما صنع له عمروذ المنجنيق والقاء في النار ظهر تحقيق الابتلاء وصدق الولاء وذلك انه لما نزل به من عدوه ما نزل ووضع في المنجنيق استغاث الملائكة قائلة يارب هذا خليلك قد نزل به من عدوك ما انت أعلم به . فقال الله تعالى لجبريل : اذهب اليه فان استغاث بك فأغثه وإلا فاتركني وخليلي . فتعرض له جبريل وهو يقذف به في لجة الهواء الى النار وقال له : هل لك من حاجة ؟ فقال : اما اليك فلا ، واما الى الله فبلى . قال جبريل : فسل ربك . فقال ابراهيم : حسبي من سؤالي علمه بحالي .

ولم يستعن بغير الله ، ولا جنحت همته لما سوى الله تعالى . بل استسلم لحكمه مكتفياً بتدبيره عن تدبير نفسه فأثنى الله تعالى عليه بقوله : (وابراهيم الذي وفى) فقال الله تعالى للنار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ونجاه من النار . قال كعب الاحبار رضي الله عنه : فجل كل شيء يطفى عنه النار إلا الوزغ فانه كان ينفخ في النار . قال الثعلبي رضي الله عنه : فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها وسماها فويسقة .

وعن علي رضي الله عنه انه قال : ان البغال كانت تتناسل وكانت

اسرع الدواب في ثقل الحطب لنار ابراهيم ، فدعا عليها ابراهيم فقطع الله نسلها .
وقال بعض العلماء : لو لم يقل الله سبحانه : « وسلاماً » لأهلكه بردها .
وقيل انه لم يبق في ذلك الوقت نار تشتعل بمشارك الارض ولا بمنارها إلا خمدت
ظانة انها المعنية بالخطاب .

وكان ابراهيم حين وضع في المنجنيق ورمي به جردت عنه ثيابه ولم يترك
عليه سوى السراويل فقصد بعض السفهاء ان ينزع السراويل عنه فشلت يدها . وكان
مقيدا بقيود فتلقاه جبريل عليه السلام ولم يضره ألم الهوى ، فلما استقر على الارض
وهي إذ ذاك جمر أحمر تنلمب وتتوقد فلم يؤثر فيه شيء من حرارتها وظهر للنظرين
اليه ان الارض التي سقط عليها مخضرة موفقة وجليسه جليس صالح حسن الوجه
والهيئة كأحسن ما رآه راء ثم ألبسه قميصاً من ثياب الجنة وفك قيده وآنسه
وقال له جليسه : ربك يقرئك السلام ويقول لك : اما علمت ان النار لا تضر احبابي ؟
فقال الخليل عليه السلام : حسبي الله ونعم الوكيل .

وكان عليه السلام اول من جرد ثيابه في سبيل الله تعالى فلذلك كساه الله
في ذلك المحل قميصاً من الجنة وادخر له كسوة يكتسي بها اول الخلق يوم القيامة
كل ذلك وهو بمشهد من الخلق ينظرون اليه . فلما رآه قومه وقد اكرمه الله بما
اكرمه به آمن بالله جمع كثير في السر خوفاً من نمرود .

وخرج ابراهيم من مكانه وهو بمشي وفارقه جبريل عليه السلام فأقبل نحو
منزله فأرسل اليه نمرود يسأله عن كسوته وعن رفيقه فقال له : انه ملك ارسله
الي ربي وقص عليه قصته . فقال له نمرود : ان إلهك الذي تعبد لا آله عظيم
واني مقرب قرباناً اليه وذلك لما رأيت من عزته وقدرته فيما صنع بك حين ابنت
إلا عبادته . فقرب اربعة آلاف بقرة . ثم احترم ابراهيم بعد ذلك وكف عنه .
وقد عذب الله النمرود بارسال البعوض عليه وعلى حاشيته وجيوشه فأكلت
لحومهم وشربت دماءهم وتركتهم عظاماً ، ودخلت واحدة منها في منخر الملك نمرود

فلبثت في منخره اربعمائة سنة عذبه الله تعالى بها ، فكان يضرب رأسه بالمرازب في تلك المدة كلها حتى اهلكه الله تعالى بها وسلط الله على مدينة كوثا الزلازل حتى خربت .
قال الثعلبي رضي الله عنه : لما حاجه ابراهيم في ربه قال نمرود : ان كان ما تقول حقاً فلا انتهي حتى اعلم ما في السماوات . فبنى صرحاً عظيماً ببابل ورام الصعود منه الى السماء لينظر الى آله ابراهيم عليه السلام .

واختلف في طول الصرح في السماء ف قيل خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان .
ثم عمد الى اربعة افراخ من النسور فأطعمها اللحم والخبز حتى كبرت ثم قعد في تابوت ومعه غلام له قد حمل القوس والذئب معه وجعل لذلك التابوت باباً من اعلاه وباباً من اسفله ثم ربط التابوت بارجل النسور وعلق اللحم على عصي فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت النسور طمعاً في اللحم حتى ابعدت في الهواء وحالت الريح بينها وبين الطيران . فقال لعلامه : افتح الباب الأعلى فانظر . ففتحها فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ، ونودي ايها الطاغى أين تريد ؟ فعند ذلك امر غلامه فرمى سهماً فعاد السهم اليه وهو ملطخ بالدم فقال كيفيت شر آله السماء .

واختلف في ذلك السهم بأي شيء تلطخ . فقيل : سميكة في السماء من بحر معلق في الهواء ، وقيل : اصاب طيرا من الطيور فتلطيخ بدمه .

ثم امر نمرود غلامه ان يصبوب العصي وينكس اللحم . ففعل ذلك فهبطت النسور بالانابوت ، فسمعت الجبال خفقان هبوط التابوت والنسور ففرعت وظنت انه قد حدث في السماء حادث او ان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى : (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) .

ثم ارسل الله تعالى على صرح نمرود ريحاً فألقت رأسه في البحر وانكفأت بيومهم واخذت نمرود الرجفة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط الصرح من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل لتبلبل اللسان بها .

واستجاب لابراهيم عليه السلام جماعة من قومه حين رأوا صنم الله عز وجل من برد النار وغير ذلك من المعجزات ، فآمن به لوط وهو ابن اخيه وآمنت به سارة زوجته . وقد ذكر المؤرخون والمفسرون قصة ابراهيم عليه السلام مع نمرود واختباره وما وقع له بأبسط من هذا . والفرض في هذا الكتاب الاختصار والله المستعان .

﴿ ذكر هجرة إبراهيم الخليل عليه السلام ﴾

لما نجى الله تعالى خليله من نار النمرود الجبار استجاب له رجال وآمن معه قوم على خوف من نمرود وملائه . ثم ان ابراهيم ومن كان آمن معه من اصحابه اجمعوا على فراق نمرود وقومهم (فقالوا لقومهم انا اراء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدًا حتى تؤمنوا بالله وحده) ورحل هو واهله ومن معه من قومه ونزلوا بالرها . ثم سار الى مصر ويقال الى بعلبك وصاحبها يومئذ فرعون ، فذكر لفرعون حسن سارة وجمالها - زوجة الخليل عليه السلام وهي ابنة عمه هاران - فسئل ابراهيم عنها فقال هذه اختي - يعني في الاسلام - خوفاً ان يقتله . فقال له : زينها وارسلها الي .

فأقبلت سارة الى الجبار ، وقام ابراهيم يصلي . فلما دخلت عليه ورآها اهوى اليها واراد ان يتناولها بيده فأبى الله يده وجله . فلما تخلى عنها اطلق الله يده ورجله ، فعاد اليها فصار له كالاولى ، حتى صابر له ذلك مراراً . وكان هذا تكرمة منه تعالى . قال : فأطلقها ووجهها هاجر .

وفي بعض الاخبار ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وبين سارة حتى ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها كرامة لها وتطيباً لقلب ابراهيم عليه السلام .

ثم سار ابراهيم من مصر الى الشام ، واقام بين الرملة وايليا فهو اول من هاجر من وطنه في ذات الله تعالى حفظاً لا يمانه . ولما نزل بالموضع الذي يعرف بوادي السبع وهو شاب لا مال له ، فأقام حتى كثر ماله وشاخ وضاق على اهل البلد مواضعهم من كثرة ماله ومواشيه . فقالوا له : يا شيخ ارحل عنا فقد آذيتنا بمالك ايها الشيخ الصالح - وكانوا يسمونه بذلك - . فقال لهم : نعم ارحل عنكم . فلما هم بالرحيل قال بعضهم لبعض : انه جاء عندنا وهو فقير وقد جمع عندنا هذا المال كله فلو قانا له اعطنا شطرمالك وخذ الشطر . فقالوا له ذلك ، فقال لهم : يا قوم صدقتم جئتكم وكنت شاباً واليوم صرت شيخاً فردوا عليّ شبابي وخذوا ما شئتم من مالي . فخصمهم ورحل عنهم .

فلما كان وقت ورد الغنم الماء جاؤا يستقون فاذا الآبار قد جفت ، فقال بعضهم لبعض : الحقوا الشيخ الصالح الذي كنتم في بركته واسألوه الرجوع فانه إن لم يرجع هلكنا وهلكت مواشينا . فلحقوه فوجدوه في الموضع المسمى بالغار وسألوه الرجوع ، فقال : اني لست براجع ودفع لهم سبع شياء من غنمه وقال لهم : اذهبوا بها معكم فانكم اذا اوردموها البئر ظهر لكم الماء حتى يكون عيناً تجري فاملؤا واشربوا واسقوا مواشيتكم ولا يقربها امرأة حائض .

فرجعوا بالاغنام ، فلما وقفت على البئر ظهر لهم الماء فكانوا يشربون منها وهي على حالها لم تنقص ابداً ، واستمرت على تلك الحالة حتى اتت امرأة حائض واغترفت منها ففاض ماءها .

ورحل ابراهيم عليه السلام ونزل اللجون واقام بها ما شاء الله تعالى . ثم اوحى الله اليه ان انزل جبرئ . فنزل بها ، ونزل عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام بجبرئ وهما يريدان قوم لوط عليه السلام . فخرج ابراهيم عليهم ليذبح لهم عجلاً فانفلت العجل منه ولم يزل حتى دخل مغارة جبرون فنودي يا ابراهيم سلم على عظام أهلك آدم عليه السلام . فوقع ذلك في نفس ابراهيم عليه السلام ثم انه ذبح العجل

وقربه اليهم . وكان من شأنه ما نص الله عز وجل في كتابه العزيز ومنذ كر ملخص
القصة عند ذكر سيدنا اسحاق عليه السلام .

فمضى ابراهيم معهم الى قرب ديار قوم لوط فقالوا له اقمدها هنا فقمده وسمع
صوت الديكة في السماء فقال : هذا هو الحق اليقين . فأيقن بهلاك القوم . فسمي
ذلك الموضع مسجد اليقين ، وهو على نحو فرسخ من بلد سيدنا ابراهيم الخليل .
ثم رجع ابراهيم الخليل عليه السلام .
وسياتي ذكر القصة عند سيدنا لوط عليه السلام .

﴿ قصة بناء الكعبة المشرفة وذكر سيدنا اسماعيل عليه السلام ﴾

قد تقدم ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما سار الى مصر ومعه زوجته سارة
ووهبها فرعون مصر هاجر فلما قدم الى الشام واقام بين الرملة وايليا وكانت سارة
لا تحبل وهبت هاجر لابراهيم عليه السلام فواقعها فحملت وولدت اسماعيل عليه السلام .
ومعنى اسماعيل بالعبرانية : مطيع الله . وكانت ولادته لمضي ست وعشرين سنة من
عمر ابراهيم عليه السلام .

فغارت سارة وحزنت لذلك فوهبها الله تعالى اسحاق ولدته ولها تسعون
سنة . ثم غارت سارة من هاجر ومن ولدها اسماعيل وطلبت من ابراهيم ان يخرجها
عنها . فأخذهما ابراهيم وسار بهما الى ارض الحجاز وتركهما بمكة وذلك كله باذن
الله تعالى ، وليس بمكة يومئذ احد ولا بها ماء . فوضع هاجر واسماعيل ووضع
عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء . ثم قفل ابراهيم عليه السلام منطلقاً .

فنهضت أم اسماعيل خلفه وقالت : يا ابراهيم الى أين تذهب وتركنا بهذا
الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ وقالت له ذلك مراراً ، فلم يأنف اليها .
فقلت له : الله أمرك بهذا ؟ فقال : نعم . فقلت : اذآ لا يضيعنا ربنا ثم رجعت

وانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا كان عند الثنية حيث اهما لا يرونه استقبل القبلة بوجهه ودعا بهذه الدعوات ورفع يديه (فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أغنثى من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .

واما ام اسماعيل فجعلت ترضع اسماعيل عليه السلام وتشرب من ذلك الماء حتى تقدم ما في السقاء فمطشت وعطش ولدها فجعلت تنظر اليه وهو يتلوى من شدة العطش ، فانطلقت كراهة ان تنظر اليه وهو على تلك الحالة فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض اليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي وجعلت تنظر اليه لعلها تنظر احداً ، فلم تنظر احداً فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي وهي تنظر لخالفها ، ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احداً ، فلم تر احداً ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فلذلك سعى الناس بينهما .

فلما اشرفت على المروة سمعت صوتاً فقات مه - تريد نفسها - . ثم تسمعت فسمعت الصوت ثانياً ، فقات قد اسمعت ان كان عندك غوث فأغث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو قال بجناحه حتى ظهر الماء . فجعلت تحوطه وتقول بيديها هكذا وجعلت تفرغ من الماء في مقلها وهي تقول - بعدما تفرغ - زمزم . قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم - او قال لو لم تفرغ من الماء - لكان زمزم عيناً معيناً .

قال فشربت وارضت ابنها ، فقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فان هاهنا بيت الله الحرام وسينيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله .

ثم نزل هناك آيات من جرهم . وشب اسماعيل عليه السلام وتعلم العربية

منهم ، فلما ادرك زوجه امرأه منهم ، ومات امه هاجر . فجاء ابراهيم عليه السلام فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته فقالت : خرج يبتغي لنا الصيد . ثم بدأها عن عيشهم فقالت : نحن بشر ، وشكت اليه بعلمها . فقال لها : اذا جاء زوجك فاقريه السلام وقولي له يغير عتبة بابه .

فلما جاء اسماعيل اخبرته بما كان ، قال ذلك أبي امرني ان افارقك فالحق بأهلك . فطلقها وتزوج باخرى منهم .

فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله تعالى ثم اتاهم بعد ذلك فلم يجدوه فسأل امرأته فقالت : خرج يبتغي لنا صيداً . فقال لها : كيف انتم ؟ فقالت : نحن بسعة وبخير من الله تعالى ، واثنت على بعلمها خيراً ، وشكرت الله تعالى . فقال لها : ما طامعكم ؟ قالت اللحم . قال فما شرابكم ؟ قالت الماء . فقال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء . ثم قال لها : اذا جاء زوجك فاقريه عليه مني السلام وأمره ان يثبت عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل اخبرته بما قال . فقال : ذلك أبي وأنت العتبة أمرني ان امسكك .

ثم انه لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك - وكان اسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريباً من زمزم - فلما رآه قسام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد . والولد بالوالد ثم شرعا في بناء الكعبة .

وقد اختلف في أول من بنى الكعبة : فقيل للملائكة باذن الله تعالى . وقيل آدم عليه السلام ، ولكن النذر في زمان الطوفان ، ثم اظهره الله تعالى لابراهيم عليه السلام حتى بناه . وقصة بناء ابراهيم عليه السلام مشهورة وملخصها ان ابراهيم عليه السلام لما سار من الشام وقدم مكة قال يا اسماعيل ان الله امرني ان ابني له بيتاً هاهنا ، وأشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها . فقال اسماعيل : السمع والطاعة لما قال ربنا . قال ابراهيم وقد امرك ان تعينني . فقال اسماعيل : إذا فعل . فحمل ابراهيم بني واسماعيل يناوله الحجارة فنكنا كلما بنيا دعوا فقالا : (ربنا تقبل منا

انك انت السميع العليم) . وكان وقوف ابراهيم على حجر وهو يبني وذلك الموضع هو مقام ابراهيم .

واستمر البيت على ما بناه ابراهيم الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنوه . وكان بناء الكعبة بعد مضي مائة سنة من مولد ابراهيم عليه السلام ، فيكون بالتقريب بين بناء الكعبة وبين الهجرة الشريفة الثمان وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة كاملة ، فيكون الماضي من بناء ابراهيم الخليل الكعبة الشريفة الى آخر تسعمائة سنة من الهجرة النبوية ثلاثة آلاف وستمائة وثلاث وتسعين سنة والله أعلم .

وسأتي ذكر ما وقع في الكعبة الشريفة من الهدم والبناء في السيرة الشريفة المحمدية ، وفي ذكر بناء عبد الملك بن مروان لمسجد بيت المقدس ان شاء الله تعالى .

﴿ ذكر قصة الذبيح ﴾

ثم امر الله ابراهيم عليه السلام ان يذبح ولده ، وفداه الله تعالى بكبش . وقد اختلف في الذبيح هل هو اسحاق ام اسماعيل . فالكاينون يقولون : انه اسحاق . وهو قول علي وابن مسعود وكعب ومقاتل وقتادة وعكرمة والسدي . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هو اسماعيل . وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد . وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال ان الذبيح اسحاق فقد احتج بقوله عز وجل : (فبشرناه بغلام حليم) فلما بلغ معه السعي أمره بذبح من بشر به وايس في القرآن انه بشر بولد غير اسحاق . ومن قال ان الذبيح اسماعيل احتج له بما قيل ان ذكر البشري باسحاق بعد الفراغ من قصة المذبح فقال تعالى : (وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين) فدل على ان المذبح غيره .

واما قصة الذبيح : فقال البغوي قال السدي : لما دعا ابراهيم عليه السلام وقال (رب هب لي من الصالحين) وبشر به فقال : هو اذا ذبيح ، فلما ولد وبلغ معه السعي قال له اوف بذكرك . هذا هو السبب في امر الله تعالى اياه بذبيح ابنه فعند ذلك قال لابنه : انطلق بنا لنقرب قربانا لله عز وجل . فأخذ سكيناً وحبلًا وانطلق معه حتى ذهب بين الجبال فقال له الغلام : يا أبت أين قربانك ؟ فقال (يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر . . . فلما اسلمنا - اي اتقادا لأمر الله تعالى وخضعا - وتله للجبين) - اي صرعه على الأرض - فقال له ابنه الذي أراد ذبحه : يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليهما من دمي شيء فينقص اجري وتراه امي فتحزن علي واستحد شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرئ عليها السلام مني وان رأيت ان ترد قميصي على امي فمسي أنه يكون اسلاء لها عني . فقال له ابراهيم : نعم العون انت يا بني على امر الله تعالى .

قال ففعل ابراهيم ما امره الغلام وقبله بين عينيه وقد ربطه وهو يبكي ثم وضع السكين على حلقة وجعل يحرقها على حلقة فلا تقطع فقال الابن عند ذلك يا ابت كبني على وجهي فانك إذا نظرت الى وجهي رحمتني وادر كتك الرأفة فتحول بيني وبينك وبين امر الله تعالى وأنا لا انظر الشفرة فأجزع . ففعل ابراهيم ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . فنظر ابراهيم فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش املح اقرن وقال هذا فداء ابنك فاذبحه . دونه . فكبر جبريل عليه السلام وكبر الكبش وكبر ابراهيم عليه السلام وكبر ابنه فأخذ ابراهيم الكبش واتى به المنحز من منى فذبحه . وكان ذلك الذبيح كبشاً رعى في الجنة اربعين خريفاً .

قال القرطبي : سئل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رجلا كان من علماء اليهود - اسلم وحسن اسلامه - أي ابني ابراهيم امر بذبحه ؟ فقال : اسماعيل .

ثم قال : يا أمير المؤمنين ان اليهود اتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معاشر العرب على ان يكون ابوكم هو الذبيح ويزعمون انه اسحاق ابوهم .

وروى الثعلبي عن الصمهاجي قال : كنا عند معاوية فذكروا اسماعيل الذبيح او اسحاق فقال علي الخبير سقطتم كذت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل وقال له يا ابن الذبيحين . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان ؟ فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لئن سهل الله له امرها ليذبحن احدا اولاده . فخرج السهم على ولده عبد الله فمنعه اخواله من ذلك وقالوا له بل افد ولدك بمائة من الابل ففداه . والثاني اسماعيل عليه السلام .

ومن زعم ان الذبيح اسحاق فيقول كان موضع الذبيح بالشام على ميلين من ايليا . وهي بيت المقدس وزعمت اليهود انه كان على صخرة بيت المقدس . ومن يقول ان الذبيح اسماعيل فيقول ان ذلك كان بمكة المشرفة .

وارسل الله اسماعيل الى قباثل اليمن والى العماليق . وزوج اسماعيل ابنته من ابن اخيه الميص بن اسحاق . وعاش اسماعيل مائة وسبعاً وثلاثين سنة ، ومات بمكة ودفن عند قبر امه هاجر بالحجر . فكانت وفاته بعد وفاة ابيه ابراهيم عليه السلام بثمان واربعين سنة .

ولما ماتت سارة بعد وفاة هاجر تزوج ابراهيم الخليل عليه السلام امرأة من الكنعانيين وولدت منه ستة وهم يقشان وزمران ومدان ومديان ويشق وشرخ .

ثم تزوج امرأة اخرى فولدت له خمسة بنين . فكان جميع اولاد ابراهيم ثلاثة عشر ولد مع اسماعيل واسحاق ، فكان اسماعيل اكبر اولاده . فآثر اسماعيل ارض الحجاز ، واسحاق ارض الشام ، وفرق سائر ولده في البلاد والله اعلم .

﴿ ذكر شراء المغارة ﴾

عن كعب الاحبار رضى الله عنه قال : اول من مات ودفن في حبرون سارة وذلك انها لما ماتت خرج الخليل عليه السلام يطلب موضعاً ليقبرها فيه ورجا ان يكون موضعاً بقرب حبري ، فمضى الى عفرون وكان ملك الموضع وكان مسكنه حبري فقال له ابراهيم بعني موضعاً اقبر فيه من مات من اهلي . فقال له عفرون الملك قد ابحتك فادفن موتاك حيث شئت من ارضي . فقال ابراهيم عليه السلام اني لا احب ذلك إلا بالثمن . فقال له ايها الشيخ الصالح ادفن حيث شئت . فأبى عليه .

وطلب منه المغارة فقال له : ابيعكها بأربعة آلاف درهم كل درهم وزن خمسة دراهم وكل مائة درهم ضرب ملك . واراد بذلك التشديد عليه كي لا يجد شيئاً من ذلك فيرجع . . . الى قوله : فخرج ابراهيم الخليل من عنده فاذا جبريل عليه السلام واقف فقال له يا ابراهيم ان الله قد سمع مقالة الجبار لك وهذه الدراهم ادفعها اليه فانها كما طلب . فآخذ ابراهيم عليه السلام الدراهم ودفعها الى الجبار . فقال له من أين لك هذه الدراهم ؟ فقال له من عند إلهي وخالقي ورازقي . فأخذها منه .

وحمل ابراهيم عليه السلام سارة ودفنها في المغارة ، فكانت اول من دفن فيها ، وتوفيت ولها من العمر مائة وسبعة عشر سنة . وقيل مائة وسبع وعشرون سنة . ثم لما توفي الخليل عليه السلام دفن بحذاءها من جهة الغرب . وسند ذكر تاريخ وفاته فيما بعد ان شاء الله تعالى . ثم توفيت ريقة زوجة اسحاق فدفنت فيها بحذاء سارة من جهة القبلة . ثم توفي اسحاق عليه السلام فدفن بحذاء زوجته من جهة الغرب .

ثم توفي يعقوب عليه السلام فدفن عند باب المغارة وهو بحذاء قبر الخليل

عليه الصلاة والسلام من جهة الشمال . ثم توفيت ليلاً زوجته فدفنت بجذائه من جهة الشرق . فاجتمع اولاد يعقوب واليعيص واخوته وقالوا ندع باب المغارة مفتوحاً وكل من مات منا دفناه فيها . فتشاجروا فرفع واحد من اخوة اليعيص يده ولطم اليعيص لطمه فسقط رأسه في المغارة . وقيل كان الضارب لليعيص واحد من اولاد يعقوب . ولما سقط رأسه في المغارة حملوا جثته ودفنوها بغير رأس وبقي الرأس في المغارة . وحوطوا عليها حائطاً وعملوا فيها علامات القبور في كل موضع وكتبوا عليه هذا قبر ابراهيم ، وهذا قبر زوجته سارة ، وهذا قبر اسحاق ، وهذا قبر زوجته ربيعة ، وهذا قبر يعقوب ، وهذا قبر زوجته ليلاً .

وخرجوا وطبقوا الباب . وكل من جاء اليه يطوف به ولا يصل اليه احد حتى جاءت الروم بعد ذلك ففتحوها له باباً ودخلوا اليه وبنوا فيه كنيسة . ثم اظهر الله الاسلام بعد ذلك وملك المسلمون تلك الديار وهدموا الكنيسة وبالقرب من مدينة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام قرية تسمى سمير وهي الفاضلة بين أعمال القدس والخليل بها قبر بداخل مسجدتها يقال انه قبر اليعيص عليه السلام . وقد اشتهر ذلك عند الناس وصاروا يقصدونه للزيارة . والله اعلم .

وروي عن وهب بن منبه انه قال : اصبحت على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام مكنوباً حلقة في حجر :

غر جهولاً أمله يموت من جا أجله لن تغني عنه خيله
زاد بعض اهل العلم :

والمرء لا يصحبه في القبر إلا عمله .

وحدث محمد بن بكران بن محمد خطيب مسجد الخليل عليه السلام قال : سمعت محمد بن اسحاق النحوي يقول : خرجت مع القاضي ابي عمرو عثمان بن جعفر بن شاذان الى قبر ابراهيم الخليل عليه السلام فأقمنا به ثلاثة ايام ، فلما كان في اليوم الرابع جاء الي النقش المقابل لقبر ربيعة زوجة اسحاق عليه السلام فأمر بنفسه حتى

ظهرت كتابته وتقدم الي بأن انقل ماهو مكتوب في الحجر الى درج كان معنا على التمثيل فنقلته . ورجعنا الى الرملة فأحضر اهل كل لسان ليقراه عليه فلم يكن فيهم احد يقرأه ولكنهم اجمعوا على ان هذا بلسان اليوناني القديم وانهم لا يعلمون انه بقى احد يقرأه غير شيخ كبير بحلب فعمدوا الى احضاره . فلما حضر عنده احضرني فاذا هو شيخ كبير فأملى علي الشيخ المحضر من حلب ما نقله في الدرج على التمثيل أوله : بسم إلهي إله العرش القاهر الهادي الشديد البطش العليم الذي لا يحد هذا قبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، والعلم الذي بجذائه من جهة الشرق قبر زوجته سارة ، والعلم الاقصى الموازي لقبر ابراهيم الخليل قبر يعقوب والعلم الذي يليه من الشرق قبر ايليا زوجته صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين . وكتبه العيص بخطه . واسم زوجة يعقوب اليا ، وفي بعض الكتب ليا ، والمشهور ليقا . والله اعلم .

وهذا الحجر المنقوش موجود الى يومنا هذا ، وقد اشتهر عند الناس مكانه بمقام آدم . ويقال انه عند رأس آدم عليه السلام .

قال الحافظ بن عساكر : قرأت في بعض كتب أصحاب الحديث ونقلت منها قال محمد بن بكران بن محمد خطيب مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام - وكان قاضياً بالرملة في ايام الرازي بالله في سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة وما بعدها ، وله رواية في الحديث سمع من جماعة وحدث عن جماعة من أهل العلم - قال : سمعت محمد بن احمد بن علي بن جعفر الانباري يقول : سمعت ابا بكر الاسكافي يقول : ضح عندي ان قبر ابراهيم عليه السلام في الموضع الذي هو الآن فيه لما رأيت وعانيت وذلك انني وقفت على السدنة وعلى الموضع اوقافاً كثيرة تقرب من نحو اربعة آلاف دينار رجاء ثواب الله عز وجل وطلبت ان اعلم صحة ذلك حتى ملكت قلوبهم بما كنت عملت معهم من الجليل والكرامة والملاطمة والاحسان اليهم واطلب بذلك ان اصل الى ما يصح وحاك في صدري فقلت لهم يوماً من الأيام - وقد جمعتهم عندي

بأجمعهم - : أسألكم ان توصلوني الى باب المغارة كي انزل الى حضرة الأنبياء صلوات الله عليهم واشاهدهم .

فقالوا : قد اجبتك الى ذلك لأن لك علينا حقاً واجباً ولكن لا يمكن في هذا الوقت لأن الطارق علينا كثير ولكن حتى يدخل الشتاء . فلما دخل كانون الثاني خرجت اليهم فقالوا اقم عندنا حتى يقع الثلج . فأقمت عندهم حتى وقع الثلج وانقطع الطارق عنهم فجاؤا الى صخرة ما بين قبر ابراهيم الخليل وقبر اسحاق عليهما السلام وقلعوا البلاطة ونزل رجل منهم يقال له صعلوك - وكان رجلاً صالحاً فيه خير ولين فنزلت انا معه ، فمشى وانا من ورائه فنزلنا اثنين وسبعين درجة فاذا عن يميني دكان عظيمة من حجر اسود واذا عليه شيخ خفيف العارضين طويل اللحية ملقى على ظهره وعليه ثوب اخضر ، فقال لي صعلوك : هذا اسحاق عليه السلام .

ثم سرنا غير بعيد واذا بدكان اكبر من الاولى وعليها شيخ ملقى على ظهره وله شبيبة قد اخذت ما بين منكبيه ابيض الرأس واللحية والحاجبين واشفار العينين وتحت شبيبته ثوب اخضر قد جلل بدنه والرياح تلعب بشيبته يمناً وشمالاً . فقال لي صعلوك : هذا ابراهيم الخليل عليه افضل الصلاة واتم التسليم . فسقطت على وجهي ودعوت الله عز وجل بما فتح على .

ثم سرنا واذا بدكان لطيفة وعليها شيخ لطيف آدم شديد الادمة كث اللحية وتحت منكبيه ثوب اخضر قد جلله فتمال لي صعلوك : هذا يعقوب النبي . ثم اننا عدلنا يساراً لننظر الى الحرم . فحلف ابو بكر الاسكافي ما ان نعمت الحديث .

قال : فقممت من عنده في الوقت الذي حدثني فيه من وقتي الى مسجد ابراهيم عليه السلام ، فلما وصلت الى المسجد سألت عن صعلوك فقيل لي : الساعة يحضر . فلما جاء قمت اليه وجلست عنده ومطارحته بعض الحديث فنظر الي بعين منكر للحديث الذي سمعه ، فأومأت اليه بلطف تخلصت به من الانثم ثم قلت له : ان انا بكر الاسكافي عمي فأنس عند ذلك . فقلت : يا صعلوك بالله عليك لما عدلتما

نحو الحرم ماذا كان وما الذي رأيتم؟ فقال : ما حدثك ابو بكر . فقلت : اريد أن اسمع منك ايضاً .

فقال : سمعنا من نحو الحرم صائحاً يصيح وهو يقول: تجنبوا الحرم رحمكم الله . فوقعنا مفشياً علينا ، ثم اتقنا وقد ايسنا من الحياة وايست الجماعة منا . قال : فقال لي الشيخ . وعاش ابو بكر الاسكافي بعد ما حدثني زماناً يسيراً ومات . وكذلك صعلوك رحمهما الله تعالى .

وروى الحسن بن عبد الواحد بن رزق الرازي قال : قدم ابو زرعة القاضي بفلسطين الى مسجد ابراهيم عليه السلام فجئت لأسلم عليه وقد قعد عند قبر سارة في وقت الصلاة فدخل شيخ فدعاه وقال له ياشيخ ايا . هو قبر ابراهيم بين هؤلاء ؟ فأومأ الشيخ بيده الى قبر ابراهيم عليه السلام ثم مضى الشيخ . وجاء شاب فدعاه وقال له مثل ذلك فأشار الى قبر ابراهيم ومضى . ثم جاء صبي فدعاه وقال له مثل ذلك فأشار الى قبر ابراهيم عليه السلام . فقال ابو زرعة ! أشهد ان هذا قبر ابراهيم الخليل عليه افضل الصلاة والسلام لا شك فيه ولا خفاء . نقله الخلف عن السلف كما قال مالك بن انس رضي الله عنه : ان نقل الخلف عن السلف اصح الحديث لأن الحديث ربما يقع فيه الخطأ والنقل لا يقع فيه خطأ ولا يطمع فيه إلا صاحب بدعة ومخالف . ثم قام ودخل الى داخل فصلى الظهر ثم رحل من الغد .

وقال ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء المقدسي في كتاب البدائع في تفصيل مملكة الاسلام : حبرى هي قرية ابراهيم الخليل عليه السلام ، فيها حصن عظيم يزعمون انه من بناء الجن من حجارة عظيمة منقوشة ووسطه فيه حجارة اسلامية على قبر ابراهيم عليه السلام . وقبر اسحاق قدام في المغطى . وقبر يعقوب في المؤخر . عند كل نبي امرأته . وقد جعل الحصن مسجداً وبنى حوله دور للمجاورين به واتصلت العمارة به من كل جانب ولهم قناة ماء ضعيفة ، وبهذه القرية الى نصف مرحلة من كل جانب قرى وكروم واعناب وتناح وعامتها تحمل الى مصر

وفي هذه القرية ضيافة دائمة وطباخ وخباز وخدام مرتبون ، وهم يقدمون العدى بالزيت لكل من يأتي ويحضر عندهم من الفقراء ويدفع الى الاغنياء اذا أخذوا . وحكى الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماء في تاريخه في وقائع سنة ثلاثة عشر وخمسمائة : ان في تلك السنة ظهر قبر ابراهيم عليه السلام وقبر ولديه اسحاق وبعقوب عليهما السلام ايضاً بالقرب من بيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم . وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضة . ولم يذكر كيف كان ظهور ذلك .

وفيه اشكال لأن في التاريخ المذكور كان بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه السلام في يد الافرنج وليس للمسلمين عليهم - نكلم . ولا اعلم هل كانت الافرنج يمكنون المسلمين من البلاد حين استيلائهم عليها ؟ والله اعلم بحقيقة الحال .

﴿ ذكر ختانه وتسريحه عليه السلام وشيئته ﴾

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : اختن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم - وهو بالتخفيف والتشديد - .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ربط ابراهيم عليه السلام غراته وجمعهما اليه وحداً قدومه وضرب عليه بعمود كان معه فندرت بين يديه بلا ألم ولا دم ، وختن اسماعيل عليه السلام وهو ابن ثلاثة عشرة سنة ، وختن اسحاق وهو ابن سبعة أيام .

وعن عكرمة انه اختن ابراهيم الخليل عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة فأوحى الله تعالى اليه : انك قد اكملت ايمانك إلا بضعة من جسدك فالتقها . فختن نفسه بالفاس . وسبب ختانه انه أمر بقتال العمالقة فقاتلهم فقتل خلق كثير من الفريقين فلم يعرف ابراهيم اصحابه ليدفنهم فأمر بالخناز ليكون علامة للاسلام . وختن نفسه بالقدوم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان ابراهيم اول من لبس السراويل وذلك انه كان عليه السلام كثير الحياء وكان من حياته يستحي ان ترى الأرض ماذا كبره فاشتكى الى الله عز وجل . فأوحى الله الى جبريل عليه السلام فهبط عليه بمخرقة من الجنة فنصلاها جبريل عليه السلام سراويل وقال له : اذفعها الى سارة - وكان اسمها يسارة - ومرها ان تخطيه . فلما خاطنه ولبسه ابراهيم قال : ما أحسن هذا وما أستره يا جبريل ؟ فانه نعم الستر للمؤمن . فكان ابراهيم عليه السلام اول من لبس السراويل واول من فصل جبريل ، واول من خاط سارة بعد ادريس عليه السلام .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : كان الرجل يبلغ الهرم ولم يشب ، وكان الرجل يأتي القوم وفيهم الوالد والولد فيقول : أيكم الأب من الابن ؟ فقال ابراهيم : رب اجعل لي شيئاً اعرف به . فأصبح رأسه ولحيته ابيضين . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : اول من سمانا المسلمين ابراهيم عليه السلام ، وهو اول من ضرب بالسيف من الأنبياء وكسر الأصنام واختنق ولبس السراويل والنعلين ورفع يديه في الصلاة في كل خفض ورفع وصلى اول النهار اربع ركعات جعلهن علي نفسه . فسماه الله وفياً فقال تعالى : (و ابراهيم الذي وفى) . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : هي الأربع في اول النهار ، وهو اول من أضاف الضيف ونرد الثريد وفرق الشعر واستنجد بالماء وقلم الظفر وقص الشارب ونف الابط وهو اول من استاك وتمضمض واستنشق بالماء وحلق العانة واول من صافح وعانق وقبل بين المينين موضع السجود واول من شاب فقال ما هذا ؟ فقال الله تعالى : هذا وقار . فقال ابراهيم : يارب زدني وقاراً فما برح حتى ابيضت جميع لحيته .

و اول من جر الذيل هاجر امرأته ، فصارت سنة في النساء . فخارت منها سارة وحلفت انها تملأ يدها من دمه فقال ابراهيم عليه السلام : خذيها واختنيها كي يكون ذلك سنة بعدكما وتخلصي من عيئك . ففعلت فكانت هاجر اول من اختن

من النساء وابراهيم اول من اختتن من الرجال .

﴿ ذكر رأفته بهذه الامة صلى الله عليه وسلم ﴾

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لقيت ابراهيم ليلة اسري بي فقال لي : يا محمد اقرئ امتك مني السلام وقل لهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر . وفي رواية فرأيت ابراهيم الخليل فرحب بي وسهل ثم قال لي : مر امتك فليكثرُوا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها واسعة فقال : وما غراس الجنة ؟ فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله . وفي رواية فقال ابي ابراهيم : مرحباً بالنبي الامي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته يا نبي الله انك لاق ربك الليلة وان امتك هي آخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك او جلها في امتك فافعل .

﴿ ذكر ضيافته واكرامه للضيف واخلافه الكريمة ﴾

وروي ان ابراهيم عليه السلام كان اذا اراد ان يأكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يأكل معه ، وكان يكنى بأبي الضيفان . ولصدق نيته في الضيافة دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا ينفضي يوم ولا ليلة إلا ويأكل عنده جماعة . وحكي : ان رجلا شريف القدر من اهل دمشق ذا وجاهة كان يزور الخليل عليه السلام في كل حين وكان يوثى بالضيافة التي جرت العادة بها لزواره فيردها ولا يأكل منها شيئا . فجاء مرة وهو ملهوف وجعل يطلبها ويجد في طلبها حتى قيل انه كان يتتبع ما بقي في القصع ويلتقط ما يجد من لباب الخبز وفناته فيأكله . فقييل له في ذلك ، فقال رأيت الخليل صلى الله عليه وسلم فقال لي : ما اكلت ضيافتنا فنحن ما قبلنا منك زيارتك .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ان الله تعالى وسع على ابراهيم

الخليل عليه السلام في المال والخدم ، فاتخذ بيتاً اضيافته وجعل له بايين يدخل الفريد من احدهما ويخرج من الآخر ووضع في ذلك البيت كسوة للشقاء وكسوة للصيفة ومائدة منصوبة عليها طعام فيأكل الضيف ويلبس ان كان عرياناً ، وابراهيم يجد في كل حين مثل ذلك .

وروي ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما قرب المعجل الى الضيوف ورأى ايديهم لا تصل اليه قال لم لا تأكلون ؟ قالوا : لا نأكل طعاماً إلا بشئنه . قال أوليس معكم ثمنه ؟ قالوا : وأنى لنا ثمنه ؟ قال : تسمون الله تبارك وتعالى اذا اكلت وتحمدونه اذا فرغتم . قالوا : سبحان الله لو كان ينبغي لله ان يتخذ خليلاً من خلقه لاتخذك يا ابراهيم خليلاً . فاتخذ الله تعالى ابراهيم خليلاً .

وقيل : ان الملائكة لما رأت ازدياد ابراهيم في الخير واقبال الدنيا عليه ولم يشغ ذلك عن الله طرفه عين تعجبت من ذلك وقالت : ان ظاهره حسن وانه لا يؤث على ربه شيئاً فهل هو في قلبه هكذا ؟ . فعلم الله سبحانه وتعالى ذلك منهم قبل ما تكلموا به فأمر الله ملكين من اجلاء الملائكة - وقيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام - ان ينزلا عليه ويستضيفاه ويذكراه بربه ويرفعا صوتهما عنده بالتسبيح والتقديس لله تعالى . فنزلا على صورة بني آدم فسألاه الاذن لهما في المبيت عند فأذن لهما واكرم نزلهما ورفع محلما .

فلما كان في بعض الليل - وهو يسامرهما في الكلام - إذ رفع احدهما صوته وقال : سبحان ذي الملك والملكوت ، ثم رفع الآخر صوته وقال : سبحان الملك القدوس - بصوت لم يسمع مثله - . قال : فأغمي على ابراهيم عليه السلام ولم يملك نفسه من الوجد والطرب . ثم افق بعد ساعة وقال لهما : اعيدا عليّ ذكركما . فقالا له : انا لم نفعل حتى تجمل لنا شيئاً معلوماً . فقال لهما : خذا ما تختارا من مالي . فقالا له : اعطنا ما شئت . فقال : لكما جميع مالي من النعم - وكان شيئاً كثيراً - فرضيا بذلك . ثم رفعوا صوتهما وقالوا كالاولى . فأغمي عليه ، فلما افق وعلم انه

لا يقولان شيئاً إلا بمعلوم قال : لكما جميع ملبي من البقر ، فرضيا واعادا ، ولم يزالا يكرران عليه الذكر ويتحلى به وهو يستغرق في لذاته حتى اعطاهما جميع موجوداته من ماله واهله ولم يبق إلا نفسه فباعها لهما ورضى ان يكون في رقهما وجعل في عنقه شداداً وسلمهما نفسه وقال لهما : لعلكما ان تجودا علي بالذكر مرة اخرى .

فلما رأيا منه ذلك قالاه : يحق لك ان يتخذك الله خليلاً ، ثم حكيا له ما كان من الملائكة ، فتبسم وقال : حسبي الله ونعم الوكيل . ثم قللاه : امسك عليك مالك بارك الله لك وعليك وعلى ذريتك .

فمن الله عليه سبحانه بابقاء ذريته وسماطه وزاده بركة وخيراً وجعل سماطه ممدوداً

من يومه الى يومنا هذا جفله الله دائماً الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى .
واما اخلاقه الكريمة : فقد سلمه الله تعالى حليماً اوهاً منياً ، والحليم الرشيد الذي يملك نفسه عند الغضب ، والأواه الذي يكثر التأوه من الذنوب ، والمنيب المقبل على ربه عز وجل في شأنه كله .

روى الشعبي عن ابي ادريس الخولاني عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله كم من كتاب انزل الله عز وجل ؟ قال رسول الله : انزل الله تعالى مائة كتاب واربعة كتب : انزل تعالى على آدم عليه السلام عشر صحائف ، وعلى ابراهيم الخليل عشر صحائف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وعلى ادريس ثلاثين صحيفة ، وانزل الله تعالى التوراة والانجيل والزبور والفرقان .

قال : قلت : يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم ؟ قال : كانت امثالا : « ايها الملك المغرور المبتلى اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بمضها الى بعض ولكن بعثتك لتنصر دعوة المظلوم فلنبي لا اردھا وان كانت من كافر » . وكان فيها امثال كثير : (منها) : وعلى الماقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ان يكون له ساعات : ساعة يثابح فيها ربه ويتفكر في صنع الله ، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم واخر

وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال لا من الحرام في المظوم والمشروب وغيرها وعلى العاقل ان يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً لسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . والله اعلم .

﴿ معنى الخلّة ﴾

أصل الخلّة : الاستصفاء . وسمي ابراهيم خليل الله : لأنه يوالي في الله ويمادي في الله ، وخلّة الله له نصره وجعله إماماً لمن بعده . والخليل أصله : الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلّة وهي الحاجة ، سمي بها لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمة ولم يجعل له ولياً غيره حيث قال له جبريل عليه السلام - وهو في المنجنيق ليرمى به في النار - : ألك حاجة ؟ فقال : اما اليك فلا .

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل : يا جبريل لم اتخذ الله ابراهيم خليلاً ؟ قال لا طعامه الطعام .

وفي الصحيحين : انه صلى الله عليه وسلم قال : أيها الناس ان الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً . واختلف في تفسير الخلّة واشتقاقها - فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذي ليس له في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال . واختلف أيضاً هل الخلّة والمحبة بمعنى واحد ؟ أو احدهما ارفع من الاخرى ؟ . فقيل هما بمعنى واحد والحبيب خليل وعكسه ، لكن خص ابراهيم بالخلّة ومحمد بالمحبة . وقيل الخلّة أرفع للحديث الوارد عنه صلى الله عليه وسلم : لو كنت منخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن اخوة الاسلام فلم يتخذ أبا بكر خليلاً . وأطلق على نفسه الشريفة المحبة له ولعائشته ولقائمة وابنيها واسامة وغيرهم .

والأكثر على ان المحبة أرفع لأن درجة نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم أرفع من درجة ابراهيم خليل صلى الله عليه وسلم . واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحبوب وهذا فيمن يتأني منه الميل وهي درجة المخلوقين ، أما الخالق جل جلاله فمنزّه

عن ذلك فمحبته لعبده تمكنه من سعادته وعصمته وتوفيقه لطاعته وإفاضة رحمته عليه سبحانه وتعالى .

﴿ ذكر وفاته عليه السلام ﴾

قد تقدم ان بين الهجرة الشريفة النبوية المحمدية ومولده عليه السلام الفين وثمانمائة سنة وثلاثاً وتسعين سنة على اختيار المؤرخين . واختلف في عمره : ف قيل ان ابراهيم الخليل عاش مائة وخمساً وسبعين سنة وهو الذي ذكره الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه . وقيل ' مائة وخمساً وتسعين . وقيل مائتي سنة . ونزل عليه جبريل عليه السلام اثنين واربعين مرة .

قال أهل السير لما أراد الله عز وجل قبض روح خليله ابراهيم عليه السلام ارسل اليه ملك الموت في صورة رجل شيخ هرم . قال الثعلبي قال السدي باسناده قال : كان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فيبدا هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الحرة فبعث اليه رجلاً بحماره واركبه حتى اتاه واطعمه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ليدخلها فاه فيدخلها في عينه وتارة في اذنه ثم يدخلها فاه فاذا حصلت في جوفه خرجت من دبره - وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت - فلما رأى حال الشيخ قال له يا شيخ مالك تصنع هكذا ؟ قال ' يا ابراهيم من الكبر . فقال ابن كم أنت يا شيخ ؟ قال : فزاد على عمر ابراهيم سنتين . فقال ابراهيم انا بيني وبينك سنتان فاذا بلغت ذلك صرت مثاك . قال : نعم . فقال ابراهيم : اللهم اقبضني اليك قبل ذلك . فقام الشيخ وقبض روح ابراهيم . وكان ملك الموت صلوات الله وسلامه عليهما . وحكي غير ذلك .

فيكون بين وفاة الخليل عليه السلام والهجرة النبوية على القول الأول في عمره الذي ذكره صاحب حماه الفان وسعمائة وثمانية عشر سنة ومضي من الهجرة الشريفة

النبوية للملئ عصرنا هذا تسعمائة سنة . فيكون الماضي من وفاة ابراهيم الى سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وثمان عشرة سنة . وقيل : غير ذلك .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اول من يكسى يوم القيامة ابراهيم الخليل : غلبه السلام . بخلته ، ثم انا بصفوتي ثم علي بن ابي طالب يزف بيني وبين ابراهيم الخليل زفاً الى الجنة . وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : اول من يكسى من الخلائق يوم القيامة ابراهيم الخليل عليه السلام . وروي انه قال : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة عزلاً فيقول الله تعالى : مثلي أرى خليلي عرياناً فيكسى ثوباً ايض فهو اول من يكسى يوم القيامة صلى الله عليه وسلم .

﴿ ذكر قصة الاسكندر ﴾

(وكان في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام)

الاسكندر المشهور بذى القرنين الذي ذكره الله في القرآن هو من ذرية نوح عليه السلام ، وما ورد في أمره : انه انما سمي بذى القرنين لأنه كان عبداً صالحاً بعثه الله عز وجل الى قومه ولم يكن نبياً فضر به على قرنه فمات ، فأحياه الله تعالى ثم بعثه مرة اخرى اليهم فضر به على قرنه فمات ، فأحياه الله فسمي ذا القرنين . وقيل غير ذلك .

وتوفى الاسكندر بناحية السواد في موضع يقال له شهر روز بعد ان غزا الهند حتى انتهى الى البحر المحيط فهال ذلك ملوك العرب فوفدت عليه رسالهم بالانقياد والطاعة . ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي في بحر الشمس في اربعمائة رجل من اصحابه يطلب عين الحياة فلم يصبها فساو فيه ثمانية عشر يوماً وبني اثني

عشر مدينة سماها كلها بالاسكندرية . ولما مات عرض الملك بعده على ابنته فأبى واختار النسك والعبادة .

وكانت مدة تملكه اثني عشر سنة . وقيل ثلاثة عشر سنة . وقيل اربعة عشر سنة . وكان عمره ستاً وثلاثين سنة بالاتفاق والله اعلم .

﴿ ذكر بناء سليمان عليه السلام الحير الذي على المغارة بوحي من الله تعالى ﴾

روي ان سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس أوحى الله تعالى اليه : يا بن داود ابن على قبر خليلي حيراً حتى يكون لمن يأتي من بعدك لكي يعرف . فخرج سليمان وبنو اسرائيل من بيت المقدس حتى قدم ارض كنعان وطاف فلم يصبه فرجع الى بيت المقدس فأوحى الله تعالى اليه : يا سليمان خالفت امري . فقال : يارب قد غاب غني الموضع : فأوحى الله اليه : امض فانك ترى نوراً من السماء الى الأرض فانه موضع قبر خليلي ابراهيم .

فخرج سليمان مرة ثانية فنظر وامر الجن فبنوا في الموضع الذي يقال له : الرامة ، وهو بالقرب من مدينة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام من جهة الشمال قبلى قرية حلحول التي بها قبر يونس عليه السلام . فأوحى الله تعالى اليه ان هذا ليس هو الموضع ولكن انظر الى النور المندلي من السماء الى الأرض فابن . فخرج سليمان عليه السلام ونظر فاذا النور على بقعة من بقاع حبرون فعلم ان ذلك هو المقصود فبنى الحير على البقعة .

وسنذكر وصف هذا البناء وذعره طولاً وعرضاً فيما بعد ان شاء الله تعالى . ويأتي ذكر ما مضى من تاريخ بناء سليمان عليه السلام . مسجد بيت المقدس فيعلم منه تاريخ بناء الحير الذي على مقام سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام .

﴿ ذكر فضل سيدنا الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام وفضل زيارته ﴾

قد نص الله تعالى في كتابه العزيز على فضله في قوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلاً) الى غير ذلك مما انزل الله في حقه من الآيات المخصوصة به .
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا خير الناس . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذلك ابراهيم عليه السلام .
وفي رواية مسلم : قال له : يا خير البرية . قال : ذلك ابراهيم .
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما اسري بي الى بيت المقدس سر بي جبريل عليه السلام على قبر ابراهيم عليه السلام فقال لي : انزل فصل ركة تين هاهنا فان هاهنا قبر أبيك ابراهيم الخليل عليه السلام .
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لم يمكنه زيارتي فليزر قبر أبي ابراهيم الخليل عليه السلام .

وعن كعب الأحبار رضي الله عنه انه قال : اكثروا من الزيارة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واطهروا الصلاة عليه وعلى صاحبيه ابي بكر وعمر رضوان الله عليهما قبل ان تمتعوا ذلك وبحال بيكم وبين ذلك بالفتن وفساد السبل فمن منع ذلك او حيل بينه وبين الزيارة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجعل رحلته واتيانه الى قبر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وليظهر الصلاة عليه وليكثر من الدعاء عنده فان الدعاء عند قبر سيدنا ابراهيم الخليل مستجاب ولم يتوسل به احد الى الله في شي إلا أجابه ولم يبرح من مكانه حتى يرى الاجابة في ذلك عاجلاً او آجلاً .

(قلت) : وهذا مما لا شك فيه فاني جربته في أمر وقع لي من امور الدنيا فكنت اتوقع الهلاك منه فتوجهت من بيت المقدس الى بلد سيدنا الخليل عليه السلام في ضرورة اقتضت سفري ، فلما أن دخلت مسجده ودخلت الى القبريخ المشهور

بأنه قبر ابراهيم الخليل عليه السلام تعلقت بأستاره ودعوت الله تعالى فيما كنت ارجوه فما كان بأسرع من ان فرج الله غني كربتي ولطف بي وازال غني كلما ازعجني ، فله الحمد سبحانه .

وحكي عن رجل من اهل بعلبك انه قال زرنا قبر ابراهيم الخليل عليه السلام وكان معنا رجل مغفل من اهل بعلبك فسهناه وقد زار القبر وهو يبكي ويقول : حبيبي ابراهيم سل ربك يكفيني فلاناً وفلاناً فانهم يؤذونني . ونحن نضحك منه ونتعجب . ثم رجعنا بعد مدة الى يافه فوصل قارب من بيروت وفيه رجل من اهل بعلبك فاخبرنا ان الثلاثة الذين سماهم ماتوا .

﴿ القول في آداب الزيارة ﴾

يستحب لمن قصد زيارة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ان يقطع عن الذنوب وان يتوب الى الله توبة نصوحاً ثم ينوي زيارته ويتوجه نحوه بعزم ورغبة ويكثر في الطريق من الصلاة عليه وعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

فاذا اتى باب المسجد وقف يسيراً ثم يقدم رجله اليمنى ويدعو بما يستحب أن يدعى به اذا دخل المساجد ثم يقول : بسم الله اللهم صل على محمد وافتح لي ابواب رحمتك ، ثم يصلي ركعتين تحية المسجد ، ثم يقصد قبر سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام فيقف على باب حجرته مطرقاً رأسه ، ثم يستغفر الله تعالى ويصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقول : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وانك عبد الله ورسوله وخليله جزاك الله عنا خيراً كما هو اهله .

ثم يقول : صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين من اهل السماوات واهل الأرضين عليك يا ابا الأنبياء

يا خليل الله وعلى ولدك السيد الكامل الفاتح الخاتم سيد الأولين والآخرين محمد المصطفى حبيب رب العالمين وعلى آلكما وأصحابكما كما ذكركما الذاكرون وغفل عن ذكركما الغافلون . ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة .

ثم يأنفت نحو السيدة سارة ويقول : السلام عليكم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ورحمة الله وبركاته . ثم يقول : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

ثم يتوجه الى قبر السيد اسحاق عليه السلام ويقول : السلام عليك ايها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته ويدعو عنده بما شاء .

ثم يأنفت عن شماله ويسلم على زوجته السيدة الجليلة ربقة ويقول : السلام عليكم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ورحمة الله وبركاته .

ثم يمضي بأدب وسكون ويقصد السيد الجليل نبي الله يعقوب عليه السلام ويفعل عنده كما فعل عند اسحاق ابيه ، وكذلك عند زوجته السيدة ليqa .

ثم يقصد نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ويفعل كما فعل .

ثم يقصد شباك سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي تجاه قبر سيدنا يعقوب ويقف بالقرب منه ويسلم ويدعو الله بما شاء فان الدعاء هناك مستجاب .

ثم يتوجه الى الله تعالى بجميع انبيائه خصوصاً بسيد الأولين والآخرين ثم يمسح وجهه ويمضي مسروراً مقبولاً ان شاء الله تعالى .

وكل ما ذكره العلماء رضي الله تعالى عنهم في مناسكهم من آداب الزيارة في حق النبي صلى الله عليه وسلم فهو سائغ في حق هذا النبي الكريم خليل الله ابراهيم اللهم صل عليه وعلى جميع اولاده الأكرمين .

﴿ فصل في حكم السور السليمانى ﴾

وهو البناء المنسوب لسيدنا سليمان عليه السلام المحيط بقبر سيدنا ابراهيم عليه السلام قد صار مسجداً وثبت له احكام المساجد .

وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال : ان آدم عليه السلام رأسه عند الصخرة الشريفة ورجلاه عند مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام فسماه مسجداً .

وفي رواية ان قبره في مقبرة بيت المقدس ومسجد ابراهيم الخليل رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام ، واذا كان مسجداً جاز الدخول اليه . وسماه السبكي وكتب بخطه في آخر جزء حديث يسمى تحفة اهل الحديث في سماعه على الشيخ برهان الدين الجعبري ، وذكر جماعة سمعوه معه بالحرم . ثم قال : وصح وثبت في يوم السبت ثامن عشر صفر سنة ثمان وسبعمائة بحرم الخليل عليه السلام وأطلق على المشهد المذكور حرماً ، وكلامه صريح في انه دخله هو والشيخ برهان الدين الجعبري والسامعون معه ، فدل على جواز دخوله وعمل الناس اليوم على دخوله وزيارتهم للقبور الشريفة والوقوف عند الاشارات التي عليها وصلاة الجماعة والجماعات هناك فانه بنى به محراب شريف ووضع الى جانبه منبر وقد مضى على ذلك ازمة متطاولة والعلماء وأئمة الاسلام مظلّمون على ذلك . وقد اقره الخلفاء وملوك الاسلام ولم ينكره منكر فصار كالاجماع .

واذا تقرر هذا ثبتت له احكام المساجد من جواز الاعتكاف فيه وتحريم المكث على الحائض والجنب فيه وفعل التحية ولا يقال انه مقبرة فان الانبياء الذين فيه صلوات الله تعالى وسلامه عليهم احياء في قبورهم ، واما النساء فعلى خلاف فيه والله اعلم .

﴿ ذكر ذرعه طولاً وعرضاً ﴾

وهذا المقام الكريم الذي هو داخل السور السليمانى طولاً في سمته قبله بشمال من صدر المحراب الذي عند المنبر الى صدر المشهد الذي به ضريح سيدنا يعقوب عليه

السلام ثمانون ذراعاً بذراع العمل ينقص يسيراً نحو نصف ذراع او ثلثي ذراع تقريباً وعرضه شرقاً بغرب من السور الذي به باب الدخول الى صدر الرواق الغربي الذي به شباك يتوصل منه الى ضريح سيدنا يوسف عليه السلام احد واربعون ذراعاً ويزيد على ذلك يسيراً نحو ثلث ذراع او نصف ذراع تقريباً بذراع العمل المذكور وهو الذراع الذي تدرع به الأبنية في عصرنا هذا . وسمك السور ثلاثة أذرع ونصف من كل جانب ، وعدة مدايمكة في البناء خمسة عشر مداكاً من اعلى الأماكن وهو الذي عند باب القلعة من جهة الغرب الى القبلة وارتفاع البناء عن الأرض من المكان المذكور ست وعشرون ذراعاً بذراع العمل غير البناء الرومي الذي فوق السليمانى ومن جملة الاحجار بالبناء السليمانى حجر عند مكان الطبلخانه طوله احد عشر ذراعاً بالعمل وعرض كل مداك من البناء السليمانى نحو ذراع وثلثي ذراع بالعمل ، وعلى السور المذكور منارتان احدهما من جهة الشرق مما يلي القبلة والثانية من الغرب مما يلي الشمال وبنائهما في غاية اللطف .

واما صفة البناء الموجود بداخل السور على ما هو عليه في عصرنا وقد صار مسجداً كما تقدم القول فيه فهو يشتمل على بناء معقود من داخل السور على نحو النصف من جهة القبلة الى جهة الشمال . والبناء من عهد الروم وهو ثلاثة اكوار الأوسط منها مرتفع عن الكورين الملاصقين له من جهة المشرق والمغرب والسقف مرتفع على اربعة اسوار محكمة البناء ويصدر هذا البناء المعقود تحت الكور الاعلى المحراب والى جانبه المنبر وهو من الخشب في غاية الاتقان والحسن وهذا المنبر عمل في زمن المستنصر بالله ابي تميم معد الفاطمي خليفة مصر بأمر بدر الجمالي مذهب دولته برسم مشهد عسقلان الذي زعمت الفاطمية ان به رأس الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما .

وكان عمل المنبر في سنة أربع وثمانين واربعمائة وخطبه تاريخ عمله مكتوب بالكوفي . والظاهر ان الذي نقله ووضعه مسجد الخليل عليه السلام الملك الناصر

صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله لما هدم عسقلان ، وهذا المنبر موجود الى عصرنا هذا . ويقابل ذلك دكة المؤذنين على عمد من رخام في غاية الحسن . والرخام مستدير على حيطان المسجد من الجهات الأربع وهو من عمارة تنكر نائب الشام في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة .

والقبور الشريفة بداخل السور منها تحت البناء المذكور قبر سيدنا اسحاق عليه السلام الى جانب السارية التي عند المنبر . ويقابله قبر زوجته ربيعة الى جانب السارية الشرقية . وهذا البناء له ثلاثة ابواب تتهي الى صحن المسجد احدهما وهو الاوسط ينتهي الى الحضرة الشريفة الخليلية وهو مكان معقود والرخام مستدير على حيطانه الاربعة وبه الى جهة الغرب الحجرة الشريفة التي بداخلها القبر المنسوب لسيدنا ابراهيم الخليل . ويقابله من جهة الشرق قبر زوجته سارة . والباب الثاني من جهة الشرق عند باب السور السلیماني خلف قبر سارة . والباب الثالث من جهة الغرب خلف قبر ابراهيم عليه السلام .

والى جانبه محراب المالكية وينتهي هذا الباب الى الرواق وفتح هذا الباب وعمر محراب المالكية الأمير شهاب الدين اليفغوري ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة في دولة الملك الظاهر برقوق وفتح الشباك بالسور السلیماني المتوصل منه الى مقام السيد يوسف الصديق وعمر الاروقة مكان القلال التي كانت هناك ورتب قراءة سبع وشيخاً لقراءة البخاري ومسلم في الاشهر الثلاثة وذلك في شهر رمضان سنة ست وتسعين وسبعمائة . وبآخر الساحة التي بداخل السور السلیماني من جهة الشمال الضريح المنسوب لسيدنا يعقوب وهو من جهة الغرب بحذاء قبر ابراهيم الخليل عليه السلام . ويقابله من جهة الشرق قبر زوجته ليلى .

وصحن المسجد المكشوف تحت السماء بين مقام الخليل ومقام يعقوب عليهما السلام والقباب المبنية على الاضحية المنسوبة لل خليل وزوجته سارة ويعقوب وزوجته ليلى أخبرت انها من بناء بني امية وجميع الارض التي بداخل السور مما هو تحت

السقف وبالساحة السماوية مفروشة بالبلاط السليمانى الذى رؤيته من العجائب لكبره وهيئته ويجوار قبر الخليل عليه السلام من داخل البناء المعقود سفلى الارض مغارة تعرف بالسرداب بداخلها باب لطيف يذهب الى المنبر وقد نزل اليه بعض الخدام من مدة قريبة نحو السنة لسبب أوجب ذلك وهو : ان شخصاً معتوهاً من الفقراء سقط فيه فنزل اليه جماعة من الخدام ودخلوا من هذا الباب فانهم بهم الحال الى المنبر تحت القبة التي على عمد الرخام بجوار بيت الخطابة . واخبرني الذي نزل أنه عاين مسلماً من حجر عدته خمسة عشر درجة مبني عند آخر هذا المغار من جهة القبلة وقد سد بالبناء من آخره فالظاهر ان هذا الباب كان عند المنبر منه يتوصل الى السرداب .

وبظاهر السور السور السليمانى من جهة الشرق مسجد في غاية الحسن ، وبين السور السليمانى وهذا المسجد الدهليز وهو معقود مستطيل عليه الابهة والوقار والذي عمر هذا الدهليز والمسجد الأمير أبو سعيد سنجر الجاولي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة فعرف هذا المسجد بالجاولية وهو من العجائب قطع في جبل ويقال انه كان مقبرة يهود على هذا الجبل فقطعه الجاولي وجوفه وبنى السقف عليه والقبة وهو مرتفع على اثني عشر سارية قائمة في وسطه ، وفرش ارض المسجد وحيطانه وسواريه بالرخام ، وعمل شبابيك حديد على آخره من جهة الغرب ، وهذا المسجد طوله من القبلة بشام ثلاثة واربعون ذراعاً وعرضه شرقاً بغرب خمسة وعشرون ذراعاً بذراع العمل . وكان الابتداء في عمارة هذا المسجد في ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة وانتهت العمارة في ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومكتوب في حائطه ان سنجر عمر ذلك من خالص ماله ولم ينفق عليه شيئاً من مال الحرمين الشريفين .

وبجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة المطبخ الذي يعمل فيه الدشيشة

للمجاورين والواردين وعلى باب المطبخ تدق الطبلخانة في كل يوم بعد صلاة العصر عند تفرقة السماط الكريم .

وهذا السماط من عجائب الدنيا يأكل منه أهل البلد والواردون وهو خبز يعمل في كل يوم ويفرق في ثلاثة اوقات بكرة الهار وبعد الظهر لأهل المدينة وبعد العصر تفرقة عامة لأهل البلد والواردين ، ومقدار ما يعمل فيه من الخبز كل يوم أربعة عشر ألف رغيف ويبلغ الى خمسة عشر ألف رغيف في بعض الاوقات اذا كان عندهم زائر .

واما سمة وقفه : فلا تكاد تنضب . واما سماطه الكريم فانه لا يمنع منه أحد لا من الأغنياء ولا من الفقراء . واما السبب في دق الطبلخانة كل يوم عند تفرقة السماط بعد العصر فيقال : ان الأصل في ذلك ان سيدنا ابراهيم عليه السلام لما كانت تأتية الضيوف ويصنع لهم ما يأكلون ويكونون جماعة متفرقين في المنازل التي أنزلهم فيها فاذا قصد اطعامهم دق لهم الطبل ليعلموا انه هيا لهم الطعام فاذا سمعوا بادروا واجتمعوا لأكل سماطه . فصارت سنة بعده تعمل في كل يوم عند تفرقة السماط بمحضرة الشريفة . وعلى باب المسجد الذي تدق عنده الطبلخانة المكان الذي يضم فيه خبز السماط من الافران والطواحين وهو مكان متسع يشتمل على ثلاثة أفران وستة احجار للطحن ، وعلو هذا المكان الحواصل التي يوضع فيها القمح والشعير ورؤية هذا المكان علواً وسفلاً من العجائب فانه يدخل اليه بالقمح فلا يخرج منه إلا وقد صار خبزاً .

وأما الاهتمام بعمل السماط من كثرة الرجال في تعاطي أسبابه من طحن القمح وعجنه وخبزه وتجهيز آلاته من الحطب وغيره والاعتناء بأمره فذلك من العجائب لا يكاد يوجد مثل ذلك عند ملوك الارض . ولا يستكثر مثل ذلك في معجزات هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

﴿ ذكر اسحاق عليه السلام ﴾

هو اسحاق بن خليل الرحمن النبي بن النبي بن النبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وامه سارة حملت به في الليلة التي خسف الله تعالى بقوم لوط ، وولده ولها من العمر تسعون سنة ومن ولده الروم واليونان والارمن ومن يجري مجراهم وبنو اسرائيل . وكان ابراهيم عليه السلام يضيف من نزل به ، وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم .

ولما اراد الله تعالى هلاك قوم لوط أمر رسله من الملائكة ان ينزلوا بابراهيم ويبشروه هو وسارة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب . فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام كان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه ، وكان لا يأكل إلا مع الضيف ما امكنه فلما رأى على صورة الرجال سر بهم ورأى اضيافاً لم يضيفه مثلهم حسناً وجالاً . ففسال : لا يخدم هؤلاء القوم إلا أنا . فخرج الى اهله فجاء بعجل سمين حينئذ وهو المشوي بالحجارة فلما رأى ايديهم لا تصل اليه - اي العجل - نكرهم . واوجس منهم خيفة . وذلك انهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يأتمم بخير وانما جاءهم بشر . قالوا : لا تخف يا ابراهيم إنا ملائكة الله تعالى ارسلنا الى قوم لوط . وكانت امرأته سارة قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم وابراهيم جالس معهم فضحكت لزوال الخوف عنهما حين قالوا لابراهيم : لا تخف ، وقيل : ضحكت بالبشارة .

وقال ابن عباس ووهب : ضحكت تعجباً من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها . وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير تقديره : (وامرأته قائمة فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت وقالت يا ويلتى ألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً) . وكان سن ابراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة في قول ابن اسحاق (ان هذا شيء عجيب * قالوا - يعني الملائكة - : تعجبين من امر الله

رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد) .
وسندكم ما تكلم به ابراهيم عليه السلام مع الملائكة في امر قوم لوط عند
ذكره عليه السلام .

ثم ان اسحاق عليه السلام تزوج بنت عمه ربة بنت تنويل - وكان
اسحاق ضريباً - وولدت له العيص ويعقوب . ولم يمت ابراهيم عليه السلام حتى
بعث الله اسحاق عليه السلام الى ارض الشام ، وبعث يعقوب الى ارض كنعان
واسماعيل الى جرم ، ولوطاً الى سدوم . فكانوا كلهم انبياء على عهد ابراهيم
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .
وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة . ومات بالارض المقدسة ودفن عند ابيه
ابراهيم الخليل عليهما السلام .

﴿ ذكر سيدنا يعقوب عليه السلام ﴾

هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم النبي بن النبي ابن ابي الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين وهو الذي يسمى اسرائيل . قيل : معناه صفوة الله . وهو
أخو العيص وسمي يعقوب لأنه كان هو والعيص توأمين فخرج من بطن امه آخذاً
بمقب اخيه العيص . قيل : وفيه نظر لأن هذا الاشتقاق عربي ويعقوب اسم اعجمي .
وكان مولده بعد مضي ستين سنة من عمر ابيه اسحاق . ورزق يعقوب من
زوجته ليا رويل وهو اكبر أولاده ، ثم شمعون ولاوي ويهوذا . ثم تزوج
اخيها راحيل فرزق منها يوسف عليه السلام وبنيامين . وولد له من سريتين ستة
اولاد . فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً وهم الاسباط الاثنا عشر وهم : رويل
وشمعون ولاوي ويهوذا ويساخر وزبلون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي
وكاد وافر .

وسموا بالاسباط لأنه ولد لكل منهم جماعة . وعاش لاوي بن يعقوب مائة

وسبعاً وثلاثين سنة . وولد له فاهت وعاش مائة وسبعاً وعشرين سنة . ثم ولد لفاهت عمران وعاش مائة وستاً وثلاثين سنة . ثم ولد لعمران موسى عليه السلام . وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى .

وعاش يعقوب مائة وسبعاً واربعين سنة . ومات بمصر واوصى ان يحمل الى الارض المقدسة ويدفن عند ابيه وجده . فحمله ابنه يوسف ودفنه عندهما . وسنذكر ذلك في قصة ولده يوسف ان شاء الله تعالى .

وتقدم ذكر الخلاف في ان يعقوب اول من بنى مسجد بيت المقدس وأري موضعه بوحي من الله تعالى ، وتقدم لفظ الأثر الوارد في ذلك ونقل بلفظ آخر غير المتقدم وهو : أن والده اسحاق اوصى اليه ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وان ينكح من بنات خاله - وكان مسكن يعقوب القدس - فتوجه الى خاله فأدركه الليل في الطريق فبات متوسداً حجراً فرأى فيما يرى النائم : ان سلماً منصوباً الى باب من ابواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل عليه وتخرج منه . فأوحى الله تعالى اليه : اني إلهك وإله آبائك ابراهيم واسحاق وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة لك ولذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت لكم الكتاب والحكم والنبوة ثم أنا معك احفظك حتى اردك الى هذا المكان فأجعله بيتاً تعبدني فيه انت وذريتك .

وقد حكى الحافظ ابو محمد هذا الأثر والأثر المتقدم قبله وليس في احدهما ما ينافي الآخر سوى اختلاف في بعض اللفظ .

﴿ ذكر يوسف عليه السلام ﴾

هو يوسف الصديق بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم . فهو نبي الله بن نبي الله بن نبي الله وخليفه صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

ولد يوسف عليه السلام لما كان ليعقوب من العمر احدى وتسعون سنة .

ولما صار ليوسف ثمانية عشر سنة كان فراقه ليعقوب وبقيا متفرقين^٦ إحدى وعشرين سنة . ثم اجتمع يعقوب بيوسف في مصر وليعقوب من العمر مائة وثلاثون سنة . وبقيا مجتمعين سبعة عشر سنة . وقيل غير ذلك .

وسبب فراق يوسف عن ابيه : حسد اخوته فألقوه في الجب كما اخبر الله تعالى في كتابه العزيز . واختلف في الجب : فقال قتادة : هو في بيت المقدس . وقال وهب : في ارض الاردن . وقال مقاتل : هو على ثلاثة فراسخ من منزل ابيه يعقوب . وكان بالجب ماء وبه صخرة فأوى اليها واقام بالجب ثلاثة ايام فمرت به السيارة فأخرجوه واخذوه . فجاء اخوه يهوذا بطعام الى الجب ليوسف فلم يجده في الجب ورآه عند تلك السيارة فأخبر يهوذا بقية اخوته بذلك . فأتوا الى السيارة وقالوا : هذا عبدنا أبقى منا فاشتروه من اخوته بثمان بخس . قيل : عشرون درهماً . وقيل : اربعمون درهماً . ثم ذهبوا به الى مصر فباعوه لاستاذهم الذي على خزان مصر واسمه العزيز .

وكان فرعون مصر حين ذلك الريان بن الوليد رجلاً من العماليق . والعماليق هم ولد عملاق بن سام بن نوح ، فهو يته امرأته راعيل وراودته عن نفسها فأبى وهرب . فلحقته من خلفه وامسكته بقميصه فأنقذ . ووصل امرها الى زوجها العزيز وابن عمها بتحقيق وبيان وظهر لهما براءة يوسف . ثم بعد ذلك مازالت تشكو الى زوجها وتقول له : انه يقول للناس : اني راودته عن نفسه وفضحني . فحبسه زوجها سبع سنين . ثم اخرج فرعون مصر بسبب تعبير الرؤيا التي رآها .

ثم لما مات العزيز جعل فرعون مصر موضعه يوسف على خزائنه وجعل القضاء اليه . ثم دعا يوسف الريان فرعون مصر الى الايمان ، فأمن به . وبقي كذلك الى ان مات الريان فرعون مصر . وملك مصر بعده قابوس بن مصعب من العمالة أيضاً ولم يؤمن .

وكان يوسف اذا سار في ازقة مصر يتلأأ نوره على الجدران ، وكان

من صفته عليه السلام انه ابيض اللون حسن الوجه جعد الشعر ضخيم العينين مسته الخلق غليظ الساعدين والمضدين والساقين اقنى الانف صغير السرة بخذه الأخال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وبين عينيه شامة تزيد حسناً وجمالاً كالقمر ليلة البدر . وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحه ، واذا تكلم رأ شعاع النور يشور من بين ثناياه صلى الله عليه وسلم .

ووصل الى يوسف أبوه يعقوب واخوته جميعهم من كنعان ، وهي ار الشام . وقد ذكر الله تعالى قصته في القرآن مبسوطه مفصلة . ومات يعقوب واوصى يوسف ان يدفنه عند ابيه اسحاق فسار به الى حبرون ودفنه عند ابيه وقبره بحقبر جده الخليل عليه السلام من جهة الشمال وهو مشهور .

وكان عمر يوسف لما توفى والده يعقوب ستاً وخمسين سنة ، ولما دفنه الى مصر . وعاش يوسف مائة وعشرين سنة . وبين سيدنا موسى عليه السلام اربعمائة سنة . ونزل عليه جبريل اربع مرات . وتوفى بمصر ودفن بها حتى زمن موسى عليه السلام وفرعون .

فلما سار موسى من مصر ببني اسرائيل الى النيه نبش على يوسف وحمله في التيه حتى مات موسى . فلما قدم يوشع بن نون ببني اسرائيل الى الشام دفن بالقرب من نابلس . وقيل : عند الخليل . وهو المشهور عند الناس فان قبره عند الخليل ظاهر مشهور وقد استفاض عند الناس فلم ينكر .

وروي ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام : ان احمل يوسف الى بيت المقدس عند آباءه . فلم يدر أين هو فسأل بني اسرائيل فلم يعرف احدهم أين قبره فقال له شيخ - عمره ثلثمائة سنة - : يا بني الله ما يعرف قبر يوسف والدتي . فقال له موسى عليه السلام : قم معي الى امك .

فقام معه الى منزله ، فدخل المنزل وأتاه بقفة وفيها والدته . فقال لها موسى : عألك علم بقبر يوسف ؟ قالت نعم . قال : فدليني عليه . قالت : أدلك علي قبر

بشرط ان تدعو الله ان يرد علي شبابي الى سبعة عشر سنة وان يزيد لي في عمري مثل ما مضى . قال : فدعاً . فقال لها موسى عليه السلام : كم عشت ؟ فقالت : تسعمائة سنة . فعاشت ألفاً وثمانمائة سنة ، وأرت موسى عليه السلام قبر يوسف «ع» وكان في وسط نيل مصر في صندوق من رخام . وذلك انه لما مات تشاجر عليه الناس وكل اراد ان يدفن في محلته لما يرجو من بر كته عليه السلام . فاختلف رأيهم في ذلك حتى ارادوا ان يقتتلوا فأروا ان يدفن في النيل ليمر عليه الماء فتصل بر كته الى جميع مصر وما حولها فيكونون كلهم في بر كته مشتركين . ففعلوا ذلك .

ولما علم موسى مكانه اخرجه وهو في التابوت وحمله على عجل من حديد الى بيت المقدس . وقبره في البقيع خلف الحير السليماني حذاء قبر يعقوب وجوار جديه ابراهيم واسحاق عليهما السلام .

وعن ابراهيم بن احمد الخليلي : انه لما سأله جارية المقتدر - وكانت تعرف بالمعجوز وكانت مقيمة ببيت المقدس - الخروج الى الموضع الذي روي ان قبر يوسف فيه واظهاره والبناء عليه . قال : فخرجت والعمال معي فكشف البقيع الذي روي انه فيه خارج الحير حذاء قبر ابيه يعقوب عليهما السلام .

قال : فاشترى البقيع من صاحبه واخذ في كشفه فخرج في الموضع الذي روي انه فيه حجر عظيم فأمر بكسره فكسر منه قطعة . قال : وكنت معهم في الحفر فلما شالوا القطعة من الحجر واذا هو يوسف عليه السلام على الصفة بحسنه وجماله وصارت روائح الموضع مسكاً ، ثم جاء ريح عظيم فأطبق العمال الحجر على ما كان سابقاً ، ثم بني عليه القبة التي هي عليه الآن على صحة من رؤيته صلى الله عليه وسلم وهو خارج السور السليماني من جهة الغرب بداخل مدرسة منسوبة للسلطان الملك الناصر حسن . وتسمى الآن بالقلعة ، ويدخل اليه من عند باب المسجد الذي عند السوق تجاه عين الطواشي وهو موضع مأنوس وفيه الضريح .

ثم ان بعض النظار على وقف سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام وهو

شهاب الدين احمد اليغموري فتح باباً في السور السليمانى من جهة الغرب بحذاء القبر المذسوب لسيدنا يوسف الصديق عليه السلام وجعل فوق القبر السفلى اشارة تدل عليه كبقية الاضرحة البكائنة بمسجد سيدنا الخليل عليه السلام ، وذلك في سلطنة السلطان الملك الظاهر برقوق .

وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انَّ الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الداعي لأجبتة .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اكرم الناس ؟ قال : أتقاهم الله . فقالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : فأكرم الناس يوسف الصديق نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله .

فهؤلاء الأنبياء الأربعة وهم ابراهيم الخليل وولده اسحاق وولده يعقوب وولده يوسف قبورهم في محل واحد وعليهم من الوقار والجلال ما لا يكاد يوصف صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

﴿ ذكر لوط عليه السلام ﴾

هو لوط بن اخي ابراهيم الخليل عليهما السلام ، واسم ابيه هاران بن آزر . قال الثعلبي : وانما سمي لوطاً : لأن حبه ليط بقلب ابراهيم عليه السلام اي تعلق ولصق . وكان ابراهيم يحبه حباً شديداً ، وكان بمن آمن بعمه ابراهيم وهاجر معه الى مصر حين هاجر من نمرود ، وعاد معه الى الشام .

فأرسله الله تعالى الى اهل سدوم وكانوا اهل كفر وفاحشة . ودام لوط يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم فلم يلتفتوا اليه . وكانوا على ما اخبر الله عنهم في قوله تعالى : (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين * أنتمك لتأتون الرجال وتقطعون السيل وتأتون في ناديك المنكر) . وكانوا يقطعون الطريق واذا مر بهم

احد من المسافرين أمسكوه وفعلوا به اللواط . وهو ينهاهم فلم ينتهوا ولم يردهم وعظه إلا تمادياً وضلالاً . فسأل الله تعالى النصرة عليهم فأرسل الله الملائكة لقلب سدوم وقراها المؤتفكات وهي خمس مدائن .

وكان الملائكة قد اعلموا ابراهيم الخليل بما امرهم الله تعالى به من الخسف بقوم لوط حين قدموا عليه وبشروه باسحاق - كما تقدم - فسأل ابراهيم جبريل فيهم وقال له : أرايت ان كان فيهم خمسون رجلاً من المسلمين ؟ فقال جبريل : ان كان فيهم خمسون من المسلمين لا يعذبهم الله . فقال ابراهيم : واربعون ؟ قال جبريل : واربعون . قال ابراهيم : وثلاثون ؟ قال جبريل : وثلاثون . قال ابراهيم : ولم ازل كذلك حتى قال لي جبريل : وعشرة . قال ابراهيم : فقلت : ان هناك لوطاً . فقال جبريل والملائكة : (نحن اعلم عن فيها لننجينه واهله إلا امرته كانت من الغابرين) .

قال : ولما وصلت الملائكة الى لوط هم قومه ان يلوطوا بهم ، لأن الملائكة جاؤا اليه على صورة غلمان حسان الوجوه . (فقال لهم لوط : يا قوم هؤلاء بناتي هن اظهر لكم) - يعني بالتزويج - فاتقوا الله ولا تعزوني في ضيبي أليس منكم رجل رشيد ؟ . فلم يرضوا بقوله وقالوا : (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) اي من حاجة وشهوة وانك لتعلم ما نريد من اتيان الرجال فمالجهم وناشدهم وهم على العناد والغبي فاعماهم جبريل بجناحه . وقالت الملائكة للوط (نحن رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد إلا امرأتك) انه مصيبتها ما أصابهم .

قال : ولما خرج لوط بأهله قال للملائكة أهلكوهم الساعة . فقالوا : لم تؤمر إلا بالصبح (أليس الصبح بقريب) .

فلما كان الصبح قلبت الملائكة سدوم وقراها الخمس بمن فيها وكان فيها اربعمائة ألف . وقيل اربعة آلاف الف . فرفعوا المدائن كلها حتى سمع اهل السماء

صياح الديكة ونباح الكلاب فلم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ، ثم قلبوها فجمعوا عاليها سافلها . فسمعت امرأة لوط الهدة فقالت : واقوماه . فأدركما حجر فقتلها . وامطر الله الحجارة على من لم يكن بالقرى فأهلكهم .

واما قبر لوط عليه السلام فهو في قرية تسمى كفر برك تبعد عن مسجد الخليل عليه السلام نحواً من فرسخ . وتقل ان في المغارة الغريبة تحت المسجد العتيق ستين نبياً منهم عشرون مرسلان ، فصار هذا المكان مشهوراً يقصد للزيارة .

وعلى فرسخ من حبرون جبل صغير مشرف على بحيرة زعرو موضع قرى لوط . ثم مسجد بناء ابو بكر محمد بن اسماعيل الصياحي فيه مرقد ابراهيم عليه السلام قد غاص في الصخر نحواً من ذراع . يقال ان ابراهيم لما رأى قرى لوط وهى طائرة في الهواء وقف . وقيل : رقد . ثم قال : أشهد ان لا إله إلا الله وان هذا هو الحق اليقين . ولذلك سمي ذلك المسجد مسجد اليقين . وكان بناء ذلك المسجد في شهر شعبان سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة . وبظاهر المسجد مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين . وعند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفي

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه بالرغم مني بين التراب والحجر
أفديك فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر

﴿ ذكر أيوب عليه السلام ﴾

هو رجل من امة الروم لأنه من ولد العيص وهو ايوب بن موسى بن واذح ابن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان له زوجة يقال لها : رحمة ، وكان صاحب اموال عظيمة ، وكانت له الثنية جميعها . من اعمال دمشق - ملكاً . فابتلاه الله تعالى بأن أذهب امواله فصار فقيراً . ثم ابتلاه في جسده حتى تفجر دماً ودوداً . وبقي مرمياً على مزبلة لا يطيق احد ان يشم رائحته ، وزوجته

صابرة تخدمه . فتراى لها ابليس اللعين وقال لها اسجدي لي وانا ارد لكما مالكما .
فاستأذنت ايوب فغضب وحلف ليضربها مائة سوط .

ثم عافاه الله ورزقه ورد على امرأته حسنهما وجمالها وشبابها وولدت له ستاً وعشرين ولداً بعد ان عافاه الله تعالى مما ابتلاه به . فلما عوفي امره الله تعالى ان يأخذ عرجوناً من النخل فيه مائة شعراخ فيضرب به زوجته رحمه كي يبر يمينه . ففعل .

وكان ايوب نبياً في زمن يعقوب وعاش ثلاثاً وتسعين سنة . ومن اولاد ايوب ابنه بشر .

وبعث الله بشراً بعد ايوب وسماه ذا الكفل . وكان مقامه بالشام ، وقبره في قرية كفل حارس من اعمال نابلس .

﴿ ذكر شعيب عليه السلام ﴾

وهو نبي بعثه الله الى اصحاب الأيكة واهل مدين . وقد اختلف في نسب شعيب فقيل : انه من اولاد ابراهيم . وقيل : من ولد بعض الذين آمنوا بابراهيم . وكانت الأيكة من شجر ملتف فلم يؤمنوا به .

فأهلك الله اصحاب الايكة بسحابة امطرت عليهم ناراً يوم الظلة ، وذلك انهم رأوا حراً شديداً فدخلوا الاسراب فوجدوها اشد حراً . فخرجوا منها فرأوا سحابة فاستظلوا بها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا .
وأهلك الله اهل مدين بالزلة .

وجاء في الخبر : ان شعيباً كان خطيب الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وكان ضرير البصر . وقبر شعيب بقرية يقال لها : حطين - من اعمال مدينة صفد - وهو بعيد عن بيت المقدس نحو ثلاثة ايام .

﴿ ذكر سيدنا موسى الحكيم عليه أفضل الصلاة والتسليم ﴾
(وأخيه هارون عليه السلام)

(أقول - وبالله التوفيق -) : موسى نبي الله وكليمه وهو ابن عمران بن فاهت بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل سلام الله عليهم .
ولد لمضي الف وخمسمائة وست وستين من الطونان . واسم امه يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب . وكان فرعون مصر الوليد بن مصعب وكان قد تزوج آسية بنت مزاحم .

وقد روي ان الله تعالى لما خلق الحور العين في نهاية الحسن والجمال قالت الملائكة : إلهنا ومولانا وسيدنا هل خلقت خلقاً أحسن منهم ؟ فجاءهم النداء من العلي الأعلى : اني خلقت سيدات نساء العالمين وفضلتهن على الحور العين كفضل الشمس على الكواكب ، وهن آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما وصفت آسية لفرعون أحب ان يتزوج بها فتزوجها على كره منها ومن ايها لكنه بذل لهم اموالا جزيلة وزفت اليه ودخل عليها . فلما هم بها اخذه الله عنها فلم يقدر عليها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضى منها بالنظر اليها . فبينما هو معها في قبتها اذ سمع هاتفاً يقول . ويلك يا فرعون لقد قرب زوالك وزوال ملكك على يد نبي من بني اسرائيل . فقال فرعون لآسية : سمعت هذا ؟ قالت له : سمعت لكن هذا من عمل النساء .

ثم ان فرعون رأى عدة منامات ازعجته فاستدعى بالمعبرين وقص عليهم ما وآه . فقال احدهم : هذه الرؤيا تدل على مولود يولد من بني اسرائيل يسلبك ملكك ويزعم انه رسول إله السماء والأرض يأتي اليك وسيكون هلاكك وهلاك قومك على يديه . فلما سمع فرعون ذلك لحقه غم شديد فجمع وزراء مملكته

راستشارهم في ذلك فأشاروا عليه ان يوكل على النساء الحبالى من يحملهن الى داره حتى تكون ولادتهن عنده فان كان المولود ذكراً قتله وان كان انثى تركها . ففعل ذلك . ولم يزل حتى قتل اثني عشر الف مولود . وكان يعذب النساء الحبالى حتى يسقطن حملهن .

فضجت الملائكة من ذلك الى ربهم فأوحى الله اليهم : ان اسكنوا قات له اجلاً ممدوداً الى وقت محدود . ثم بشرهم الله تعالى بمولود هو موسى عليه السلام وحملت امه به .

وكان فرعون قد منع وزراءه وكبراء مملكته من الاجتماع بأهلهم . لأنه كان قد بلغه ان المولود يكون من اقرب الناس اليه . وكان عمران من اقرب الناس اليه ، فكان شأنه ان لا يفارقه . فبينما عمران قاعد عند رأس فرعون إذ نظر الى امرأته وقد حملت اليه على جناح ملك . فلما نظر اليها فزع فزعاً شديداً وقام على قدميه وقال لها : ما الذي جاء بك في مثل هذا الوقت ؟ فقال له الملك : ان الله يأمرك ان تواقع زوجتك على فراش فرعون ليكون ذلك هواناً له . ثم جذب الملك فراش فرعون من تحته والقاء لعمران وتوارى الملك . فواقمها فحملت بموسى «ع» ثم احتملها الملك الى دارها . هذا وكان على باب فرعون الف من الحراس والاعوان . فلما اصبح دخل عليه المنجمون والكهنة وقالوا لفرعون : ان المولود الذي كدنا نحذرك منه قد حملت به امه في هذه الليلة وقد ظهر نجمه وعلا شعاعه . قال : فاشتد فزع فرعون وزاد اختباطه .

ولما مضت مدة الحمل اخذ امه الطلق في نصف الليل ولم يكن عندها احد إلا اختها . فلما وضعت نظرت الى نوره وهو يتلألأ ففرحت به إلا انها مكروبة لخوفها عليه من فرعون واعوانه ، فسألت الله تعالى أن يحفظه عليها وان يرزقها الصبر . فما استتمت دعاءها ونظرت الى موسى فإذا هو قد استوى قاعداً وقال لها : يا ابي لا تخافي ولا تحزني ان الله معنا .

وسمع فرعون في تلك الليلة هاتفاً في قصره وهو يقول : ولد موسى وهلك فرعون . فصار كل صنم في تلك الليلة منكساً . فأصبح فرعون ممتلئاً غيظاً وشدد في طلب المولودين تلك الليلة .

وكانت ام موسى اذا خرجت في حاجة تعتمد الى موسى وتضعه في مهده وتضعه في التنور وتغطيه . فاتفق انها خرجت يوماً من الأيام وكانت اختها قد عجبت عجباً وارادت ان تخبز فأمرت بسجور التنور فسجروه ولم تعلم ان فيه موسى وكان موسى في التنور . وقد وقع في قلب هامان ان المولود في بيت عمران ، فكبس داره وقال : ها هنا مولود . فقالت اختها : كيف يكون ها هنا مولود وعمران محبوس عندكم ؟ فجعل هامان يفتش حتى جاء الى التنور فوجده يسجر ناراً فانصرف وقال : لا يكون مولود في النار .

ثم رجعت ام موسى واذا بالاعوان والحراس قد خرجوا من دارها ، فلما رأتهم وقد خرجوا من دارها كادت روحها ان تهلك من الهم والغم . فدخلت منزلها وقالت : هل نظر هامان الى ولدي في التنور؟ قالوا : لا . ثم اسرعت ام موسى نحو التنور فاذا هو مسجور والنار تملو منه ، فلطمت على وجهها وقالت : ما تقضي الحذر قد احرقتم ولدي . فنادها موسى : لا تخافي علي يا اماء فان الله تعالى قد منعني من النار وان النار لا تحرقني فمدي يدك إلي فان النار لا تصل اليها ولا تحرقنا . فأدخلت يدها في التنور واخرجته ولم تحسها النار .

(قصة التابوت)

فلما كان بعد أربعين يوماً صنعت له تابوتاً - وكان عمران توفي قبل ان يتم لموسى اربعون يوماً - فعمدت الى ذلك التابوت وفرشته وارضعت موسى وكحلته ودهنته والفته في التابوت واغلقت عليه باباً وهي تبكي . ثم احتملت التابوت في نصف الليل ومما اختها وجاءت الي شاطئ النيل فألقته في اليم وبكت . فسمعت النداء

من الملا : (إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) .
 ولقي التابوت في النيل اربعين يوماً . وقيل : ثلاثة ايام . وقيل ليلة واحدة .
 وصعد فرعون الى صرح له فجلس وهو مشرف على النيل فألقت الريح التابوت
 تحت قصره ، وكان له سبع بنات ليس منهن واحدة إلا وبها سائر الامراض . وكان
 في داره حوض يركد فيه الماء من النيل وهو حوض عظيم ، وكن البنات يفتسلن
 فيه . فلم تزل الريح بأمر الله تعالى تسوق التابوت الى ان دخل في ذلك الحوض وركد
 فبادرت البنت الكبيرة واخذت التابوت وفتحته واذا فيه موسى عليه السلام وله شمع
 ونور كشمع الشمس فأخرجته . فلما لمسته ذهب ما كان بها من البلاء . فتناولته
 الثانية ولمسته فعوفيت . ولم يزلن يتناولنه حتى عوفيت السبع بنات مما كن فيه من
 الأمراض وصرن صحاحاً من بلائهن ببركته . فأخذنه ودخلن به الى آسية وذكرن
 لها القصة . فلما رأتهن قد عوفين احبته ونظرت اليه وقبلته وحملته الى فرعون .
 فلما رآه فرعون فزع منه فقالت له : ايها الملك لا تخف ، وذكرت له حديث
 التابوت وكيف عوفيت البنات ببركته . فقال : يا آسية اني اخاف ان يكون
 هذا عدوي وأنا لا بد لي من قتله . (فقالت له قرة عين لي ولك لا تقتله
 عسى ان ينفعنا او نتخذة ولداً) وقالت له : ايها الملك انه في قبضتك وانك من
 قتله متمكن في أي وقت شئت وانت ليس لك ولد ذكر فأطعم الناس لأجله . ولم تزل
 به حتى فعل ذلك . فجاء الطفل فأتى اليه بالمرضع فلم يقبل موسى ثدي واحدة
 منهن وذلك قوله تعالى : (وحرمنا عليه المراضع من قبل) . معناه لا يرضع من
 غير امه .

﴿ ذكر قصة الرضاع ﴾

ثم بلغ امه وصول التابوت الى قصر فرعون فقالت لبنتها كلثوم اخرجي
 فقصي امره . فجاءت قصر فرعون فاذا هو في حجر آسية . فقالت لها : (هل

ادلّم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) . فلم تعلم آسية انها ابنة عمها لرثانة ثياها . فقال فرعون : من هؤلاء القوم ؟ فقالت : هم من آل ابراهيم : فأمر باتيانهم فحضرت ام موسى فمرفتها آسية انها امرأة عمران فأعطتها الصبي . فلما اخذته ضحك ورضع منها .

فقال لها فرعون : اني أرى لك لبناً كثيراً فهل لك ولد ؟ فقالت : هل ترك اهلك واعوانك ولداً ولم يقتلوه ؟ فقال لها فرعون : ويليك من قتل ولدك ؟ فقالت : الملك اعلم بذلك . - ولم يعلم فرعون انها امرأة عمران - . واستمرت عند آسية ترضعه سنة كاملة ، ثم انصرفت من عندها مسرورة مستبشرة .

فلما صار لموسى ثلاث سنين دعا به فرعون واقعده في حجره وجعل يلعبه فقبض موسى عليه السلام بيده لحية فرعون ولطمه بالآخرى . فقال فرعون في نفسه : لا شك ان هذا الذي يكون عدوي فهم بقتله . فأسرت اليه آسية وقالت له : ان الصبيان لهم حركة ولعب من غير معرفة ولا عقل وأنا اريك انه لا يعقل . فأمرت باحضار طشت من فضة ووضعت فيه ثمرة وجمرة وقدمته لموسى عليه السلام وقالت : يا ولدي خذ أيهم - ا شئت . فأراد موسى ان يمد يده ويأخذ الثمرة فضرب جبريل يده على الجمرة فأخذ موسى بيده الجمرة ورفعها الى فيه فأحترق لسانه فرماها من فيه وبكى بكاء شديداً . .

فقالت له : أرايت لو كان له عقل أكان يؤثر الجمرة على النمرة ؟ فسكت فرعون بعد ذلك . ثم اظهر الله آياته ، وبانت معجزات موسى عليه السلام ، وانبت الله نباتاً حسناً وأعطاه حكماً وعلماً في دينه ودين آباءه .

(فلما بلغ اشدّه واستوى) قال ابن عباس : الأشد : ما بين ثمان وعشرين الى ثلاثين سنة ، واستوى : إذ صار ابن اربعين سنة . وكان يذكر لبني اسرائيل ما في فرعون وما هو عليه من الضلال . وكان موسى يأمر فرعون بالمعروف وينهاه عن المنكر ويعظه وينهاه عن الكفر حتى شاع ذلك في البلد وانه مخالف رأي فرعون .

﴿ قصة القبطي ﴾

وقوله تعالى : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) . وذلك ان موسى عليه السلام كان يمشي في بعض الأيام فوجد اسرائيلياً وقبطياً يختصمان فاستغاثه الاسرائيلي . فوكز موسى القبطي في صدره فمات . فقدم موسى بفعله وقال (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) . فذهب بعض القبط الى فرعون وأعلمه بذلك . فلم يصدق .

ثم اصبح موسى وهو خائف أن يؤخذ بدم القتيل . فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر من القبط - والقبطي يقول قتل ابن عمي بالأمس . فقال : يا موسى اعني على هذا القبطي فانه يريد ان يحملي الى فرعون . فقال له موسى - كما اخبر الله تعالى - : (انك لغوي مبين) . فحزن القتي وعلم من كلامه ان موسى ندم على ما كان منه بالأمس .

ثم ان موسى لم يجد بداً من نصرته لأنه قد استغاث به فدنا موسى من القبطي ونزع الاسرائيلي من يده فظن انه يريد قتله فقال - كما اخبر الله تعالى - : (يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس إن تريد إلا ان تكون جباراً في الأرض وما تريد ان تكون من المصلحين) .

ثم دخل القبطي على فرعون واخبره ان موسى قتل نفسه بالأمس . فأرسل فرعون في طلبه واذن لأولياء المقتول ان يقتلوه حيثما وجدوه فسمعهم رجل مؤمن من آل فرعون فأقبل على موسى واخبره وقال - كما قال الله تعالى - : (يا موسى ان الملا يأمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب) .

﴿ قصة أرض مدين ﴾

فلم يزل موسى عليه السلام يسير حتى صار في أرض مدين في اليوم السادس او السابع وبه جهد من الجوع والمطش واذا بمجموعة من اهل مدين على بئر لهم يسقون اغنامهم فنظر موسى امرأتين تذودان - اي تمنعان - اغنامهما عن الماء من بين الرعاة وهم ما بين العشرة الى الاربعين . فقال موسى للمرأتين : ما خطبكما ؟ - اي ما قصتكما . قالتا : لا نسقى حتى يصدر الرعاء - اي يصرفوا مواشيهم عن الماء - لأننا امرأتان لا نطيق ان نسقى ولا نستطيع ان نزاحم الرجال وابونا شيخ كبير وهو شعيب نبي القوم وكلهم يحسدونه على ما آتاه الله من الغنم وغيرها . فقال لهما موسى : وهذا الماء لهم خاصة ؟ قالتا : لا بل لجميع الخلق .

وكانوا اذا فرغوا عمدوا الى حجر كبير عظيم يطبقونه على رأس البئر لا يقدر احد على تنحيته .

فسكت موسى عليه السلام حتى فرغ الناس من سقي اغنامهم فاجتمعوا وطبقوا الحجر وانصرفوا . فقام موسى عليه السلام وقال للمرأتين : قربا اغنامكما الى الحوض . ثم انه تقدم الى البئر وضرب الصخرة برجله فرماها اربعين ذراعاً على ضعفه من الجوع ولما فرغ من سقي اغنامهما تولى الى الظل وهي شجرة كانت هناك فقال : (رب اني لما ائزلت إلي من خير فقير) .

فانصرفت المرأتان الى ابيهما شعيب واخبرتا به بما كان . فقال لأحدهما . اذهبي فأتييني به . فأقبلت الى موسى واومأت اليه وقالت : ان أباي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا . فقام موسى ومرت المرأة بين يديه فكشفت الريح عن ساقها فقال لها موسى : تأخري خلفي ودليني على الطريق . فتأخرت وكانت تقول : عن يمينك عن شمالك خلفك وقدامك حتى وقف على باب شعيب فبادرت المرأة الى ابيهما واخبرته فأذن له بالدخول . - وشعيب يومئذ شيخ كبير وقد كف بصره . -

فسلم موسى عليه السلام فرد عليه السلام وعانقه ثم اجلسه بين يديه وسأله عن حاله وقصته فأخبره بخبره وقص عليه قصته. فقال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين. وأتاه بطعام فقال: بسم الله الرحمن الرحيم وأكل، ولما فرغ من أكله حمد الله تعالى وأثنى عليه بالجليل. فقالت بنت شبيب - واسمها صافورا - : (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين) .

فرغب شبيب فيه لقوته وأمانته فقال (اني اريد ان انكحك احدي ابنتي هاتين على ان تأجرني ثمانى حجج فان أتممت عشرآ فمن عندك فرضى موسى وقال ذلك بيني وبينك ايما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما نقول وكيل) . فرضى شبيب وجمع المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صافورا . ودخل موسى البيت وجعل يرمي الغنم فرعى فغنم شبيب عشر حجج وهي عشر سنين .

(قصة رجوعه من أرض مدين)

ثم قصد موسى السير الى اهله فبكى شبيب وقال: يا موسى كيف تخرج غني وقد ضعفت وكبرت ؟ فقال موسى : قد طالت غيبتني عن ابي وخالتي وهارون أخي واختي فانهم في أسر فرعون . فقام شبيب وبسط يديه الى ربه وقال : يا رب ابراهيم الخليل واسماعيل الصفي واسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد قوتي وبصري . فأمن موسى على دعائه ، فرد الله عليه بصره وقوته . ثم أوصاه بأبنته .

وسار موسى واهله وضرب خيمته على الوادي وأدخل اهله فيها . وهطلت السماء بالمطر والثلج . وكانت امرأته حاملاً فأخذها الطلق فأراد ان يقدر فلم يظهر له نار فأنتم لذلك واذا هو بنار من بعد (فقال لأهله امكثوا اني آتست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون) فاتى نحو النار فلما دنا منها رأى نوراً ممتدأ من السماء الى شجرة عظيمة من المومج وقيل من الغناب فتحير

وخاف فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن من الشجرة (ان يا موسى اني
 أنا الله ربك فأخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما
 يوحى * اني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية
 أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع
 هواه فتردى) ثم قال (وماتلك يمينك يا موسى * قال هي عصاي اتوكأ عليها وأمش بها
 على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) قال الله عز وجل (القها يا موسى * فألقاها فاذا هي حية
 تسمى * فلما رآها ولي مدبراً) ولم يعقب فسمع النداء : هل يملك احد الموت
 والحياة غير الله عز وجل ؟ فرجع موسى الى موضعه والحية على حالها فقال الله تعالى
 (خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) فأدخل يده في كه ليأخذها فسمع
 النداء : أرايت لو اذنت لها ان تضربك أكان يغنيك كك ؟ فكشف يده وادخلها
 في فيها فاذا هي عصا كما كانت .

قال الله عز وجل : (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء)
 اي من غير برص . آية اخرى مع العصا . فعند ذلك انس موسى وذهب عنه الخوف .
 قال الله : يا موسى اني اخترتك على الناس برسالاتي وبكلامي لأبعثك لعبد من
 عبيدي كفر بنعمتي وتسمى باسمي واستعبد عبيدي ولولا حلمي وكرمي لأهلكته
 ولكن هان علي وأنا مستغن عنه أمهله لأقيم عليه حجتي فبلغه رسالتي وادعه
 الى عبادتي .

فقال موسى : (رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من
 لساني يفقهوا قولي - يعني يعرفوا كلامي - واجعل لي وزيراً من اهلي هارون
 اخي اشدد به ازري واشركه في امري) يعني يكون عوناً لي على الرسالة . قال
 الله تعالى : (قد اوتيت سؤلِكَ يا موسى . ثم تذكر ما كان منه من قتل النفس
 فخافهم) فقال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف ان يقتلون * قال كلا فاذهباً بآياتنا
 إنا معكم مستمعون) ثم قال (اذهب - يعني هو وهارون - الى فرعون انه ظنى *

- في القول والفعل - فقولاً له قولاً لينا لعله يتذكر او يخشى * قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يظننى * - فيقتلنا - قال لا تخافا اتي معكما أسمع وارى * فأتياه فقولاً إنا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل . .) .

وهذه المخاطبة كانت له وحده والرسالة له ولأخيه هارون .

ومرّ موسى في المخاطبة مع ربه عز وجل وزوجته صافورا بنت شمعون قد اشتد بها الطلق فسمع انيها سكان ذلك الوادي فأتوا اليها واوقدوا عندها ناراً وجلسوا عندها . ثم اقبل موسى الى اهله فصار بهم نحو مصر حتى اتاها ليلاً .

(قصة دخوله إلى مصر)

فأوحى الله تعالى الى اخيه هارون بقدم موسى الى مصر . وهارون كان يومئذ وزيراً من وزراء فرعون لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً وكانت الابواب مغلقة فاحتمله الملك الى قارعة الطريق ثم قال له : امض يا هارون واستقبل اخاك . فقال له هارون : وكيف أسلك الطريق في هذا الليل وانا لا أعرفه فنزل عليه جبريل وبشره بالرسالة مع اخيه موسى الى فرعون ثم احتمله الملك حتى أتى به الى شاطئ النيل . فالتقى بأخيه موسى وتماثقا وبشره بالرسالة . ثم اقبلا يريدان امهما فاجتمعا بها واخبرها موسى بما كان من امره . ثم حمل جبريل هارون من عنده الى منزل فرعون .

ثم خرج موسى متنكراً ينظر ما احده فرعون بأرض مصر من البنين ثم قصد الاجتماع بفرعون فحضر الى بابهم فممنهم من يعرفه وممنهم من ينكره . ثم علم به فرعون فتنغير لونه وارتعدت مفاصله . ثم ان هامان أمسكه وحبسه واخبر فرعون بأمره وانه حبسه . فدعا فرعون بالفراشين وزين قصره وأحضره .

فلما نظر فرعون الى موسى عرفه ولكن قال : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله وكليمه . فقال فرعون : انك عبيدي وابن امتي . فقال موسى : ان الله عز وجل أعز من ان يكون له ند او ضد . فقال له فرعون : يا موسى انت رسول

إليّ وحدي؟ فقال موسى: إليك وإلى جميع أهل مصر. فقال فرعون: بماذا أرسلت؟ قال: أن تقولوا لإياله إلا الله وحده لا شريك له وأن موسى عبده ورسوله. قال له فرعون: فما حجتك فإن لكل مدع بينة وبرهاناً. فقال موسى: إن آيتك بيينة واحدة تؤمن بي؟ قال: نعم. قال موسى: يا هارون انزل عن الكرسي. فنزل هارون. ثم قال: (يا فرعون إنا رسولا ربك إليك فارسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم - يعني بالبناء ونقل الأحجار - قد جئناك بآية من ربك). قال: فتحير فرعون لأن هارون كان عنده وهو يظن أنه يساعده على أخيه لاختصاصه به وقربه منه.

ثم قال: فمن ربكما يا موسى؟ (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى). وكان هارون كلما تكلم أخوه موسى بشيء صدقه فيه وأعانه عليه. فغضب فرعون على هارون فخلع ما كان عليه من اللباس حتى بقي هارون بالسراويل. فبادر موسى عليه السلام ونزع مدرعة مما عليه وألبسها هارون. ثم نزل جبريل عليه السلام بقميص من الجنة فأفرغه على هارون.

فتحير فرعون في أمره ثم أمر هامان بحملهما إلى داره ومبدا رأتها على أن يرجعا إلى طاعته فلم يلتفتا إلى قوله. فجاء هامان وأخبر فرعون أنهما لم يقبلا ذلك ولم يلتفتا إلى قوله.

فأحضرهما فرعون وقال لموسى (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت - يعني القتل - قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين* ففررت منكم لما خفتكم فوهد لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين) يعني إليك يا فرعون. ثم قال له (وتلك نعمة نعمها عليّ أن عبدت بني إسرائيل - يعني أنك جعلت بني إسرائيل عبيداً لك - تذبح أبناءهم وتستحيي نساءهم). وكان فرعون متكئاً فاستوى جالساً (فقال وما رب العالمين* قال موسى رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين* فالتفت فرعون إليّ من خوله وقال ألا تسمعون* - يعني إليّ

قول موسى - قال موسى ربكم ورب آبائكم الأولين * قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون * قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون * قال فرعون لموسى لن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين * قال أولو جئتك بشيء مبين * - يعني بآية بينة - قال فأت بها إن كنت من الصادقين) .

(قصة الحية واليد البيضاء)

فبينما هما في المجادلة اذا بالمصا قد اضطربت في كف موسى فناداه جبريل : (القها يا موسى * فالقها فاذا هي حية تسمى) اي ثعبان مبين والناس ينظرون اليه وقام على رجله حتى اشرف على الحائط وجعل يقلع الصخور من قصر فرعون ويهدمها وجعلت تنفس في البيوت والخزائن واشتعلت ناراً وجعلت تهيج كما يهيج الجمل ولها صوت كالرعد القاصف والناس يهربون منها وآسية تنظر وتتعجب من ذلك . فلما نظر فرعون الى ذلك وثب عن سريره وقد احدث في ثيابه واخذت الحية ذيل ثيابه حتى رمى بنفسه خلف السرير وقال يا موسى بحق الترية والرضاع وبحق آسية . قال : فلما سمع موسى بذكر آسية صاح بالحية فأقبلت نحوه كالكلاب فأدخل يده في فيها وقبض على لسانها فاذا هي عصا كما كانت بقدرة الله تعالى .

فلما نظر فرعون الى ذلك قال : يا موسى لقد حويت سحراً عظيماً هل عندك غير هذا ؟ قال : نعم . فأدخل يده في جيبه ثم اخرجها وهي بيضاء ولها نور . ثم ردها الى جيبه واخرجها واذا هي على لونها الأول كما كانت . فأقبل فرعون على قومه وقال (ان هذا لساحر عليم * يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون) .

(قصة السحرة)

ثم اقبل الملا من قوم فرعون عليه وقالوا (ايها الملك إن هذان لساحران يريدان ان يخرجاك من ارضك بسحرهما فاخرجهما وابعث في المدائن حاشرين * يا توك

بكل ساحر عليم) . فأمر فرعون بذلك وارسل قصاده الى جميع البلاد فاجتمع اليه سبعون الف ساحر وهم احذق الخلق . ثم بعث الى موسى ودعاه وقال فرعون للسحرة : اجتهدوا ان تغلبوا موسى .

ثم اجتمع الناس في صعيد واحد لينظروا من يكون الغالب . وخرج فرعون بجنده فأقبل موسى وهارون وقد أهدت بهم الملائكة وكان السحرة قد اخرجوا ثلثمائة وقر من الحبال والعصي وسحروا أعين الناس فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسمى فامتلا الوادي من العصي والحبال وجعلت تركض بعضها على بعض (فأوجس في نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف انك انت الأعلى * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انها صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) فزال عن موسى الخوف وقال (ما جئتم به السحر ان الله سيبيطه ان الله لا يصلح عمل المفسدين) . ثم ألقى عصاه في وسط الوادي وبطل ما اظهره من السحر واذا هو حبال وعصي فصارت عصا موسى ثعباناً لها سبع رؤس ، ثم اتت على حبالهم وعصيهم فابتلعتهما عن آخرها وجميع ما في الوادي من زينة فرعون ، ثم حملت على السحرة فولوا هارين على وجوههم ، ثم اجتمعوا في موضع واحد وقالوا : ما هذا سحر إنا آمنة بربنا ثم خرجوا بأجمعهم ساجدين .

فأغتم فرعون لذلك وقال للسحرة (آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فسوف تعلمون) فأمر بقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وامر بصليهم أجمعين .

(قصة الصرح)

ثم اقبل فرعون على هامان وقال له (ابن لي صرحاً - يعني قصرأ مشيداً - لعلي ابلغ الاسباب اسباب السماوات فأطلع الى إله موسى وانى لأظنه كاذباً) يعني في رسالته . فجمع هامان خمسين الف بناء وصانع واخذ في ذلك ولم يزالوا حتى

بنوا الصرح وارتفع في الهواء ارتفاعاً لم يبلغه احد من بني آدم .
قال واشتد ذلك على هارون وموسى لأن بني اسرائيل كانوا معذنين في بنائه .
فلما فرغوا من بنائه وارتفاعه ارتقى فرعون فوقه واخذ سهماً ورمى به نحو السماء
فرد اليه . وهو ملطخ بالدم . فقال الكلب : قد قتلت إله موسى . فأمر الله عز وجل
جبريل ان يهدم الصرح . فجعل عاليه سافله ومات كل من كان فيه من القملة ممن
كان على دين فرعون .

﴿ قصة الآيات التسع ﴾

ثم ان الله تعالى حبس عن قوم فرعون المطر فأجذبت الارض عليهم وماتت
المواشي وخرب الصرح وجاءهم الطوفان فدام عليهم ثمانية ايام بلياليها وبث الله عليهم
الجراد فأكل جميع ما عندهم . ثم بث الله القمل حتى اكل جميع ما على وجه
الارض ووقع في ثيابهم فقرضها وقرض ايديهم . ثم ارسل الله عليهم الضفادع فكانت
عليهم اشد من الكل لأنها كانت تقتحم في طعامهم وفي دورهم وفي ثيابهم . ثم
أوحى الله تعالى الى موسى (ان اضرب بعصاك البحر) . فصار دماً عبيطاً من وقته
فاشتد بهم العطش .

وكان الفرعوني والاسرائيلي يعمدان الى موضع واحد يستقيان فاذا اخذ
الاسرائيلي يكون ماء واذا اخذ الفرعوني يكون دماً . فدام ذلك عليهم ثمانية ايام
حتى اجدهم العطش . وكان بين كل آية اربعون يوماً ، فهذه الآيات التسع .

﴿ قصة المسخ وقتل آسية ﴾

ثم دعا عليهم موسى وامن على دعائه هارون فمسخ الله سبحانه وتعالى كثيراً
منهم حتى اصبح الرجال والنساء والصبيان حجارة .
ثم ان آسية اظهرت الانكار على فرعون وواجهته بقبح الفول فقتلها لعنة الله عليه .
ثم بث الله الظلمة على اهل مصر ثلاثة ايام فلم يعرفوا الليل من النهار .

(قصة النيل)

وانقطع عنهم النيل فضجوا الى فرعون فخرج بهم على ان يجري لهم النيل . فلما قرب من النيل اوقفهم وانفرد عنهم بحيث لا يرونه فنزل عن فرسه ومرغ وجهه على الارض ورفع يديه الى السماء وقال : إلهي وسيدي ومولاي علمت انك إله السماء والارض لا إله فيهما سواك حاكم الذي حملني ان اسألك ما ليس بحق وانت المتكفل بالارزاق اللهم اني اسألك ان تجري لهم هذا النيل .

قال : فأجرى الله لهم النيل . فلما رآه القوم ظنوا انه أجرى لهم النيل فسجدوا له وازدادوا كفراً وعصياناً وقالوا : قد اتانا بالماء والنيل في طاعته . وعلم الله منه انه لا يزداد إلا كفراً لكنه اراد ان يؤكد الحجة عليه .

وبلغ ذلك موسى وهارون فتمعجا من لطف الله تعالى .

(قصة غرق فرعون وخروج موسى من مصر)

ثم اوحى الله الى موسى : ان قد اقترب اجل فرعون وهلاكه . واهبط الله تعالى جبريل عليه السلام على صورة رجل حسن الوجه فدخل على فرعون فقال له فرعون : من انت ؟ قال : انا عبد من عبيد الملك جئتك مستفتياً على عبد من عبيدي مكنته من نعمتي فاستكبر وبغى وجحد حتي وتسمى باسمي وادعى في جميع ما انعمت عليه انه له . فقال فرعون : بئس ذلك العبد بين العبيد . فقال جبريل عليه السلام : فما جزاؤه ؟ قال : يغرق في البحر . قال جبريل عليه السلام : اني اسألك ان تكتب لي خطاً بيدك . فكتب له خطاً بيده .

فأخذه جبريل وخرج من عنده حتى صار الى موسى فأخبره بذلك وقال له : ان الله يأمرك ان ترحل من موضعك . فنادى موسى في بني اسرائيل بالرحيل . فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة الف .

فلما سمع فرعون ذلك نادى في جنوده ، وكان في كثرة لا يحصون عدداً

وسار فرعون بجنوده في تبع موسى وبني اسرائيل فانه كان معتقداً انهم خرجوا هارين منه فسار حتى قرب من بني اسرائيل . فلما رأوه قالوا لموسى : يا موسى قد لحقنا فرعون وجنوده . فقال موسى : (كلا ان معي ربي سيهدين) قالوا له : قد قرب الغوم وليس بين ايدينا شيء سوى البحر وما خلفنا سوى السيوف وقد هلكنا . فأوحى الله الى موسى : (ان اضرب بعصاك البحر) فارتفع فكل من كان فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقاً للأسباط الاثنى عشر . فجهلوا يسرون فيه ويحدث بعضهم بعضاً وموسى بين ايديهم وهارون من ورائهم .

فأقبل فرعون وهامان بين يديه ومن ورائه وزرائه وحجابه فنظروا الى البحر يابساً والى تلك الطرق فأحب لحوق موسى فتقدم وهو على فرسه فتسأخر الفرس ونثر . فهبط جبريل على فرسه وتقدم الى فرس فرعون فاشتد راحة فرس جبريل فانبعها فرعون ولحقه جنوده وجبريل يقول : ايها الملك لا تعجل . وجعل ميكائيل يسوق الناس خلفه . فأخرج جبريل الصحيفة وقال لفرعون ايها الملك أتعرف هذه الصحيفة التي كتبتها بيدك ؟ فلما فتحها علم انه هالك .

وجعل البحر ينضم بعضه الى بعض والناس يغرقون وفرعون ينظر اليهم . فلما استيقن بالموت قال : (آمنت انه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) . فقال له جبريل عليه السلام : (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فلما اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قال بنو اسرائيل : ما مات فرعون . فأمر الله البحر فألقاه على الساحل فرآه بنو اسرائيل .

فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً ابداً بل يلقيه ، وذلك قواه تعالى : (فالיום ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية) - عبرة وموعظة - .

ففرق القوم كلهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم كيف يغرقون . ولما عبر موسى البحر بيني اسرائيل إذ رأوا في طريقهم قوماً يعبدون الأصنام فقال سفهاءهم : (يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال موسى انكم قوم

تجهلون * ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) . ثم قال : (اغير الله ابنيكم اِلهاً وهو فضلکم على العالمين) . ثم قال لهم : استغفروا الله مما قلتم . فساروا وفي قلوبهم حب الأصنام .

فلما قرب موسى من الطور استخلف اخاه هارون على قومه وخرج موسى الى البقعة التي كلمه الله فيها وهو صائم فتطهر وطمع ان الله يكلمه وهو في ذلك يكثر التسبيح والتقديس والتمجيد .

(قصة السامري)

ثم ان السامري عمل لبني اسرائيل بعد رواح موسى الى مناجاة ربه فأخذ منهم ما كان معهم من الزينة والحلي واتخذ لهم عجلاً ، وكان معه قبضة من الرمل من الساحل من تحت فرس جبريل وطرحها في جوف ذلك العجل فصار له خوار . فقال لبني اسرائيل : هذا اِلهكم وإله موسى . فمال اليه خلق وامتنع آخرون . وبلغ هارون ذلك فقال لهم : (ان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري * قالوا لن نبرح عليه عا كفين حتى يرجع الينا موسى) فاهتم لذلك ولم يتمكنه التغير عليهم خشية الفتنة . وموسى لا يعلم .

فأوحى الله الى موسى وما اعجلك عن قومك يا موسى ؟ قال : هم اولاء على أثري وعجبت اليك رب اترضى . قال : فانا قد فتنا قومك من بعدك . واحتمل جبريل موسى الى الموضع الذي كلمه فيه ربه فوقف وذلك قوله تعالى : (وقربناه نجياً) فسمع موسى في ذلك الوقت صرير القلم حين يجري في اللوح واللوحة من الزمرد الأخضر واوحى الله الى القلم ان اكتب . فقال القلم : يا رب وما اكتب ؟ فنودي يا موسى انتي انا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيئاً فمن أشرك بي ادخلته النار ، يا موسى لا تسرق مال غيرك فيحل عليك عذابي في الدنيا والآخرة . وكتب غير ذلك .

﴿ ذكر قصة الرؤية ﴾

وسار بني اسرائيل مستقبليين الأرض المقدسة فلما أتوا الى جانب الطور أمره الله تعالى ان يقيم بني اسرائيل في ذلك المكان وأن يستخلف عليهم هارون. وظلل الغمام ذلك الجبل كله ثم دنا منه موسى فأمره الله ان يقطع الألواح من صخرة صماء فقطعها وكتب الله فيها التوراة بيد القدرة ، وكان موسى يسمع جريان القلم . فحدث نفسه بالرؤية لله عز وجل (فقال رب أرني أنظر اليك) فأنت الحنان المنان ذو الفضل والاحسان متفضل علي بكرمك فلا تحرمي النظر الى وجهك الكريم يا ذا الجلال والاكرام . فأوحى الله اليه : يا موسى سألت شيئاً لم يسأله احد من خلقي فهل تستطيع ذلك يا موسى فإنه لا يراني احد من خلقي إلا خر صعقاً ؟ فقال موسى : يا رب أراك واموت أحب إلي من ان لا أراك وأحيا .

فأوحى الله اليه : (يا موسى انك لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني * فلما تجلي ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً) لا يعقل من امره شيئاً . ثم ازال الله خوفه فذلك قوله : (فلما افلق قال سبحانه تبث اليك وأنا اول المؤمنين) معناه ! وانا اول المصدقين بأنه لا يراك احد في الدنيا . ثم اوحى الله اليه : (يا موسى اني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) . ثم اوحى الله اليه : (إنا قد فتننا قومك من بعدك واضلهم السامري بعبادة العجل) .

(فرجع موسى الى قومه غضبان اسفاً) واشند غضبه عليهم (وقال بئسما خلفتموني من بعدي) . ثم القى الألواح وعمد الى اخيه هارون واخذ بلحيته وقال له : لم لا تتبعني لما رأيتم ضلوا أفعصيت أمري ؟ فبكى هارون وقال : (يا بن ابي لا تأخذ بلحيتي) ولا برأسي فارق بي فاني اكبر منك سناً (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم

الظالمين . فاستجيا موسى منه ثم خلاه وضه الى صدره وسأل الله المغفرة والرحمة له ولأخيه .

ثم اقبل موسى على بني اسرائيل يعاتبهم فأخبروه بقول السامري . فأقبل على السامري وهو مغضب . فسأله عن امره فأخبره بما كان . فغضب فأتى الله اليه : لا تقتله فإنه سخي في قومه ولكن اخرج من عنسكرك . ثم عمد موسى الى صخرة عظيمة ولم يزل يضرب بها المعجل حتى تقطع ثم احرقه بالنار حتى صار رماداً وذراه في البحر وقال : لو كان هذا إلهاً كان يدفع عن نفسه . وسكت عن موسى الغضب فأقبل على بني اسرائيل وقال لهم : (انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم المعجل) . فقالوا : يا موسى اسأل ربك لتتوب .

فأوحى الله اليه : ان لا توبة لهم لأن في قلوبهم مرضاً من حب المعجل فالخرج من رماد المعجل والقه في الماء ثم مرهم ليشربوا منه فإنه يظهر ما في قلوبهم على وجوههم . فلما فعل ذلك لم يبق احد ممن في قلبه مرض او غم من كسر المعجل إلا اصبغ مصغراً لونه فلما رأوا ذلك ايقنوا بالموت . فقالوا : يا موسى ما لنا غير التوبة الخالصة وقد اخلصنا في ثوبتنا حتى انك لو سألت ربك ان يقتل انفسنا لقتلناها .

فأوحى الله الى موسى : اني رضيت عليهم بمحكمهم في انفسهم . فذلك قوله تعالى : (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم) . فقالوا : كيف نقتل انفسنا ونحن اهل واقارب . فانزل الله عليهم ظلمة فلم يبصر بعضهم بعضاً حتى ان الرجل كان يأتي الى اخيه وابن عمه فية لله وهو لا يعرفه وكان السلاح لا يعمل فيمن لم يعبد المعجل فلم يزلوا كذلك حتى خاضوا في الدماء فاستغاثوا يا موسى العفو العفو . فبكى موسى ودعا الى الله تعالى بالعفو عنهم فارتفعت عنهم الظلمة .

ثم اقبل عليهم موسى بالتوراة وقال : هذا كتاب ربكم فيه الحلال والحرام والاحكام الشرعية والسنن والفرائض والرجم للزاني والزانية المحصنين والقطع للشارق

والقصاص من كل ذنب يكون منكم • فضجوا من ذلك وقالوا : لا حاجة لنا بهذه الاحكام وما كنا عليه من عبادة العجل كان ارفق بنا فلم يكن في عبادته علينا قطع ولا رجم ولا قصاص •

(قصة الجبل)

فقال موسى يا رب انك تعلم انهم قد ردوا كتابك وكذبوا بآياتك • فأمر الله جبريل ان يرفع طور سيناء في الهواء على عسكر بني اسرائيل • فرفعه على رؤوسهم في الهواء حتى انهم لم يروا السماء منه • ونودوا : يا بني اسرائيل إن قبلتم هذا الكتاب وإلا التي عليكم هذا الجبل • فلما نظروا الى الجبل وهو بدنو منهم حتى ظنوا انه ساقط عليهم وايتننوا بالموت خروا سحداً وقبلوا الكتاب • فلما قبلوا الكتاب رد الله عنهم الجبل •

(قصة الحجر)

وكان بنو اسرائيل اذا اغتسلوا في مواضعهم يكشفون عوراتهم وكانوا يرون موسى في اغتساله مستوراً فاعتقدوا فيه ان يبدنه عيباً وكان اذا اغتسل وضع ثوبه على حجر هناك ثم يضرب الحجر بمصاه حتى ينبع منه الماء فيغتسل ففعل ذلك يوماً من الأيام فانقلع الحجر من مكانه باذن الله تعالى وسار على وجه الارض فعدا موسى خلفه وهو عريان وصار ينادي ويقول ايها الحجر قف باذن الله تعالى حتى وقف على جماعة من بني اسرائيل فنظروا الى موسى فلم يروا في بدنه عيباً من العيوب فندموا على ما قالوا فذلك قوله تعالى : (فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) .

(قصة طلب الرؤية)

ثم طلب بنو اسرائيل من موسى الرؤية (فقالوا أرنا الله جرة) • فأوحى الله اليه : ان اختر مني قومًا صالحين يحسنون وجههم الى الطور واحمل معك أخاك

هارون واستخلف على قومك يوشع بن نون . ففعل ذلك وسار بهم نحو الجليل فنودوا من السماء : ان يا بني اسرائيل فصمقوا كلهم واثقوا فحزن عليهم موسى وقال (رب لو شئت اهلكهم من قبل واياي اهلكنا بما فعل السفهاء منا - يعني الذين عبدوا العجل - ان هي الا فتفتك - يعني ابتلاؤك - تفضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا .) الآية .

فرد الله عليهم ارواحهم وذلك قوله تعالى : (ثم بعثناكم من بعد موتكم) . ورجعوا الى معسكرهم فرحين واخبروا قومهم بما رأوه ثم انهم بدلوا النوراة بعد ذلك وزادوا ونقصوا منها وذلك قوله تعالى : (يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) .

﴿ قصة الجبارين والنيه والحطة ﴾

ثم اوحى الله اليه : انت يسير بهم الى الارض المقدسة فاذا اردتم دخولها فلا تدخلوها إلا ساجدين شاكرين لربكم على تليفيكم إياها فقاتلوا الجبارين واجاهدوهم فاستثقلوا ذلك واستنعدوا الأرض المقدسة واختاروا ايام فرعون على هذه الأيام . فأوحى الله الى موسى : اني ممطر عليهم المن وأمر الريح ان تأتيهم بالسوى والحجر ان ينفجر لهم بناء عذب وأمرت النمام ان يسير معهم واخفافهم لا تنقب ونياهم تكون بقدر صغارهم وكبارهم . فلما سمعوا ذلك طابت نفوسهم وساروا والأمر على ذلك .

ثم اختار موسى اثني عشر رجلا باذن الله تعالى ووجههم الى اريحا مدينة الجبارين ليأتوه بخبرها وصفة اهلها . فخرجوا ومعهم يوشع بن نون . فلما قربوا من المدينة استقبلهم رجل من الجبارين فساقهم بين يديه الى اريحا فاجتمعوا عليهم يتعجبون من ضعف ابدانهم وقالوا : هؤلاء الذين يزعمون انهم يخرجوننا من مدينتنا وهموا بقتلهم ، ثم اقتضى رأيهم ان يدعوهم ليكونوا عبيدا لهم . فلما اقبل الليل هربوا على وجوههم ولم يزلوا حتى وصلوا الى معسكر بني اسرائيل واخبروهم بذلك .

فبلغ موسى ما صنعوا فدعاهم وقال لهم : ألم اقل لكم اكتبوا ما ترون فلم تقبلوا حتى هواتم عليهم وارعبتم قلوبهم . ثم دعا عليهم فمات منهم عشرة وبقي رجلان يوشع وكالب فانهما كانا كتماه .

ثم وقع الخوف في بني اسرائيل من الجبارين وقالوا : يا موسى ان مملكة فرعون كانت اخف علينا مما نحن فيه ودخول مدينة الجبارين وإنا لن ندخلها حتى نخرجوا منها فأذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون واختلفوا عليه وهو يقول لهم : (يا قوم لا ترتدوا على ادباركم فتتقلبوا خاسرين) . فقال عند ذلك يوشع ابن نون وكالب (ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فأنكم غالبون) فلم يلتفت الى قولهما (فقال موسى رب اني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فأوحى الله تعالى اليه يقول : (فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) .

ولم يدخل الارض المقدسة احد ممن ولد بمصر .
وسلط الله عليهم التيهان فكان كلما خرج واحد منهم يتيه في الأرض فلا يهتدي ان يرجع حتى يموت . واما المؤمنون فلا يموتون وإن تاهوا . فلم يزالوا كذلك حتى انقضى آخرهم على رأس اربعين سنة .

وسار موسى الى باب حطة وعليه مكنوب اسم الله الأعظم . واقبل المؤمنون فسجدوا عند الباب ، ودخل اولاد الفاسقين وهم يقولون حنطة حمراء . فذلك قوله تعالى : (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) . يعني اخذهم الطاعون حتى ماتوا جميعاً .
ثم غلب موسى عليه السلام على اهل مدينة أريحا واسر من كان فيها من الجبارين وتفرقوا على البلاد حتى اهلكهم الله تعالى .

وسار موسى عليه السلام ببني اسرائيل يريد مدينة بلقا فجاءها وقتل ملكها

وغنم بنو اسرائيل من ارض البلقا من النساء والولدان شيئاً كثيراً .
ثم ان بني اسرائيل ملوا من أكل المن والسلوى (فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها فانا لن نصبر على طعام واحد فقال لهم موسى أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) .
فأبدلهم الله بالمن والسلوى ما سألوا ورفع عنهم ذلك وذلك قوله تعالى : (اهبطوا مصرأ فان لكم ما سألتم) . وهم يزيدون على اربعين الفا .

(قصة قارون)

وكان لموسى رجل يقال له قارون بن مصعب ، وهو ابن عم موسى . وكان فقير جداً فتعلم صنعة الكيمياء من كلثوم اخت موسى وكانت تعرف ذلك . فرزق مالا عظيماً يضرب به المثل على طول الدهر . وكانت مفاتيح كنوزه تحمل على اربعين بغلاً وبني داراً وصنحها بالذهب وجعل ابوابها من ذهب . وتكبر بسبب كثرة ماله على موسى وقذفه وخرج من طاعته واحضر امرأة بغياً وامرها بقذف موسى بنفسها .

فبلغ ذلك موسى فغضب وقال : يا رب ان قارون قد بغى على فانصرني عليه . فأوحى الله اليه : اني قد امرت الارض بالطاعة لك وسلطتك عليه . فأقبل موسى حتى دخل على قارون وقال : يا عدو الله بعثت الي المرأة واتهمتني على رؤوس بني اسرائيل وانت تريد فضيحتي ! يا ارض خذيه . فساخت داره في الارض ذراعاً وسقط قارون من علو سريره فأخذته الأرض الي ركبتيه . فقال : يا موسى اغثنني . فقال : يا عدو الله تبني مثل هذه الدار وتشرب في آنية الذهب والفضة وأنا أدعوك الى حظك فلا تقبله وتقول اءسا اوتيته على علم عندي ! يا ارض خذيه . فأخذته الأرض وذلك قوله تعالى : (فيخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين *) وأصبح الذين تمنوا مكانه

بالأُمس يقولون ويكأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر . . . الآية .
قال الله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض
ولا فساداً والعاقبة للمتقين) .

﴿ قصة الخضر واجتماعه مع موسى عليهما السلام ﴾

أذن الله تعالى لموسى عليه السلام في الاجتماع بالخضر عليه السلام ، وكان
مسكنه في جزيرة من جزائر البحر . فانطلق اليه موسى واجتمع به فكان من شأنهما
ما نص الله عليه في كتابه العزيز .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (وكان تحته كنز لهما) .
قال : كان لوحاً من ذهب مكتوب عليه : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد
رسول الله عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجباً لمن يعلم بالموت وان الموت
حق كيف يفرح ، وعجباً لمن يرى الدنيا وتصاريف أهلها كيف يطمئن إليها .
ولما فارق موسى الخضر عليهما السلام وودعه سار عنه حتى عاد الى بني اسرائيل .

﴿ قصة البقرة ﴾

وكان في زمن بني اسرائيل وايام موسى عبد صالح فمات وترك امرأته حاملاً
فولدت بعده غلاماً فسمته امه ميثا . فكبر وكان صالحاً باراً بأمه فأعلمته امه ان
أباه خلف عجلة وانها دفعتها للراعي وهي عنده وأمرته بأخذها منه . فتوجه الى
الراعي وأخذها منه .

فلما عاد قالت له امه : هذه بقرتك بارك الله لك فيها فانطلق بها الى السوق .
فتمرض له ملك من الملائكة وقال له : ايها الفتى البار لامه بكم تبيمها ؟ فقال الفتى :
بثلاثة دنائير بشرط ان استأذن ابي . فقال له : خذ لك خمسة دنائير ولا تستأذن
امك . فأبى وعاد الى امه فأخبرها . فقالت له : يا بني ارجع وبمها بخمسة دنائير .

فعاد بها الى السوق فجاءه الملك وقال : بكم تبيعهما ؟ فقال : بخمسة دنانير على أن استأذن امي . فقال له الملك : خذ لك عشرة دنانير ولا تستأذن امك . فلم يفعل وعاد الى امه واخبرها فقالت له : يا بني في غد بهما بعشرة دنانير على اذني واعلم يا بني انها لا تساوي عشرة دنانير غير ان الذي يتعرض لك في شرائها ملك يستخبرك كيف برك لامك وطاعتك اياها فاذا جاءك فقل له : ايها الملك المقرب فبكم ابيعهما وافعل ما يقول لك .

فلما كان من الغد جاءه الملك وقال له : قد جئتكم اطلب بقرتك ثلاث مرات فلم تبعني اياها فقال له : ان امي اخبرتني انك لست بأدي وانما انت ملك من الملائكة فالخبرني ما اصنع ببقرتي ؟ فقال له الملك : ردها الى مزلك فانه سيقتل في بني اسرائيل قتيل ولا يعرفون قاتله فيشترون بقرتك ليحيى القليل بها فتبيعهما بما تريد . فانصرف الفتى الى امه واخبرها بذلك .

ثم قتل في بني اسرائيل قتيل دعوه اقاربه الى ضيافة لهم فقتلوه ثم حملوه الى قرية اخرى وألقوه على باب من ابواب اهل القرية واستعدوا الى موسى وادعوا على الذي وجدوا القتيل على بابه . فحلف الذي وجد على بابه بين يدي موسى «ع» اربعين عيماً أنه ما قتله وشهد من بني اسرائيل اربعون شاهداً بصلاح المنهم . فتحير موسى من ذلك . فأوحى الله اليه : ان قل لأولياء المقتول يشترى بقره ويذبحوها ويضربوا ببعضها بدن المقتول حتى يحييه الله تعالى لهم ويخبرهم بالذي قتله . فقال لهم موسى ذلك . (فقالوا أتتخذنا هزواً) فقال لهم (اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) قالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ماصفة البقرة . فأوحى الله اليه : (انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) يعني لا كبيرة ولا صغيرة . فقال لهم موسى ذلك (فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) .

فلما قال لهم ذلك (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ان البقر تشابه علينا وإنا

ان شاء الله لمهندون) . فأوحى الله اليه (انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث) اي لا مذكلة للعمل تثير الارض : تغلبها للزراعة ولا تسقي الحرث : اي لسانية (مسلمة - بريئة من العيوب - لا شية فيها) وانما لونها واحد .

فاما سمعوا ذلك من موسى اجتهدوا في طلبها فلم يجدوا هذه الصفة إلا عند ميشا البار بامه ولو كانوا في ابتداء الأمر ذبحوا بقرة سواها كانت اغت عنها بظاهر الأمر الأول غير انهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم .

فجاءوا الى ميشا لبيعهم البقرة فامتنع وقال : انا ابيعها لموسى : فرضوا بذلك . واخرج ميشا بقرته وسار بها الى موسى فقال له موسى : بكم هذه ؟ فقال ميشا البار بامه : ابيعها بملأ جليدها ذهباً لا يزيد ولا ينقص . فقالوا له : هذا شيء كثير لا قدرة لنا عليه . فقال لهم موسى عليه السلام : ان ذلك من اجل تشديدكم في الأمر . فضمن موسى ثمن البقرة على بني اسرائيل وسلم اليهم البقرة . قال الله تعالى : (فذبحوها وما كادوا يفعلون) . يعني ما كادوا معتقدين بوفاء ثمنها . فلما ذبحوها قطعوا ذنبها وضربوا به القتيل فاستوى قاعداً . فسألوه عن الذي قتله . فقال لهم : قتلني فلان وفلان ، ثم خر ميتاً . فقتلها موسى « ع » بذلك القتيل . ثم امرهم بسلخ البقرة فسلخواها وملثوا جليدها ذهباً ودفعه موسى لاصحابها ميشا وذلك قوله تعالى : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريككم آياته لعلكم تعقلون) .

﴿ ذكر وفاة هارون عليه السلام ﴾

ثم نظر هارون الى جبل بالتيه وهو بعيد عن معسكر بني اسرائيل فقال : يا موسى ألا تنظر الى ذلك الجبل وما فيه من الخضره ؟ فقال له : بلى ولكن الى غد إن شاء الله نمضي اليه . فلما كان من الغد مضيا اليه ومع هارون أولاده ، فلما وصلوا الجبل واذا فيه كهوف كثيرة واذا بكهف منها يسطع منه النور فتبادروا

اليه. فلما دخلوا الكهف نظروا فيه سريراً من الذهب وعليه أنواع الفرش ومكتوب على حافته بالعبرانية : هذا السرير لمن كان على طوله .

فصعد موسى على السرير فلما مد رجله فضلت من طوله ، فنزل موسى عنه . وصعد هارون واضطجع عليه فاذا هو على طوله فهم أن ينزل فاذا هو بملك الموت قد دخل عليهم فسلم عليهم وأعلمهم انه ملك الموت ارسله الله تعالى ليقبض روح هارون . فدمعت عيناه وقال لأخيه موسى - وهو ينظر الى ملك الموت - : يا موسى اوصيك بأولادي وأهلي تقربهم اليك وتقرئ سلاحي على بني اسرائيل . ثم امر ملك الموت موسى ان يخرج من الكهف ، فخرج . فقبض الملك روح هارون «ع» قبضة الملائكة .

ثم دخل موسى وأولاد هارون الكهف ، فأخرجوا هارون وغسلوه وصلوا عليه ووضعوه في الكهف وسدوا بابه .

وانصرف موسى الى بني اسرائيل واخبرهم بموت أخيه فاتهموه بقتله . فقال لهم موسى : يا سفهاء بني اسرائيل ماذا لقيت منكم أقتل أخي وشقيقي وعضدي؟ ودعا ربه ان يبرئه عندهم . فأمر الله الملائكة ليحملوا سرير هارون . فحملوه حتى نظره بنو اسرائيل ، ونادت الملائكة : يا بني اسرائيل لا تهموا موسى بقتل أخيه هارون فهذا سرير هارون وقد قبضه الله اليه . فبكوا وحزنوا عليه لأنهم كانوا يحبونه . ثم خلفه من بعده ابنه العيزار واعطاه الله وقار هارون ولينه وسكونه وشبهه فكانوا لا يشكون انه هارون فأحبوه حباً شديداً .

﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾

ثم لما قرب اجل موسى عليه السلام قام في بني اسرائيل خطيباً فخطب لهم ووعظهم وخوفهم وانذرهم وحذرهم واشهدهم على انفسهم واشهد الله عليهم انه بلغهم الرسالة وأمرهم بالطاعة والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستخلف يوشع بن نون على بني اسرائيل .

ولما فرغ من وصيته اوحى الله اليه : اني قابض روحك وذكره بما أنعم عليه من النبوة والرسالة والتكليم . فاعترف بنعمة الله وحمده وانثنى عليه . ثم نزل عليه ملك الموت وهو جالس يتلو التوراة فسلم عليه وقبض روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أرسل الله ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه عز وجل وقال : يا رب ارسلني الى عبد لا يريد الموت . قال : فرد الله اليه عينه وقال له : ارجع اليه وقل له : يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة . فجاءه وقال له ذلك . فقال : يا رب ثم وما بعد ذلك ؟ قال : ثم الموت . فقال : الآن . فسأل الله ان يندنيه من الأرض المقدسة برمية حجر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلو كنت ثم لأرينكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر . وكانت وفاته في التيه في سابع شهر آذار لمضي الف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان . وكان موته بعد اخيه هارون باحدى عشرة سنة . وقيل غير ذلك . وكان هارون اكبر من موسى بثلاث سنين . وعاش موسى مائة وعشرين سنة . ونزل عليه جبريل عليه السلام أربع مائة مرة .

وكان جملة مقام بني اسرائيل بمصر حين اخرجهم موسى مائتين وخمسة عشر سنة . وبين وفاة موسى عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية الفان وثلاثمائة وثمان واربعون سنة على اختيار المؤرخين . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة كاملة . فيكون الماضي من وفاة موسى الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف ومائتين وثمانياً واربعين سنة .

ومات موسى ولم يعرف احد من بني اسرائيل أين قبره ولا أين توجه . فماج الناس في أمره ولبثوا كذلك ثلاثة أيام لا ينامون الليل ، فلما كان ثالث ليلة غشيتهم سحابة على قدر بني اسرائيل فسمعوا منها منادياً يقول بأعلى صوته : مات موسى واي نفس لا تموت . ولم يزل يكرر ذلك القول حتى فجع الناس كلهم

وعلموا انه قد مات فلم يعرف احد من بني اسرائيل أين قبره . ونقل انه دفن في الوادي من الأرض التي مات فيها .

واختلف الناس في محل قبره فقيل - وهو المشهور عند الناس - : انه شرقي بيت المقدس بينه وبين بيت المقدس مرحلة ودربه عسر لكثرة الوعر وعليه بناء وداخله مسجد وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة وفيها ضريحه ويوضع على قبره في أيام موسم زيارته ستر من حرير اسود وعلى الستر طراز احمر مزركش دائر على جميع أطرافه بالذهب . والاكثر على ان هذا قبره . وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم مر به ليلة الاسراء وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الاحمر .

والذي بنى القبة المذكورة الملك الظاهر بيبرس رحمه الله عند عوده من الحج وزيارته بيت المقدس في سنة ثمان وستين وسبعمائة . ثم بنى بعده أهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله فحصل النفع بذلك للزائر ثم في سنة خمس وسبعين وثمانمائة وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكل عمارته إلى سنة خمس وثمانين وثمانمائة . ثم بنى به منارة بعد الثمانين والثمانمائة وهذا المكان بالقرب من اريحا الغور من اعمال بيت المقدس واهل بيت المقدس يقصدون زيارته في كل سنة عقب الشتاء وقيمون عنده مبعة أيام .

وقد ظهر في هذا المكان أشياء من انواع المعجزات منها : انه عند الضريح الذي بداخل القبة لا يزال يرى فوق المحراب خيال اشباح الوانهم مختلفة منهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشي ومنهم من على كتفه رح ومنهم لا لبس ابيض ومنهم لا لبس اخضر ويصافح بعضهم بعضاً وغير ذلك من الصفات . وللناس في ذلك اقوال مختلفة فيقال : انهم ملائكة . ويقال : انهم الصالحون . وينظرهم كل الناس من الرجال والنساء والاطفال ولا يخفون على احد .

واذا دخل المسجد امرأة من النساء يكون عليها حياء او جنابة او فعل احد حول المسجد منكراً من المعاصي يشور هواء في تلك البرية حتى لا يقدر الرجل على

رؤية من بجانبه وتتقطع جبال الخيام وتقلع الخيام من مكانها . وغير ذلك من الخوارق الباهرات التي يستدل بها على انه صلى الله عليه وسلم مدفون هناك في هذا المكان .

﴿ فائدة ﴾

فان قيل : لم سأل موسى عليه السلام الدنو من الأرض المقدسة ولم يسأل بيت المقدس ولا مكاناً مخصوصاً معروفاً عند الناس ؟ .
 فالجواب عنه : ما رواه القرطبي في تفسيره : بأنه انما سأل الدنو من الارض المقدسة لشرفها ولم يسأل مكاناً معروفاً : خوفاً من ان يعبد ، ولا ينافي سؤاله الدنو من الارض المقدسة القول بأن قبره ببيت المقدس فانه سأل شيئاً أعطاه الله فوجه وهذا شأن الكريم يعطي فوق المطلوب ، واما صلاته في قبره فلم تكن بحكم التكليف بل بحكم الاكرام والتشريف لأن الانبياء عليهم السلام حجب اليهم في الدنيا عبادة الله تعالى والصلاة فكانوا يلزمون ذلك وتوافقوا عليه فشرّفهم الله تعالى بابقائهم على ما كانوا يصنعون ويحبون فله في الدنيا فعبادتهم إلهامية كعبادة الملائكة لا تكليف فيها .
 واما رأفته بهذه الامة فسيأتي طرف منها في قصة الاسراء .

﴿ ذكر السبب في ملك سيدنا داود عليه السلام ﴾

أقول - وبالله التوفيق - : لما توفي سيدنا موسى الكليم عليه السلام قام بعد وفاته بتدبير بني اسرائيل يوشع وهو من ذرية يوسف بن يعقوب عليهما السلام وبعمته الله نبياً وامره بقتل الجبابرة فتوجه ببني اسرائيل الى اريحا النور واحاط بها ستة اشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط السور فدخلوا وقتلوهم وهلبموا على الجبابرة فهزموهم وقتلوهم وكان يوم الجمعة

فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال : اللهم اردد الشمس عليّ وسأل الشمس ان تقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخوله السبت . فوقفت الشمس وزيد في النهار ساعة حتي قتلهم اجمعين . وتتبع ملوك الشام واستباحهم . وملك يوشع الشام وفرق عماله واستمر يدبر بني اسرائيل ثمانية وعشرين سنة . ثم توفي يوشع واه من العمر مائة وعشرون سنة ودفن في كفل حارث وهي قرية من اعمال نابلس ، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى . وقيل انه مدفون في المعرة .

ثم ولي على بني اسرائيل جماعة من الملوك واحد بعد واحد ولا حاجة الى ذكر اسمائهم لأن المراد هنا الاختصار .

ثم ولي عليهم شمويل عليه السلام وكان مولده بقرية يقال لها سيلوا . وقيل انها القرية المشتهرة الآن بالسيلة من اعمال جبل نابلس . وتنبأ بعد ان صار له من العمر اربعون سنة . فدبر شمويل بني اسرائيل احدى عشرة سنة ومنتهى هذه الاحدى عشرة سنة هي آخر سنني حكام بني اسرائيل وقضاتهم فيكون انقضاء سنني حكمهم في سنة ثلاث وتسعين واربعمئة لوفاة موسى عليه السلام .

ثم حضر بنو اسرائيل الى شمويل وسألوه ان يقيم فيهم ملكاً . فأقام فيهم شاول وهو طالوت بن قيس من سبط بنيامين ولم يكن طالوت من أعيانهم قيل : انه كان راعياً . وقيل : كان سقاء . وقيل : دباغاً . فملك طالوت سذتين واقتتل هو وجالوت . وكان جالوت من جبابرة الكنعانيين وكان ملكه بمجعات فلسطين وكان من الشدة وطول القامة بمكان عظيم .

فلما برزوا للقتال طاب طالوت داود عليه السلام . وكان اصغر بنى ابيه . وأمره بمبارزة جالوت بعد ان رأى فيه العلامة التي يستدل بها على انه هو الذي يقتل جالوت وهي دهن كان يستدير على رأس من يكون فيه السر ، واحضر أيضاً تنوراً حديداً وقال : الشخص الذي يقتل جالوت يكون ملاً هذا التنور فلما اعتبر داود ملاً

التنور واستدار الدهن على رأسه . ولما تحقق ذلك منه بالعلامة أمره طالوت ان يبارز جالوت فبارزه وقتل داود جالوت . وكان عمر داود إذ ذاك ثلاثين سنة . ثم بعد ذلك مات شمو بل فدفنه بنو اسرائيل في الليل وناحوا عليه . وكان عمره اثنين وخمسين سنة .

وأحب الناس داود ومالوا اليه بالحجة فحسده طالوت حسداً عظيماً وقصد قتله مرة بعد اخرى فهرب داود منه ولقي متحرزاً على نفسه . ثم ندم طالوت بعد ذلك على ما كان منه في حق داود على ما قصد من قتله . ثم ان طالوت قصد فلسطين للغزاة وقتلهم حتى قتل هو وأولاده في الغزاة فيكون موته في اواخر سنة خمس وتسعين واربع مائة لوفاة موسى عليه السلام .

ثم ملك بعد ذلك ولده اشريوش وكان ملكه على احد عشر سبطاً من بني اسرائيل وخرج من حكمه سبط يهوذا بن يعقوب فقط فملكوا عليهم سيدنا داود وهو من ذرية يهوذا المذكور .

ثم ملك عليهم جميعهم داود عليه السلام وهو داود بن يشي بن عوفيل بن يوعز بن سلمون بن مجشون بن عيناراب بن ردم ابن حضرون بن يارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان مقام داود بحبرون فلما استوثق له الملك ودخلت جميع الاسباط تحت طاعته وذلك في سنة ثمان وثلاثين من عمره انتقل الى القدس الشريف ، ثم فتح في الشام فتوحات كثيرة من ارض فلسطين وغيرها من الأقاليم .

وكان لقمان الحكيم على عهد داود عليه السلام وكان قاضياً في بني اسرائيل وآناه الله الحكمة ولم يكن نبياً وقبره بقرية صرفند ظاهر مدينة الرملة وعليه مشهد وهو مقصود للزيارة .

وقال قتادة : قبره بالرملة ما بين مسجدتها وسوقها .

وهناك قبور سبعين نبياً ماتوا بعد لقمان جوعاً في يوم واحد أخرجهم

بنو اسرائيل من القدس فاجأؤهم الى الرملة ثم احاطوا بهم هناك فتلك قبورهم .
ولقد آتى الله داود ما نص عليه في كتابه العزيز قال تعالى : (ولقد آتينا داود منا فضلاً) . يعني النبوة والكتاب . وقيل : الملك . وقيل : جميع ما أوتي من حسن الصوت وتلين الحديد وغير ذلك مما خص به . وقوله تعالى : (يا جبال أوّبي معه - أي سبّحي معه . وقيل : نوحى معه - والطير) . عطف على موضع الجبال . وقيل : معناه وسخرنا اي امرنا لطير ان يسبح معه ، فكان داود اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت عليه الطير من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك . وقيل : كان داود اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح .

وقوله تعالى : (وألنا له الحديد) حتى كان الحديد في يده كالشمع والمعجن يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة ، وكان السبب في ذلك : ان داود لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج للناس متنكراً فاذا رأى رجلاً لا يعرفه تقدم اليه يسأله عن داود ويقول له : ما تقول في داود واليكم هذا اي رجل هو ؟ فيثنون عليه ويقولون خيراً . فقيض الله له ملكاً على صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته وسأله فقال له الملك : نعم الرجل هو لولا خصلة واحدة فيه . فراع داود ذلك وقال له : ما هي يا عبد الله ؟ قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال ويتقوت به .

فتنبه لذلك وسأل الله ان يسبب له شيئاً يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله . قالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع . وهو اول من اتخذها . وقيل : انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم منه عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين . ويقال : انه كان يعمل في كل يوم درعاً يبيعه بستة آلاف درهم فينفق منها الفين على عياله وعلى نفسه ويتصدق بأربعة آلاف درهم على الفقراء والمساكين من بني اسرائيل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان داود لا يأكل إلا من عمل يده .

(ذكر قصة اوريا)

ولما صار لداود ثمان وخمسون سنة وهي السنة الثانية والعشرين من ملكه كانت قصته مع اوريا وزوجته وهي واقعة مشهورة وملخصها ما نقله المفسرون في قوله تعالى (وهل اتاك نبا الخضم إذ تسوروا المحراب . .) الآية . من قصة امتحان داود عليه السلام . واختلف العلماء باخبار الأنبياء في سببه فقال قوم : كان سبب ذلك انه تمنى يوماً من الأيام منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب فسأل ربه ان يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل ما اعطاهم فروي ان داود كان قد قسم الدهر ثلاثة ايام جعل يوماً يقضي فيه بين الناس ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه ويوماً لنسائه واشغاله .

وكان يجد فيما يقرأ من الكتب المتقدمة فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال يا رب ارني الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي . فأوحى الله تعالى اليه : انهم ابتلوا ببلايا لم تبطل بها انت فصبروا عليهم . ابتلى ابراهيم بنعروذ وناره وذبح ابنه اسحاق ، وابتلى اسحاق بالذبح وذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على فقد ولده يوسف . فقال داود : يا رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم لصبرت ايضاً . فأوحى الله اليه : اني مبتليك في شهر كذا في يوم كذا فاحترس . فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله فيه دخل داود محرابه واغلق عليه بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان وتمثل له في صفة حمامة من ذهب فيها كل لون حسن ، وقيل كان جناحها من الدر والزبرجد . فوقعت بين رجله فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويرها لبني اسرائيل ليعجبوا من قدرة الله تعالى . فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت عن مكانها . فتبعتها فطارت حتي وقعت في كوة فذهب

ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها فأبصر امرأة في بستان على شط بركة تغتسل وقيل رآها على سطح لها تغتسل فرأى امرأة من اجل الداس خلفاً فتعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنفظت شعرها فغطى بدنهما فزاده ذلك اعجاباً بها فسأل عنها فقبل له هي شارح زوجة اوريا ابن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع ايوب بن سوريا ابن اخت داود .

فذكر بعضهم انه كتب داود الى ابن اخته ايوب ان ابث اوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد . فبعثه وقدمه ففتح الله على يديه وكتب بذلك الى داود كتاباً يعلمه بما فتح على يديه .

فكتب له كتاباً ثانياً ان ابثه الى مكان كذا ليفتحه ايضاً . فبعثه ففتح له وكتب لداود بذلك .

فكتب له ثالثاً ان ابثه الى كذا وكذا . فبعثه ففتح . ثم بعثه الى مكان اشد منه فقتل في المرة الثالثة .

فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي ام سليمان عليهما السلام . فلما دخل داود بزوجة اوريا لم يلبث معها إلا يسيراً حتى بعث الله اليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته فطلبوا ان يدخلوا عليه فعنهما الحرس فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو يصلي في المحراب إلا وهما جالسان بين يديه . يقال انهما جبريل وميكائيل . فذلك قوله تعالى : (وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) صعدوا وعلوا يقال تسورت الحائط والسور اذا علوتهما وقوله تعالى : (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) خاف منهم حين هجموا عليه في محرابه بغير اذنه فقال : ما ادخلكما علي ؟ (قالوا لا تخف خصمان - اي نحن خصمان - بنى بعضنا على بعض جئناك لتقضي بيننا فأحكم بيننا بالحق ولا تشطط - اي لا تجر - واهدنا الي سواء الصراط) اي ارشدنا الى طريق الصواب .

فقال داود لهما : تكلموا . (فقال احدهما ان هذا اخي - أي على ديني وطريقي - له تسم وتسمون نعمة - يعني امرأة - ولي نعمة واحدة - أي امرأة واحدة والعرب تكني بالنعمة عن المرأة - فقال اكفلنيها - يعني طلقها لأتزوجها - وعزني - أي غلبني - في الخطاب - أي في القول -) . وقيل : قهرني لقوة ملكه . وهذا كله تمثيل لأمر داود مع اوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسمون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضعها إلى نسائه .

قال داود : (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيراً من الخاطئاء - أي الشركاء - ليبنني بعضهم على بعض - أي يظلم بعضهم بعضاً - إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - فإنهم لا يظلمون أحداً - وقيل ما هم) - أي قليل هم ، يعني الصالحون الذين لا يظلمون قليل .

فلما قضى بينهما داود نظر احدهما إلى الآخر وضحك وصعدا إلى السماء . فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه وذلك قوله تعالى : (وظن داود - أي أيقن وعلم - إنما فتناه) أي ابتليناه .

عن ابن عباس وكمب ووهب قالوا جميعاً : ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملوك وقضى بينهما فتحولاً إلى صورتهما وعرجا إلى السماء فسمعهما وهما يقولان : قد قضى الرجل على نفسه . فعلم داود انه غني بذلك فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لوقت حاجة أو أداء صلاة مكتوبة ثم يعود ساجداً إلى تمام الأربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو يناجي ربه ويسأله النوبة . وكان من جملة دعائه في سجوده : سبحان الملك الأعظم الذي يبطل الخلق بما يشاء ، سبحان خالق النور ، إلهي خلقت بيني وبين عدوي ابليس فلم اقم لفتنته إذ نزلت بي ، سبحان خالق النور ، إلهي انت الذي خلقتني وكان في سابق علمك ما انا اليه صائر ، سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء ، سبحان خالق النور ، إلهي بأي

عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي ، سبحان خالق النور
إلهي بأي قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطئين ، سبحان خالق
النور ، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده ، سبحان خالق
النور ، إلهي أنا الذي لا اطيع حر شمسك فكيف اطيع حر نارك ، سبحان خالق
النور ، إلهي أنا الذي لا اطيع اسمع صوت رعدك فكيف اطيع صوت جهم ،
سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي اصابه ، سبحان
خالق النور ، إلهي أنا الذي اعترفت بذنبي ان لم يغفر السيد لعبده من ذا الذي
يفغره ، سبحان خالق النور ، إلهي انت تعلم سري وعلايتي فاقبل عذري ،
سبحان خالق النور ، إلهي برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني
سبحان خالق النور ، إلهي اعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني ،
سبحان خالق النور ، إلهي أقررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني
من الثائنين ولا تخزني يوم الدين . سبحان خالق النور

قال مجاهد : مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت العشب من
دموع عينيه وغطى رأسه فنودي يا داود أنجائع فتطعم أم ظمآن فتسقى او عارفتكسي
فاجيب بغير ما طلب قال : فنحب نجبة هاج منها المود فاحترق من حر جوفه ثم انزل
الله التوبة والمغفرة .

قال وهب : ان داود أتاه نداء من العلي الأعلى : اني قد غفرت لك . قال :
يا رب كيف وانت لا تظلم احداً ؟ قال : يا داود اذهب الى قبر اوريا فناده وانا
اسمعه نداءك فتدخل منه .

قال : فانطلق داود الى قبر اوريا وكان قد لبس المسوح حتى جلس عند قبر
اوريا ثم نادى وقال يا اوريا . فقال : لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني ؟
قال : انا داود . قال : فما حاجتك يا نبي الله ؟ قال : جئت لأسألك ان تجعلني

في حل مما كان مني اليك . قال ! وما كان منك إلي ؟ قال : عرضتك للقتل . قال : عرضتني للجنة فأنت في حل مني .

فأوحى الله تعالى اليه : يا داود ألم تعلم اني الحكم العدل لا اقضي بالتعنت لم لا أعلمته انك قد تزوجت بامرأته ؟ . قال : فرجع داود الى القبر ونادى : يا اوريا . فأجابه وقال : من هذا الذي قطع علي لذتي ؟ قال : أنا داود . قال : يا نبي الله أأنت قد حالتك وعفوت عنك ؟ قال نعم ولكنني ما ارسلتك حتى قتلت إلا لمكان امرأتك وقد تزوجت بها ومرادي تحاللي بذلك . قال فسكت ولم يجبه . فدعاه فلم يجبه . وثالثاً فلم يجبه . فقام داود عند قبره وجعل يبكي ويحشو التراب على رأسه وهو ينادي الويل لداود اذا نصب الميزان غداً بالقسطاس سبحان خالق النور . الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار : سبحان خالق النور .

فأتاه النداء من العلي وهو يقول : سبحان خالق النور . يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك . قال : يا رب كيف وخصمي لم يعف عني ؟ قال : يا داود اعطيه من الثواب ما لم تره عيناه يوم القيامة ولم تسمعه اذناه فأقول له رضى عبدي فيقول يا رب اني لي هذا ولم يبلغه عملي ؟ فأقول هذا هوض عن عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي .

قال : يا رب قد عرفت الآن انك قد غفرت لي . وذلك قوله تعالى : (فاستغفر ربه وخر راكعاً - اي ساجداً عبر عن السجود بالكوع لأن كل واحد فيه انحناء وممناء فخر بعد ما كان راكعاً اي سجد - واناب * - اي رجع - فغفرنا له ذلك - يعني ذلك الذنب - وان له عندنا لثقي وحسن مآب) حسن مرجع ومنقلب يوم القيامة بعد المغفرة .

قال وهب : ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ

دمعه ليلاً ولا نهاراً وكان قد أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد تلك الخطيئة على أربعة أيام جعل يوماً للقضاء بين الناس ويوماً لنسائه ويوماً يسبح في القيافي والجبال والسواحل والاعوار ويوماً يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه وهم يساعدونه على ذلك فإذا كان يوم سياحته يخرج في القيافي فيرفع صوته بالمزامير فتبكي معه الأشجار والاعوار والرمل والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطيور والدواب حتى تسيل الأودية من بكائهم ، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطيور الماء والسباع فإذا امسى رجع .

فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه : ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويحيى أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم المصي فيجلسون في تلك المحاريب . ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تفرق الفرش من دموعه وبقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ، فيأخذ داود من تلك الدموع بكنية ثم يمسح بها وجهه ويقول : يا رب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود يبكاء أهل الدنيا لعدله .

قال وهب : ما رفع داود رأسه حتى قال له الملك ناول امرك ذنب وآخره معضنة ارفع رأسك . فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماءً إلا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاماً إلا بله بدموعه

وذكر الأوزاعي مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان مثل عيني داود كالتربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد المساء في الأرض .

قال وهب : لما تاب الله على داود قال يا رب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها لي وللخاطئين الى يوم القيامة . قال : فوسم الله خطيئته في يده اليمنى ، فما رفع طعاماً ولا شراباً إلا بكى اذا رآها ، وما قام خطيباً في الناس إلا بسط راحتيه فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته واستغفر للخاطئين قبل نفسه .

وعن الحسن : كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين يقول تعالى الى داود الخاطيء . ولا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه . وكان يجعل خبز الشمير اليابس في قصته فلا يزال يبكي حتى تبطل بدموع عينيه ، وكان يذرع عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين. وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله ، وكان اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله ، واذا ذكر رحمة الله تراجعت . وفي القصة ان الوحوش والطير كانت تسمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته ، فروي انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك .

﴿ ذكر بناء سيدنا داود عليه السلام مسجد بيت المقدس ﴾

عن رافع بن حميرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى لداود : يا داود ابن لي بيتاً في الأرض . فبنى داود بيتاً لنفسه قبل البيت الذي أمره الله تعالى به . فأوحى الله تعالى اليه : يا داود بنيت بيتك قبل بيتي ؟ قال : اي رب هكذا قلت فيما قضيت من ملك استأثر . ثم اخذ في بناء المسجد - يعني بيت المقدس - .

وعن وهب : لما تاب الله عز وجل على داود عليه السلام وكان قد بنى مدائن كثيرة وصلحت امور بني اسرائيل احب ان يبني بيت المقدس وعلى الصخرة قبلة في الموضع الذي قدسه الله تعالى في ايليا وكان قد حسنت حال بني اسرائيل

وملأوا الشام وضافت بهم فلسطين وما حولها فأحب داود عليه السلام ان يعلم عددهم فأمر باحصائهم على انسابهم وقبائلهم فكثرت عليهم فلم يطيقوا احصاءهم .
وروي ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام لما كثر طغيان بني اسرائيل اني اقسمت بعزتي لأبتلينهم بالقحط سنتين أو اسلط عليهم العدو شهرين أو الطاعون ثلاثة أيام فجمعهم داود وخبرهم بين احدى الثلاث . فقالوا : انت نبينا وانت أنظر الينا من انفسنا فاختر لنا . فقال : اما الجوع فانه بلاء فاضح لا يصبر عليه أحد واما العدو والموت فاني اخبركم ان اخترتم تسليط العدو فانه لا بقية لكم والموت بيد الله تعالى تموتون بأجالكم في بيوتكم ففوضوا ذلك الى الله تعالى فهو ارحم بكم .

فاختار لهم الطاعون وامرهم ان يتجهزوا له ويلبسوا اكفانهم ويخرجوا نساءهم وإماءهم واولادهم أمامهم وهم خلفهم على الصخرة والصعيد الذي بني عليه مسجد بيت المقدس وهو يومئذ صعيد واحد . ففعلوا ثم نادوا : يا رب اللهم انك أمرتنا بالصدقة وانت تحب المتصدقين فتصدق علينا برحمتك ، اللهم انك أمرتنا بعق الرقاب فنسألك برحمتك ان تعتقنا اليوم ، اللهم وقد أمرتنا ان لا نرد السائل اذا وقف على ابوابنا وقد جئناك سائلين فلا تردنا . ثم خروا سجداً من حين طلوع الصبح .

فسلط الله عليهم الطاعون من ذلك الوقت الى ان زالت الشمس ثم رفعه عنهم . ثم أوحى الله الى داود عليه السلام : ان ارفعوا رؤوسكم فقد شفعتك فيهم . فرفع داود رأسه ثم نادى : ان ارفعوا رؤوسكم . فرفعوا رؤوسهم وقد مات منهم مائة الف وسبعون الف اصابهم الطاعون وهم سجدوا فنظروا الى الملائكة يمشون بينهم بأيديهم الخناجر .

ثم عمد داود عليه السلام وارتقى الصخرة رافعاً يديه يحدث الله شكراً . ثم انه جمع بني اسرائيل بعد ذلك وقال : ان الله سبحانه وتعالى قد رحمكم وعفا

عنكم فأحدثوا لله شكراً بقدر ما ابتلاكُم . فقالوا له : مرنا بما شئت قال : اني لا أعلم
أمراً ابلغ في شكركم من بناء مسجد على هذا الصعيد الذي رحمكم الله عليه
فنبنيه مسجداً تعبداً لله فيه وتقدسوه أنتم ومن بعدكم . قالوا : نفعل . وسأل
داود ربه فأذن له . واقبلوا على بنائه .

وروي ان الله تعالى لما امر داود عليه السلام أن يبني مسجد بيت المقدس
قال : يارب وأين ابنيه ؟ قال : حيث ترى الملك شاهراً سيفه . قال : فرآه داود
في ذلك المكان فأسس قواعده ورفع حائطه . فلما ارتفع أنهدم ، فقال داود :
يارب امرتني ان ابني لك بيتاً فلما ارتفع هدمته . فقال : يا داود انما جعلتك
خليفة في خلقي فلم اخذت المكان من صاحبه بغير إذن ؟ انه سينيه رجل
من ولدك .

وحكي في معنى هذا الأثر أن المكان كان لجماعة من بني اسرائيل ولكل
واحد منهم فيه حق فطلبه داود منهم فأنعم به البعض باللفظ والبعض بالسكوت
ففهم داود من الساكتين الرضا وكان بعضهم غير راض في الباطن . فحمل داود
الأمر على ظاهره فبناء .

فجاء بعض اصحاب الحق الى بني اسرائيل وقال لهم انكم تريدون ان
تبنوا على حقي وأنا مسكين وانه موضع بيدري اجمع فيه طعامي فأرتفق بحمله
الى منزلي لقربه فان بنيتهم عليه أضرتهم بي فانظروا في أمري . فقالوا له : كل
من بني اسرائيل له مثل حقت وانت ابخلهم فان اعطيته طوعاً وإلا أخذناه على كره
منك . فقال : أتجدون هذا في حكم داود ؟ ثم انطلق وشكاهم اليه . فدعاهم وقال
لهم : تريدون ان تبنوا بيت الله بالظلم ما أراكم يا بني اسرائيل تستكينون
لله عز وجل ولا أرى إلا ان البلاء يضغطكم .

ثم قال له داود : أتعطيك نفسك على حقت فتبيمه بحكمك ؟ فقال : ما تعطيني ؟
قال : املاء لك إن شئت غنما وإن شئت بقرأ وإن شئت إبلا . فقال : يا بني الله

زدني فأما تشتريه الله عز وجل فلا تبخل علي . فقال داود : احتكم فانك لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك . فقال : ابن لي حائطاً قدر قامتى ثم املاهُ لي ذهباً . فقال له داود عليه السلام : نعم ، وهو في الله قليل .

فالتفت الرجل الى بني اسرائيل فقال : هذا والله النائب الصادق المخلص ، ثم قال : يا بني الله قد علم الله عز وجل مني لمغفرة ذنب من ذنوبي وذنوب هؤلاء أحب إلي من مليء الارض ذهباً فكيف يظن هؤلاء اني ابخل عليهم وعلى نفسي بما ارجو به المغفرة لذنوبي وذنوبهم ولكني جربتهم رحمة لهم وشفقة عليهم وقد جعلته الله .

فأقبلوا على عمل مسجد بيت المقدس وباشر داود العمل بنفسه وجعل ينقل الحجر على عاتقه ويضعه بيده في موضعه ومعه احبار بني اسرائيل . وروي ان داود لما ابتدأه ورفعته قامت رجل أوحى الله اليه : اني لم اقض ذلك على يديك ولكن ابن لك الملك بعدك اسمه سليمان اقضي اتمامه على يديه . وتوفي داود عليه السلام قبل اتمامه وله سبعون سنة . وقيل : غير ذلك . وانزل الله عليه الزبور وهو مائة وخمسون سورة بالعبرانية في خمسين منها ما يلقونه من بخت نصر ، وفي خمسين منها ما يلقونه من الروم ، وفي خمسين مواضع وحكم . ولم يكن فيه حلال ولا حرام ولا حدود ولا احكام .

وكانت وفاته في يوم السبت اواخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى «ع» وملك داود اربعين سنة واوصى قبل موته بالملك الى سليمان ولده واوصاه بعمارة بيت المقدس وعين لذلك عدة بيوت أموال تحتوي على جل كثيرة من الذهب . وعن كعب ووهب : ان داود عليه السلام أعد لبناء بيت المقدس مائة الف بدره ذهباً والى الف بدره ورقاً وثلاثمائة الف دينار لطلاء البيت وذكر أن هذا مال لا تقي به المعادن .

قال وهب : دفن داود بالكنيسة المعروفة بالجيسمانية شرقي بيت المقدس

في الوادي . ويقال ان قبر داود عليه السلام بكنيسة صهيون وهي التي بظاهر القدس من جهة القبلة بأيدي طائفة الافرنج لأنها كانت داره ، وفي كنيسة صهيون المذكورة موضع تعظمه النصارى ، ويقال ان قبر داود فيه . وهذا الموضع هو الآن بأيدي المسلمين .

وسنذكر ما وقع في ذلك في عصرنا من التنازع بين المسلمين والنصارى فيما بعد في حوادث سنة خمس وتسعين وثمانمائة إن شاء الله تعالى .

﴿ ملك سليمان عليه السلام ﴾

لما توفي داود ملك ابنه سليمان وعمره اثنتا عشرة سنة ، ومولد سليمان بغزة . وآتاه الله من الحكمة والعلم والملك ما لم يؤته لأحد سواه على ما أخبر الله عز وجل به في محكم كتابه العزيز فأطاع له الله الانس والجن والشياطين والرياح والطيور والوحوش والهوام وكل المخلوقات على اختلاف أجناسها فصبحان المتفضل بما شاء على من شاء .

﴿ بناء سليمان عليه السلام مدينة بيت المقدس ومسجدها ﴾

لما كان في السنة الرابعة من ملكه في شهر أيار وهي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ابتداء سليمان عليه السلام في عمارة بيت المقدس حسبما تقدم به وصية أبيه إليه .

وكانت مدينة بيت المقدس في زمن بني اسرائيل عظيمة البناء متسعة العمران وكانت اكبر من مصر ومن بغداد على ما يوصف فيقال أن العمارة والمنازل كانت متصلة من جهة القلة الى القرية المعروفة يومئذ بدير السنة ومن جهة الشرق الى جبل طور زيتا واستمرت العمارة بطور زيتا الى حين الفتح العمري ومن جهة الغرب الى ماء ملا ومن جهة الشمال الى القرية التي بها قبر النبي شمويل صلى الله عليه وسلم

واسمها عند اليهود رامة ومسافتها عن بيت المقدس تقرب من ريم يريد فعمارة داود وسليمان عليهما السلام لمدينة القدس انما هي تجديد البناء القديم .

وتقدم في اول الكتاب ذكر أول من بنى المدينة وعمرها واختطها وانه سام ابن نوح عليهما السلام وكان محل المسجد بين عمران المدينة وهو صعيد واحد والصخرة الشريفة قائمة في وسطه . حتى بناه داود ثم سليمان عليهما السلام .

وكان من خبر ذلك ما روي أن الله عز وجل لما اوحى الى سليمان « ع » ان ابن بيت المقدس جمع حكام الانس والجن وغفريت الأرض وعظماء الشياطين وجعل منهم فريقاً يبنون وفريقاً يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام وفريقاً يفوصون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان وكان في الدر ما هو مثل بيضة النعامة وبيضة الدجاجة واخذ في بناء بيت المقدس وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضاً وأزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطاً فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فلم يثبت البناء فأمر بهدمه ثم حفر الأرض حتى بلغ الماء فأسمه على الماء والقوا فيه الحجارة فكان الماء يلفظها فدعا سليمان عليه السلام الحكماء الاحبار ورؤسهم آصف بن برخيا واستشارهم فقالوا : إنا نرى ان نتخذ قللاً من نحاس ثم نملأها حجارة ثم نكتب عليها الكتاب الذي في خاتمك ثم نلقي القلال في الماء . وكان الكتاب الذي على الخاتم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله :

ففعلوا فثبتت القلال فألقوا المؤن والحجارة عليها وبنى حتى ارتفع بناؤه وفرق الشياطين في انواع العمل فدأبوا في عمله وجعل فرقة منهم يقطعون معادن الياقوت والزمرد ويأتون بأنواع الجواهر وجعل الشياطين صفاً مرصوصاً من معادن الرخام الى حائط المسجد فاذا قطعوا من المعادن حجراً أو اسطوانة تلقاه الأول منهم ثم الذي يليه ويلقيه بمضهم الى بعض حتى ينتهي الى المسجد وجعل فرقة لقطع الرخام الابيض الذي منه ما هو مثل بياض اللبن بمعدن يقال له السامور

والذي دلهـم على معدن السامور عفريت من الشياطين كان في جزيرة من جزائر البحر فدلوا سليمان عليه السلام عليه فأرسل اليه بطابع من حديد وكان خاتمه يرسخ في الحديد والنحاس فيطبع الى الجن بالنحاس والى الشياطين بالحديد ولا يجيبه اقصام إلا بذلك وكان خاتماً تزل عليه من السماء حلقة بيضاء وطابعه كالبرق لا يستطيع احد ان يملاً بصره منه فلما وصل الطابع الى العفريت وجيء به قال له هل عندك من حيلة أقطم بها الصخر فاني اكره صوت الحديد في مسجدنا هذا والذي امرنا الله به من ذلك الوقار والسكينة .

فقال له العفريت : اني لا اعلم في السماء طيراً أشد من العقاب ولا اكثر حيلة منه وذهب يبتغي وكر عقاب فوجد وكرأ ففطى عليه بترس غليظ من حديد فجاء العقاب الى وكره فوجد الترس فبحته برجله ليزحه أو ليقطعه فلم يقدر عليه فحلقت في السماء ولبت يومه وليلته ثم اقبل ومعه قطعة من السامور فتفرقت عليه الشياطين حتى اخذوها منه واتوا بها الى سليمان عليه السلام وكان يقطع بها الصخرة العظيمة .

وكان عدد من عمل معه في بناء بيت المقدس ثلاثين الف رجل وعشرة آلاف يتراوون عليهم قطع الخشب في كل شهر عشرة آلاف خشبة . وكان الذين يعملون في الحجارة سبعين الف رجل وعدد الامناء عليهم ثلثمائة غير المسخرين من الجن والشياطين . وعمل فيه سليمان عليه السلام عملاً لا يوصف وزينه بالذهب والمضة والدر والياقوت والمرجان وانواع الجواهر في سمائه وارضه وابوابه وجدرانها واركانه ما لم ير مثله وسقفه بالعود البلينجوج وصنع له مائتي سكرة من الذهب وزن كل سكرة عشرة ارطال واوّلج فيه تابوت موسى وهارون عليهما السلام .

ولما فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس انبت الله شجرتين عند باب الرحمة احدهما تنبت الذهب والاخرى تنبت الفضة فكان في كل يوم ينزع من كل واحدة مائتي رطل ذهباً وفضة . وفرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من

فضة فلم يكن يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر .

وكانت صخرة بيت المقدس أيام سليمان عليه السلام ارتفاعها اثني عشر ذراعاً وكان الذراع ذراع الأمان ذراعاً وشبراً وقبضة وكان ارتفاع القبة التي عليها ثمانية عشر ميلاً ، وروي اثني عشر ميلاً . وفوق القبة غزال من ذهب بين عينيه درة او ياقوتة حمراء تغزل نساء البلقاء على ضوءها بالليل - وهي فوق مرحلتين من القدس - .

وكان اهل عمواس يستظلون بظل القبة اذا طلعت الشمس من المشرق وعمواس بفتح الميم وسكونها وهي التي سمي بها الطاعون على الراجح لأنه منها ابتداء وكان في سنة ثمانى عشرة من الهجرة وهي بالقرب من رملة فلسطين مساقها عن بيت المقدس نحو بريد ونصف .

واذا غربت الشمس استظل بها اهل بيت الرامة وغيرهم من النور ومساقها عن بيت المقدس أبعد من عمواس .

قال بعض المؤرخين: وعمل خارج البيت سوراً محيطاً امتداده خمسمائة ذراع في خمسمائة ذراع وأقام سليمان في عمارة بيت المقدس سبع سنين .

وفرغ منه في السنة الحادية عشر من ملكه . فيكون الفراغ من عمارة بيت المقدس في اواخر سنة ست واربعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام : وكان من هبوط آدم عليه السلام الى ابتداء سليمان ببناء بيت المقدس اربعة آلاف واربعمائة واربع عشرة سنة .

وبين عمارة بيت المقدس والهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام ألف وثمانمائة سنة كاملة وقريب ستين ، فيكون الماضي من عمارة بيت المقدس على يد سليمان الى عصرنا هذا وهو اواخر ذي الحجة ختام عام تسعمائة : الفين ومبعمائة سنة وقريب ستين .

واما بناء مدينة القدس الأول فقد تقدم ان اول من بناها سام بن نوح وكانت وفاته بعد الطوفان بخمسائة سنة ومن وفاة سام الى بناء سليمان بيت المقدس الف وستائة واثمان وسبعون سنة ، وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربع وسبعون سنة . فيكون الماضي من وفاة سام الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة اربعة آلاف وثلاثمائة واربعاً وسبعين سنة . فيعلم من ذلك تاريخ بناء بيت المقدس الاول تقريباً والله أعلم .

وملخص القول : ان من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان الفين ومائتين واثنتين واربعين سنة ومن الطوفان الى وفاة سام بن نوح خمسمائة سنة ومن وفاة سام الى بناء سليمان بيت المقدس الفاً وستائة واثنتين وسبعين سنة ، ومن بناء سليمان الى الهجرة الشريفة الفاً وثلاثمائة وقريب ستين ، ومن الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة .

فهذه المدة التي تقدم ذكر تفصيلها قبل ذلك في اماكن متفرقة ، وجلتها : من هبوط آدم الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة سبعة آلاف سنة ومائة سنة وستة عشر سنة على اختيار المؤرخين كما تقدم عند ذكر سيدنا آدم عليه السلام . والخلاف في ذلك كثير . ويأتي ذكر بناء مدينة سيدنا الخليل عليه السلام وأول من اختطها فيما بعد إن شاء الله .

ولما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً : سأله حكماً يوافق حكمه ، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وسأله ان لا يأتي هذا المسجد احد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه . ولهذا كان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يأتي بيت المقدس فيصلي ركعتين ثم يخرج ولا يشرب فيه كأنه يطلب دعوة سليمان .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ان سليمان ابن داود «ع» سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجو ان يكون قد اعطاه الثالثة سأله حكماً

يصادف حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه ، وسأله
أيما رجل يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد ان يخرج من خطيئته
كيوم ولده امه : فنحن نرجو ان يكون قد اعطاه إياه .

ولما رفع سليمان عليه السلام يده من البناء بعد الفراغ منه واحكامه جمع
الناس واخبرهم انه مسجد لله تعالى وهو أمره بينائه وان كل شيء فيه لله تعالى
من انتقصه أو شيئاً منه فقد خان الله تعالى وان داود عهد اليه بينائه واوصاه
بذلك من بعده . ثم اتخذ طعاماً وجمع الناس جمعاً لم ير مثله قط ولا طعاماً اكثر
منه ، ثم امر بالقرابين فقربت الى الله تعالى وجعل القرابين في رحبة المسجد وميز
تورين واوقفهما قريباً من الصخرة ثم قام على الصخرة فدعا بدعائه المتقدم ذكره
وزاد عليه زيادة وهي :

اللهم انت وهبت لي هذا الملك مناً منك وطولاً علي وعلى والدي وأنت
ابتدأتني وإياه بالنعمة والكرامة وجعلته حكماً بين عبادك وخليفة في ارضك وجعلتني
وارثه من بعده وخليفة في قومه وانت الذي خصصتني بولاية مسجدك هذا
واكرمتني به قبل ان تخلقني فلك الحمد على ذلك ولك المن ولك الطول اللهم اني
أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال :

أن لا يدخل اليه مذنب لا يعمده إلا لطلب التوبة ان تتقبل منه توبته وتغفر له .
ولا يدخله خائف لا يعمده إلا لطلب الأمن من ان تؤمنه من خوفه وتغفر
له ذنبه .

ولا يدخله سقيم لم يعمده إلا لطلب الشفاء ان تشفي سقمه وتغفر له ذنبه .
ولا يدخله مقحط لا يعمده إلا للاستسقاء ان تسقي بلاده .
وان لا تصرف بصرك عن من دخله حتى يخرج منه .

اللهم ان اجبت دعوتي واعطيتني مسألتي فاجعل علامة ذلك أن تتقبل قرباني

فتقبل القربان ، ونزلت نار من السماء فأمتدت ما بين الالفين ثم امتد عنق منها فأخذ القربان وصعد به الى السماء .

وروي : ان نبي الله سليمان عليه السلام لما فرغ من بنائه ذبح ثلاثة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاة ، ثم اتى الى المسكان الذي في مؤخر المسجد مما يلي باب الاسباط وهو الموضع الذي يقال له كرسي سليمان وقال : اللهم من أتاه من ذي ذنب فأغفر له أو ذي ضرر فأكشف ضرره . فلا يأتيه احد إلا اصاب من دعوة سليمان عليه السلام .

وهذا الموضع الذي هو معروف بكرسي سليمان من الأماكن المعروفة باجابة الدعاء وهو داخل القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الدويدارية .

ورتب له سليمان عشرة آلاف من قراء بني اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار حتى لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا والله تعالى يعبد فيه .

وكان سليمان عليه السلام اذا دخل مسجد بيت المقدس - وهو ملك الارض - يقلب بصره ليرى أين يجلس المساكين من العمى والخرس والمجذومين فيدع الناس ويجلس معهم متواضعاً لا يرفع طرفه الى السماء ثم يقول : مسكين مع المساكين . وروي ان مفتاح بيت المقدس كان يكون عند سليمان عليه السلام لا يأمن عليه احداً . فقام ذات ليلة ليفتحه فصعب عليه فاستعان عليه بالانس فعرس عليهم ثم استعان عليه بالجن فعرس عليهم ، فجلس كثيراً حزينا يظن ان ربه قد منعه منه . فبينما هو كذلك إذ اقبل شيخ يتكلم على عصا له وقد طعن في السن - وكان من جلساء داود عليه السلام - فقال يا نبي الله أراك حزينا ؟ فقال : قمت الى هذا الباب لأفتحه فعرس علي فاستمعت عليه بالانس والجن فلم يفتح .

فقال الشيخ : ألا اعلمك كلمات كان ابوك يقولهن عند كربه فيكشف الله عنه ؟ قال : بلى . قال : قل : اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك اصبحت وامسيت ذنوبي بين يديك استغفرك واتوب اليك يا حنان يا منان . فلما قالها فتح له الباب .

فيستحب ان يدعوا الزائر وغيره بهذا الدعاء اذا دخل من باب الصخرة. وكذلك من باب المسجد .

ومن المعجائب التي كانت ببيت المقدس : السلسلة التي جعلها سليمان بن داود عليهما السلام معلقة من السماء الى الارض شرقي الصخرة مكان قبة السلسلة الموجودة الآن وفيها يقول الشاعر :

لقد مضى الوحي ومات العلا وارتفع الجود مع السلسلة
وكانت هذه السلسلة لا يأتيها رجلان إلا نالها الحق منهما ، ومن كان مبطلا
ارتفعت عنه فلم ينلها .

وملخص حكايتها مع اختلاف فيه : ان رجلا يهودياً كان قد استودعه رجل مائة دينار . فلما طلب الرجل وديعته جحد ذلك اليهودي ، فترافعا الى ذلك المقام عند السلسلة فأخذ اليهودي بمكره ودهائه فسبك تلك الدنانير وحفر جوف عصاه وجعلها فيها . فلما أتى ذلك المقام دفع العصا الى صاحب الدنانير وقبض على السلسلة ثم حلف بالله لقد أعطاه دنانيره ، ثم دفع اليه صاحب الدنانير العصا واقبل حتى اخذ السلسلة فحلف انه لم يأخذها منه ومس كلاهما السلسلة فعجب الناس من ذلك فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم لخبط الطويات . وحكي غير ذلك .

وجعل سليمان عليه السلام تحت الأرض بركة وجعل فيها ماء وجعل على وجه ذلك الماء بساطاً ومجلس رجل جليل أو قاض جليل فمن كان على الباطل اذا وقع في ذلك الماء غرق ومن كان على الحق لم يغرق .

ومن المعجائب التي كانت أيضاً في بيت المقدس في الزمان الأول ما حكاه صاحب مثير الغرام ان الضحالك بن قيس صنع به عجائب :

الاولى : انه صنع به في ذلك الزمان ناراً عظيمة اللهب فمن عصى الله في تلك الليلة احرقته تلك النار حين ينظر اليها .

والثانية : من رمى بيت المقدس بنشابة رجعت النشابة اليه .

والثالثة : وضع كلباً من خشب على باب بيت المقدس فمن كان عنده شيء من السحر اذا مر بذلك الكلب نبح عليه فاذا نبح عليه نسي ما عنده من السحر .
والرابعة : وضع ياباً فمن دخل منه اذا كان ظالماً من اليهود ضغطه ذلك الباب حتى يعترف بظلمه .

والخامسة : وضع عصا في محراب بيت المقدس فلم يقدر احد يمس تلك العصا إلا من كان من ولد الأنبياء ومن كان سوى ذلك احرقت يده .

والسادسة : كانوا يحبسون اولاد الملوك عندهم في محراب بيت المقدس فمن كان من اهل المملكة اذا اصبح اصابوا يده مطلية بالدهن .

وكان ولد هارون يجيئون الى الصخرة ويسمونهم الهيكل بالعبراية وكانت تنزل عليهم غين زيت من السماء فتدور في القناديل فتعلاها من غير ان تمس . وكانت تنزل نار من السماء فتدور على مثال منبع على جبل طور زيتا ثم تمتد حتى تدخل من باب الرحمة ثم تصير على الصخرة فيقول ولد هارون : تبارك الرحمن لا إله إلا هو .

فغفلوا ذات ليلة عن الوقت الذي كانت تنزل النار فيه فنزلت وليس هم حضوراً ثم ارتفعت النار . فجاءوا فقال الكبير للصغير : يا أخي قد كتبت الخطيئة أي شيء ينجينا من بني اسرائيل ان تركنا هذا البيت الليلة بلا نور ولا سراج ؟ فقال الصغير للكبير : تعال حتى تأخذ من نار الدنيا ففسرج القناديل لئلا يبق هذا البيت في هذه الليلة بلا نور ولا سراج . فأخذ من نار الدنيا واسرجاً فنزلت عليهما النار في ذلك الوقت فأحرقت نار السماء نار الدنيا واحرقت ولدي هارون .

فناجى نبي ذلك الزمان فقال : يا رب احرقت ولدي هارون وقد علمت مكانهما . فأوحى الله تعالى اليه : هكذا افعل بأوليائي اذا عصوني فكيف افعل بأعدائي .

﴿ طلسم الحيات ﴾

قال الحافظ بن عساكر : قرأت في كتاب قديم فيه : وفي بيت المقدس حيات عظيمة قاتلة إلا أن الله تعالى قد تفضل على عباده بمسجد على ظهر الطر أخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كنيسة هناك تعرف بقمامة وفيه اسطواذ كبيرتان من حجارة على رأسهما صور حيات يقال انها طلسم لها ففتى لسمت انه حية في بيت المقدس لم تضره شيئاً وان خرج عن بيت المقدس شبراً من الأرض مات في الحال ودواؤه من ذلك ان يقيم في بيت المقدس ثلاثمائة وستين يوماً خرج منه وقد بقي من المدة يوم واحد هلك .

وذكر الهروي أيضاً نحو هذا في كتاب الزيارات له قال صاحب مثير الله رحمه الله : وقد اخبرني الفقيه شمس الدين محمد بن علي بن عقبة وهو عدل فاثقة ان ذلك اتفق لشخص سماه هو والسيت اسمه كان يلعب بالحيات فلدغته فخرج من المقدس فمات وهذا يؤيد ما ذكرناه .

قلت : وهذا المسجد معروف وهو بحارة النصارى بالمقدس الشريف بمحو كنيسة قمامة من جهة الغرب عن يمنة السالك من درج القمامة الى الخانقاه الصلاه والذي يظهر ان طلسم الحيات بطل منه والله أعلم .

ولما انتهت عمارة مسجد بيت المقدس شرع سليمان في بناء دار مملكه بالمقدس الشريف واجتهد في عمارتها وتشبيدها ، وفرغ منها في مدة ثلاث عشرة سنة ، وانتهت عمارتها في السنة الرابعة والعشرين من ملكه .

﴿ قصة بلقيس ﴾

وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكة اليمن ومن وقفتها معه مشهورة وملاخصها : ان سيدنا سليمان عليه السلام لما فرغ من بيت المقدس عزم على الخروج الى مكة . فتجهز للسير واستصحب من الجن والالاف

والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ فحصلتهم الريح .
فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله . ان يقيم ، وكان ينجر كل يوم - طول
مقامه بمكة - خمسة آلاف ناقصة ، ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة .
وقال لمن حضره من اشراف قومه : هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا
وكذا يعطى النصر على من عاداه ، وتبلغ هيئته مسيرة شهر ، القريب والبعيد عنده
في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم .

قالوا : فبأي دين يدين يا نبي الله ؟ قال : بدين الحنيفية فطوبى لمن آمن به
وادركه . فقالوا : كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله ؟ قال : مقدار الف عام فليبلغ
الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل .

فأقام بمكة حتى قضى نسكه ، ثم . رج من مكة صباحاً وسار حتى لحق اليمن
فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضاً حسناء تزهو خضرتها
فأحب النزول بها ليتفدى ويصلي .

وكان الهدهد دليل سليمان على الماء فانه كان يعرف موضع الماء ويراها تحت
الارض كما يرى في الزجاجة فيعرف قربه من بعده فينقر الأرض حتى تجيء
الشياملين فيسلمخونها ويستخرجون الماء . فلما نزل سليمان قال الهدهد : سليمان قد
اشتغل بالنزول . فارتفع نحو السماء حتى نظر الى طول الدنيا وعرضها ، فنظر يمينا
وشمالا فرأى بستاناً بلقيس فمال الى الخضره فوقه فيه فاذا هو بهدهد فهبط عليه .
وكان اسم هدهد سليمان يعفور . واسم هدهد اليمن عنيفر .

فقال عنيفر اليمن ليعفور سليمان : من أين اقبلت وأين تريد ؟ قال : اقبلت
من الشام مع صاحبي سليمان بن داود . فقال : ومن سليمان ؟ قال : ملك الانس
والجن والشياطين والوحوش والطيور والرياح . فقال يعفور لعنifer : فمن أين
أنت ؟ قال : أنا من هذه البلاد . قال : ومن ملكها ؟ قال : امرأة يقال لها بلقيس
وان اصاحبكم ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكه اليمن كلها

وتحت يدها اثنا عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف مقاتل ، فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها ؟ قال : اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الماء . قال الهدهد اليماني ان صاحبكم يسره ان تأتية بخبر هذه الملكة . فانطلق معه حتى نظر الى بلقيس وملكها ، وما رجع الى سليمان إلا وقت العصر . فلما نزل ودخل عليه وقت الصلاة - وكان نزل على غير ماء - فسأل الجن والانس والشياطين عن الماء فلم يعلموا .

فتفقد الطير ففقد الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال اصلىح الله الملك ما احدي أين هو وما ارسلته مكاناً . فغضب عند ذلك سليمان وقال (لأعذبه عذاباً شديداً او لأذبحنه او ليأتيني بسلطان مبین) . واختلف في المذاب الذي توعد به : فأظهر الاقوال ان عذابه ان يتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممطاً لا يمتنع من النحل ولا من هوام الأرض أو لأذبحنه اي لأقطعن حلقه . او ليأتيني بسلطان مبین : بحجة بينة وعذر ظاهر . ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال علي بالهدهد الساعة .

فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصة بين يدي احدكم ، ثم التفت يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من ناحية اليمن فانقض العقاب نحوه يريد . فلما رأى الهدهد ذلك علم ان العقاب يقصده بسوء فناشده فقال : بالذي قواك واقدرك علي إلا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء . فولى العقاب وقال : ويلك شككتك امك ان نبي الله حلف ان يعذبك أو يذبحك . ثم طارا متوجهين نحو سليمان .

فلما انتهى الى المعسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له : ويلك أين غبت في يومك هذا القدر توعدك سليمان نبي الله ، واخبروه بما قال . فقال الهدهد : وما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : بلى ، قال : (أو ليأتيني بسلطان مبین) قال : نجوت إذا .

ثم انطلق العقاب والهدهد حتى اتيا سليمان - وكان قاعداً على كرسيه - فقال العقاب : قد اتيتك به يا نبي الله . فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعاً لسليمان . فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال : اين كنت ؟ لأعذبنك عذاباً شديداً . فقال له الهدهد : يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل . فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه . ثم سأله ما الذي ابطأك عني ؟ فقال الهدهد ما اخبر به الله تعالى في قوله : (فمكث غير بعيد - اي غير طويل - فقال احطت بما لم تحط به) والاحاطة : العلم بالشيء من جميع جهاته ، يقول : علمت ما لم تعلمه وبلغت ما لم تبلغه انت ولا جنودك (وجئتك من سبأ نبأ يقين) :

واختلف في سبأ : فقيل : اسم البلد . وقيل : اسم رجل . فقال سليمان : وما ذاك ؟ قال : اني وجدت امرأة تملكهم اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان ، وكان ابوها ملكاً عظيم الشأن وقد ولد له اربعون ملكاً وهي آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف : ليس احد منكم كئوؤاً لي ، واني ان يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت اليسكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها .

وجاء في الحديث : ان احد ابوي بلقيس كان جنياً فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون فملكوا عليهم رجلاً ، فافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من ارض اليمن . ثم ان الرجل الذي ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته فيفجر بهن ، فأراد قومه خلمه فلم يقدروا عليه .

فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة ، فأرسلت اليه تعرض نفسها عليه . فأجابها الملك وقال : ما منعي ان ابتدئك بالخطبة إلا الأياس منك . فقالت : لا ارغب عنك كئوؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبني اليهم . فجمعهم وخطبها اليهم . فقالوا :

لا اراها تفعل هذا . فقال لهم : انها طلبت ذلك وانا احب ان تسمعوا قولها .
فجأؤها فذكروا لها ذلك . فقالت : نعم احببت الولد . فزوجوها منه .
فلما زفت اليه خرجت باناس كثيرة من حشمتها ، فلما جاءته سقته الحجر حتى
سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها .

فلما اصبحوا ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها علموا ان
تلك المناكحة كانت مكرراً وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا : أنت بهذا الملك
احق من غيرك . فملكوها .

وقد جاء في الحديث الشريف : ان رسول الله (ص) لما بلغه ان اهل فارس قد
ملكوا عليهم بنت كسرى قال : لا أفلح قوم ولوا امرهم امرأة .
قال الله تعالى : (واوتيت من كل شيء - اي تحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة - ولها
عرش عظيم) سرير ضخم كان مضروباً من الذهب مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد
الأخضر وقوائمه من الياقوت ومن الزمرد وعليه سبعة ايات على كل بيت باب يفلق .
قال ابن عباس : كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله
في السماء ثلاثون ذراعاً . وقيل غير ذلك .

(وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم
فصدهم عن السبيل فهم لا يهتمدون * ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات
والارض - فخبء السماء المطر وخبء الارض النبات - ويعلم ما يخفون وما يعلنون *
الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) اي هو المستحق للمعبادة والسجود لا غيره .
وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً فهو صغير حقير في جنب عرشه عرجل .
فلما فرغ الهدهد من كلامه قال له سليمان : (سننظر أصدقت فيما اخبرت
أم كنت من الكاذبين) . فدلهم الهدهد على الماء فاحتفروا الركيا وروى الناس
والدواب . ثم كتب سليمان كتاباً :

من عند سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : (فلا تعلموا عليّ واثنوني مسلمين) .
ولم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه . وكذلك الأنبياء كانت تكتب
جلا لا يطيلون ولا يكثرون .

فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدد (اذهب بكتابي
هذا فאלقه اليهم ثم تول - تنح عنهم وكن قريباً منهم - فانظر ماذا يرجعون) يردون
من الجواب .

فأخذ الهدد الكتاب وأتى به الى بلقيس - وكانت بأرض اليمن بأرض يقال
لها مأرب بأرض صنعاء على ثلاثة ايام - فوافاها في قصرها وقد اغلقت الأبواب
واخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأثاها وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى
الكتاب على نحرها . فأخذت بلقيس الكتاب - وكانت قارئة - فلما رأت الخاتم
ارتعدت وخضعت . لأن ملك سليمان كان في خاتمه ، وعرفت ان الذي ارسل
الكتاب اعظم ملكاً منها ، فقرأت الكتاب . وتأخر الهدد غير بعيد .

فجاءت حتى قدمت على سرير ملكها ، وجعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر
الف قائد مع كل قائد مائة الف مقاتل ، فجاءوا واخذوا مجالسهم . فقالت لهم
بلقيس : (يا ايها الملأ - وهم اشراف الناس وكبرائهم - اني التي اليّ كتاب
كريم) . سمته كريماً لأنه كان مختوماً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : اكرامة الكتاب ختمه .
ثم بينت ممن الكتاب وقالت : (انه من سليمان) وبينت المكتوب فقالت :
(وانه بسم الله الرحمن الرحيم * ان لا تعلموا عليّ) قال ابن عباس : لا تتكبروا عليّ .
(واثنوني مسلمين) طائعين . قيل : هو من الاسلام ، وقيل : هو من الاستسلام .
(قالت يا ايها الملأ اثنوني في امري - اشيروا عليّ فيما عرض لي واجيبوني ما كنت
قاطعة قاضية وفاصلة امراً - حتى تشهدون - اي تحضرون - قالوا - مجيبين لها -
نحن اولوا قوة - في المال - واولوا بأس شديد) - عند الحرب والقتال - .

ثم قالوا : والأمر اليك ايها الملكة في القتال وتركه فانظري من الرأي ماذا تأمرين تجدينا لأمرك مطيعين .

قالت بلقيس - عجيبه لهم عند التعريض بالقتال - : (ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة افسدوها - خربوها - وجعلوا أعزة اهلها أذلة) اي اهانوا اشرافها وكبراءها كى يستقيم لهم الأمر . تحذروهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ، وتناهى الخبر عنها ها هنا فصدق الله قولها فقال : (وكذلك يفعلون) اي كما قالت هي يفعلون . ثم قالت (واني مرسله اليهم بهدية فساظرة بهم يرجع المرسلون) والهدية هي العطية على ظهر الملائكة .

وذلك ان بلقيس كانت امرأة ليبية قد منيست وماسست ، فقالت للدلاء حولها من قومها : اني مرسله الى سليمان وقومه بهدية اصانعه بها عن ملكي واختبره بها أملك هو أم نبي فان يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف ، وان يكن نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا ان تتبعه على دينه . وذلك قوله تعالى (فساظرة بهم يرجع المرسلون) . فأهدت له وصفاء ووصائف وألبستهم لباساً واحداً كي لا يعرف ذكرهم من انثام . وقيل : ألبست الغلمان لباس الجوارى وعكسه ، وكان في لباسهم ما هو مرضع بأنواع الجواهر واركتهم الخيول بلجم الذهب مرضعة بالجواهر وجعلت الفواشي من الديباج الملون وبشت اليه خمسمائة لبنة من الذهب وخمسمائة لبنة من الفضة مكللة بالدر والياواقيت ، وارسلت اليه المسك والعنبر والموذ اليلنجوج ، وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية صغيرة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلاً من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجلاً من قومها اصحاب رأي وعقل ، وكتبت اليه كتاباً بنسخة الهدية وقالت له : ان كنت نبياً فميز بين الوصفاء والوصائف واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقباً مستويّاً وادخل خيطاً في الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن .

وأمرت بلقيس الغلمان وقالت لهم : اذا كلمكم سليمان فكلبوه بكلام تأنيث وتخث يشبه كلام النساء ، وامرت الجواري ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت لرسولها : انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظراً غضب فاعلم انه ملك ولا يهولنك منظره فأنا اعز منه ، وان رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم انه نبي مرسل فانهم قوله ورد الجواب . فانطلق رسولها بالهدية .
واتى الهدد مسرعاً الى سليمان فأخبره الخبر كله .

فأمر سليمان الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ، ففعلوا . ثم أمرهم ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه - وكان تسع فراسخ - ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وان يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر اللبنة خالياً وباقي الارض مفروشة ، وان يجعلوا حول الميدان حائطاً شرافاتها من الذهب والفضة .

ثم قال : اي الدواب خير ما رأيتم في البر والبحر ؟ قالوا : يا نبي الله إنا رأينا دواب في بحر كذا وكذا بمنطقة مختلفة ألوانها على صفات الخيل ولها اجنحة واعراف ونواصي . فقال سليمان : علي بها الساعة . فأتوا بها . فقال : شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علتهما فيها .

ثم قال سليمان للجن : علي بأولادكم فاجتمع عنده خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان ويساره ، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريرته ووضع له اربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره ، وأمر الشياطين ان يصطفوا صفوفاً فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره ، وأمر الانس ان يصطفوا مثلهم فاصطفوا فراسخ ، ثم أمر الطيور والوحوش والهوام ان يصطفوا فاصطفوا فراسخ عن يمين سليمان وعن يساره . وهو جالس على كرسيه والجميع حوله وعن يمينه وشماله .

فلما دنا القوم من الميدان ورأوا سليمان ونظروا الى ملكه ونظروا الدواب البحرية التي لم تر أعينهم مثلها على وجه الارض وهم يبولون على لبن الذهب والفضة

ويروثون عليها تقاصرت انفسهم ورموا جميع ما معهم من الهدايا في ذلك المكان خوفاً من ان يتهموا بذلك .

ولما نظروا الى الشياطين ورأوا منظراً عجيباً فزعوا وخافوا . فقال لهم الشياطين : جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والوحوش والطير والسباع والهوام حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام فنظر اليهم منظراً حسناً بوجه طلق وبشاشة وقال : ما رواءكم ؟ فأخبره رئيس القوم بما جاؤا له به ، واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ، ثم قال : أين الحق ؟ فأتوه بها فحركها . وجاءه جبرئيل عليه السلام وأخبره بما فيها .

فقال سليمان : ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة بموجة الثقب . فقال له الرسول : صدقت ، فأنقب لنا الدرة وادخل الخيط في الخرزة . فقال سليمان : من لي بثقبها . وسأل سليمان الانس والجن ، فلم يكن عندهم علم من ذلك . ثم سأل الشياطين فقالوا ارسل الى الارضة . فجاءت فأخذت شعرة في فمها ودخلت الخرزة بها حتى خرجت من الجانب الآخر .

فقال سليمان للأرضة : ما حاجتك ؟ وما الذي تريد ؟ قالت : يا نبي الله اريد ان تصير رزقي في الشجر . فقال لها : لك ذلك .

ثم قال سليمان : من لهذه الخرزة يسلكها الخيط ؟
فقلت دودة بيضاء : أنا لها يا رسول الله .

فأخذت الدودة الخيط في فمها ودخلت من جانب ثم خرجت من الجانب الآخر . فقال لها سليمان ما تريد ؟ قالت : تجمل رزقي في الفواكه . فقال لها : ذلك لك . ثم ميز الجواري والعلماء بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم . فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه . وجعل الغلام كلما اخذ من الآنية يضرب به وجهه . وكانت الجارية تصب الماء صبا ، والغلام يحدر الماء على يديه حدرأ . فميز بينهما بذلك .

ثم رد سليمان الهدية كما قال الله تعالى عنه : (فلما جاء سليمان قال أتمدوني بما قال فما آتاني الله من الدين والنبوة والحكمة والملك خير أفضل مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) لأنكم اهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون باهداء بعضكم الى بعض ، واما أنا فلا افرح بها . وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنتني فيها واعطاني منها ما لم يمه لأحد ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة .

ثم قال للمنذر بن عمرو - وهو أمير القوم - : ارجع اليهم بالهدية (فلئلا ينهم بجنود لا قبل لهم بها - اي لا طاقة لهم بها - ولنخرجهم منها - اي من ارضهم وبلادهم وهي سبا - أذلة وهم صاغرون) اي ذليلون إن لم يأتوني مسلمين . فلما رجع رسول بلقيس اليها قالت : قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة . ثم بعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك .

ثم امرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور ثم غلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه . ثم قالت لمن خلفت على سلطانها : احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا تخلص اليه أحداً ولا تدنيه حتى آتيك . ثم امرت منادياً ينادي في اهل مملكتهما تؤذنه بالرحيل . ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة . وكان سليمان رجلاً مهابة لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه . فخرج يوماً فجلس على سرير ملكه فرأى رجلاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا له : هذه بلقيس وقد نزلت بهذا المكان . وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان . فأقبل سليمان حينئذ على جنوده وقال لهم : يا ايها الملا أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين مؤمنين . وقال ابن عباس مسلمين اي طائعين . واختلفوا في السبب الذي لأجله امر سليمان باحضار عرشها :

فقال اكثرهم : لأن سليمان علم انها إن اسلمت حرم عليه مالها فأراد ان يأخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها . وقيل اراد ان يريها قدرة الله عز وجل وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها عرشها . قال قتادة : لأنه اعجبه صفته حين وصفه الهدهد فأحب ان يراه .

وقال زيد : اراد ان يبدأ بتذكيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها .
(قال غفريت من الجن) - وهو المارد القوي . قيل اسمه كودي ، وقيل اسمه دوكان ، وقيل هو صخر الجني . وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه - (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) - اي مجلسك الذي تحكم فيه - وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى فراغ النهار (واني عليه - أي على حمله - لقوي أمين) على ما فيه من الجواهر والمعادن .

فقال سليمان : اريد شيئاً يكون اسرع من ذلك .
(فقال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) .
واختلفوا فيه : ف قيل هو جبريل عليه السلام . وقيل هو ملك من الملائكة ايد الله به سليمان عليه السلام . وقال الاكثرون هو آصف بن برخيا وكان صديقاً يعرف اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب ، واذا سئل به اعطى .
وروي عن ابن عباس انه قال : ان آصف قال لسليمان - حين صلى - : مد عينيك حتى ينتهي طرفك . فمد عينيه - اي بصره - فنظر نحو اليمن فدعا آصف بين يدي سليمان فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض وهم يخذون خدأ حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدي سليمان . وقيل غير ذلك . وقيل كانت المسافة مقدار شهرين .

واختلف في الدعاء الذي دعا به آصف : ف قيل انه قال : يا ذا الجلال والاكرام .
وقيل : يا حي يا قيوم .

وعن الزهري : قال الذي عنده علم من الكتاب : يا إلهنا وإله كل شيء .

إِلَهاً واحداً لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ائْتَنِي بِعَرْشِهَا . وقيل إنما هو سليمان قال له عالم من بني إسرائيل - آتاه الله علماً وفهماً - (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) . قال سليمان : هات . قال : انت النبي وليس احد عند الله اوجه منك فاذا دعوت اليه وطلبته كان عندك . قال : صدقت . ففعل ذلك فجاء بالعرش في الوقت . وقوله (قبل ان يرتد اليك طرفك) : قال سعيد بن جبير : يعني من قبل ان يرجع اليك اقصى من ترى وهو ان يصل اليك من كان منك على مدِّ بصرك . وقيل غير ذلك .

(فلما رآه - يعني سليمان العرش - مستقراً عنده - محمولا اليه من هذه المسافة البعيدة في قدر ارتداد الطرف - قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر نعمته أم أكفر - فلا شكرها - ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) أي يعود نفع شكره عليه وهو ان يستوجب به تمام المعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فإن ربي غني) عن شكره وكريم بالافضال على من يكفر نعمته . (قال سليمان نكروا لها عرشها) أي سريرها الى حال تنكره اذا رآته . فقليل جعل اسفله اعلاه وعكسه وجعل مكان الجوهر الاحمر : الاخضر وعكسه (ننظر أتهتدي - الى عرشها فتعرفه - أم تكون من الجاهلين) الذين لا يهتدون اليه . وإنما حل سليمان على ذلك ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه امر الجن لأن امها كانت جنية ، واذا ولدت ولدآ لسليمان لا ينفكوا من تسخيرهم لسليمان وذريته من بعده ، فأسأوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا له : ان في عقلها شيئاً وان برجلها شعراً وان رجلها كحوافر الحمار وانما مشعرة الساقين .

فأراد سليمان ان يختبرها في عقلها فنكر عرشها ، وينظر الى قدميها بيناه الصرح . فلما جاءت قيل لها : أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو . عرفته ولكن شبت عليهم كما شبهوا عليها ، لم تقل نعم خوفاً من التكذيب ، فقالت كأنه هو . فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر . وحكي غير ذلك .

(فقات واوتينا العلم) بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من امر الهدية والرسل من قبلها ومن قبل الآية في العرش (وكنا مسلمين) متقادين طائعين لأمر سليمان . وقيل غير ذلك .

قال الله تعالى : (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اي منعهما ما كانت تعبد من دون الله وهي الشمس (ان تعبد الله) اي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعن عبادة الله تعالى . وقيل غير ذلك .

وقوله تعالى : (قيل لها ادخلي الصرح . .) الآية وذلك ان سليمان «ع» اراد أن ينظر الى قدميها وساقها من غير ان يسلبها اثوابها وينظر ما قالت الشياطين عنها ان رجلها كحوافر الحمار وهي مشعرة الساقين فأمر سليمان الشياطين فبنوا له صرحاً اي قصرأ من زجاج . وقيل بيتاً من زجاج كأنه الماء بياضاً . وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته الماء والقي فيه كل شيء من دواب البحر حتى السمك والضفدع وغيرها ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه . فعكفت عليه الطير والجن والانس . وانما بنى الصرح ليختبر فهمها كما فعلت هي بالوصائف والوصفاء .

فلما جلس سليمان على السرير دعا بلقيس ، فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح . (فلما رأت حبيبته لجة - وهي معظم الماء - وكشفت عن ساقها) لتخوضه الى سليمان .

فنظر سليمان فإذا هي احسن الناس قدماً وساقاً إلا انها مشعرة الساقين . فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها ، ثم ناداها : انه صرح ممرد اي مملس من قوارير . ثم دعاها للاسلام .

وكانت قد رأت حال العرش وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى فأجابت وقالت (رب اني ظلمت نفسي - بالكفر وعبادة غيرك - واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) اي اخلصت له التوحيد .

واختلف في امرها هل تزوجها سليمان عليه السلام ؟ فقال بعضهم : تزوجها

ولما اراد ان يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقها ، فسأل الانس ما يذهب هذا . قالوا له : الموسى . فقال : انها تجرح ساقها . وسأل الجن فقالوا : لاندرى . ثم سأل الشياطين فقالوا : نحتال لك بحيلة حتى يصير كاسبكة الفضة من غير اذى . فقال : افعلوا .

فاتخذوا النورة والحمام . وكانت النورة والحمام من ذلك اليوم . ويقال : ان الحمام كان بباب الاسباط بالقدس الشريف ، وهو الحمام الذي بجوار المدرسة الصلاحية ، وهو من جملة اوقاف المدرسة من الملك صلاح الدين وانما بني لبليس . وانه اول حمام وضع على وجه الارض والله اعلم . ولما تزوجها سليمان احبها حباً شديداً وافرغها على ملكها وامر الجن فابتنوا بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً . ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها ويقوم عندها ثلاثة أيام ، وولدت له فيما يذكر والله اعلم .

﴿ ذكر فتنة سليمان عليه السلام ﴾

قال الله تعالى : (ولقد فتنا سليمان) اي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه . وسبب ذلك ما روي عن وهب بن منبه قال : سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صدوف ، ولها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس عليه سبيل لمكانه بالبحر ، وكان الله عز وجل قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر بما يركب اليه الريح .

فخرج سليمان الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واستقام فيها ، فأصاب فيما اصاب ابنة الملك تسمى جرادة لم ير مثلها حسناً وجمالاً فاصطفاه لنفسه ودعاها للاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة موافقة ، واحبها حباً لم يحبه احداً من نساءه فكانت علي

منزلة عظيمة عنده ، فكانت لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها .
فشق ذلك على سليمان ، فقال لها : ويلك ما هذا الحزن الذي لم يذهب
والدمع الذي لا يرقأ ؟ قالت : اني اذكر أبي واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه
فيحزنني ذلك .

قال سليمان : قد ابدلك الله ملكاً هو اعظم من ملك ابيك ، وسلطاناً هو
اعظم من سلطانه ، وهذاك الله للاسلام وهو خير لك من ذلك كله . قالت : ان ذلك
كذلك ولكني اذا تذكرته اصابني ما ترى من الحزن ، فلو انك امرت الشياطين
فيصوروا صورته في داري التي انا فيها فأراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك
حزني وان يسلبني بعض ما اجد في نفسي .

فأمر سليمان الشياطين ان يمثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منه
شيئاً . فمثلوها حتى نظرت الى ابيها بعينه إلا انه لا روح فيه . فعمدت اليه حين
وضموه فأزرتة وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كانت عليه في حال حياته .
ثم انها كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولائدها ومن يلوذ بها ثم
تسجد له ويسجدون له كما كانت تصنع له في ملكه . واستمرت تفعل ذلك بكرة
وعشية وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك مدة اربعين صباحاً .

فبلغ ذلك آصف ابن برخيا - وكان صديقاً وكان لا يرد عن ابواب سليمان
واي ساعة اراد ان يدخل دار سليمان دخل حاضراً كان سليمان او غائباً - فأتى
سليمان وقال له : يا بني الله كبر سني ورق عظمي . وقد حان مني
ذهابه وقد احببت ان اقوم مقاماً قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله تعالى
وانني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امورهم .
فقال له سليمان : افعل .

فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله تعالى وذكر من مضى
من انبياء الله تعالى وانني على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى

سليمان فقال : ما كان احلمك في صغرك وأورعك في صغرك وافضالك في صغرك
وابعدك من كل مايكره في صغرك . ثم انصرف .

فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلاً غيظاً . فلما دخل سليمان داره
ارسل اليه فقال : يا آصف ذكرت من مضى من انبياء الله تعالى واثبت عليهم خيراً
في زمانهم وفي كل حال من امورهم ، فلما ان ذكرتني جعلت تشني عليّ بخير في صغري
وسكت عن ما سوى ذلك في امري في كبري ، فما الذي أحدثت في آخر امري ؟
فقال له : ان غير الله يعبد في دارك مدة اربعين صباحاً في هوى امرأة . فقال
سليمان : في داري ؟ قال : في دارك . قال سليمان : إنا لله وإنا اليه راجعون لقد
عرفت انك ما قلت الذي قلت إلا عن شيء بلغك .

ثم رجع سليمان الى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائها
ثم امر بشباب الطهرة فأتي بها - وهي ثياب لا يفرها إلا البنات الابكار ولا يحسها
امرأة قد رأت الدم ولا ينسجها إلا البنات الابكار ولا يفسلها إلا الابكار - فلبسها
ثم خرج الى فلاة من الأرض وحده ، وامر برماد ففرش له ، ثم اقبل تائباً الى
الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتملك فيه بشيابه تذلل الله تعالى وتضرعاً
اليه ، وجعل يبكي ويدعو ويستغفر بما كان في داره ، فلم يزل كذلك يومه حتى
امسى ، ثم رجع الى داره .

وكانت له ام ولد تسمى الأمانة كان اذا دخل مذهبها او اراد اصابة امرأة
من نسائه وضع خاتمه عندها ثم دخل حتى يتطهر . وكان لا يلبس خاتمه إلا طاهراً
وكان ملكه في خاتمه . فوضعه يوماً عندها ثم دخل الى مذهبها ، فأناها الشيطان
صاحب البحر وكان اسمه صخر على صورة سليمان لم تسكر منه شيئاً فقال : خاتمي
يا امينه . فناولته إياه فجعله في يده . ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، فمكف
عليه الطير والجن والانس .

فخرج سليمان وأتى الأمانة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من يراه ،

فقال : خاتمي يا امينة . فقالت له : من انت ؟ قال : سليمان بن داود نبي الله .
 قالت له : كذبت قد جاء سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه .
 فعرف سليمان ان الخطيئة قد ادر كته ، فخرج وجعل يقف على الدار من
 دور بني اسرائيل فيقول : انا سليمان بن داود فيكذبوه ويحشون عليه التراب
 ويسبونه ويقولون : انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه سليمان .
 فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر وكان ينقل الحيطان لأصحاب البحر
 الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا امسى باع احدى سمكتيه برغيفين وشوى
 السمكة الاخرى واكلها . فمكث كذلك اربعين صباحاً بعدد ما كان عبد الوثن
 في داره .

فأنكر آصف وكبراء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين
 يوماً . فقال آصف : يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اخلاف حكم سليمان
 ابن داود ما رأيتم ؟ قالوا : نعم . قال آصف : امهلوني حتى ادخل على نسائه
 واسألن هل ينكرن منه شيئاً في خاصة امره كما ذكرناه في عامة امر الناس . فدخل
 على نسائه فقال : ويحك هل انكرتن من أمر ابن داود ما انكرناه ؟ فقلن :
 اشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة . فقال إنا لله وإنا اليه
 راجعون ان هذا هو البلاء المبين .

ثم خرج آصف على بني اسرائيل فقال : ما في الخاصة اعظم مما في العامة .
 فاجتمع قراء بني اسرائيل وعلماءهم فأقبلوا حتى احدثوا به ، ونشروا التوراة فقرؤوها
 فطار من بين ايديهم حتى وقع على شرفة الخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب الى البحر
 فوقم الخاتم منه في البحر وابتلعه حوت ، فأخذه بعض الصيادين .
 وكان سليمان قد عمل لذلك الصياد من صدر النهار حتى اذا كانت العشية اعطاه
 سمكتين ، فأعطى السمكة التي فيها الخاتم من جملة السمكتين . فخرج سليمان بسمكتيه
 فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالرغيفين ، ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها

فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده ، فردَّ الله تعالى عليه ملكه وبهاءه فوقم ساجداً شكرياً ، فعكفت عليه الطير والوحوش والانس والجن ، واقبل عليه الناس ، وعرف الذي كان دخل عليه لما احدث في داره ، فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه .

وامر الشياطين فقال : ائتوني بصخر . فطلبت الشياطين حتى اخذته فأتي به فجاء له بصخرة فأدخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقتل به في البحر . هذا حديث وهب . وحكي غير ذلك .
 واشهر الأقاويل : ان الجسد الذي القى على كرسيه هو صخر الجني فذلك قوله عز وجل : (والقينا على كرسيه جسداً ثم اناب) اي رجع الى ملكه بعد اربعين يوماً (فلما رجع قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) يريد هب لي ملكاً لا تسلبني في باقي عمري وتمطيه غيري كما سلبتني فيما مضى (انك انت الوهاب) . قيل : سأل ذلك ليكون آية لتوبته ودلالة على رسالته ومعجزة له . وقيل : سأل ذلك ليكون علماً على قبول توبته حيث اجاب الله دعاه ورد اليه ملكه وزاد فيه .

وقال مقاتل : كان سليمان ملكاً ولكنه اراد بقوله (لا ينبغي لأحد من بعدي) تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل ما بعده .

وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان عفريتاً من الجن تقلت البارية ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذه فأردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئاً) .

ولما رد الله على سليمان ملكه وبهائه وحامت عليه الطير وعرف الناس انه سليمان قاموا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال : ما احدثكم على عذرکم ولا ألوكم على ما كان منكم هذا امر كان لا بد منه .

ثم جاء حتى اتى ملكه ، واطاعه جميع ملوك الارض وحلوا اليه نفائس
اموالهم . واستمر سليمان على ذلك حتى توفي .

﴿ ذكر وفاته عليه السلام ﴾

وقد روي في وفاة سليمان عليه السلام ما قاله اهل العلم انه كان يتحنث
في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه
طعامه وشرابه ، فأدخله في المرة التي مات فيها . وكان بدأ ذلك انه لا يصبح
يوماً إلا نبت في محرابه بيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك ؟ فتقول : اسمي
كذا . فيقول : لأي شيء انت ؟ فتقول : لكذا وكذا . فيأمر بها فتقطع . فان
كانت نبتت لغرس يفرسها ، وان كانت لدواء كتبها ، حتى نبتت الخروبة فقال
لها : ما انت ؟ قالت : الخروبة . قال : لأي شيء نبت ؟ قالت : لخراب مسجدك .
فقال سليمان : ما كان الله ليخربه وإنا حي ، انت التي علي وجهك هلاك
وخراب بيت المقدس ، فنزعها وغرسها في حائط . ثم قال : اللهم غم على الجن
موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب .

وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء ويعلمون ما في غد .
ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه ، نقل انه نحتها من الخروب
فمات قائماً . وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه .
فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته
وينظرون اليه يحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول
صلاته قبل ذلك .

فمكثوا يداً بون له بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الأرض عصا سليمان فخرميتاً
فعملوا بموته . فشكرت الجن الأرض ، فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب
فذلك قوله تعالى : (ما دلم على موته إلا دابة الأرض - وهي الأرض - تأكل

منحاته - يعني عصاه - فلما خر - اي سقط على الارض - تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (اي علمت الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين اي في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنون حياته ، اراد الله بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يظنون انهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل .

وقيل : ان معنى تبينت الجن اي ظهرت وانكشفت الجن للانس ، اي ظهر أمرهم انهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك .
وتوفي سليمان وعمره اثنتان وخمسون سنة فكانت مدة ملكه اربعين سنة فتكون وفاته في اواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وذلك بعد فراغ بناء بيت المقدس بتسع وعشرين سنة ، فيكون الماضي من وفاته الى عصرنا وهو اواخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة النبوية الفين وستائة وثلاثاً وسبعين سنة . والله أعلم .

ونقل ان قبره بالبيت المقدس عند الجيسمانية ، وانه هو وابوه داود في قبر واحد .
وأستمر بيت المقدس على العمارة السلیمانية اربعمائة وثلاثاً وخمسين سنة .

﴿ ذكر خراب بيت المقدس على يد بخت نصر ﴾

لما توفي سليمان عليه السلام ملك بعده ابنه رحبعم - بضم الراء والحاء المهملتين وسكون الباء الموحدة وفتح العين المهملة ثم ميم - وفي ايامه اختل نظام الملك وخرج عن طاعته عشرة اسباط ولم يبق تحت طاعته سوى سبطين ، وصار الاسباط المشرة ملوكاً تعرف بملوك الاسباط . واستمر الحال على ذلك نحو مائتين واحدى وستين سنة .

وكان ولد سليمان في بني اسرائيل بمنزلة الخلفاء للاسلام ، لأنهم اهل الولاية . وكان الاسباط مثل ملوك الأطراف والحوارج . وارتحل الاسباط الى جهات

فلسطين وغيرها بالشام . واستقر ولد داود بالبيت المقدس .
 واستمر رجبهم على ما استقر له من الملك وزاد في مصارة بيت لحم وغزة
 وصور وغير ذلك ، وعمر ايلة وجددها . وملك سبعة عشر سنة ومات .
 ثم ملك بعده ابنه افيا - بفتح الهززة وكسر الفاء التي هي بين الألف والياء
 عبي مقتضى اللغة العبرانية وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم الف - وكان مدة ملكه
 ثلاث سنين ومات .

ثم ملك بعده ابنه اسا - بفتح الهززة والسين ثم الف - وكانت مدة ملكه
 احدى واربعين سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه يهوشافاط - بفتح المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون
 الواو وفتح الثين المعجمة وبعدها الف ثم فاء والف وطاء معملة - وكان رجلاً
 صالحاً كثير العناية بعلماء بني اسرائيل ، وكانت مدة ملكه خمساً وعشرين سنة ومات .
 ثم ملك بعده ابنه يهورام - بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون
 الواو ثم راء معملة ثم الف وميم - وكانت مدة ملكه ثماني سنين ومات .

ثم ملك بعده ابنه احزياهو - بفتح الهززة والحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة
 ثم مثناة من تحتها ثم الف وهاء ثم واو - وكانت مدة ملكه سنتين ومات .

ثم كان بعد احزياهو فترة بغير ملك ، وحكت في الفترة المذكورة امرأة
 ساحرة اصلها من جواردي سليمان عليه السلام واسمها عثلياهاو - بفتح العين المهملة
 والثاء المثناة وسكون اللام وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها الف ثم هاء مضمومة
 ثم واو - يقال عثليا بغير هاء ولا واو ، وتتبع بني داود فأفنتهم وسلم منها طفل
 أخفوه عنها ، وكان اسم ذلك الطفل يواش بن احزياهو . واستولت عثلياهاو سبع
 سنين . فيكون آخر الفترة وعدم عثلياهاو في اواخر سنة ثمان وسبعين وسبعمائة لوفاة
 موسى عليه السلام .

ثم ملك بعد عثلياهاو يواش وهو ابن سبع سنين ، ويواش - بضم الياء المثناة

من تحتها ثم همزة والف وشين معجمة - . وفي السنة الثالثة والعشرين من ملكه
رمم بيت المقدس وجدد عمارته . وملك اربعين سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه امصيا هو - يفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المهملة ومثناة
من تحتها ثم الف وهاء ثم واو - وملك تسعاً وعشرين سنة ، وقيل : خمسة عشر
سنة ، وقتل .

ثم ملك بعده ابنه عزيا هو - بضم العين المهملة وتشديد الزاي المعجمة ثم مثناة
من تحتها ثم الف وهاء ثم واو - وملك اثنين وخمسين سنة ، ولحقه البرص وتنفصت
عليه ايامه ، وضعف أمره في آخر وقته ، وتغلب عليه ولده يوثم ومات .

ثم ملك بعده ابنه يوثم - بضم المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الشاء
المثلثة ثم ميم - وفي ايامه كان يونس النبي عليه السلام . وملك ستة عشر سنة ومات .
ثم ملك بعده ابنه آخز - بهزة ممدودة مماله ايضاً وحاء مهملة مفتوحة ثم
زاي معجمة - ملك ستة عشر سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه حزقيا - بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة وكسر
القاف وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم الف - وكان رجلاً صالحاً مظفراً .
ولما دخلت السنة السادسة من ملكه انقضت دولة الخوارج ملوك الاسباط
- الذين نهبا عليهم عند ذكر رجبهم بن سليمان - وانضم من بقى من الاسباط
الى حزقيا ودخلوا تحت طاعته . وكان من الصلحاء الكبار .

وكان قد خرج عليه سنحاريب ملك بابل والموصل ونزل حول بيت المقدس
في سبائة راية ، فنصره الله واهلك عسكر سنحاريب . ووقع سنحاريب في أسره
ثم اطلقه وسيره الى بلاده .

وكان قد فرغ عمر حزقيا قبل موته بخمسة عشر سنة فزاد الله في عمره
خمسة عشر سنة وأمره ان يتزوج ، واخبره بذلك نبي كان في زمانه وهو اشعيا «ع»
واشعيا هو الذي بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبشر بعيسى عليه السلام .

وملك حزقيا تسعاً وعشرين سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه منشا - بميم ونون مفتوحتين وشين معجمة مشددة والـف -
وملك خمساً وخمسين سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه يوشيا - بضم المثناة من تحتها وسكون الواو وكسر
الشين المعجمة وتشديد المثناة من تحتها ثم الف - . ولما ملك اظهر الطاعة والعبادة
وجدد عمارة بيت المقدس واصلحه . وملك يوشيا احدى وثلاثين سنة ومات .

ثم ملك بعده ابنه يهوياخين - ياء مثناة من تحتها مفتوحة وهاء مضمومة
وبعدها واو ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها الف ثم خاء معجمة مكسورة ثم
ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون - ولما ملك غزاه فرعون مصر - وهو الأعرج -
فأخذ يهوياخين اسيراً الى مصر فمات بها . وكانت مدة ملكه ثلاثة اشهر .

ولما اسر يهوياخين ملك بعده اخوه يهوياقيم - بفتح المثناة من تحتها وضم
الهاء ثم واو ساكنة وياء مثناة من تحتها والـف وقاف مكسورة وياء مثناة من تحتها
ساكنة وميم - وفي السنة الرابعة من ملكه تولى بخت نصر على بابل . وكان ابتداء
ولايته في سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام .

وتفسير بخت نصر بالعبرانية : عطاردهو هو سطو ، سمي بذلك لتقريبه العلماء
والحكام وحبه اهل العلم .

واختلف المؤرخون فيه هل كان ملكاً مستقلاً بنفسه أم كان نائباً للفرس .
والأصح عند الأكثر : انه كان نائباً للملك اسمه هراسف .

وبين ولاية بخت نصر والهجرة الشريفة الف وثلثمائة وتسع وستون سنة ومائة
وسبعة عشر يوماً وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة فيكون
الماضي من ولاية بخت نصر الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة الفين ومائتين
وتسماً وستين سنة وإياماً .

وفي السنة الرابعة من ملكه - وهي السابعة من ملك يهوياقيم - سار بخت نصر

بالجيوش الى الشام وغزا بني اسرائيل لما حصل منهم من التغير والتبديل وفعل القبيح فلم يحاربه يهوياقيم ودخل تحت طاعته فأبقاه بخت نصر على ملكه .

ورجع بنو اسرائيل الى الله تعالى وتابوا عن المعاصي فرد الله عنهم بخت نصر وبقي يهوياقيم تحت طاعة بخت نصر ثلاث سنين ثم خرج عن طاعته وعصاه ، فأرسل بخت نصر وامسك يهوياقيم واسر باحضاره اليه فمات يهوياقيم في الطريق من الخوف . فكانت مدته نحو احدى عشرة سنة ، وانقضى ملكه في اوائل سنة ثمان لابتداء ملك بخت نصر .

ولما اخذ يهوياقيم المذكور الى العراق استخلف مكانه ابنه يخيئو - بفتح المثناة من تحتها والخاء المعجمة وسكون الذون وضم المثناة من تحتها ثم واو - فأقام موضع ابيه مائة يوم ، ثم ارسل بخت نصر من اخذه الى بابل واخذ معه ايضا جماعة من علماء بني اسرائيل من جملتهم : دانيال النبي . وحزقيال النبي ، وهو من نسل هارون عليه السلام . وحال وصول يخيئو سجنه بخت نصر ، ولم يبرح مسجوناً حتى مات بخت نصر .

ولما امسك بخت نصر يخيئو نصب مكانه على بني اسرائيل عم يخيئو المذكور وهو صدقيا - بكسر الصاد المهملة وسكون الدال المهملة وكسر القاف وفتح الياء المثناة من تحتها مع التشديد وبعدها الف - واستمر صدقيا تحت طاعة بخت نصر . وكان ارميا النبي «ع» في ايام صدقيا فبقى يعظه ويعظ بني اسرائيل لما أحدثوا من المعاصي والطغيان ونقض النوبة ويهددهم ببخت نصر وهم لا يلتفتون الى وعظه . وفي السنة التاسعة من ملك صدقيا عصى على بخت نصر . وكان ارميا «ع» قد رأى بخت نصر قديماً وهو صبي اقرع ورآه يأكل ويتفوط ويقتل القمل فقال له ما هذا ؟ فقال اذى يخرج ومنفعة تدخل وعدو يقتل . فقال له : سيكون لك شأن . فأخذ ارميا من بخت نصر أماناً لبيت المقدس ومن فيها ، وكتب له الأمان في جلد . فلما صار الملك الى بخت نصر وعصى عليه صدقيا - كما تقدم -

قصده بخت نصر بيت المقدس ، فلما بلغ سهول الرملة وأعلم ارميا بذلك سار اليه واعطاه الأمان ، فنظره وقال : هو امانى ولكني مبعوث ، وقد امرت ان ارمي سهمي فحيثما وقع سهمي طلبت الموضع . فرمى بسهمه فوقع في قبة بيت المقدس .

فرجعا ارميا الى اهل بيت المقدس واخبرهم بذلك .

ثم سار بخت نصر بالجيش وكان معه سبائة راية ، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطىء الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم ، وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس . ففعلوا حتى ملؤوه . هكذا نقل البغوي في تفسيره .

والذي نقله الملك المؤيد صاحب حماه : انه جهز المساكر وبعث الجيش مع وزيره واسمه نبوز راذان - بفتح النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والراء المهملة وسكون الألف وفتح الذال المعجمة وسكون الألف وبعدها نون - الى حصار صدقيا بالقدس فسار الوزير بالجيش وحاصر صدقيا مدة سنتين ونصف ، اولها عشر تموز من السنة التاسعة لملك صدقيا ، واخذ بعد حصار المدة المذكورة القدس بالسيف ، واخذ صدقيا اسيراً واخذ معه جملة كثيرة من بني اسرائيل ، واحرق القدس وخربه وطرح فيه الجيف ، وهدم البيت الذي بناه سليمان واحرقه واحتمل منه ثمانين عجلة ذهباً وفضة وطرحه بومية ، وأباد بني اسرائيل قتلاً وتشديداً واعانه على خرابه الروم بفضاً لبني اسرائيل .

فكانت مدة ملك صدقيا نحو احدى عشرة سنة وهو آخر ملوك بني اسرائيل . واما من تولى بعده من بني اسرائيل بعد اعادة عمارة بيت المقدس فأما كان له الرئاسة ببيت المقدس فقط . فيكون انقضاء ملوك بني اسرائيل وخراب بيت المقدس على يد بخت نصر سنة عشرين من ولايته تقريباً وهي السنة التاسعة والتسعون وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام ، وهي ايضاً سنة ثلاث وخمسين واربعائة مضت من عمارة بيت المقدس وهي مدة لبثه على العمارة .

وهذه المرة التي ذكرها الله تعالى فقال (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فإذا جاء وعد اولاهما بميثاقنا عليكم عباداً لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً) اي قضاء كائناً لا خلف فيه .

وبين خراب بيت المقدس والهجرة الشريفة الف وثلاثمائة وخمسون سنة . وقد مضى من الهجرة الشريفة تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من خراب بيت المقدس الى عصرنا هذا - وهو آخر سنة تسعمائة - الفين ومائتين وخمسين سنة .

ولما غزا بخت نصر القدس وخربه وفعل ما تقدم ذكره هرب من بني اسرائيل جماعة واقاموا بمصر عند فرعون الأعرج ، وأرسل بخت نصر اليه يطلبهم منه وقال : هؤلاء عبيدي هربوا اليك . فلم يسلمهم فرعون مصر وقال : ليس هم بعبيدك وانما هم احرار . وكان هذا هو السبب لقصد بخت نصر غزو مصر وقتل فرعون الأعرج . وهرب منه جماعة الى الحجاز واقاموا مع العرب . واستمر بيت المقدس خراباً سبعين سنة .

وعن قتادة في قوله عز وجل : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) قال : هو بخت نصر واصحابه خربوا بيت المقدس واعانهم على ذلك الروم قال الله تعالى : (اولئك ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين) قال وهم النصارى ، لا يدخلون المسجد إلا مسارقة ان قدر عليهم عوقبوا ، (لهم في الدنيا خزي) قال : يعطون الجزية عن يد (وهم صاغرون) .

﴿ ذكر عمارة بيت المقدس الثانية ﴾

لما جرى ما ذكر من تخريب بيت المقدس وابته على التخریب سبعين سنة عمره بعد ذلك بعض ملوك الفرس ، واسمه عند اليهود : كورش . وقد اختلف فيه فقيل : هو دارا بن بهمن ، وقيل هو بهمن المذكور وهو الأصح .

وكان كريماً متواضعاً علامته على كتبه من ازديشير بهمن عبد الله وخدام الله
والسائس لأموركم . وتفسير بهمن بالعبرانية : الحسن النية .

وكان قد أمره الله على لسان عبده ارميا النبي صلى الله عليه وسلم ان
يبني بيت المقدس . ففعل ذلك ، واصعد اليها من بني اسرائيل اربعين ألفاً ، وقربوا
القرايين على رسومهم الاولى . ورجعت اليهم دولتهم وعظم محلهم عند الامم
قال الله تعالى : (ثم رددنا اكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم
أكثر نفيرا * إن احسنتم احسنتم لأنفسكم وإن اسأتم فلها) . وعاد البلد احسن
مما كان .

وحكى بعض المؤرخين : ان الله اوحى الى اشعيا النبي عليه السلام : ان
ان كورش يعمر بيت المقدس . وذكر لفظ اشعيا الذي ذكره في الفصل الثاني
والمشرين من كتابه حكاية عن الله عز وجل وهو ان الفائل لكورش راعي الذي
يتم جميع محباي ، ويقول لاورشلם عودي مبنية ، ولهيكلها كن زخرفاً مزيناً ،
هكذا قال الرب لمسبحه كورش الذي اخذ يمينه لتدبير الامم وينحي ظهور الملوك
سائراً بفتح الابواب امامه ولا تطلق واسهل الك الوعر واكسر ابواب النحاس وأحبوك
بالذخائر التي في الظلمات انتهى .

ولما عادت عمارة بيت المقدس تراجع اليه بنو اسرائيل من العراق وغيره .
وكانت عمارته في اول سنة تسمين لابتداء ولاية بخت نصر .

ولما رجع بنو اسرائيل الى القدس كان من جلائهم عزيز عليه السلام وكان
بالعراق ، وقدم معه من بني اسرائيل ما يزيد على الفين من العلماء وغيرهم ، ورتب
مع عزيز في القدس مائة وعشرين شيخاً من علماء بني اسرائيل . وكانت التوراة
قد عدت منهم إذ ذاك فمثلها الله في صدر العزيز ووضعها لبني اسرائيل يعرفونها
بحلالها وحرامها ، فأحبوه حباً شديداً . وأصلح العزيز امرهم واقام بينهم على ذلك .
ولبت مع بني اسرائيل في القدس يدبر امهم حتى توفي بعد مضي اربعين

سنة لعمارة بيت المقدس . فتكون وفاته سنة ثلاثين ومائة لا ابتداء ولاية بخت نصر .
واسم العزيز بالعبرانية : عزرا . وهو من ذرية هارون بن عمران .
ثم تولى رئاسة بني اسرائيل بيت المقدس بعد العزيز شمعون الصديق وهو
أيضاً من نسل هارون .

ولما تراجع بنو اسرائيل الى القدس بعد عمارته صار لهم حكام منهم وكانوا
تحت حكم ملوك الفرس ، واستمروا كذلك حتى ظهر الاسكندر ملك اليونان
في سنة خمس وثلاثين واربعمائة لولاية بخت نصر وغلب اليونان على الفرس . ودخل
حينئذ بنو اسرائيل تحت حكم اليونان .

وبين غلبة الاسكندر على ملك الفرس وبين الهجرة الشريفة النبوية تسعمائة
واربع وثلاثون سنة . ومات الاسكندر بعد غلبته لقريب سبع سنين ، فيكون
بين موته وبين الهجرة الشريفة تسعمائة وقريب ثمان وعشرين سنة ، وقد مضى من
لهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من وفاة الاسكندر الى
آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ألفاً وثمانمائة وقريب ثمان وعشرين سنة .
وهذا الاسكندر ايس هو ذو القرنين الذي ذكره الله تعالى في القرآن ، فان
ذاك ملك قديم كان على زمن ابراهيم الخليل عليه السلام ، وتقدم ذكره .

ولما دخل بنو اسرائيل تحت حكم اليونان أقام اليونان من بني اسرائيل ولاية
عليهم ، وكان يقال للمتولي عليهم : هردوس .
استمر بنو اسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الحراب الثاني ،
وتشتت منه بنو اسرائيل ، على ما سنده إن شاء الله تعالى .

﴿ قصة أرميا عليه السلام ﴾

قد تقدم عند ذكر صدقيا الذي هو آخر ملوك بني اسرائيل ان أرميا
نبي عليه السلام كان في أيامه ، وكان يأمر بني اسرائيل بالتوبة ويهددهم ببخت نصر

وم لا يلتفتون اليه . فلما رأى أنهم لا يرجعون عما هم فيه فارقهم أرميا واختفى حتى غزام بخت نصر وغرب القدس كما تقدم ذكره .

ثم ان الله تعالى اوحى الى أرميا : اني عامر بلدة بيت المقدس فاخرج اليها . فخرج أرميا وقدم الى القدس وهي خراب فقال : سبحان الله أمرني الله ان ازل هذه البلدة واخبرني انه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها . ثم وضع رأسه فنام ، ومعه حماره وسلّة فيها طعام وهوتين وركوة فيها عصير عنب .

وكان من قصته ما اخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز في قوله تعالى : (او كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه - اي لم يتغير - وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً * فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير) .

وقد قيل : ان صاحب القصة هو العزيز . والأصح انه أرميا .

وقد أهلك الله بخت نصر بيموضة دخلت دماغه ونجى الله من بقى من بني اسرائيل ولم يمّت بابل ، وردم جميعاً الى بيت المقدس ونواحيه . قال البيهقي في تفسيره : وعمر الله أرميا فهو الذي يرى في القلوات فذلك قوله تعالى : (فأماته الله مائة عام ثم بعثه) اي احياء ، وبعثه الله على السن الذي توفاه عليه بعد مائة سنة وهو اربعون سنة ولابنه عشر ومائة سنة ، ولابن ابنه تسعون سنة ، وأنشد في ذلك :

واسود رأس شاب من قبل ابنه	ومن قبله ابن ابنه فهو اكبر
ترى ابن ابنه شيخاً يجيء على عصا	ولحيته سوداء والرأس اشقر
وما لابنه حيل ولا فضل قوة	يقوم كما يعيش الصبي فيعثر
يعد ابنه في الناس تسعين حجة	وعشرين لا يخوى ولا يتعجر

وعمر ابن أربعين أمراً ولا بن ابنه في الناس تسمون غير
فأهو في المعقول إن كنت دارياً وإن كنت لا تدري فبالجهل تعذر

(فصل)

ولما ملك الاسكندر وقهر الفرس وعظمت مملكة اليونان صار بنو اسرائيل
وغيرهم تحت طاعتهم ، وتوالت ملوك اليونان بعد الاسكندر وكان يقال لكل
واحد منهم بطليوس .

فلما مات الاسكندر ملك بعده بطليوس بن الأعوش عشرين سنة .
ثم ملك بعده بطليوس تخت اخيه واسمه عند اليهود ثلماي - بناءً مثلثة
من فوقها ثم لام ساكنة ثم ميم مفتوحة وبمدها ياء آخر الحروف - وهو الذي نقلت
اليه التوراة وغيرها من كتب الأنبياء من اللغة العبرانية الى اللغة اليونانية . وكان
نقل التوراة بعد عشرين سنة مضت من موت الاسكندر .

ولما تولى بطليوس الثاني تخت اخيه - المسمى عند اليهود ثلماي - وجد
جماعة من الاسارى منهم نحو ثلاثين ألفاً من اليهود فأعتقهم كلهم وأمرهم بالرجوع
الى بلادهم ففرحوا بذلك واكثروا له بالذناء والشكر . فأرسل رسولا وهدايا الى
بني اسرائيل المقيمين بالقدس الشريف وطلب منهم ان يرسلوا له عدة من علماء
بني اسرائيل لنقل التوراة وغيرها الى اللغة اليونانية ، فسارعوا الى امتثال أمره .
ثم ان بني اسرائيل تراحموا على الرواح اليه وبقي كل منهم يختار ذلك واختلفوا
ثم اتفقوا على ان يبعثوا اليه من كل سبط من اسباطهم ستة . فبلغ ذلك من عددهم
اثنين وسبعين رجلاً .

فلما وصلوا الى بطليوس المذكور - المسمى عندهم ثلماي - أحسن قرام
وصيرهم مستأً وثلاثين فرقة وخالف بين اسباطهم وأمرهم فترجوا له ستاً وثلاثين
نسخة من التوراة وقابل بعضها ببعض فوجدها مستوية لم تختلف اختلافاً يعتد به

وفوق النسخ المذكورة في بلاده . وبعد فراغهم من الترجمة أكثر لهم الصلاة وجهزهم الى بلادهم . وسأله المذكورون في نسخة من تلك النسخ ، فأسفهم بنسخة فأخذها المذكورون وعادوا بها الى بني اسرائيل بيت المقدس .

فنسخة التوراة المنقولة لبطليوس المسمى ثلثي أصح نسخ التوراة وأثبتها وهي التوراة اليونانية التي عليها عمل المؤرخين . واما التوراة العبرانية التي بأيدي اليهود ، والتوراة السامرية فكل واحدة منهما مبدلة لا عمل عليها والله أعلم .

﴿ ذكر سيدنا يونس بن متى عليه السلام ﴾

ومتى ابو يونس ، وقيل امه . والذي عليه أكثر العلماء : انه ابوه . وقد ورد في الحديث الشريف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا ينبغي لأحد ان يقول أنا خير من يونس بن متى . ونسبه الى ابيه ولكن نقل الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه : ان متى امه ، قال : ولم يشتهر بني بامه غير عيسى ويونس عليهما السلام .

وقيل : ان يونس من بني اسرائيل وانه من سبط بنيامين وتزوج بنت رجل من الاولياء اسمه زكريا ، وكان زكريا مقيماً بالرملة فأقام يونس عنده ثم بعد وفاة زكريا توجه الى بيت المقدس يعبد الله وكانت بعثته في ايام يوشم بن عذيا هو احد ملوك بني اسرائيل ، وتقدم ذكره عند ذكر يوشم المذكور .

وبعث الله يونس الى اهل نينوى - وهي قبالة الموصل بينهما دجلة - وكانوا يعبدون الأصنام فهاهم واوعدهم العذاب في يوم معلوم ان لم يتوبوا وضمن ذلك عن ربه عز وجل . فلما اظلمهم العذاب آمنوا ، فكشف الله عنهم .

وجاء يونس ذلك اليوم فلم ير العذاب حل ولا علم بإيمانهم فذهب مغاضباً ودخل في سفينة من سفن دجلة فوقفت السفينة ولم تتحرك ، فقال رئيسها : فيكم من له دنس . فتساهموا على من يلقيه في البحر فوقمت المساهمة على يونس

فرموه في البحر (فالتقمه الحوت وهو مليم * وسار به . .) الآية .
 وكان من شأنه ما اخبر الله عنه في كتابه العزيز ، وملخص قصته : ان
 الحوت التقمه ، وكان يونس يسبح على قلب الحوت والحوت يقول يا يونس اسمعني
 تسبيح المغمومين . وهو يقول (لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من الظالمين)
 فتقول الملائكة : إلهنا وسيدنا إنا نسمع تسبيح مكروب كان لك شاكرآ ، اللهم
 فارحمه في غربته وكرهته . قال الله تعالى : (وذا النون إذ ذهب مغاضاً فظن ان
 لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من
 الظالمين) يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت . قال الله تعالى : (فلولا
 انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) .
 وروي : انه ماقرأ هذه الآية مكروب إلا زال كربه وهي في سورة الأنبياء .
 واختلفوا في مدة لبثه فمنهم من قال : اربعين يوماً ، وقيل : ثلاثة ايام .
 فلما انقضت المدة التي قدرها الله له امر الحوت ان يرده الى الموضع
 الذي اخذه منه . فشق ذلك على الحوت لاستثنائه بذكر الله تعالى . ف قيل له :
 اقدفه . فقفذه في الساحل فذلك قوله تعالى : (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) . واسم
 الحوت : النون .

وخرج يونس مثل الفرخ المنتوف وقد ذهب بصره وهو لا يقدر على القيام
 فأثبت الله شجرة من يقطين لها اربعة آلاف غصن فكانت فراشه وغطاءه وامر الله
 الطيبة فجاءته وارضعته حتى قوى ، وهبط عليه جبريل عليه السلام فسلم عليه وامر
 يده على رأسه وجسده فأثبت الله لحيته وزد عليه بصره ، واوحى الله اليه يا-ان
 قومه حين رأوا العذاب . ثم هبط اليه ملك ودفع اليه حاتين وقال : سر الى قومك
 فانهم يطمنونك .

فاتزر بواحدة وارتنى بالأخرى ، وسار يونس عليه السلام واجتمع بزوجه
 وولديه قبل وصوله الى قومه ، ثم وصل الخبر الى قومه ، بوصوله فوثب الملك

عن سريره وخرجوا كلهم الى يونس عليه السلام وسلموا عليه وفرحوا به وحملوه الى المدينة . فأقام فيهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . فمات الملك وماتت زوجته واولاده .

وكانت وفاة يونس في سنة خمسة عشر وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام وقبره في قرية بالقرب من بلد سيدنا الخليل عليه السلام ، وهذه القرية تسمى حلحول وهي على طريق بيت المقدس ، وصار على قبره مسجد ومارة والذي بنى المنارة الملك المعظم عيسى بولاية الأمير رشيد الدين فرج بن عبد الله المعظم في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وقد اشتهر امره والناس يقصدونه للزيارة صلى الله عليه وسلم .

ومتى مدفون بالقرب منه بقرية يقال لها بيت امر . وكان رجلاً صالحاً من اهل بيت النبوة .

﴿ ذكر سيدنا زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ﴾

(وما وقع لسيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وصعوده الى السماء

ومخلص ما وقع لـ زكريا ويحيى عليهما السلام)

أقول - وبالله التوفيق - ان سيدنا زكريا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وكان نبياً وقد ذكره الله في القرآن ، وكان نجاراً . وهو الذي كفل مريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود ، وكانت ام مريم اسمها حنة . وكان زكريا متزوجاً باخت حنة واسمها ايساع ، وكانت زوجة زكريا خالة مريم ولذلك كفل زكريا مريم ، وسنذكر ذلك .

وارسل الله جبريل عليه السلام فيبشر زكريا بيحيى مصداقاً بكلمة من الله يعني عيسى ابن مريم . ثم ارسل الله تعالى جبريل عليه السلام فنفخ في جيب مريم

فحملت بعيسى عليه السلام، وكانت قد حملت خالتها ايساع يحيى . وولد يحيى قبل عيسى بستة اشهر ، ثم ولدت مريم عيسى .

فلما علمت اليهود ان مريم ولدت من غير بل اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة ، فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها . وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة ، وكان قتله بعد ولادة المسيح . وكانت ولادة المسيح لمضي ثلثمائة وثلاث سنين للاسكندر ، ويأتي تحرير تاريخ مولده قريباً . فيكون مقتل زكريا بعد ذلك بيسير .

وأما يحيى ابنه : فإنه نبي ، وهو صغير ودعا الناس الى عبادة الله تعالى ولبس الشعر واجتهد في العبادة حتى نحل جسمه .

وكان عيسى ابن مريم قد حرم نكاح بنت الأخ . وكان لهردوس - وهو الحاكم على بني اسرائيل - بنت أخ واراد ان يتزوجها كما هو جائز في ملة اليهود فنهاه يحيى عن ذلك . فطلبت ام البنات من هردوس ان يقتل يحيى ، فلم يجبها الى ذلك ، فعاودته . وسألته البنات ايضاً والحلت عليه فأجابهما الى ذلك ، وامر يحيى فذبح ووضع رأسه بين يدي هردوس .

فكان الرأس يتكلم ويقول : لا تحل لك .

واستمر غليان دمه ، فأمر بتراب فألقي عليه ، فما إزداد إلا انبعاثاً . فبعث الله عليهم ملكاً من جهة المشرق يقال خردوس ، فقتل منهم على دم يحيى سبعين الفاً الى ان سكن دمه .

وزعم قوم : ان بخت نصر هو الذي غزاهم وقتلهم على دم يحيى . وليس بصحيح : لأن بخت نصر خرب بيت المقدس من قبل ولادة يحيى بنحو خمسمائة سنة ، وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدة يسيرة ؛ لأن عيسى عليه السلام انما ابتداء بالدعوة لما صار له ثلاثون سنة ولما امره الله تعالى ان يدعو الناس الى دين النصارى غمسه يحيى في نهر الاردن ، ولعيسى نحو ثلاثين سنة . وخرج من نهر الاردن

وابتدأ بالدعوة ، وجيمع ما لبث عيسى بعد ذلك ثلاث سنين . فذبح يحيى كان قبل رفع المسيح بنحو سنة ونصف .

قال قتادة : وكان رفعه بعد نبوته بثلاث سنين .

والنصارى تسمي سيدنا يحيى يوحنا المعمدان لكونه عمده المسيح كما ذكر . وكان يحيى عليه السلام لا يأتي النساء لأنه أم يكن له ما للرجال ، فذلك ساء الله تعالى (سيداً وحسوراً) كذا قيل ، وهو غير مرضي . وقد تكلم القاضي عياض في الشفاء على معنى كون يحيى حسوراً بما حاصله : ان هذا الذي قيل لقيصة وعيب لا يليق بالأنبياء وإنما معناه انه معصوم عن الذنوب لا يأتيها كأنه حصر عنها ، او انه حصر نفسه عن الشهوات فمعناها .

ويأتي ذكر الخلاف في محل قبره وقبر والده زكريا عند ذكر قبر مريم «ع» . واما مريم فاسم امها حنة زوجة عمران ، وكانت حنة لا تلد . واشتهت الولد فدعت بذلك ونذرت إن رزقها الله ولداً جعلته من خدمة بيت المقدس .

فحملت حنة وهلك زوجها عمران وهي حاملة . فولدت بنتاً وسمتها مريم ومعناها العابدة ، قال الله تعالى - مخبراً عن امها - : (وليس الذكر كالأنثى) اي لخدمة بيت المقدس ، لما يلحقها من الحيض والنفاس وعدم الصيانة عن التبرج للناس ثم حملتها وانت بها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت : دونكم هذه المندورة . فتنافسوا فيها ، لأنها بنت عمران - وكان من أئمتهم - فقال زكريا : أنا احق بها لأن خالتها زوجتي . فأخذها زكريا وضماها الى ايساع خالتها .

ولما كبرت مريم بنى لها زكريا غرفة في المسجد وانقطعت في تلك الغرفة للعبادة : وكان لا يدخل على مريم غير زكريا فقط ، قال الله تعالى : (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً - فأكهه الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

وارسل الله جبريل فنفخ في جيب مريم . فحملت بعيسى ، وولدت له في بيت لحم وهي قرية قريبة من بيت المقدس سنة اربع وثمانمائة لعلبة الاسكندر . وبين مولد سيدنا عيسى عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام ستائة واحد و ثلاثون سنة . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من مولد المسيح الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة الفأ وخسمائة وإحدى وثلاثين سنة .

ولما جاءت مريم بعيسى تحمله قال لها قومها (نقد جئت شيئاً فريا) واخذوا الحجارة ليرجموها ، فتكلم عيسى وهو في المهد معلقاً في منكبها (قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركاً أينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ..) . فلما سمعوا كلام ابنها تركوها .

ثم ان مريم اخذت عيسى وسارت به الى مصر ، وسار معها ابن عمها يوسف ابن يعقوب ابن ماثان النجار ، وكان حكيماً . ويزعم بعضهم : ان يوسف المذكور قد تزوج بمريم لكنه لم يقربها ، وهو أول من انكر حملها ثم علم وتحقق براءتها وسار معها الى مصر وأقاما هناك اثني عشر سنة .

ثم عاد عيسى وامه الى الشام ونزلا الناصرة ، وبها سميت النصارى . وأقام بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة .

فأوحى الله اليه ، وارسله للناس . وسار الى الاردن وهو نهر الفور المسمى بالشريمة فاعتمد وابتدأ بالدعوة - وكان يحيى بن زكريا هو الذي عمده كما تقدم - وكان ذلك لستة ايام مضت من كانون الثاني لمضي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة للاسكندر .

واظهر عيسى عليه السلام المعجزات وأحيا ميتاً يقال له : عازر ، بعد ثلاثة ايام من موته . وجعل من الطين طائراً ، قيل : هو الخفاش . وابرأ الاكمه والابرص . وكان يمشي على الماء صلى الله عليه وسلم .

{ نزول المائدة }

وانزل الله عليه المائدة ، واوحى اليه الانجيل . وكان عيسى عليه السلام .
يلبس الصوف والشعر ويأكل من نبات الأرض ، وربما تقوّت من غزل امه .
وكان الحواريون الذين اتبعوه اثني عشر رجلاً وهم : شمعون الصفا وبطرس
واخوه أندراوس ويعقوب بن ريدى وفيلبس وبرطولومادس واندريوس ومرقس
ويوحنا ولوقا وتوما ومتى .

وهؤلاء الذين سألوهم نزول المائدة ، فلما سألوهم ذلك قام عيسى فألقى الصوف
عنه ولبس الشعر ووضع يمينه على شماله ووضعها على صدره وصف بين قدميه
وألصق الكعب بالكعب والابهام بالابهام وخفض رأسه خاشعاً ، ثم أرسل عينيه بالبكاء
حتى سالت الدموع على خचितه وجعلت تقطر على صدره وقال : (اللهم ربنا انزل
علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا - اي تكون عطية منك لنا
وعلامة بيننا وبينك وارزقنا عليها طعاماً نأكله - وانت خير الرازقين) .

فنزلت سفرة حمراء بين غماتين ، غمامة فوقها وغمامة تحتها . وهم ينظرون
اليها تهوي منقضة في الهواء ، وعيسى عليه السلام يبكي ويقول : اللهم اجعلنا لك
من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ، إلهي كم أسألك من المعجائب
فتعطيني ، اللهم اني اعوذ بك ان يكون انزالها غضباً ورحزاً . اللهم اجعلها عافية
وسلامة ولا تجعلها فتنة ولا مثلة . حتى استقرت بين عيسى عليه السلام والناس
حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا مثلها . وخر عيسى عليه السلام ساجداً لله تعالى
وخر الحواريون معه .

فبلغ اليهود ذلك فأقبلوا عتواً وكفراً ينظرون فرأوا امرأ عجباً فإذا منديل
مغطى على السفرة ، وجاء عيسى وحلس وهو يقول : من اجرؤنا واوثقنا بنفسه
واخشانا عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى ننظر ونأكل ونسمي باسم ربا

ونحمد إلهنا . قال الحواريون : انت اولى بذلك يا روح الله وكلمته .
فتوضأ عيسى عليه السلام وضوءاً جديداً وصلى صلاة جديدة ودعا ربه دعاءً
كثيراً وبكى بكاءً شديداً طويلاً ، ثم قام حتى جاء عند السفرة فاذا سمكة مشوية
ليس عليها فلوس وليس لها شوك تسيل دسماً وقد نصب حولها من البقول خلا
الكراث واذا عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وخمسة ارغفة على كل واحد منها
زيتون وخمس رمانات وخمس تمرات .

قال شمعون - رأس الحواريين - : يا روح الله وكلمته أמן طعام الدنيا أم
من طعام الآخرة ؟

فقال عيسى : ما اخوفني ان تعاقبوا . قال : لا وإله بني اسرائيل ما اردت
بما سألتك سوءاً يا بن الصديقة . قال : نزلت وما عليها من السماء ، ليس شيء مما
ترون عليها من طعام الدنيا ، ولا من طعام الآخرة . وهي وما عليها شيء ابتدعه
الله بالقدرة النالبة انما قال له كن فكان ، فكلوا مما سألتهم واحمدوا الله ربكم
بمعدكم ويزدكم فانه القادر البديع لما يشاء إذا شاء امراً فانما يقول له كن فيكون .
قال الحواريون : يا روح الله وكلمته لو أريتنا اليوم آية من هذه السمكة ؟
فقال عيسى عليه السلام : يا سمكة احيي باذن الله تعالى . فاضطربت السمكة
طربة تدور عيناها ، لها بصيص تتلمض بفيها كما يتلمظ السبع ، وعاد عليها فلوسها .
ففزع القوم ، فقال عيسى : ما لكم تسألون الشيء فإذا اعطيتموه كرهتموه ، فما
اخوفني ان تمذبوا بهذه السمكة .

ثم قال : عودي كما كنت باذن الله تعالى . فعادت مشوية على حالها .
قلوا : كن انت يا روح الله اول من يأكل ، ثم نأكل بعدك . قال عيسى :
معاذ الله ان يأكل منها إلا من طلبها وسألها . ففرق الحواريون ان تكون انما
نزلت سخطة فيها مثلة ، فلم يأكلوا منها .

ودعاها عيسى عليه السلام بأهل العاقبة والزمانه من الصبيان والمجذومين

والبرصى والمقعدين واصحاب الماء الأصفر والمجانين . فقال : كلوا من رزق الله ودعوه نبيكم فانه رزق ربكم فسكون المهنأة لكم والبلاء لغيركم واذكروا اسم ربكم وكلوا من رزق الله ربكم . ففعلوا .

وصدر عن تلك السمكة والارغفة والرمانات والتمرات والبقول الف وثلاثمائة من رجل وامرأة بين فقير جائع وزمن ومبتلى بأفة كلهم شبعان يتجشئ فنظر عيسى فاذا ماعليها كهيشنه حين نزل من السماء . ورفعت السفرة الى السماء وهم ينظرون اليها . واستغنى كل فقير أكل منها يؤمئذ فلم يزل غنياً حتى مات ، وبرى كل زمن من زمانته فلم يزل بريئاً حتى مات . وندم الخواريون وسائر الناس ممن أبى ان يأكل منها حسرة وشابت منها شعورهم . وكانت اذا نزلت بعد ذلك اقبلوا اليها جبوراً من كل مكان يركب بعضهم بعضاً الأغنياء والفقراء والرجال والنساء . فلما رأى عيسى ذلك جعلها نوباً بينهم .

وكانت تنزل غباً وتنزل يوماً وتغيب يوماً كناقصة ثمود ترعى يوماً وترد يوماً . فلبثت كذلك اربعين صباحاً تغيب يوماً وتنزل يوماً ، حتى اذا فاه الفى طارت صعداً ينظرون اليها والى ظلها في الأرض حتى توارت عنهم .

فأوحى الله الى عيسى : ان اجعل مائدتي رزقاً لليتامى والزمنى دون الأغنياء من الانس . ففعل ذلك عظم على الأغنياء واذاعوا الفبيح حتى شكوا وشككوا فيه الناس . فوقعت فيه الفتنة في قلوب المرتدين ، قال قائلهم : يا روح الله وكلمته ان المائدة لحق أنها تنزل من عند الله .

قال عيسى : ويحكم هلككم ان لم يرحمكم الله . فأوحى الله الى عيسى : اني آخذ بشرطي من المكذبين قد اشترطت عليهم اني معذب من كفر منهم عذاباً لا أعذبه احداً من العالمين بعد نزولها .

قال عيسى : (ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) . فمسح الله منهم ثلثمائة وثلاثين خنازير من ليلتهم . فأصبحوا يأكلون

المذرات في الحشوش ويتبعون ما في الكناسة والطرق ، وكانوا قد باتوا أول الليل على فراشهم عند نسايمهم في ديارهم بأحسن صورة وأوسع رزق .
فأصبح الناس يفرون الى عيسى فرعاً وخوفاً من عقوبة الله تعالى . وعيسى يبكي عليهم ويكُون معه عليهم .

وجاء الخنازير بين يديه تسمى اليه حتى ابصرته ، ينظرون اليه ويشمون رائحته ويسجدون له واعينهم تسيل دموعاً لا يستطيعون الكلام .

ثم قام عيسى يناديهـم بأسمائهم فيقول : يافلان . فيقول برأسه نعم . يافلان ابن فلان قد كنت خوفتكم عذاب الله وعقوبته وكأني قد كنت انظر اليكم ممثلاً بكم في غير صوركم .

قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات) . وقال الله تعالى : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) . فسأل عيسى عليه السلام ربه أن يميتهم . فأماتهم بعد ثلاثة ايام ، فما وارى احد من الناس منهم جيفة في الأرض . نسأل الله تعالى العافية في ذلك ، والله اعلم .

(ذكر صعود سيدنا عيسى الى السماء)

ولما أعلم الله سبحانه وتعالى المسيح انه خارج من الدنيا ، جزع من ذلك فدعا الحواريين ووضع لهم طعاماً وقال : احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة . فلما اجتمعوا بالليل عشام وقام يخدمهم ، فلما فرغ من الطعام اخذ يغسل ايديهم . ويمسحها بشبابه فتعظموا ذلك . فقال : من رد علي شيئاً مما اصنع فليس مني . فتركوه ، فلما فرغ قال لهم : انما فعلت هذا ليكون لكم اسوة بي في خدمة بعضكم بعضاً ، وأما حاجتي اليكم فان تجتهدوا في الداء الى الله تعالى ان يؤخر اجلي .

فلما ارادوا ذلك ألقي الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا الداء . وجعل المسيح

يوقظهم وينبههم فلا يزدادون إلا نوماً وتكاسلاً ، واعلموه انهم مغلوبون على ذلك .
فقال المسيح : سبحان الله يذهب بالراعي وتنتفرق الغنم . ثم قال لهم : الحق
اقول لكم ليكفرن بي أحدكم قبل ان يصيح الديك وليبني أحدكم بدارهم
يسيرة ويأكل ثمنه .

وكان اليهود قد جدوا في طلبه . فحضر بعض الحواريين الى هردوس الحاكم
على اليهود الى جماعة من اليهود وقال : ما نجعلون لي اذا دلتكم على المسيح .
فجعلوا له ثلاثين درهماً ، فأخذها وداهم عليه . فرغم الله عيسى اليه والقي شبهه على
الذي داهم عليه . فان اليهود لما قصدوه اظلمت الدنيا حتى صارت كالليل ، واظلمت
الشمس وظهرت الكواكب وانشقت الصخور ، فلذلك لم يتحققوا المشبه به من
شدة الظلمة وحصول الارجاف .

وقد اختلف العلماء في موته قبل رفعه ف قيل : رفع ولم يمض ، وقيل : بل
توفاه الله ثلاث ساعات ، وقيل : سبع ساعات ثم احياه الله . وتأول قائل هذا
قوله تعالى : (اني متوفيك ورافعك إلي) .

ولما امسك اليهود الشخص المشبه به ربطوه وجعلوا يقودونه بحبل ويقولون
له انت كنت تحيي الموتى أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل ، ويقبضون يديه
ويبصقون في وجهه ويلفون عليه الشوك وصلبوه على الخشب فمكث عليه ست
ساعات . ثم استوهبه يوسف النجار من الحاكم الذي على اليهود وكان اسمه
فيلاطوس ولقبه هردوس ودفنا في قبر كان يوسف المذكور قد اعد له لنفسه .

وانزل الله المسيح من السماء الى امه مريم وهي تبكي عليه ، فقال لها : ان
الله رفعني اليه ولم يصبني إلا الخير . وامرها فجمعت له الحواريين ، فبثهم في الأرض
رسلا عن الله وامرهم ان يبلغوا عنه ما امره الله به . ثم رفعه الله اليه . وتفرق
الحواريون حيث امرهم .

وكان رفع المسيح لمضي ثلاثمائة وست وثلاثين سنة من غلبة الاسكندر على دارم .

ثم ان اربعة من الحواريين وهم متى وثلاث معه اجتمعوا وجمع كل واحد منهم انجيلاً ، وخاتمة انجيل متى ان المسيح قال: اني ارسلتكم الى الامم كما ارسلني ربي اليكم فاذهبوا وادعوا الامم باسم الأب والابن وروح القدس .
وكان بين رفع المسيح ومولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وخمس واربعون سنة تقريباً .

وعاش المسيح الى ان رفع ثلاثاً وثلاثين سنة .

وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة . وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من رفعه الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ألفاً واربعمائة وثمانين وتسعين سنة .

ونزل عليه جبريل عليه السلام عشر مرات . وامته النصارى على اختلافهم . واما امه مريم فلها عاشت نحو ثلاث وخمسين سنة ، لأنها حملت به لما صار لها من العمر ثلاثة عشر سنة ، وعاشت معه مجتمعة ثلاثاً وثلاثين سنة ، ورفع وبقيت بعد رفعه ست سنين ، والله اعلم . ويأتي ذكر قبرها فيما بعد ان شاء الله تعالى .
وكان رفع المسيح من طور زيتا - جبل شرق بيت المقدس - .

وروي انه دعا الله وقت رفعه تعالى بهذا الدعاء - وهو دعاء مستجاب - :
الاهم انت القريب في علوك ، المتعالي في دنوك ، الرقيم على كل شيء من خلقك ، انت الذي نهذ بصرك في خلقك ، وحسرت الأبصار دون النظر اليك ، وغشيت دونك ، وسبح لك الفلق في النور ، انت الذي جليت الظلم بنورك فتباركت اللهم انت خالق الخلق بقدرتك ، مقدر الامور بحكمتك ، مبدع الخلق بعظمتك ، القاضي في كل شيء بعلمك ، الذي خلقت سبباً طباقاً في الهواء بكلماتك ، مستويات الطباق ، مذعنات لطاعتك ، سماعين لملو سلطانك ، فأجبن وهن دخان من خوفهن فأتين طائعين بأمرك ، فيهن الملائكة يسبحونك ويقدمونك ، وجعلت فيهن نوراً يحلوا الظلام وضياء أضواء من الشمس ، وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بها في ظلمات

البر والبحر ورجوماً للشياطين ، فتباركت اللهم في مفطور سماواتك ، وفيما دحيت من الأرض ، ودحوتها على الماء ، فأذلت لها الماء الطاهر فذل لطاعتك ، وأذعن لأمرك ، وخضع لقوتك امواج البحار ففجرت فيها بعد البحار الأنهار ، وبعد الأنهار العيون الغزار والينابيع ، ثم اخرجت منها الأشجار بالثمار ، ثم جمعت على ظهرها الجبال أوتاداً فأطاعتك اطوادها ، فتباركت اللهم صفاتك ، ومن يبلغ صفة قدرتك ، ومن ينمت بنعتك ، وتنشي السحاب ، وتفك الرقاب ، وتقضي الحق وانت خير الفاصلين ، لا إله إلا انت انما يخشاك من عبادك العلماء ، واشهد أنك لست بأله استحدثناك ، ولا رب لنا سواك نذكره ، ولا كان لك شركاء يقضون معك فندعوم وندعك ، ولا اعانك أحد على خلقك فنشك فيك اشهد أنك أحد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً احد ولم تتخذ صاحبة ولا ولداً ، اجعل لي من امري فرجاً ومخرجاً .

فلما أتم دعاءه رفعه الله اليه .

ولما ماتت امه مريم عليها السلام دفنت بالكنيسة المروفة بالجيسمانية خارج باب الاسباط في ذبل جبل طور زيتا ، وهو مكان مشهور يقصده الناس للزيارة من المسلمين والنصارى .

واستمر بيت المقدس عامراً بعد رفع عيسى اربعين سنة فيكون لبثه على صمارته الثانية التي عمرها كورش سبعمائة واحد عشر من سنة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

((ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثاني ، وهلاك اليهود))

(وزوال دولتهم زوالاً لا رجوع بعده)

لما جرى ما تقدم شرحه من رفع المسيح الى السماء استمر بيت المقدس عامراً بعده اربعين سنة . وتولى على بني اسرائيل جماعة من الملوك واحداً بعد

واحد الى ان ملك طيطوس الرومي وكان محل ملكه مدينة روميا من بلاد الافرنج .
ففي السنة الاولى من ملكه قصد بيت المقدس ووقع باليهود وقتلهم واسرهم
عن آخرهم إلا من اختفى ، وخرب بيت المقدس ونهبه واحرق الهيكل واحرق
كتبهم واخلى القدس من بني اسرائيل (كأن لم تفن بالأمس) ولم يعد لهم بعد
ذلك رياسة ولا حكم .

وكان ذلك بعد رفع المسيح بنحو اربعين سنة كما تقدم ، وهي لمضي ثلثمائة
وست وسبعين سنة من غلبة الاسكندر ، وثلثمائة واحدى عشرة سنة مضت لابتداء
ملك بخت نصر . وهذه المرة التي ذكرها الله تعالى فقال : (فاذا جاء وعد الآخرة
من افسادكم) وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع ، وقتلهم يحيى «ع»
فسلط الله عليهم الفرس والروم وخردوش وطيطوس حتى قتلوه وسبوه ونفوه
عن ديارهم ، فذلك قوله تعالى (ليسوؤا وجوهكم - بادخالهم والنم والحزن -
وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا * عسى ربكم ان
يرحمكم) بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم وإن عدتم الى المصيبة عدنا الى العقوبة .
قال قتادة : فمادوا ، فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية
عن يد وهم صاغرون .

وبين هذا التخريب الثاني والهجرة خمسمائة وثمان وخمسون سنة بالتقريب .
وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة ، فيكون الماضي من
خراب بيت المقدس الثاني الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ألفا واربعمائة وثمانين
وخمسين سنة بالتقريب ، وهو تاريخ نشأت اليهود في البلاد والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ذكر عمارة بيت المقدس الشريف المرة الثالثة ﴾

لما جرى ما ذكر من تخريب طيطوس بيت المقدس وما فعله في اليهود تراجع الى العمارة قليلاً قليلاً وترمم شعبه واستمر عامراً حتى سارت هيلانة ام قسطنطين المظفر الى القدس وابنها قسطنطين كان ملكاً في رومية ، ثم انتقل منها الى قسطنطينية وبنى سورها وتصر ، وكان اسمها البرنطية فسميها القسطنطينية .

وزعمت النصارى انه بعد ست سنين خلت من ملكه ظهر له من السماء شبه الصليب فأمر بالنصرانية ، وكان قبل ذلك هو ومن تقدمه على دين الصابئة يعبدون اصناماً على اسماء الكواكب السبعة .

ولمضي عشرين سنة من ملك قسطنطين المذكور اجتمع الفان وثمانمائة واربعون اسقفاً ثم اختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً فحرموا ارنئوس الاسكندري لكونه يقول ان المسيح كان مخلوقاً ، واتفقت الاساقفة المذكورون لدى قسطنطين ووضعوا شرائع النصرانية بعد ان لم تكن ، وكان رئيس هذه البطارقة بطريق الاسكندرية . ومن هنا كان اصل النصرانية في الروم .

وكان قبل ذلك في سنة احدى عشرة خلت من ملكه سارت امه هيلانة - المتقدم ذكرها - الى القدس في طلب خشبة المسيح التي تزعم النصارى ان عيسى عليه السلام صلب عليها . ولما وصلت الى القدس اخرجت خشبة الصليب وأقامت لذلك عيد الصليب ، وبنت كنيسة قمامة على القبر الذي تزعم النصارى ان عيسى دفن فيه ، وبنت المكان المقابل للقمامة المعروف يومئذ بالدركاه ، وكنيسة بيت لحم ، والكنيسة بطور زيتا بمصعد سيدنا عيسى عليه السلام ، وكنيسة الجيسمانية التي بها قبر مريم عليها السلام وغير ذلك ، وخربت هيكل بيت المقدس الى الأرض وهو الذي كان في المسجد ، وامرت ان يلقى في موضعه قمامات البلد وزبالته . فصار موضع الصخرة الشريفة منزلة .

وبقى الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتح بيت المقدس الشريف على ما سنذكره عند ذكر الفتح العمري إن شاء الله تعالى . قال المشرّف عن كعب قال : كانت قبة صخرة بيت المقدس طولها في السماء اثني عشر ميلا ، وكان اهل اريحا وعمواس يستظلون بظلها ، وكان عليها ياقوتة تضيء بالليل كضوء الشمس فاذا كان النهار طمس الله ضوءها ، فلم تزل كذلك حتى اتت الروم فغلبوا عليها .

فلما صارت في ايديهم قالوا : تعالوا نبين عليها افضل من البناء الذي كان عليها . فبنوا عليها على قدر طولها في السماء وزخرفوه بالذهب والفضة . فلما فرغوا من البناء دخله سبعون ألفاً من رهبانهم وشمامستهم في ايديهم مجامر الذهب والفضة واشركوا فيها فانقلبت عليهم فما خرج منهم احد .

فلما رأى ملك الروم ذلك جمع البطارقة والشمامسة ورؤساء الروم فقال لهم : ما ترون ؟ قالوا : نرى انا لم نرض إلهنا فلذلك لم يقبل بناءه . قال : فأمر به الثانية فبنوها وأضعفوا فيها النفقة ودخلوها سبعين ألفاً مثل ما دخلوا اول مرة ، ففعلوا كفعالهم . فلما اشركوا انقلبت عليهم . ولم يكن الملك معهم .

فلما رأى ذلك جميعهم ثالثة وقال لهم : ماترون ؟ قالوا : لم نرض ربنا كما ينبغي فلذلك خربت ونحب ان تبني ثالثة .

فبنوا الثالثة حتى اذا رأوا انهم قد اتقنوها وفرغوا منها جمع النصارى وقال : هل ترون من العيب شيئاً ؟ قالوا : لا . فكللها بصليب الذهب والفضة . ثم دخلها قوم بعد ان اغتسلوا وتطيبوا ، فلما دخلوا اشركوا كما اشرك اصحابهم . فخرت عليهم الثالثة . فجمعهم ملكهم رابعة واستشارهم وكثر خوضهم في ذلك .

فبينما هم على ذلك إذ اقبل عليهم شيخ كبير عليه برانس سود وعبامة سوداء قد انحنى ظهره يتوكأ على عصا وقال : يا معشر النصارى إلي فاني اكبركم سنأ

وقد خرجت من متبعدي لأخبركم ان هذا المكان قد لمن اصحابه وان القدس قد نزع وتحول الى هذا المكان - وأشار الى الموضع الذي بنوا فيه كنيسة القيامة - وانا اريك الموضع ولستم ترونني بعد هذا اليوم ابدأ اقبلوا مني ما اقول لكم . واغواهم وزادهم طغياناً وامرهم ان يلقموا الصخرة ويبنوا بجاراتها الموضع الذي امرهم به .

فبينما هو يكلمهم ويقول لهم ذلك إذخفي فلم يروه . وازدادوا كثرة وقالوا فيه قولاً عظيماً . فخرّبوا بيت المقدس وحملوا الممد وغيرها وبنوا بها كنيسهم ، والكنيسة التي في وادي جهنم .

وقال لهم ! اذا فرغتم من هذه فأفرغوه واتخذوه مزبلة لعذراتكم . ففعلوا ذلك ، حتى كانت المرأة تطرح خرق حيضها عليه من القسطنطينية . واكبوا على ذلك حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأسرى به اليها وذكر فضلها .

حكى ذلك صاحب مثير الغرام قال : وقد تقدم ان بخت نصر هو الذي خرب عمارة سليمان ، وهذا الذي رواه المشرف عن كعب الأخبار يقتضي ان الذي خرب عمارة سليمان وتغلب عليها انما هم الروم ، وهذا غير مستقيم اللهم إلا ان نجعل ملك الفرس المتقدم الباني لها بعد تخريب بخت نصر بنى المكان على نعت بناء سليمان والله سبحانه وتعالى أعلم .

(قصة الفيل)

وهي ان الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير . فلما صار الملك الى ابرهة منهم بنى كنيسة عظيمة وقصد ان يصرف حج العرب اليها ويبطل الكعبة الحرام .

فجاء شخص من العرب فأحدث في تلك الكنيسة . فغضب ابرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل - وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلاً - لهدم الكعبة المشرفة .

فلما وصل الى الطائف بعث الأسود بن مقصود الى مكة فساق اموال اهلها واحضرها الى ابرهة . وارسل ابرهة الى قريش قال لهم : لست اقصد الحرب بل جئت لأهدم الكعبة .

فقال عبد المطلب : والله ما نريد حرب ، هذا بيت الله فان منع عنه فهو بيته وحرمة ، وان خلى بينه وبينه فوالله ما عندنا من دافع . ثم انطلق مع رسول ابرهة اليه . فلما استأذن عبد المطلب ، قالوا لابرهة : هذا سيد قريش . فأذن له ابرهة واكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله عن حاجته . فذكر عبد المطلب أباكره التي اخذت له . فقال له ابرهة : اني كنت اظن أنك تطلب مني اني لا اخرب الكعبة التي هي دينك . فقال عبد المطلب : أنا رب الأباكر فأطلبها ولبيت رب يمنعه . فأمر ابرهة برد الأباكر عليه ، فأخذها عبد المطلب وانصرف الى قريش .

ولما قرب ابرهة من مكة وتها لدخولها بقي كلما اقبل فيله على مكة ينام ويرمي بنفسه الأرض ولم يسر ، فأذا قبلوه غير مكة قام بهرول . وكان اسم الفيل محموداً . فبينما هم كذلك إذ ارسل الله عليهم طيراً أبابيل امثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة احجار في منقاره ورجليه فقذفهم بها ، وهي مثل الحمص والعنبر . فلم تصب منهم احداً إلا هلك ، وليس كلهم اصاب .

ثم ارسل الله سيلاً فآلقاهم في البحر . والذي سلم منهم ولي هارباً مع ابرهة الى اليمن يستبدل الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل ، واصيب ابرهة في جسده وسقطت اعضاؤه ووصل الى صنعاء كذلك ومات .

ولما جرى ذلك خرجت قريش الى منازلهم وغنموا من اموالهم شيئاً كثيراً والله اعلم .

(ذكر سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين)
(وحبيب رب العالمين البشير النذير الداعي إلى الله باذنه السراج المنير)

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .
فقه المذكور هو قريش ، وكل من كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس قرشياً . وقيل : سمي قريشاً لشدة شبهه بدابة من دواب البحر يقال لها : الفرش تأكل دواب البحر وتقهروهم .

وقيل : ان قصي بن كلاب لما استولى على البيت وجمع اشتات بني فهر سمو قريشاً لأنه قرش بني فهر أي جمعهم حول الحرم فقبل لهم قريش . فعلى هذا يكون لفظ قريش اسماً لبني فهر لا لفهر نفسه .

وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ، هذا هو النسب المتفق على صحته من غير خلاف .
وعدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام من غير خلاف ولكن الخلاف في عدة الآباء الذين بين عدنان واسماعيل . فعد بعضهم بينهما نحو اربعين رجلاً ، وعد بعضهم سبعة . والمختار ان : عدنان بن أدد بن اليسع بن الحميس بن سلاط بن بتت بن حمل بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل «ع» ابن تارخ - وهو آزر - بن فاخور بن ساروع بن راعون بن فالغ بن عابر بن صالح بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليهما السلام بن لاخ - ويقال لامك - ابن متوشلح بن أخنوخ - وهو ادريس عليه السلام - بن بارد بن مهلايل ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .

قال علماء السير : كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف في حجر عمها وهيب فقصي اليه عبد المطلب بن هاشم بابنه عبد الله وخطب منه آمنة وعقد عليها نكاحه

ودخل بها فحملت بسيد العالم وأشرف بني آدم .
 ثم خرج عبد الله الى الشام ، وعاد فر. بالمدينة وهو مريض فأقام عند اخواله
 بني عدي بن النجار مدة شهر . وتوفي ودفن في دار النابغة - وهو رجل من
 بني عدي بن النجار - . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن شهرين .
 وقيل : كان حملا .

وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع
 الأول . وقيل : لاثني عشر عام الفيل . وكان قدوم اصحاب الفيل قبل ذلك في نصف
 المحرم . وتقدمت قصتهم .

وبين الفيل وبين مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس وخمسون ليلة وهي
 ستة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين سنة من هبوط آدم عليه السلام ، على حكم
 التوراة اليونانية المعتمدة عند المؤرخين .

ولد صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً ، ففرح به عبد المطلب وحظي عنده
 وقال : ليكونن لابني هذا شأن عظيم . وكان له شأن واي شأن صلى الله عليه وسلم .
 وخلق الله من الأنبياء اربعة عشر مختونين وهم : آدم وشيث ونوح وهود
 وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا ويحيى وحنظلة بن صفوان
 - من اصحاب الرس - ونبينا صلى الله عليه وسلم .

واولوا العزم من الرسل خمسة وهم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ونبينا
 محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل غير ذلك .

وأول الرسل عليهم السلام آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .
 ومن الأنبياء اربعة سريانيون وهم : آدم وشيث واخنوخ - وهو ادريس
 وهو اول من خط بالقلم - ونوح . واربعة من العرب : هود وشعيب وصالح
 ومحمد صلى الله عليه وسلم .

وأول انبياء بني اسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى .

وأما اسماءه صلى الله عليه وسلم فهي ثلاثة وعشرون اسماً : محمد واحمد
والمحيي والحامر والماقب والمقفي ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم والشاهد
والبشير والنذير والضحوك والقتال والمتوكل والفاتح والأمين والخاتم والمصطفى
والرسول والنبي الامي والقسم .

قاله ابن الجزري ، وذكر غيره اسماء كثيرة منها : طه وإس والمزمل والمدثر
والرسول ، وله اسماء غير ذلك . وفيما ذكرته كفاية ، طلباً للاختصار .

واول من ارضعته صلى الله عليه وسلم ثوية بلبن ابن لها يقال له مسروح
اياماً وكانت ارضعت قبله حمزة بن عبدالمطلب فهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخوه من الرضاعة .

ثم قدمت حليلة الى مكة فأخذته ومضت به الى بلادها وهي بادية بني سعد .
واتاه الملكان هناك فشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء
الثلج في طست من ذهب . والقصة مشهورة . فلما علمت حليلة بذلك رجعت به
الى مكة لأهله وهو ابن خمس .

وتوفيت امه آمنة وله ست سنين .

ولما صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر سنة وشهران ارتحل به
ابو طالب الى الشام . فلما نزل ببصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا
في صومعة ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمامة تظله من بين القوم ورأى
فيه امارات النبوة بشر به وقال لآبي طالب : ان لابن اخيك شأناً عظيماً .

وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ ، وكان أعظم الناس مروءة
وحلماً واحسنهم جواباً واصدقهم حديثاً واعظمهم أمانة حتى صار اسمه في قومه
الأمين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة .

وفي سنة خمس وعشرين من مولده تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
ولها اربعون سنة ، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت . ولم يتزوج بكراً غير عائشة .

وولدت له خديجة اولاده كلهم إلا ابراهيم فانه من مارية القبطية ، ويأتي ذكر مولده ووفاته . وبقية اولاده من خديجة وهم : زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة الزهراء والقاسم ، وبه كان يكنى ، توفي بمكة وله من العمر سنة . والطاهر وهو عبد الله ، توفي بمكة بعد النبوة قبل الهجرة . والطيب توفي بمكة .
وأما بناته فكلهن ادركن الاسلام ، فأسلمن وهاجرن معه . فرقية ماتت في سنة اثنين من الهجرة . وزينب في سنة ثمان من الهجرة . وام كلثوم ماتت بعد سرجم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع . وفاطمة ماتت بعد رسول الله (ص) بستة اشهر ، وقيل : اقل من ذلك .

وروي : ان عائشة رضى الله عنها اسقطت سقطاً اسمه عبد الله .
وفي سنة خمس وثلاثين من مولده (ص) هدمت قريش الكعبة . وكان سبب هدمها : انها كانت قصيرة البناء ، فأرادوا رفعها وسقفها فهدموها . ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود فاختصموا فيه ، لأن كل قبيلة ارادت رفعه الى موضعه . ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل من باب الحرم .
وكان اول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا به واخبروه الخبر ، فقال : هلموا إلي ثوباً . فأتي به ، فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة ناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً . ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم . ثم اتوا ببناء الكعبة والله سبحانه وتعالى اعلم .

﴿ ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وابتداء الوحي اليه ﴾

بعث رسول الله (ص) ونزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة ، وكان يوم الاثنين لثاني عشرة ليلة خلت من رمضان . واول ما بدأ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب اليه الخلاء . وكان يخلو

بنار حراء فيتمعبديه فجاءه الملك واقراء كما في الحديث الشريف، والقصة مشهورة .
 فعاد الى خديجة واخبرها الخبر ، فانطلقت به حتى اتت ورقة بن نوفل
 فأخبرته خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي انزله الله على موسى
 يا ليتني فيها جذعاً ليتني اكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : أوخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي
 وإن يدركني يومك انصرك نصرأ مؤزراً . ثم لم يلبث ورقة ان توفي . وفتر الوحي .
 ثم كان اول ما نزل عليه من القرآن بعد (اقرأ باسم ربك) : (نون والقلم
 وما يسطرون . .) ، و (يا أيها المدثر . .) ، (والضحى . .) .

وأول من آمن به من النساء : خديجة زوجته .
 ثم اول شيء فرض الله عليه من شرائع الاسلام - بعد الاقرار بالتوحيد
 والبراءة من الأوثان - : الصلاة . أتاه جبريل فعلمه الوضوء والصلاة .
 ورميت الشياطين بالشهب لمبعثه .

وأسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان عمره احدى عشرة سنة .
 ثم اسلم زيد بن حارثة . ثم اسلم ابو بكر رضي الله عنه ، وقيل : انه اول من
 اسلم . واسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف
 وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فأسلموا وصلوا . وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا الى الاسلام فأسلم
 بعدهم من اسلم .

وامر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين ان يصدع بما يؤمر
 وان يظهر دعوته . وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستتراً بدعوته لا يظهرها إلا
 الى من يثق به . وكان اصحابه اذا ارادوا الصلاة ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا .
 ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع بأمر الله تعالى وامر قومه
 بالاسلام ، فكان المشركون يحصل منهم الضرر للمستضعفين من المسلمين فمن

لا عشيرة له تمنعه يعذبونه بالقائه في الرمضاء على ظهره وقت الظهيرة وبالقائه الصخرة العظيمة على صدره ويقال له : لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، وكانوا يفعلون بهم غير ذلك من انواع التعذيب . ومن المسلمين من مات من فعل المشركين .

وكان بعض المشركين يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزئ به . ثم اسلم حمزة عم النبي (ص) ، فعرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتتم ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه . ثم اسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعز الله باسلامه الدين وقال : يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ قال : اي والذي بعثني بالحق . قال : أما والذي بمثك بالحق نبيا لا يعبد الله بعد اليوم إلا جبراً . فأظهر الله الدين بإيمانه .

(الهجرة الاولى)

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب اصحابه من البلاء امرهم ان يخرجوا الى ارض الحبشة . فخرج جماعة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدموا على النجاشي ، وكان ملكاً عادلاً اسمه اصحمة ومعناه بالعربية : عطية . فأكرمهم واقاموا عنده بخير . ثم اسلم النجاشي بعد ذلك .

وكان السبب في ولايته عليهم بعد قتل امير الحبشة : ان اباہ كان اميراً عليهم فكرهوه ، وكان له اخ فقصدوا ولايته عليهم بعد قتل اخيه فقتلوه ، وقصدوا قتل النجاشي فقال لهم همه : انتم قتلتم اباہ وتقتلوه ، اخرجوه من بلادكم . فأخذوه الى البحر فرأوا سفينة فباعوه ورجعوا الى بلادهم فوجدوا عمه مات ، فقالوا : ذلك من خطيئة النجاشي فأدر كوه واتوا به ليكون اميراً مكان ابيه ، فجأوا به اميراً مكان ابيه ، فأول ما حكم ان الذين اشتروه قالوا : اب

هؤلاء باعونا عبداً واخذوه منا . فقال لهم : اما ان تمطوهم ما اخذتم منهم واما ان تسلموهم بعدهم . فهذا اول حكمه فيهم .

ثم بعد ذلك وقع من الحبشة تمصب على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له : ان هؤلاء لهم دين غير ديننا . فأرسل وراءهم وقال لهم : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقالوا نؤمن به ونصدق به فيما جاء به . فقال للحبشة : ما تقولون في نبيهم ؟ فلم يؤمنوا به . فقال لهم : هؤلاء يؤمنون بنبيكم وانتم لا تؤمنون بنبيهم فانتم الآن ظلمة فكل منكم على دينه ولا احد منكم يعارض هؤلاء . فاستمروا في بلاده مدة ، وعادوا الى اوطانهم .

ومات النجاشي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مات اليوم رجل صالح فصلوا على أخيك اصحمة . فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه .

(أمر الصحيفة)

ولما رأى المشركون ان الاسلام ينمو ويزيد إئتمروا ان يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على ان لا ينكحوا بني هاشم وبني عبد المطلب ولا ينكحوا منهم ، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم . فكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة الشريفة ، وأقاموا على ذلك سنتين او ثلاثاً . هذا ورسول الله (ص) يدعو الناس سرّاً وجهراً ، والوحي يتتابع .

ثم قام قمر من قريش وتعاهدوا على نقض الصحيفة ، ووقع بينهم الخلاف . فقام مطعم بن عدي الى الصحيفة ليشقهها ، فوجد الأرضة قد اكثتها إلا ما كان (باسمك اللهم) كانت قريش تستفتح بها كتابها ، واكثت الأرضة ما فيها من ظلم وقطع رحم وتركت ما فيها من اسم الله تعالى .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك . فاجتمع قريش واحضروا الصحيفة فوجدوا الأمر كما قاله ، فنكسوا رؤسهم . وانفق جماعة من قريش ونقضوا

ما تماهدوا عليه في الصحيفة من قطيعة بني هاشم وبني عبد المطلب . والله أعلم .

(قصة المعراج وما وقع لنبينا محمد (ص) ليلة الإسراء بالمسجد الأقصى)

لما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه الوحي وأمره باظهار دينه وايداه بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس من ايليا - .
وقد فشا الاسلام في قريش وفي القبائل كلها .

وكان الاسراء ليلة سبعم عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وقال ابن الجوزي : وقد قيل : كان في ليلة سبعم وعشرين من شهر رجب .

واختلف الناس في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقليل : انما كان جيم ذلك في المنام . والحق الذي عليه الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين : انه اسرى بحسده صلى الله عليه وسلم يقظة لأن قوله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) تدل على ذلك . ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن كان اسلم .

وقال الكفار : يزعم محمد انه أتى بيت المقدس ورجع الى مكة في ليلة واحدة والعير تطرد اليه شهراً مقبلاً وشهراً مدبراً . فلو كانت رؤيا نوم لم يستبعد ذلك منه . قال ابن عباس : رضي الله عنهما : هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام ، قال الله تعالى : (ما زاغ البصر وما طغى) اضاف الأمر للبصر ، وقال تعالى : (ما كذب العوذ ما رأى) اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها .

واختلف السلف والخلف : هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء . فانكرته عائشة رضي الله عنها .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : رآه بعينه . ومثله عن أبي ذر

وكمب والحسن وكان يخلف على ذلك . وحكي مثله عن ابن مسعود وابن هريرة والامام احمد بن حنبل .

وحكي النقاش عن الامام احمد انه قال : أنا اقول بحديث ابن عباس بعيليه رآه رآه رآه ، حتى انقطع نفس الامام احمد .

واختلفوا في ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه عز وجل ليلة الاسراء ، فذكر عن جعفر بن محمد الصادق انه قال : اوحى الله اليه بلا واسطة . والى هذا ذهب بعض المتكلمين وقال : ان محمداً كلم ربه في ليلة الاسراء ، وحكوه عن ابن عباس وابن مسعود .

واختلف في المكان الذي اسرى به ربه منه : فروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : بينا انا نائم في بيت ام هاني بنت ابي طالب - وفي رواية بينا انا في الحطيم وربما قال : في الحجر مضطجماً ، ومنهم من قال : بينا انا بين النائم واليقظان وكانت ليلة الاثنين إذ هبط على الأمين جبريل عليه السلام . . . وذكر القصة .

وكان من حديث المعراج الشريف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : أتيت بالبراق - وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه - قال : فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين .

وفي رواية فلما دخلت المسجد اذا أنا بالأنبياء والمرسلين قد حشروا إلي من قبورهم ومثلوا لي وقد قعدوا صفوفاً صفوفاً ينتظرونني فسلموا عني ، فقلت يا جبريل من هؤلاء القوم ؟ قال : اخوانك الأنبياء والمرسلون ، زعمت قريش ان الله شريكاً وزعمت النصارى ان الله ولدأ اسأل هؤلاء النبيين هل كان لله شريك ؟ ثم قرأ (واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) .

قال ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر في كتاب التنزيل له : ان هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ليلة الاسراء . وقد

عدتها غيره من العلماء في الشامي ، والذي قاله ابو القاسم اخص مما ذكره .
 فلما نزلت وسميها الأنبياء عليهم السلام اقروا لله عز وجل بالوحدانية .
 قال عليه الصلاة والسلام : ثم جمعهم جبريل وقدمني فصليت بهم ركعتين .
 قال (ص) : ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن ، فأخترت اللبن
 فقال جبريل اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل : من انت ؟ قال : جبريل .
 قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث اليه ؟ قال :
 قد بعث اليه . ففتح لنا ، فاذا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير .
 ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من انت ؟ قال : جبريل .
 قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث اليه ؟ قال :
 قد بعث اليه . ففتح لنا فاذا انا بيني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا «ع»
 فرحبا بي ودعوا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء الثالثة - فذكر مثل الأول - ففتح لنا ، فاذا انا
 يوسف عليه السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير .
 ثم عرج بنا الى السماء الرابعة - وذكر مثله - فاذا انا بادريس فرحب بي
 ودعا لي بخير .

ثم عرج بي الى السماء الخامسة - فذكر مثله - فاذا انا بهارون فرحب بي
 ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء السادسة - فذكر مثله - فاذا انا بموسى فرحب بي
 ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء السابعة - فذكر مثله - فاذا انا بابراهيم مسنداً ظهره
 الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه .
 ثم ذهب بي الى سدره المنتهى ، واذا ورقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها

كالقلال . قال . فلما غشيها الله من امره ما غشيها تغيرت ، فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعمتها من حسنها . فأوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة .

فنزلت الي موسى فقال : ما فرض ربك عليك وعلى امتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع الي ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم . قال : فرجعت الي ربي فقلت : يا رب خفف عن امتي . فحط عني خمساً . فرجعت الي موسى فقلت : حط عني خمساً قال : ان امتك لا يطيقون ذلك فارجم الي ربك فاسأله التخفيف .

قال : فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى صارت خمس صلوات . قال : ان امتك لا يطيقون ذلك فارجم الي ربك فاسأله التخفيف . قال : يا محمد انهن خمس صلوات في اليوم والليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرآ ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فان عملها كتبت سيئة واحدة .

قال فنزلت حتى انتهيت الي موسى فأخبرته ، فقال : ارجع الي ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت قد رجعت الي ربي حتى استحييت منه . وفي رواية : يا موسى قد والله استحييت من ربي بما اختلف اليه . قال : بسم الله فاهبط .

قال صلى الله عليه وسلم : ثم حملني جبريل حتى انزلني على جبل بيت المقدس واذا انا بالبراق واقف على حاله في موضعه فسميت الله واستويت على ظهره ، فما كان بأسرع من ان اشرفت على مكة ومعني جبريل .

قال صلى الله عليه وسلم : لما كان صبيحة ليلة الاسراء اصبحت بمكة متحيراً في امري وعلمت ان الناس يكذبوني فقعدت معتزلاً حزيناً الي ناحية من نواحي المسجد فمر بي ابو جهل عدو الله فجاء حتى جلس إلي فقال - كالمستهزى -

هل كان من شيء يا محمد؟ فقلت: نعم. قال: وما هو؟ قلت: اني اسري بي الليلة. قال: الى اين؟ قلت: الى بيت المقدس. قال: ثم اصبحت بين اظهرنا؟ قلت: نعم. فقال ابو جهل: يا معشر قريش يا معشر بني كعب يا معشر بني لؤي هلموا. فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا الى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال ابو جهل: حدث قومك يا محمد بما حدثتني. فقال رسول الله (ص): اني اسري بي الليلة. قالوا: الى أين؟ قال: الى بيت المقدس. قالوا: ثم اصبحت بين اظهرنا؟ قال: نعم. فبقى منهم المتعجب ومنهم المصفق ومنهم الواضع يده على ام رأسه.

ثم قالوا: هل تستطيع ان تنعت لنا بيت المقدس؟ قلت: نعم. قال: فذهبت انعتة حتى التبس علي بعض النعت لكوني دخلته ليلاً. فجيء بالمسجد انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل، فجعلت انظر اليه واخبرهم عن آياته. قال صلى الله عليه وسلم: وآية ذلك اني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فنفرهم حس الدابة فندلهم بعير فدللهم عليه، ثم اقبلت حتى اذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وان غيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جل أوراق عليه غارارتان احدها سوداء والاخرى براقه فابتدر القوم الثنية فلم يلتهم اولاً إلا الجمل الذي وصف لهم وسألهم عن الاناء فأخبرهم انهم وضعوه مملوء ماء ثم غطوه وانهم افتقدوه من الليل فوجدوه كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا القوم الذين ندلهم البعير فقالوا: صدق والله لقد ندلنا بعير بالوادي الذي ذكره فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه وانه لأشبه الأصوات بصوت محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) فجبثنا حتى اخذناه.

وذهب الناس الى ابي بكر فقالوا: هل لك يا أبا بكر في صاحبك انه يزعم انه قد جاء هذه الليلة ببيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة.

فقال ابو بكر رضي الله عنه : والله لئن كان قال لكم ذلك لقد صدق فما تعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرنا عن الوحي من الله يأتيه من السماء الى الأرض في ساعة واحدة من ليل او نهار فنصدقفه فهذا ابعد مما تعجبون منه . ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أحدثت هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم . قال : صدقت فصنفه لي يا نبي الله فاني جئته . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرفع لي حتى نظرت اليه . وجعل يصنفه لأبي بكر وهو يقول ' صدقت أشهد أنك رسول الله ' ، حتى انتهى . فقال رسول الله (ص) : وانت يا ابا بكر الصديق . فسمي من ذلك اليوم صديقاً . قال الله تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون) .

ثم انزل الله سورة النجم تصديقاً له صلى الله عليه وسلم .
ثم توفي ابو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة رضي الله عنهما قبل الهجرة الشريفة . وماتت خديجة قبل الهجرة الشريفة بخمسة وثمانين يوماً وقيل بخمسة وعشرين يوماً ، وقيل بثلاثة ايام . فغطت المصيبة على رسول الله (ص) بموتهما وقال : ما نالني قريش بشيء اكرهه حتى مات ابو طالب . وذلك ان قريشاً وصلوا من ايدائه بعد موت ابي طالب الى ما لم يكونوا يصلون اليه في حياته . وتزوج بعد خديجة عائشة رضي الله عنها ولها تسع سنين . وتزوج بسودة . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبائل العرب يلتمس منهم نصرته والقيام معه على من يخالفه ، ويدعوم الى الله فلم يجيبوه .

(ابتداء أمر الانصار)

ولما اراد الله إظهار دينه خرج رسول الله ﷺ الى الموسم فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل ، فبينما هو عند العقبة إذ لقي رهطاً من الخزرج فداهم الى الله تعالى . فأجابوه وصدقوه وانصرفوا راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة

منه روز ومعناه حساب الشهور والأيام. فمر بوا الكلمة فقالوا : مؤرخ ، ثم جعلوا اسمه التاريخ واستعملوه. ثم طلبوا وقتاً يجعلونه أولاً لتاريخ دولة الاسلام واتفقوا على ان يكون المبدأ سنة هذه الهجرة ، فكانت هذه الهجرة من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى. وقد تصر من شهور هذه السنة واياها المحرم وصفر وثمانية ايام من ربيع الأول . فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجفوا القهقري ثمانية وستين يوماً وجعلوا مبدأ التاريخ اول المحرم من هذه السنة . ثم احصوا من اول يوم المحرم الى آخر يوم من عمر النبي صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين واياماً ، واذا حسب عمره من الهجرة فيكون قد عاش بعدها تسع سنين واحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً .

واما التواريخ القديمة فكانت الامم السالفة تؤرخ بالاحداث العظام وتملك الملوك . فأرخوا بهبوط آدم ، ثم ببعث نوح ، ثم بالطوفان . وأرخ بنو اسحاق بنار ابراهيم الى يوسف ، ومن يوسف الى مبعث موسى الى ملك سليمان بن داود ثم بما كان من الكوائن . ومنهم من ارخ بوفاة يعقوب عليه السلام ، ثم بخروج موسى من مصر بيني اسرائيل ، ثم بخراب بيت المقدس . واما بنو اسماعيل فأرخوا ببناء الكعبة ، ولم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقوا ، وكان كل من خرج منهم من تهامة يؤرخ بخروجه . ثم ارخوا بعام الفيل ، ثم ارخوا بأيام الحروب . وكانت حمير يؤرخون بملوكهم التابعة . واما اليونان والروم فأرخوا بظهور الاسكندر . واما النبط فكانوا يؤرخون بملك بخت نصر . واما المجوس فكانوا يؤرخون بقتل دارا وظهور الاسكندر ، ثم بظهور اردشير ، ثم بملك يزدجرد . وولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والعرب تؤرخ بعام الفيل .

ولم يزل التاريخ كذلك الى ان ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة . الأمر على ان يؤرخوا بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة . فحملوا التاريخ من المحرم اول عام الهجرة .

وقد ورد في حديث المراج الشريف ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اسرى به : انزل فصل هنا . ففعل . فقال : أتدري أين صليت صليت بطيبة واليهـا المهاجرة .

واما ما كان من حديث الهجرة : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة في شهر ربيع الأول وأمر اصحابه بالمهاجرة الى المدينة . فخرج جماعة وتتابع الصحابة ، ثم هاجر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأقام النبي (ص) بمكة ينتظر ما يؤمر به ، وتخلف معه ابو بكر وعلي رضى الله عنهما .

واجتعت قريش على مكيدة يفعلونها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنجاه الله من مكرم ، وانزل عليه في ذلك . (وإذ يمكر بك الذين كفروا . .) الآية ، وأمره بالمهجرة .

فأمر علياً ان يتخلف عنه ويؤدي ما عنده من الودائع لأربابها . ثم خرج هو وابو بكر الى غار ثور - وهو جبل أسفل مكة فأقاما فيه ، ثم خرجا بعد ثلاثة أيام وتوجها الى المدينة وقدماها لاثني عشر ليلة خلت من ربيع الأول سنة احدى وكان يوم الاثنين الظاهر ، فنزل بقباء وأقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ، واسس مسجد بقاء وهو الذي نزل فيه (لمسجد اسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه رجال) .

ثم خرج من بقاء يوم الجمعة ، وادركته الجمعة في بني عمرو بن عوف فصلاها في المسجد الذي بيطن الوادي ، وكانت اول جمعة صلاها بالمدينة .

فولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وهاجر يوم الاثنين ، وقبض (ص) يوم الاثنين .

واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد ان اوحى اليه فليل : عشر سنين ، وقيل : ثلاثة عشر سنة ، وهو الصحيح . ولعل الذي قال عشر سنين أراد بعد اظهار الدعوة فانه بقي ثلاث سنين يسرها والله اعلم .

﴿ ذكر بناء المسجد الشريف النبوي ﴾

(على صاحبه أفضل الصلاة والسلام)

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل من قباء يريد المدينة فمأمر على دار من دور الانصار إلا قالوا : هلم يا رسول الله الى المدد والعدة . ويعترضون ناقته ، فيقول : خلوا سبيلها فانها مأمورة . حتى انتهت الى موضع مسجد النبي (ص) فبركت هناك . فنزل عنها النبي صلى الله عليه وسلم واخذ ابو ايوب الانصاري الناقة الى بيته .

وكان موضع المسجد مربداً للتمر لسهل وسهيل ابني عمرو - يقيمين في حجر اسعد بن زرارة - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت ناقته : هذا إن شاء الله المنزل . ثم دعا الغلامين فساومهما المربد ليتخذاه مسجداً ، فقالا : لا ، بل نهبه لك يا رسول الله . فأبى ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناء مسجداً . وطمق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنائه .

وقيل : بل كان الموضع لبني النجار وكان فيه قبور المشركين وخرب ونخل فأراد النبي (ص) ان يشتريه من بني النجار . فقال لهم يا بني النجار ثامنوني حائطكم . فقالوا : لا نطلب ثمنه إلا الى الله . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال : فصفوا النخل قبله المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة ، وجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأنصر الأنصار والمهاجرة

وأقام رسول الله (ص) عند أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، وكان قبله يصلي حيث أدركته الصلاة . وبناءه هو والمهاجرون والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين . وكان المسجد الشريف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيّاً باللبن

وسقفه الجريد وعمده خشب النخل . فلم يزد ابو بكر فيه شيئاً ، وزاد فيه عمر وبناء على بنيانه في عهد رسول الله (ص) باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً .
 ثم غيره عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافته فزاد فيه زيادة كثيرة وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج .
 ثم لما صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك - الذي عمر مسجد دمشق - استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكتب اليه في سنة سبع وثمانين من الهجرة الشريفة يأمره بهدم مسجد رسول الله (ص) وهدم بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن ، وأن يدخل البيوت في المسجد بحيث تصير مساحة المسجد مائتي ذراع في مائتي ذراع ، وان يضع اثمان البيوت من بيت المال . فأجابه اهل المدينة الى ذلك ؛ وقدم الصنائع من عند الوليد لعمارة المسجد وتجرد لذلك عمر بن عبد العزيز وشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخل فيه ما حوله من المنازل .

ثم لما صارت الخلافة لبني العباس ووليها المهدي - ابو عبد الله محمد بن ابي جعفر المنصور - وسع المسجد الشريف وزاد فيه وحمل اليه العمد الرخام ورفع سقفه وألبس خارج القبر الشريف الرخام ، وذلك في سنة سبع وستين ومائة . وأمر بتقشير المنابر في البلاد وجعلها بمقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وقد عمر في المسجد الشريف جماعة من ملوك الاسلام من الخلفاء والسلاطين وجددوا فيه اشياء من المحاسن .

وكان قد احترق المسجد الشريف في زمن الملك الظاهر بيبرس رحمه الله فاهتم بعمارته ووضع الدرازينات حول الحجرة الشريفة وعمل فيه منبراً وسقفه بالذهب .
 ثم في عصرنا جرت حادثة وهي في ليلة الثالث عشر من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة وقعت صاعقة بالليل في المدينة الشريفة احترق منها المسجد الشريف النبوي والحجرة الشريفة وجميع ما بالمسجد الشريف من المصاحف والكتب

وغير ذلك.. ووردت الأخبار بذلك الى السلطان الملك الأشرف قايتباي وكتب أهل المدينة الشريفة محضراً بما وقع وجهزوه الى القاهرة في اسرع وقت وجزع الناس لذلك . ثم اهتم السلطان بعمارتها وأقام في ذلك اعظم قيام وانشاء وجدد عمارته فجاءت في غاية الحسن والله الحمد والمنة .

واما المسجد الشريف فله اربعة أبواب من جهتي المشرق والمغرب ، فمن جهة المشرق باب جبريل وباب النساء ، ومن جهة المغرب باب السلام وباب الرحمة . وعليه خمس منابر : اربعة قديمة والخامسة مستجدة بمدرسة السلطان الملك الأشرف قايتباي .

وقد وقف السلطان المشار اليه على المدينة الشريفة اوقافاً كثيرة اكثرها عقارات بالقاهرة ورتب قمحاً يحمل اليها في كل سنة يصرف لأهلها والواردين اليها وكان ذلك في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة عند انتهاء المسجد الشريف .
وانما ذكرت هذه الحوادث هنا استطراداً على وجه الاختصار لتعلقها بالمسجد الشريف .

ولنرجع الى ذكر اخبار الهجرة الشريفة ، فأقول - وبالله التوفيق - :
ولما أقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة ، ففي السنة الاولى من هجرته (ص) بنى بمائسة رضي الله عنها في شهر ذي القعدة وهي بنت تسع سنين . وفيها كانت المؤاخاة بين المسلمين آخى بينهم رسول الله (ص) فاتخذ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه اخاً ، وصار ابو بكر وخارجة بن زيد بن ابي زهير الأنصاري اخوين ، وتواخى ابو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك ، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك ، وسعيد بن زيد وابي بن كعب الأنصاري رضي الله عنهم .

وفيها كانت غزوة الأبواء وهي أول غزواته . ثم غزوة بواط . ثم غزوة العشيرة . ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام ،

وكان تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الشريف الى المسجد الحرام قال الله تعالى :
(قد رى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

وروى الليث عن يونس عن الزهري قال : لم يبعث الله منذ هبط آدم الى
الارض نبياً إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان اول ما نسخ من القرآن القبلة
وذلك ان محمداً صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة ، فلما
هاجر الى المدينة أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي نحو صخرة
بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود إياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون
من نعمته في التوراة . فضلى بعد الهجرة الشريفة ستة عشر او سبعة عشر شهراً الى
بيت المقدس ، وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لأنها كانت قبلة ابيه ابراهيم «ع»
فأنزل الله عليه الآية وامره باستقبال الكعبة .

ولما حوات القبلة كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد القبلتين في بني سلمة
وكان يصلي فيه الظهر الى بيت المقدس ، وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة
الظهر ، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء
مكان الرجال . فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين .

وعن البراء : ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر
أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه ان تكون قبلته البيت . فانه صلى الله عليه وسلم
اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلوا معه
فر على اهل مسجد وهم راكعون فقال : اشهد بالله لقد صليت مع النبي (ص)
قبل مكة . فداروا كلهم وجوههم قبل البيت .

وكانت اليهود قد اعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس ، ولما ولي وجهه
قبل البيت انكروا ذلك .

وقال البراء في حديثه هذا : انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم . فأنزل الله عز وجل : (وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم) .

وكان تحويل القبلة في يوم الثلاثاء منتصف شهر شعبان . وقيل : في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين من السنة الثانية من الهجرة الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام .

وفيها - اعني في السنة الثانية - في شعبان فرض صوم شهر رمضان وامر الناس باخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين . فصام ﷺ تسع رمضانات إجماعاً . وفيها رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري صورة الأذان في النوم وورد به الوحي .

وفيها تزوج علي رضي الله عنه بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ان الله سبحانه وتعالى عقد عقد فاطمة لعلي في السماء فنزل الوحي بذلك . فجمع الصحابة لذلك وارسل وراء علي بن ابي طالب واخبره بالخبر ، فمقد النبي ﷺ عقد علي على فاطمة . فقيل لعلي : اولم يا علي . فنزل بدرعه بييمه . فعرفه عبد الرحمن فاشتراه بألف درهم ودفعها لعلي ، ثم اوهبه الدرع .

وفيها كانت غزوة بدر الكبرى التي اظهر الله بها الدين . وسببها قتل عمرو ابن الحضرمي ، واقبال ابي سفيان بن حرب في غير لقريش عظيمة من الشام وفيها اموال كثيرة . فانتدب المسلمون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا اليهم . فبلغ ابا سفيان ذلك فبعث الى مكة وأعلم قريشاً بذلك .

فخرج المشركون من مكة وكان عدتهم تسعمائة وخمسين رجلاً فيهم مائة فرس . وخرج رسول الله (ص) من المدينة ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً لم يكن فيهم إلا فارسان ، وكانت الابل سبعين يتعاقبون عليها . ونزل في بدر وبني له عريش وجلس فيه ومعه ابو بكر .

واقبلت قريش . فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني به . ولم يزل كذلك . والتقى الصفان وتراحف القوم ، ورسول الله (ص) معه ابو بكر في العريش وهو يدعو ويقول : اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض ، اللهم انجز لي ما وعدتني به . ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فوضعه ابو بكر عليه . وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتقه فقال : ابشر يا ابا بكر فقد أتى نصر الله .

ثم خرج رسول الله (ص) من العريش يحرض المسلمين على القتال ، واخذ خفنة من الحصا ورمى بها قريشاً وقال : شأهت الوجوه . وقال لأصحابه : شدوا عليهم . فكانت الهزيمة على المشركين .

وكانت الوقعة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان . وحمل عبد الله بن مسعود رأس ابي جهل بن هشام الى النبي صلى الله عليه وسلم فسجد شكراً لله تعالى .

ونصر الله نبيه بالملائكة قال تعالى : (إذ تسفيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممددكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله ان الله عزيز حكيم) .

وكان عدة قتلى بدر من المشركين سبعين رجلاً ، والاسرى كذلك . وكان من جملة الاسرى العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما انقضى القتال امر النبي (ص) بسحب القتلى الى القليب ، وكانوا اربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقدفوا فيه . وجميع من استشهد من المسلمين اربعة عشر رجلاً . وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وكانت غيبته تسعة عشر يوماً . وماتت ابنته رقية - زوجة عثمان - في غيبته . وكان عثمان تخلف في المدينة بأمره صلى الله عليه وسلم لسببها .

وفيهما هلك ابو لهب . ثم كانت غزوة بني قينقاع - من اليهود - وأمر باجلائهم . ثم كانت غزوة السويق . ثم كانت غزوة قرقرة الكدر . وقرقرة الكدر : ماء مما يلي جادة العراق الى مكة . وقتل كعب بن الأشرف اليهودي بأمر النبي (ص) . ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة الشريفة ، وفيها كانت غزوة بني النضير - من اليهود - ، وكانت على رأس ستة اشهر من بدر . فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وحرق نخيلهم .

وفيهما كانت غزوة احد ، وسببها : وقعة بدر . فاجتمع المشركون . وكانوا ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس وقائدهم ابو سفيان ، وساروا من مكة حتى نزلوا ذا الحليفة مقابل المدينة يوم الأربعاء لأربع مضين من شوال . وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في الف من الصحابة الى ان صار بين المدينة وأحد ونزل الشعب من أحد .

ثم كانت الوقعة يوم السبت لسبع مضين من شوال . وعدة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة ، وفيهم مائة دارع ، ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين . والتقى الناس ودنا بعضهم من بعض . وقامت هند بنت عتبة في الذسوة اللاتني معها وضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن المشركين على القتال وخرب المسلمين .

وقاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ قتالا شديداً الى ان قتل . ضربه وحشي - عبد جبير بن مطعم وكان جبشياً - بحربة فقتله . وقتل مصعب حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ظن قاتله انه رسول الله ﷺ فقال لقريش : اني قتلت محمداً .

ولما قتل مصعب اعطى النبي ﷺ الراية لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وانهزم المشركون . فطعمت الرماة بالغنيمة وفارقوا المكان الذي امرهم النبي (ص) بملازمته ، ووقع الصراخ ان محمداً قتل . وانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو .

وكان يوم بلاء على المسلمين ، وكان عدة الشهداء منهم سبعين رجلاً . وعدة قتلى المشركين اثنين وعشرين رجلاً .

ووصل العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصابه حجارتهم حتى وقم واصيبت ربايعته وشج وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعو الى ربهم . فنزل في ذلك قوله تعالى : (ايس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) . ودخلت حلقتان من المغفر في وجه الشريف من الشجرة ، ونزع ابو عبيدة بن الجراح احد الحلقتين من وجهه فسقطت ثنيته الواحدة . ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى . ومثلت هند وصواحبها بالقتلى من الصحابة فجذعن الآذان والانوف وبقرت هند عن كبِد حمزة ولاكتها .

وصعد زوجها ابو سفيان الجبل وصرخ بأعلى صوته : الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل - اي اظهر دينك - . فأجابه المسلمون : الله أعلى واجل . ونادى : ان موعدكم بدر العام القابل . فقال النبي (ص) لواحد : قل هو بيننا وبينكم . ثم التمس رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فوجده وقد بقر بطنه وجذع انفه واذناه فقال : لئن اظهرني الله عز وجل على قريش لأمثلن بثلاثين منهم . وجاءه جبريل فأخبره ان حمزة مكتوب في اهل السماوات السبع : حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله . ثم امر النبي (ص) به فسجي ببردة ثم صلى عليه وكبر سبع تكبيرات .

ثم اتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه ثنتين وسبعين صلاة . وهذا دليل لأبي حنيفة فانه يرى الصلاة على الشهيد خلافاً للشافعي واحمد رحمهم الله تعالى .

ثم امر بحمزة فدفن . واحتمل اناس من المسلمين الى المدينة فدفنوا بها . ثم نهام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ادفنوهم حيث صرعوا .

واصبحت عين قتادة فردها رسول الله (ص) بيده وكانت أحسن عينيه .
 واستشهد انس بن النضر عم انس بن مالك ، وقد بلى بلاءً حسناً . وفيه
 نزلت (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . .) الآية .

وفيهما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه وبنى بها وكانت تحت خنيس بن حذافة السهمي .
 ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة بدر الثانية
 وهي في شعبان . وفيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر ليعاد ابي سفيان .
 وخرج ابو سفيان في اهل مكة ، ثم رجع ورجعت قريش معه . وانصرف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة .

ثم دخلت السنة الخامسة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة الخندق وهي
 غزوة الأحزاب ، وكانت في شوال . وسببها : ان نفراً من اليهود حذبوا الأحزاب
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدموا على قريش بمكة يدعونهم الى حربه .
 فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك امر بحفر الخندق حول المدينة وعمل
 فيه بنفسه وفرغ من الخندق .

واقبلت قريش ومن تبعها من بني قريظة . واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون
 كل الظن . واقام رسول الله (ص) والمشركون بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بين
 القوم حرب إلا الرمي . ثم نصر الله نبيه (ص) على المشركين وخذلهم واختلفت
 كلمتهم ، وأهب الله ريح الصبا كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة
 الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) . فجعلت
 الريح تقلب ابنيتهم وتكفأ قدورهم وانقلبوا خاسرين .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الآن نغزوهم ولا يغزونا .
 وكان كذلك حتى فتح مكة .

وفيهما - اي في ذي القعدة - كانت غزوة بني قريظة عقب عود النبي (ص)

الى المدينة من غزوة الخندق بوحي من الله تعالى نزل على نبيه محمد (ص) . فسار اليهم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، وقذف في قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرد الحكم فيهم الى سعد بن معاذ ، فحكم بقتل المقاتلة وسبي الذرية والنساء وقسم الأموال .

ثم رجع النبي (ص) الى المدينة وضرب اعناقهم وكانوا ستائة أو تسعمائة . وقيل : ما بين الثمانمائة والسبعمائة . ثم قسم الأموال والسبايا ، واصطفى لنفسه ريعانة بنت شمعون . فكانت في ملكه حتى مات .

ولم يستشهد في هذه الغزوة سوى خلاد بن زيد بن ثعلبة لقت عليه امرأة من بني قريظة رحاً شدخت رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : له اجر شهيدين . وقتلها به .

ثم دخلت السنة السادسة من الهجرة الشريفة . وفيها في شعبان كانت غزوة بني المصطلق ، وهي غزوة المريسيم . وكان في جملة السبي جويرية بنت الحارث كان اسمها برة ، فسماها رسول الله (ص) جويرية ، وكانت احدى ازواجه . وفيها كانت قصة الافك . فرميت السيدة ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالافك مع صفوان بن المعطل . وكان صفوان حصوياً لا يأتي النساء . والقصة مشهورة في الحديث الشريف .

وفيها نزلت آية التيمم

وفيها كانت غزوة الحديبية وهي : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست معتمراً لا يريد حرباً ، وساق الهدي وأحرم بالعمرة . وشار حتى وصل الى ثنية الزمار مهبط الحديبية اسفل مكة والحديبية بئر . ووقع من معجزاته نبع الماء في ذلك المكان .

وتأهبت قريش للقتال ، وبعثوا رسولهم الى النبي صلى الله عليه وسلم . فبعث رسول الله (ص) عثمان بن عفان اليهم يعلمهم انه لم يأت للحرب وإنما جاء زائراً

ومعظماً لهذا البيت • فلما وصل اليهم امسكوه وحبسوه •
 وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، فدعا الناس الى البيعة ، فكانت
 بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايع الناس على الموت • ثم اتاه الخبر ان عثمان لم يقتل •
 ثم وقع الصلح بين رسول الله (ص) وبين قريش • فانهم بعثوا سهيل بن
 عمرو في الصلح ، فأجاب النبي (ص) • ثم دعا علي بن ابي طالب فقال : اكتب
 بسم الله الرحمن الرحيم • فقال سهيل : لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم •
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم •
 ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله • فقال سهيل : لو شهدت
 انك رسول الله لم اقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك •
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب - هذا ما صالح عليه محمد بن
 عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، وانه من أحب
 ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم
 دخل فيه ، وأشهدوا في ذلك الكتاب على الصلح رجالا من المسلمين والمشركون •
 ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك نحر هديه وحلق رأسه
 وفعل الناس كذلك • ثم عاد الى المدينة ، حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت
 سورة الفتح : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
 ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً) •
 ودخل في الاسلام في هذه السنة مثل ما دخل فيه قبل ذلك واكثر ، والقصة
 مبسطة مشهورة ولكن المراد هنا الاختصار •
 ثم دخلت السنة السابعة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة ذي قرد •
 وذو قرد : موضع على ميلين من المدينة على طريق خيبر • وهي الغزوة التي اغاروا
 فيها على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث •
 وفيها كانت غزوة خيبر في منتصف المحرم • سار النبي صلى الله عليه وسلم

الى خيبر وهي على ثمان برد من المدينة فأشرف عليها وقال لأصحابه : قفوا - ثم قال : اللهم رب السماوات وما اظللن ، ورب الأرضين وما اقللن ، ورب الشياطين وما اضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ، ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها ، اقدموا بسم الله .

ونزل على خيبر ليلاً ولم يعلم أهلها . فلما أصبحوا خرجوا الى اعمالهم ، فلما رأوه عادوا وقالوا : محمد والخميس - يعنون الجيش - . فقال النبي (ص) : الله اكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

ثم حاصرهم وضيق عليهم وأخذ الأموال وفتح الحصون وأصاب سبايا منهم صفية بنت حي فاصطفأها رسول الله ﷺ لنفسه ، وتزوجها وجعل عتقها صداقها . وهذا مذهب الامام أحمد رضي الله عنه ، وهو من مفردات مذهبه .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تخلف بالمدينة لزمه لحقه ، فلما أصبحوا جاء علي فتغل النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه ، فما اشتكى رمداً بعد ما . ثم اعطاه الراية فنهض بها وأتى خيبر . فأشرف عليه رجل من يهود خيبر وقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن ابي طالب . فقال اليهودي ' غلبتم يا ممشر اليهود .

فخرج مرحب من الحصن وعليه منفر يمانى وعلى رأسه بيضة عادية وهو يقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

اطمن احياناً وحيناً اضرب اذا الليوث اقبلت تلهب

فخرج اليه علي رضي الله عنه وهو يقول :

أنا الذي سمعني امي حيدر اكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليث بغابات شديد قسوره

واختلف بينهما ضربتان فسبقه علي رضي الله عنه فقد البيضة والمفر ورأسه

فسقط عدو الله ميتاً .

وكان فتح خيبر في صفر على يد علي رضي الله عنه .

ثم انصرف رسول الله (ص) الى وادي القرى فحاصره ليلة وفتحته عنوة .
ثم سار الى المدينة . وكان قد كتب الى النجاشي يطلب منه بقية المهاجرين ويخطب
ام حبيبة بنت ابي سفيان . فزوجها للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عمها خالد بن
سميد ، واصدقها النجاشي عن النبي (ص) اربعمائة دينار .

وفي غزوة خيبر اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة ، فأخذ منها
قطعة ولاكها ، ثم لفظها وقال : تعجزني هذه الشاة انها مسمومة .

ثم بعد غزوة خيبر كانت غزوة ذات الرقاع فتفارق الناس وام يكن بينهم
حرب . قال ابو موسى : سميت غزوة ذات الرقاع : لما كنا نعصب على ارجلنا
من الخرق .

وفي هذه السنة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك الأرض . وارسل
الى كسرى ، فمزق كتاب النبي (ص) . فلما بلغه ذلك قال : مزق الله ملكه .
فسلط الله عليه ابنه پرويز فقتله .

وأرسل الى قيصر - وهو هرقل - وكان إذ ذاك ببيت المقدس فانه مشى من
حمص الى ايليا شكراً لما كشف الله عنه جنود فارس .

وكان على الصخرة الشريفة مزبلة قد حاذت محراب داود مما القته النصارى
عليها مضارة لليهود ، حتى كانت المرأة تبعث بمخرق حيضها من رومية فتلقى عليها .
فلما قرأ قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انكم يا معشر الروم
لحقيق ان تقتلوا على هذه المزبلة بما اتهمكم من حرمة هذا المسجد كما قتلت
بنو اسرائيل على دم يحيى بن زكريا عليهما السلام . فأمر بكشفها ، فأخذوا في ذلك .
فقدم المسلمون الشام ولم يكشفوا منها إلا ثلثها .

فلما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى بيت المقدس وفتحته ورأى
ما عليها من المزبلة أعظم ذلك ، فأمر بكشفها وسخر لها انباط فلسطين .
واكرم هرقل قاصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دحية الكلبي ،

ووضع كتاب النبي (ص) على فخذه وقصد ان يسلم فمنعه بطارقته ، فخاف على نفسه واعتذر ورد بحية ردأ جميلاً .

وأرسل الى المقوقس - صاحب مصر - . فأكرم القاصد وقبل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم واهدى اليه أربع جوارى احدهن مارية ام ولده ابراهيم واهدى اليه بغلته لدل وسماره يعفور وكسوة .

وارسل الى النجاشي بالحبيشة فقبل كتاب النبي (ص) وآمن به واتبعه وأسلم . وارسل الى الحارث الفسائي بدمشق . فلما قرأ الكتاب قال : ها أنا سائر اليه . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : باد ملسكه .

وارسل الى هوزة ملك اليمامة وكان نصرانياً . فقال : ان جمل الأمر لي من بعده سرت اليه واسلمت ونصرته وإلا قصدت حربه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا كرامة اللهم اكفنيه . فمات بعد قليل .

وارسل الى المنذر ملك البحرين . فأسلم ، واسلم جميع العرب بالبحرين .

﴿ عمرة القضاء ﴾

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة سبع معتمراً عمرة القضاء وساق معه سبعين بدنة . فأبى اهل مكة ان يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيم بها ثلاثة ايام . فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : لا نفر بهذا ، لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن انت محمد بن عبد الله . فقال : أنا رسول الله وانا محمد ابن عبد الله .

ثم قال لملي : اخ رسول الله . فقال علي : والله لا احموك ابداً . فأخذ رسول الله (ص) الكتاب - وليس يحسن ان يكتب - فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله : لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القرب وان لا يخرج من

اهلها بأحد إن اراد ان يتبعه وان لا يمنعه من اصابه احداً إن اراد ان يقيم بها .
 فلما دخل المسجد اضطبع بردائه ورمل في اربعة اشواط من الطواف ، ثم
 خرج الى الصفا والمروة فسمى بينهما . وتزوج في سفره هذا ميمونة بنت الحارث
 - وهو محرم - وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم . وهي آخر امرأة تزوجها .
 واقام بمكة ثلاثاً . فأرسل المشركون اليه مع علي بن ابي طالب : ليخرج عنهم .
 فخرج بميمونة وانصرف الى المدينة صلى الله عليه وسلم .
 ثم دخلت السنة الثامنة من الهجرة الشريفة ، فيها اسلم عمرو بن العاص وخالد
 ابن الوليد رضي الله عنهما .

وفيها كانت غزوة مؤتة ، وهي اول الغزوات بين المسلمين والروم . ومؤتة
 من ارض الشام وهي قبل الكرك . وفيها اتخذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 المنبر وكان يخطب الى جذع نخلة . فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر فان
 الجذع الذي كان يقوم عليه انين الصبي فقال رسول الله (ص) : ان هذا بكى
 لما فقدته من الذكر . فنزل يمسحه بيده حتى سكن .
 فلما هدم المسجد وتغير اخذ ذلك الجذع ابي بن كعب فكان عنده
 في داره حتى بلى .

{ نقض الصلح وفتح مكة }

وسب ذلك : ان بني بكر بن عبد مناف عدت على خزاعة وهم على ماء لهم
 بأسفل مكة يقال له : الوثير . وكانت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وبني بكر في عهد قريش في صلح الحديبية . وكانت بينهم حروب في الجاهلية .
 فكلمت بنو بكر اشراف قريش ان يمينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح فوعدوهم
 ووافوهم متسكرين ، فبيتوا خزاعة ليلا فقتلوا منهم عشرين . ثم ندمت قريش
 على ما فعلوا وعلما ان هذا نقض للعهد الذي بينهم وبين رسول الله (ص) .

وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في طائفة من قومه فقدموا على رسول الله (ص) مستغيثين به . فوقف عمرو عليه وهو جالس في المسجد وانشده ابياتاً يسأله ان ينصره . فقال رسول الله (ص) : نصرت يا عمرو بن سالم .

ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كأنكم بآبي سفيان قد جاء يشد العقدة ويزيد في المدة . فكان كذلك .

ثم قدم ابو سفيان المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة ام المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (ص) طوته عنه فقال : ما ادري أرغبت لي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس . قال : والله لقد اصابك بعدى يا بذية شر .

ثم خرج واتى النبي (ص) فكلمه فلم يرد عليه شيئاً . فذهب الى ابي بكر ثم الى عمر ثم الى علي رضوان الله عليهم اجمعين على ان يكلموا النبي (ص) في امره وتشفع بهم ، فلم يفعلوا . فقال لعلي : يا ابا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فأنصحني . فقال : والله لا اعلم شيئاً يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس والحق بأرضك . قال : أوترى ذلك يغني عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك .

فقام ابو سفيان في المسجد فقال : ايها الناس اني قد اجرت بين الناس . ثم ركب بعيره وانطلق . فلما قدم على قريش قالوا له : ما وراءك ؟ فقص شأنه وانه قد اجار بين الناس . قالوا : فهل اجاز محمد ذلك ؟ قال : لا . قالوا : والله ان زاد الرجل على ان لعب بك .

ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر اهله ان يجهزوه . ثم علم الناس بانه يريد مكة . وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتهم

في بلادهم . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسفره واستخلف على المدينة كلثوم بن الحصين الغفاري .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اعشر مضين من رمضان ومعه المهاجرون والأنصار وطوائف من العرب ، فكان جيشه عشرة آلاف . فصام وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد - وهو الماء الذي بين قديد وعسفان - أفطر .

وبلغ ذلك قريشاً فخرج ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار .

وكان العباس رضي الله عنه اسلم قديماً وكان يكتنم اسلامه فخرج بعياله مهاجراً فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة ، وقيل : بذي الحليفة .

ثم حضر ابو سفيان بن حرب على يد العباس الى النبي (ص) بعد ان استأمن له . فأسلم واسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء . وممن اسلم يومئذ معاوية بن أبي سفيان واخوه يزيد وامه هند بنت عتبة . وكان معاوية يقول : انه اسلم يوم الحديبية فكنتم اسلامه عن ابيه وامه .

وقال العباس : يا رسول الله ان ابا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه . فقال : من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن .

وكان فيمن خرج ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطرق : ابو سفيان بن الحارث وعبد الله بن امية بن المغيرة بالابواء فأعرض عنهما ، فجاء اليه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله فقبلاً وجهه فقال رسول الله (ص) : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) . وقبل منهما اسلامهما . فأنشده ابو سفيان معذراً اليه ابياتاً . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال : انت طردتني كل مطرد .

وكان ابو سفيان بعد ذلك ممن حسن اسلامه . ويقال : انه ما رفع رأسه

الى رسول الله (ص) منذ اسلم حياه منه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ويقول : ارجو ان يكون خلفاً من حمزة .

ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تركز راية سعد بن عبادة بالحجور لما بلغه انه قال : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة . فقال : كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة .

وأمر خالد بن الوليد ان يدخل من اعلا مكة من كداء في بعض الناس . وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتال ، إلا ان خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش فرموه بالنبل ومنعوه من الدخول ، فقاتلهم خالد فقتل من المشركين ثمانية وعشرين رجلاً . فلما ظهر النبي (ص) على ذلك قال : ألم اأمركم عن القتال ؟ فقالوا له : ان خالداً قاتل فقاتل وقتل من المسلمين رجلاً . ودخل النبي (ص) من كداء وهو على ناقته يقرأ سورة الفتح ويرجع .

وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان . ودخل رسول الله (ص) مكة وملكها عنوة بالسيف . والى ذلك ذهب مالك واصحابه وهو الصحيح من مذهب احمد رضي الله عنهم . وقال ابو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما : انها فتحت صلحاً . والله أعلم .

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً قد شد لهم ابليس اقدامها برصاص ، فجاء ومعه قضيب فجعل يرمي الى كل صنم منها فيختر لوجهه فيقول : (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً) حتى مرّ عليها كلها .

وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وحشي بن حرب - قاتل حمزة رضي الله عنه - وهو يقول : اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ! أوحشي ؟ قال : نعم . قال : اخبرني كيف قتلت عمي ؟ فأخبره . فبكى وقال : غيب وجهك عني .

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم قال : يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فانتم الطلقاء . فأعتقهم رسول الله (ص) وكان الله تعالى قد امكنه منهم فكانوا له فيئاً ، فبذلك سمي اهل مكة الطلقاء .

ولما اطمان الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطواف فطاف بالبيت سبماً على راحلته واستلم الركن بمحجن كان في يده ودخل الكعبة ورأى فيها الشخوص على صورة الملائكة ، وصورة ابراهيم وفي يده الازام يستقسم بها فقال : قاتلهم الله جعلوا شيخناً يستقسم بالازام ، ما شأن ابراهيم والأزام . ثم امر بتلك الصورة فطمست ، وصلى في البيت ، ثم جلس (ص) على الصفا .

واجتمع الناس لبيعته على الاسلام ، فكان يبايعهم على السمع والطاعة له ورسوله ، فبايع الرجال ثم النساء .

ولما جاء وقت الظهر يوم الفتح اذن بلال على ظهر الكعبة ، فقال الحارث ابن هشام : ليتني مت قبل هذا . وقال خالد بن اسيد : لقد اكرم الله ابي فلم ير هذا اليوم . فخرج عليهما رسول الله (ص) ثم ذكر لهما ما قالاه . فقال الحارث ابن هشام : اشهد انك رسول الله ، ما اطلم على هذا احد فنقوا - اخبرك .

وقام علي رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية . فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعي له . فقال : هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وقال : خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا الظالم ، يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكأوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف .

وذكر . ان فضالة ابن عمير اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله (ص) : أفضالة ؟ قال : نعم . فضالة

يا رسول الله . ثم قال : ما ذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت اذكر الله تعالى . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : استغفر الله ووضع يده على صدره فسكن قلبه . قال فضالة : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئاً أحب إليّ منه .

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا الى الأصنام التي حول مكة فكسروها . ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره . ولما بعث السرايا حول مكة الى الناس يدعوهم الى الاسلام ولم يأمرهم بقتال . وكان من السرايا سرية خالد بن الوليد فنزل على ماء لبني خزيمه فأقبلوا بالسلاح فقال لهم خالد : ضعوا السلاح فان الناس قد اسلموا . فوضوه . فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا ان يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صباءنا صباءنا . فقتل منهم من قتل . فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال : اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد - مرتين - .

ثم ارسل علي بن ابي طالب (رض) بمال وامره ان يؤدي لهم الدماء والأموال . ففعل ذلك . ثم سأله هل بقي لكم دم او مال ؟ فقالوا : لا . وكان قد فضل مع علي رضي الله عنه قليل مال فدفعه اليهم زيادة تطيب لقلوبهم . واخبر النبي (ص) بذلك فأعجبه .

وفيها كانت غزوة حنين وهوازن ، وكانت في شوال سنة ثمان من الهجرة الشريفة . وحنين : واد بينه وبين مكة ثلاثة اميال .

ولما فتحت مكة تجمعت هوازن بخيولهم واموالهم لحرب رسول الله (ص) ومقدمهم مالك بن عوف النضري ، وانضمت اليه ثقيف وهم اهل الطائف ، وبنو سعد وهم الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم مرتضعاً عندهم . فلما سمع النبي (ص) باجتماعهم خرج من مكة استخون من شوال . وخرج معه اثنا عشر ألفاً : الفان من اهل مكة ، وعشرة آلاف كانت معه . وحضرها جماعة كثيرة من المشركين وهم

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهى الى حنين وركب بغلته الدلدل .
وقال رجل من المسلمين - لما رأى كثرة من مع رسول الله ﷺ : لن يغلب هؤلاء من قلة . وفي ذلك نزل قوله تعالى : (يوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) .

ولما النقوا انهزم المسلمون لا يلوي احد على احد ، وانحاز رسول الله (ص) في نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نائباً ، وتراجع المسلمون واقتتلوا قتالاً شديداً وقال النبي ﷺ : لبغلة : البدي . فوضعت بطنها على الأرض ، وأخذت حفنة من تراب فرمى بها في وجه المشركين ، فكانت الهزيمة عليهم . ونصر الله المسلمين ، واتبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم . ولما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عاصر على جيش لغزوة أوطاس . فاستشهد رضى الله عنه ، وانهزمت ثقيف الى الطائف ، واغلقت باب مدينتهم . فسار النبي صلى الله عليه وسلم وحاصره نيفاً وعشرين يوماً وقاتلهم بالمنجنيق وامر بقطع اعناقهم . ثم رحل عنهم فنزل بالجرانة . واتى اليه بعض هوازن ودخلوا عليه فرد عليهم نصيبه ونصيب بني عبد المطلب ورد الناس ابناهم وانشاءهم . ثم لحق مالك بن عوف - مقدم هوازن - برسول الله (ص) واسلم وحسن اسلامه ، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى من اسلم من تلك القبائل .

وكان عدة السبي الذي اطلقه ستة آلاف . ثم قسم الأموال . وكانت عدة الابل اربعة وعشرين الف بعير ، والغنم اكثر من اربعين الف شاة ، ومن الفضة اربعة آلاف اوقية . واعطى المؤلفه فلوهم مثل ابي سفيان وابنيه يزيد ومعاوية وسهل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام اخي ابي جهل وصفوان ابن امية ، وهؤلاء من قريش . واعطى الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن ومالك بن عوف - مقدم هوازن - وامشاهم . فأعطى لكل من الأشراف مائة

من الابل ، واعطى الآخرين اربعين اربعين ، واعطى العباس بن مرداس السلمي
أباعر لم يرضها ، وقال في ذلك اياتاً :

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عينة والأقعر
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لم يرفع

فروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اقطعوا غني لسانه . فأعطي حتى رضى .
ولما فرق رسول الله (ص) الغنائم لم يعط الانصار شيئاً فوجدوا في انفسهم .
فدعاهم رسول الله (ص) فقال : ان قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة واني
اردت ان احبهم وانا لفهم أما ترضون ان يرجع الناس بالدينا وترجعون برسول الله
الى بيوتكم ؟ قالوا : بلى . قال : والله لو سلك الناس وادياً وسلكت الانصار
شعباً اسلكت وادي الانصار وشعب الانصار .

ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد الى المدينة ، واستخلف على
مكة عتاب بن اسيد وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة ، وترك معه معاذ بن جبل
يفقه الناس .

وحج بالناس في هذه السنة عتاب بن اسيد على ما كانت تحج عليه العرب :
وفي ذي الحجة سنة ثمان ولد ابراهيم بن النبي ﷺ من مارية القبطية .
وفي السنة المذكورة مات حاتم الطائي ، وكان يضرب بجوده وكرمه المثل
وكان من الشعراء المجيدين .

ثم دخلت السنة التاسعة من الهجرة الشريفة ، فيها فرض الله الحج على
الصحيح . وفيها ترادفت وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووفد
كعب بن زهير بن ابي سلمى بعد ان كان النبي (ص) اهدر دمه ومدحه بقصيدته
المشهورة وهي :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم برده . فلما كان زمن معاوية ارسل الى كعب :
 ان بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ما كنت لأوتر شوب
 رسول الله (ص) احداً . فلما مات كعب اشتراها معاوية من اولاده بشرة
 آلاف درهم .

ونقل الملك المؤيد صاحب حماء في تاريخه : انه اشتراها بأربعين الف درهم
 ثم توارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون حتى اخذها التتر .
 وفيها كانت غزوة تبوك ، وهي غزوة المسرة لوقوعها في زمن الحر والبلاد
 مجذبة والناس في عسرة . فانفق ابو بكر جميع ماله ، وانفق عثمان نفقة عظيمة .
 وسار النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك واستخلف علياً رضي الله عنه . فقال
 علي : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون
 من موسى إلا انه ليس نبي بعدي .

وتخلف عبد الله بن ابي المنافق ومن تبعه من اهل النفاق . وتخلف ثلاثة
 من الصحابة وهم : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية . ولم يكن
 لهم عذر .

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد ان اقام بتبوك بضعة عشرة
 ليلة لم يجاوزها ، وكان اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس
 للناس . فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون ، وكانوا بضعة
 وثمانين رجلاً . فقبل منهم رسول الله (ص) علانيتهم وبإيعهم واستغفر لهم ووكّل
 سرائرهم الى الله تعالى .

ثم جاءه كعب وكان تقدمه مرارة وهلال فسألهم عن سبب تخلفهم فأعترفوا
 ان لا عذر لهم . فأمرهم بالمضي حتى يقضي الله فيهم . ونهى النبي ﷺ المسلمين
 عن كلامهم من بين من تخلف عنه . فأجتنبهم الناس ، فلبثوا على ذلك خمسين ليلة .
 ولما مضت اربعون ليلة من الخمسين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم باعتزال نسائهم .

وجاءت امرأة هلال الى النبي (ص) تستأذنه في خدمته . فأذن لها من غير ان يقربها .

فلما كملت لهم خمسون ليلة من حين هيى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامهم اذن لهم رسول الله (ص) بتوبة الله عليهم . وذهب الناس يبشرونهم . وجاء كعب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وسلم عليه فقال له - وهو يبرق وجهه من السرور - ابشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك امك . فقال : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا ، بل من عند الله .

وانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو النواب الرحيم * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

قال كعب : فوالله ما انعم الله عليّ بنعمة قط بعد ان هداني للإسلام اعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن اكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) .

وفي ذي الفعدة من سنة تسم هلك رأس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول . والله أعلم .

﴿ حج أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ﴾

بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضى الله عنه في سنة تسع ليحج بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله (ص) ومعه ثلثمائة رجل . فلما كان بذى الحليفة ارسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضى الله عنه وامره بقراءة آيات من اول سورة براءة على الناس وان ينادي : ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

فسار ابو بكر رضى الله عنه أميراً على الموسم وعلي بن ابي طالب رضى الله عنه يؤذن براءة يوم الاضحى وان لا يحج مشرك ولا يطوف عريان .

ثم دخلت السنة العاشرة من الهجرة الشريفة ، وفيها كان قدوم الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وجاءته وفود العرب قاطبة . ودخل الناس في الدين افواجا كما قال الله تعالى : (اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) . فقدم عليه وفد بني تميم ووفد عبد القيس ووفد بني حنيفة وغيرهم . وفشا الاسلام في جميع القبائل . وفيها توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء لعشر ليال خلت من ربيع الأول .

﴿ حجة الوداع ﴾

خرج النبي صلى الله عليه وسلم حاجاً لخمس بقين من ذي القعدة . وقد اختلف في حجه هل كان قراناً أم تمتعاً أم افراداً . قال صاحب حماء : والأظهر الذي اشتهر انه كان قراناً . وحج رسول الله (ص) بالناس ولحق علي بن ابي طالب رضى الله عنه محرماً فقال : حل كما حل اصحابك . فقال : اني اهللت بما اهل به رسول الله (ص) . فبقى على إحرامه . ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنه ، وعلم

رسول الله (ص) الناس مناسك الحج والسنن . ونزل قوله تعالى: (اليوم يؤس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوم واخشون ، اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) .

فبكى ابو بكر رضي الله عنه لما سمعها وكأنه استشعر بأن ليس بعد الكمال إلا النقصان وانه قد نعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه .

وخطب رسول الله (ص) للناس بعرفة خطبة بين فيها الأحكام . منها : أيها الناس انما النسيء زيادة في الكفر ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً . وتم حجه . وسميت حجة الوداع لأنه لم يحج بعدها . ولم يحج من المدينة الى مكة غير حجة الوداع . ثم رجع رسول الله (ص) الى المدينة وأقام بها حتى خرجت السنة .

وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم تسعة عشر غزوة ، قاتل في تسع منها . وهذه الغزوات غير السرايا .

ثم دخلت السنة الحادية عشر من الهجرة الشريفة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة . وكان قد قدم من حجة الوداع فلأقام بها حتى خرجت سنة عشر والمحرم ومعظم صفر من سنة احدى عشرة . والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم ﴾

قال تعالى : (انك ميت وانهم ميتون * ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ما ازال اجد ألم الطعام الذي اكلت بخير فهذا أوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم .

بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه يوم الأربعاء ليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة في بيت ميمونة . ثم انتقل حين اشتد وجعه الى

بيت عائشة رضى الله عنها .

وعن ابن عباس قال : لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي (ص) : هلموا اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابدأ . فقال بعضهم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثقل عليه الرجم وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله . ثم اختلف اهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا له يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابدأ ، ومنهم من يقول غير ذلك . فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا .

فكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغتهم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : دعا النبي (ص) فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكيت ، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت . فسألناها عن ذلك ، فقالت : سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجهه الذي توفي فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني اني اول اهله لحوقاً به فضحكت .

ولما ثقل وجع النبي صلى الله عليه وسلم جاءه بلال يؤذنه بالصلاة فقال : مروا ابا بكر ان يصلي بالناس . فقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ان ابا بكر رجل أسيف وانه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو امرت عمر . فقال : مروا ابا بكر ان يصلي بالناس . فقالت عائشة لحفصة قولي له : ان ابا بكر رجل اسيف وانه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو امرت عمر . قال : انكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا ابا بكر فليقتلي بالناس . فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة فقام يتهادى بين رجلين ورجلاه يخطان في الأرض حتى دخل المسجد . فلما سمع ابو بكر رضى الله عنه حسه ذهب ابو بكر يتأخر ، فأومأ اليه رسول الله (ص) ، فجاء الى رسول الله (ص) حتى جلس عن يساره فكان ابو بكر يصلي قائماً ، وكان رسول الله (ص) يصلي قاعداً . يقتدي

يقندي ابو بكر رضي الله عنه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون
بصلاة ابي بكر رضي الله عنه .

وعن عائشة رضي الله عنها كانت تقول : ان من نعم الله عليّ : ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وبين سحري ونحري وان الله جمع
بين ربي ورفيقه عند موته ، دخل عبد الرحمن ويده السواك وانا مسندة
رسول الله ﷺ فرأيتَه ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك
فأشار برأسه ان نعم ، فناولته له فاشتد عليه ، فقلت : ألينه لك فأشار برأسه ان
نعم ، فليفته . وبين يديه ركوة او غلبة وفيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح
بها وجهه ويقول : لا إله إلا الله ان للموت سكرات ، ثم نصب يده الكريمة فجعل
يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
- وهو صحيح - : انه لم يقبض نبي حتى يرى مقامه في الجنة ثم يخير . فلما نزل
به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم افاق فأشخص بصره الى سقف البيت ثم قال :
اللهم الرفيق الأعلى . فقلت : إذا لا يختارنا ، فعرفت انه الحديث الذي كان
يحدثنا به وهو صحيح . قالت : وكان آخر كلمة تكلم بها : اللهم الرفيق الاعلى .
وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة .

ونزل عليه جبريل عليه السلام اربعا وعشرين الف مرة .
وتوفي ودرعه مرهون عند يهودى على ثلاثين وسقاً من شعير .
ولما مات قالت فاطمة رضي الله عنها : وا ابتاه أجاب رباً دعاه ، وا ابتاه من
جنة الفردوس . مأواه ، وا ابتاه أتى جبريل ينمائه . فلما دفن قالت : يا انس أطابت
نفوسكم ان تحشوا على نبيكم التراب .

ولما توفي دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت احوالهم في ذلك . فقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات

علوت رأسه بسيفي هذا ، وأما ارتفع الى السماء . فقرأ ابو بكر رضى الله عنه :
(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) .

فرجم القوم الى قوله وبادروا الى سقيفة بني ساعدة ، فبايع عمر ابا بكر
ثم بايعه الناس خلا جماعة .

وغسله صلى الله عليه وسلم علي والعباس وابناء الفضل وقثم ، وغسلوه وعليه
قميصه لم ينزع . وكان علي بن ابي طالب يحضنه الى صدره والعباس يصب الماء .
وكفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية ، وصلى عليه المسلمون افراداً لم يؤمهم احد
وحفر له ابو طلحة الانصاري ودفن في الموضع الذي توفاه الله فيه .

وكانت وفاته يوم الاثنين ، وفرغ من جهازه يوم الثلاثاء ، ودفن في ليلة
الاربعاء في شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة الشريفة . وكان
مرضه ثلاثة عشر ليلة .

قال انس بن مالك رضى الله عنه : لما كان اليوم الذي دخل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني المدينة - اضاه منها كل شيء ، فلما كان
اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء .
ورثاه جماعة منهم ابو بكر وعلي وفاطمة وعمته صفية رضى الله عنهم اجمعين .
والله سبحانه وتعالى اعلم .

(ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم ونبذة من معجزاته)

كان صنئ الله عليه وسلم مليح الوجه ، حسن الخلق ، معتدل القامة ليس
بالقصير ولا بالطويل ، ابيض اللون مشرباً بحمرة ، يتلأأ وجهه كتلاً لؤلؤ القمر
ليلة البدر ، كث اللحية ، واسع الجبين ، بعيد ما بين المنكبين ، لم يبلغ الشيب
في رأسه ولحيته عشرين شعرة ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه

البهاء اجمل الناس وابهام من بعيد ، واحلام واحسنهم من قريب ، بين كتفيه خاتم النبوة ، ريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر . يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله .

واما معجزاته صلى الله عليه وسلم : فأفضلها القرآن الكريم الذي أعجز الفصحاء وأخرس البلغاء . ومنها : انشقاق الصدر والثثامه . ومنها : انشقاق القمر فرقتين . ومنها : نبع الماء من بين أصابعه . وتكثير الطعام ببركته . وكلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة ، وإجابتها دعوته . وسلام الحجر والشجر عليه . وحنين الجذع اليه . وتسبيح الحصى في كفه . وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى ، ولا يحاط به ولا يستقصى . ومن ذا يحيط بالبحر الزاخر ولو أجهد نفسه آناه الليل واطراف النهار . وكان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه ولا يفضب لها ، إلا ان تنتهك حرمت الله تعالى فينتقم لله .

وكان أحسن الناس خلقاً ، وأرجحهم علماً ، وأعظمهم عفواً ، وأسخم كفاً وأوسمهم صدراً ، وأصدقهم لهجة ، وكان أشد حياء من العذراء في خدرها ، وإذا كره شيئاً عرف في وجهه ، ولا يحجز بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . وكان يخصف النمل ، ويرقم الثوب ، ويخدم في مهنة اهله ، ويعيب الدعوة ويقبل الهدية ويكافئ عليها ويأكل منها ، ولا يأكل الصدقة ، ويعود المريض ويشهد الجنائز ، متواضعاً ، يمزح ولا يقول إلا حقاً ، يضحك من غير قهقهة ، وما خير بين شيئين إلا اختار اليسرهما إلا ان يكون فيه أثم او قطيعة رحم فيكون أبعد الناس عن ذلك .

مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام ، أرأف الناس وخيرهم ، لا ترتفع في مجلسه الأصوات ، اذا قام من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا إله إلا انت استغفرك واتوب اليك . طويل الصمت ، لا يتكلم في غير حاجة ، واحب الطعام اليه ما كثرت عليه الأيدي ، واذا وضعت المائدة قال : بسم الله اللهم

اجعلها نعمة مشكورة نصل بها الى نعيم الجنة ، واذا فرغ قال : اللهم لك الحمد
أطعمت وأسقيت وآريت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا .
وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات
وكان يعجبه الثياب الخضراء ، واكثر ثيابه البياض ويقول : ألبسوها احياءكم وكفثوها
فيها موتاكم ، وكان صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وكان زاهداً
في الدنيا مات ولم يخلف ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً ، وعرض عليه ان
تجعل له بطحاء مكة ذهباً فقال : لا يارب اجوع يوماً واشبع يوماً فأما اليوم
الذي اجوع فيه فأتضرع اليك وادعوك وأما اليوم الذي اشبع فيه فأحمدك واثني
عليك . وكان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وآتاه الله علم
الأولين والآخرين ، وفضله على سائر الخلق اجمعين ، ولا يحصى احد مناقبه من
العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين ، وعلى أزواجه الطاهرات
امهات المؤمنين صلاة دائمة الى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

﴿ ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم ﴾

اول من تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ثم سودة بنت زمعة ،
ثم عائشة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما ، ثم زينب بنت خزيمة وكانت تدعى ام الساكنين لأقمتها بهن ،
ومكثت عنده ثمانية اشهر وتوفيت وقد بلغت ثلاثين سنة ودفنت بالبقيع .
ولم يمت من أزواجه في حياته إلا هي وخديجة رضي الله عنهما .

ثم ام سلمة واسمها : هند بنت ابي امية بن المغيرة ، ثم زينب بنت جحش
وكان اسمها : برة فسمها النبي ﷺ : زينب ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه
فطلقها ، فلما حلت زوجها الله تعالى إياه من السماء وهي التي قال الله تعالى فيها : (فلما
قضى زيد منها وطراً زوجناكها) . وأولم عليها واطعمت الساكنين خبزاً ولحماً .

وفيهما نزلت آية الحجاب ، وكانت كثيرة الصدقة والايثار رضى الله عنها . ثم جويرية بنت الحارث وكان اسمها : برة فسماهما جويرية . ثم ام حبيبة واسمها : رملة بنت ابي سفيان اصدقها عنه النجاشي - كما تقدم - . ثم صفية بنت حي من سبي خيبر اصطفاهما لنفسه وتزوجها وجعل عتقها صداقها - كما تقدم - ثم ميمونة بنت الحارث وكان اسمها : برة فسماهما ميمونة وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . فهؤلاء نساؤه المدخول بهن احدى عشرة امرأة ، ومات عن تسع منهن ، وتزوج وخطب صلى الله عليه وسلم نساء غير هؤلاء لكن لم يدخل بهن .

فمن اسماء بنت النعمان الجونية تزوج بها ثم فارقتها . فقيل : ان سبب فراقها انه لما دخلت عليه قالت : اعوذ بالله منك . فقال لها : قد عدت بعظيم أو بماذا إلحقي بأهلك ، وطلقها . فكانت تسمي نفسها بالاشقية . وقيل : ان صاحبة هذه القصة امرأة غير اسماء هذه .

وخولة بنت الهذيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت في الطريق قبل وصولها اليه . وام شريك هي عرفة بنت دودان تزوجها ولم يدخل بها . وصفية بنت هشام العبدي . وشراف الكلابية اخت دحية . والعالية الكلابية ، روي انها مكثت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم طلقها . وسبا السلمية ماتت قبل ان يصل اليها . وقتيلة بنت قيس الكندية قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجها اليه من اليمن . وعمرة بنت يزيد الكلابية طلقها . وضباعة بنت عامر القسيرية خطبها ثم امسك . وليلى بنت الحطيم الاوسية تخطت منكبه وهو غافل فقال : من هذه اكلمها الاسد ؟ فقالت : أنا ليلى بنت الحطيم بن مطعم الطير قد جئتك اعرض عليك نفسي . فقال : قد قبلتك . فرجعت الى اهلها فقالوا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضرائر وانت امرأة غيورة ولسنا نأمن ان تغيظه فيدعوا عليك وتستقبله . فأتته فأقالها . فدخلت بعد ذلك حيطان المدينة فشبذ عليها الأسد فأكلها .

واما سراريه فمكن اربعا : مارية بنت شمعون القبطية أهداها له المقوقس صاحب مصر . وريحانة بنت شمعون النضيرية . واخرى جميلة اصابها في السبي . وجارية وهبتها له زينب بنت جحش .
وتقدم ذكر اولاده صلى الله عليه وسلم .

﴿ ذكر الاسود العنسى ومسيلمة وسجاح وطليحة وما جرى منهم ﴾

أما الأسود فاسمه عبلة وهو ممن ارتدّ وتنبأ ، وكان من الكذابين ، وكان باليمن . وادعى النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة اشهر ، فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ارسل الى نفر من اليمن يأمرهم بقتله . فقتلوه وارسلوا الى رسول الله (ص) بخبره . فسبق خبر السماء اليه فأخبر الناس بذلك قبل وفاته بقليل . ووصل الكذاب بقتل الأسود في خلافة ابي بكر رضي الله عنه ، فكان كما اخبر به صلى الله عليه وسلم .

وكان قتله قبل وفاة النبي (ص) بيوم وليلة .

واما مسيلمة فانه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني حنيفة ثم ارتدّ وادعى النبوة وتسمى : رحمان اليمامة ، وخاف ان لا يتم له مراده فقال : ان محمداً قد اشركني معه . وشرع يسجّم لقومه ويضاهي القرآن وذلك في حياة النبي (ص) وكانت له فتنة فاحشة .

وقتله ابو بكر رضي الله عنه في خلافتيه ، وكان وحشي قاتله بالحربة التي

قتل بها حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وشاركه في قتله رجل من الانصار .

واما سجاح بنت الحارث النميمية كانت قد ادعت النبوة في الردة وتبعها جماعة ، وقصدت قتال ابي بكر . ثم ذهبت الى اليمامة واجتمعت بمسيلمة وتزوجت به . وتنقلت بها الأحوال الى زمن معاوية فأسلمت وحسن إسلامها وانتقلت الى البصرة ومات بها .

واما طليحة الأسدي فانه ادعى النبوة وتبعه جماعة وقوى أمره . وقاتل
خالد بن الوليد في الردة . ثم اسلم وخرج نحو مكة معتمراً في خلافة ابي بكر (رض)
وقاتل في الفتوحات فقتل يوم وقعة نهاوند مع الأعاجم في سنة إحدى وعشرين .
في خلافة عمر رضي الله عنه .

﴿ فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيفيتها ﴾

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول ثم صلوا عليّ ، فانه من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه بها
عشر آثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة لا تنبغي إلا لعبد واحد وارجو ان اكون
أنا ، فمن سأل الوسيلة حلت له الشفاعة .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ان الدعاء موقوف بين السماء والارض
لا يصعد منه شيء حتى تصل على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فاذا فعلت انخرقت
الحجب ودخل الدعاء وإن لم تفعل ذلك رجع الدعاء .

وعنه عليه السلام انه قال : ان انجاكم يوم القيامة من اهلها ومواطنها اكثركم عليّ صلاة
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه أنه قال : حدثني رسول الله (ص)
وعدهن في يدي قال : عدهن في يدي جبريل عليه السلام وقال جبريل هكذا
انزلت بهن من عند رب العزة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم وترحم على محمد
وعلى آل محمد كما ترحم على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم
وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحنن على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد ، اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد .

وعن ابي بكر رضي الله عنه : انه قال : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أحق للذنوب من الماء البارد للنار ، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب .
قال ابن الفاكهاني : قلت : وانما كان أفضل من عتق الرقاب - والله أعلم - لأن عتق الرقاب في مقابلة المتق من النار ودخول الجنة ، والسلام عليه في مقابلة سلام الله تعالى وسلام من الله أفضل من مائة الف الف جنة فناهيك بها من منة فنسأل الله تعالى ان يرزقنا مرافقته في الجنة بعنه وكرمه وجوده وإحسانه آمين .

﴿ ذكر آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

وما يستحب ان يفعله الزائر ويدعو به

يستحب لمن قدم المدينة الشريفة ان يفتسل قبل دخوله اليها ويتطيب ويلبس احسن ثيابه ويدخل بسكينة ووقار ويقول : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ رب ادخلي مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً . ويكره له الركوب في ازقتها إلا لعذر . فاذا وصل الى احد ابواب المسجد الشريف قال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وكف عني ابواب سخطك ، الحمد لله الذي بلغني هذا الموضع الشريف وجعلني أهلاً لحضور هذا المسجد العظيم وزيارة قبر رسوله الكريم فالحمد لله على ذلك عدد نعمه التي لا تحصى وافضاله الذي لا يستقصى ولا ينفى .

ثم يقدم رجله اليمنى قليلاً ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ادخلي مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً . وكذا يتلو اذا خرج ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم يأتي المنبر مستديماً للذكر والثناء والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصل عليه ركعتين تحية المسجد ويتحرى لصلاته جانب المنبر تجاه صندوق .

المصاحف ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف النبي ﷺ الذي كان يؤم الناس فيه .

ثم يقول بعد فراغهما : الحمد لله الذي بلغني هذا المسكان ووفقي لاتبائيه وأوصلني في يسر وعافية ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام والطول والانهام ، فلك الحمد ملئ السموات والأرض وملئ ما شئت من شيء بعد .

ويأتي القبر الشريف من باب المقصورة القبلي ، فإذا وصل المقصورة استقبل وجهه الكريم صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر الشريف على نحو أربعة أذرع من السارية التي في زاوية المقصورة ويجعل القنديل على رأسه ولا يمس الجدار بيده ولا بشيء من بدنه ، ويقف متأدباً بين يديه كما لو كان حياً مظهراً لاحترامه ويستحضر في نفسه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عالم بحضوره وقيامه تجاهه وسلامه عليه وانه يحجب من سلم عليه من بعيد فكيف من قريب ، ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه .
وقد ورد أشياء كثيرة في صفة السلام عليه ، فأياها فعل أجزاءه .

ثم يتقدم يسيراً فيقف ويسلم على خليفته سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
ثم يتقدم يسيراً فيسلم على امير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ما يسر الله له ، ويصلي عند المنبر أيضاً ثم يدعو عند انصرافه فيقول اللهم اني اتيت قبر نبيك صلى الله عليه وسلم متقرباً اليك بزيارته متوسلاً لديك به ، وانت قلت وقولك الحق ولا تخلف الميعاد (ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدهم الله تواباً رحيماً) ، اللهم اجعلها زيارة مقبولة وسعيًا مشكوراً وعملاً مقبلاً مبروراً ودعاء تدخلنا به جنتك وتسبغ علينا رحمتك ، اللهم اجعل سيدنا محمداً انجح السائلين

واكرم الأولين والآخرين ، اللهم كما آمننا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا محشره واوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشرباً رويأ سائئاً هنيئاً لا نظماً بعدها ابداً .

ويستحب له زيارة البقيع ، فيبدأ بقبر سيدنا ابراهيم بن رسول الله (ص) فيزوره ، ويزور قبر العباس ، وعثمان بن عفان ، والحسن بن علي ، وبسات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم . ويستحب زيارة ما بتلك الأرض الشريفة من الأماكن المشهورة .

ثم اذا قصد الذهاب الى وطنه اغتسل ولبس احسن ثيابه واتى المسجد الشريف مكرراً للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأتي القبر الشريف ويسلم على رسول الله (ص) وعلى ضجيعيه ويكثر من الصلاة عليه وعليهما ، ويدعو بما احب من خيري الدنيا والآخرة .

ثم يخرج غير مستدبر القبر الشريف ويبدأ برجله اليسرى قائلاً : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وافتح لي ابواب فضلك وحط غني اوزاري بزيارة نبيك واحسن من قلبي الى اهلي ووطني ببركته صلى الله عليه وسلم يا رب العالمين يا ارحم الراحمين ادخلنا في شفاعته أجمعين .

(ذكر فضائل المسجد الأقصى الشريف وما ورد في ذلك)

من الآيات والاحاديث

قد تقدم في اول الكتاب الكلام على اول سورة الاسراء ، فلو لم يكن له من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية فيه ، لأنه اذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة . وقال الله تعالى :- اخباراً عن نبيه موسى عليه السلام :- (وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) أي المطهرة ، والتقديس هو التطهير . وسمي بيت المقدس مقدساً لأنه يتطهر فيه من الذنوب . وتقدم ذلك عند اسماء بيت المقدس .

قال ابن عباس : بيت المقدس عليه الطل والمطر مذ خلق الله السنين والأيام .
وروي في قوله تعالى : (ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)
قال : هي الأرض المقدسة بآرك الله فيها للعالمين ، لأن كل ماء في الأرض عذب يخرج
منها من اصل الصخرة الشريفة ثم يتفرق في الأرض .

وقال تعالى : (ان الأرض يرثها عبادى الصالحون) قيل في احد الأقوال :
انها الأرض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى : (وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين) قال ابن عباس : هي
بيت المقدس ، وهو قول قتادة وكعب .

وقال كعب : هي أقرب الأرض الى السماء بمائة عشر ميلا ، يعنى لأن
الربوة المكان المرتفع من الأرض .

وقال تعالى : (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب) المنادي : هو
اسرافيل عليه السلام ينادي من صخرة بيت المقدس بالحشر وهي وسط الأرض .
روي ان المكان القريب هو صخرة بيت المقدس .

وقال تعالى : (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) يعنى به
بيت المقدس .

وقال تعالى : (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
المذاب) يعنى بين المؤمنين والمنافقين وهو حائط بين الجنة والنار ، له - اى لذلك
السور - باب فيه الرحمة وهي الجنة ، وظاهره - اى من خارج ذلك السور - ، من
قبله - اى من قبل ذلك الظاهر المذاب - .

وعن أبي العوام قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : ان السور الذي ذكره
الله في القرآن بقوله : (فضرب بينهم بسور له باب) هو سور بيت المقدس الشرقي
باطنه فيه الرحمة المسجد ، وظاهره من قبله المذاب وادي جهنم .

وروي الامام أحمد رضى الله عنه في مسنده من حديث أمامة قال : قبال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لعدوم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما اصابهم من الاواء حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك . قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال : بيت المقدس واكناف بيت المقدس . وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اربع من مداين الجنة : مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس .

وعن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : يا شام انت صفوتي من بلاذي وأنا سائق اليك صفوتي من عبادي من كان مولده فيك فاختار عليك غيرك فبذنب يصيبه ، ومن كان مولده في غيرك فاختارك فبرحمة مني ، يا شام اتسعي لأهلك بالرزق كما يتسع الرحم للولد ، وعيني عليك بالطل والمطر مذ خلقت السنين والأيام . من يعدم فيك المال لا يعدم فيك الخير . يا روم سلم انت مقدسة بنوري وفيك المحشر والمنشر أذكك يوم القيامة كما تزف العروس الى بعلها ، ومن دخلك استغنى عن الزيت والقمح .

وعن معاذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معاذ ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدى من العريش الى الفرات رجالهم ونساءهم وإماؤهم مرابطون الى يوم القيامة ، فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام او بيت المقدس فهو في جهاد الى يوم القيامة .

وعن كعب الأحبار قال : قال الله تعالى لبيت المقدس انت جنتي وقديسي وصفوتي من بلاذي من يسكنك فبرحمة مني ومن خرج منك فبسخط مني عليه .

﴿ فضل الصلاة في بيت المقدس ﴾

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ان سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجو ان يكون قد اعطاه الثالثة ، سأل حكمة يعصاف حيكه فأعطاه إياه ، وسأل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأل إيماناً

رجل يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد ان يخرج من خطيئته كبير ولدته امه ، فنجح نرجو ان يكون قد أعطاه إياه .

وعن مكحول قال : من خرج الى بيت المقدس لغير حاجة إلا الصلاة فصلى فيه خمس صلوات صباحاً وظهراً وعصراً ومغرباً وعشاء خرج من خطيئته كيوم ولدته امه .

وعن كعب قال : شكنا بيت المقدس الى ربه الخراب ، فأوحى الله اليه : لا ملأناك خدوداً سجداً يزفون اليك زيف النور الى اوكارها ويحنون اليك حنين الحمام الى بيضها . فقال رجل : اتق الله يا كعب وان له لساناً ؟ قال : نعم وقاباً كقلب أحدكم .

وعن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار بيت المقدس محتسباً أعطاه الله أجر الف شهيد .

وعنه صلى الله عليه وسلم : من زار عالماً فكأنما زار بيت المقدس ، ومن زار بيت المقدس محتسباً حرم الله لحمه وجسده على النار .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى في بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها .

وعن كعب الأحبار : من أتى بيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة وعن شمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدق بما قل او كثر استجيب له دعاؤه وكشف الله حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ، وإن سأل الله الشهادة اعطاه الله إياها والله أعلم .

(مضاعفة الصلاة في مسجد بيت المقدس)

روي عن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فضلت الصلاة في المسجد الحرام علي غيره بمائة ألف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة

وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة . رواه الامام احمد رضي الله عنه .

﴿ مضاعفة الحسنات والسيئات في مسجد بيت المقدس ﴾

روي عن جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو أنها قالا : الحسنة في بيت المقدس بألف والسيئة بألف .

وعن الليث بن سعد عن نافع قال : قال لي ابن عمر - ونحن ببيت المقدس - : يا نافع اخرج بنا من هذا البيت فإن السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات . وأحرم وخرج من بيت المقدس .

قال العلماء : معنى ذلك ان عقوبة من اقترف ذنباً في احد المساجد الثلاثة اعظم عقوبة ممن اقترفه في غيرها لشرف هذه المساجد وفضلها ، والذنب الواحد في احدها أعظم من ذنوب كثيرة في غيرها من المواضع ولذلك تضاعف فيه السيئات ومعناه : تغليظ عقوبتها ، لا أن الانسان يعمل ذنباً واحداً فيكتب عليه عشرة ذنوب ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز : (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) فقد غلظت الدية على من قتل في الحرم او في الاحرام او في الاشهر الحرم او قتل ذا رحم محرم ، حرمة هذه الاشياء وعظم محلها . فالتعدد في المعنى من حيث انه انتهك حرمة بيوت الله وقد قال الله تعالى : (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة واتوا الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله احسن مما عملوا ويزيدهم من فضله) . وقد ارتكب المصيبة فيها ، فهذا معنى التضميف .

﴿ شد الرحال اليه ﴾

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ،
ومسجدي هذا .

﴿ كراهية استقبال الصخرة ببول أو غائط ﴾

روى أبو داود رحمه الله في سننه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
أن تستقبل القبلتان ببول أو غائط .

وعن نافع ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تستقبلوا
واحدة من القبلتين ببول أو غائط .

وروي تحريم ذلك عن الشعبي

﴿ فضل الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس ﴾

عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله (من)
يقول : من أهل بحج أو عمرة من المسجد الأقصى الشريف إلى المسجد الحرام غفر
الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة .

وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قال : لوددت أنني ما جئت
بيت المقدس . وأحرم منه ابنه عبد الله رضي الله عنه أيضاً .

والماء والرياح يخرجان من تحت صخرة بيت المقدس . روي عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : المياه العذبة والرياح اللواقح
تخرج من تحت صخرة بيت المقدس .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
الأنهار أربعة : سيحان وجيحان والنيل والفرات . فاما سيحان فنهر بلخ ، واما
جيحان فدجلة ، واما النيل فنيل مصر ، واما الفرات ففرات الكوفة . وكل ماء
يشربه ابن آدم فهو من هذه الأربعة ويخرج من تحت صخرة بيت المقدس .
وقد نقل في فضل ماء بيت المقدس وما فيه من المنفعة ، وأن من أراد

ان يشرب ماء في جوف الليل فليقل : يا ماء ماء بيت المقدس يقرئك السلام ثم يشرب
فانه أمان بأذن الله عز وجل .

﴿ بيت المقدس أرض المحشر والمنشر ﴾

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله الصلاة في مسجدك أفضل
من الصلاة في بيت المقدس ؟ قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات
فيه ، ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر .

وعن كعب قال : ان الكعبة بميزان البيت المعمور في السماء السابعة الذي
تحمجه ملائكة الله تعالى لو وقعت منه احجار لوقعت على احجار البيت الحرام وان
الجنة في السماء السابعة بميزان بيت المقدس لو وقع منها حجر لوقع على الصخرة
الشريفة ، ولذلك دعيت اورشليم ، ودعيت الجنة دار السلام .

وقال مقاتل بن سليمان عن بيت المقدس : ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى
عليه نبي مرسل ، او قام عليه ملك مقرب .

وقال وهب بن منبه : أهل بيت المقدس جيران الله ، وحق على الله ان
لا يعذب جيرانه .

وعن عبد الله بن عمر انه قال : ان الحرم المحرم في السماوات السبع بمقداره
في الأرض ، وان بيت المقدس مقدس في السماوات السبع بمقداره في الأرض .

﴿ توكل الملائكة بالمسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى ﴾

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ثلاثة املاك : ملك
موكل بالكعبة ، وملك موكل بمسجدي ، وملك موكل بالمسجد الأقصى . فاما
الموكل بالكعبة فينادي في كل يوم : من ترك فرائض الله خرج من أمان الله ، واما
الموكل بمسجدي هذا فينادي في كل يوم : من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يردحوضه ولا تدركه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، واما الملك الموكل بالمسجد الأقصى فينادي

في كل يوم : من كانت طعمته حراماً كان عمله مضروباً به وجهه .

﴿ فضل اسراج بيت المقدس الشريف عند العجز عن الوصول اليه ﴾
فانه يقوم مقام الصلاة فيه ، وفضل عمارته

روي عن ميمونة بنت سمد مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قالت :
يا رسول الله افتنا في بيت المقدس . فقال : أرض المجشر والمنشر اثنتوه فصلوا فيه
فان كل صلاة فيه كألف صلاة . قلنا : يا رسول الله فمن لم يستطع ان يصل اليه ؟
قال : فمن لم يستطع ان يأتيه فليهد اليه زيتاً يسرج في قناديله فان من أهدى اليه
زيتاً كان كمن اتاه .

وقال صلى الله عليه وسلم : من أسرج في بيت المقدس سراجاً لم تزل الملائكة
تستغفر له ما دام ضوءه في المسجد .

وفي نبوة يحى عليه السلام من بنى في بيت المقدس بناء او أثر فيه اثرأ
حسناً او عمر فيه شيئاً زاد الله في عمره خمسة عشر سنة وزاد الله له من المال والولد
وان كان ملكاً ملكه الله اياها - يعني الأرض - .

﴿ صفة الدجال قاتله الله - الدجال لا يدخل بيت المقدس ﴾

روي عن الضحاك انه قال : الدجال ليس له لحية وافر الشارب طول وجهه
ذراعان وقامته في السماء ثمانون ذراعاً وعرض ما بين منكبيه ثلاثون ذراعاً ، ثيابه
وخفاه وسرجه ولجامه بالذهب والجواهر على رأسه تاج مرصع بالذهب والجواهر
في يده طبرزن هيئته هيئة المجوس ترسه فارسية وكلامه الفارسية ، تطوى له الأرض
ولأصحابه طياً طياً يطأ مجامعها ويرد مناهلها إلا المساجد الأربع مسجد مكة ومسجد
المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد الطور .

وعن عبد الله بن مسعود قال : يدخل الدجال الأرض كلها إلا أربعة مساجد
واربع قرى مكة والمدينة وبيت المقدس وطور سيناء .

وروي نحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص .
وروى تور عن خالد بن صفوان قال : عصمة المؤمنين من المسيح الدجال
بيت المقدس .

وعن ربيعة بن يزيد قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزالون تقاتلون الكفار
حتى تقاتل بقيتكم جنود الدجال ببطن الأردن بينكم النهر انتم غربيه وهم شرقيه .
قال ربيعة : فقال المحدث من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما سمعت
ببهر الاردن إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروي : ان نبي الله عيسى عليه السلام يأخذ من حجارة بيت المقدس ثلاثة
احجار الأول منها يقول : بسم إله ابراهيم ، والثاني يقول : بسم إله اسحاق
والثالث يقول : بسم إله يعقوب ، ثم يخرج بمن معه من المسلمين الى الدجال فإذا
رآه انهزم عنه فيدركه عند باب لد فيرميه بأول حجر فيصيبه بين عينيه ثم الثاني ثم
الثالث فيقع فيضربه سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله ويقتل اليهود حتى ان الحجر
والشجر ليقولان يا مؤمن تحتي يهودي فأته فاقتله .

قال صلى الله عليه وسلم : يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم إماماً مقسطاً
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير .

﴿ فضل الأذان في بيت المقدس ﴾

روي عن جابر رضي الله عنه : ان رجلاً قال : يا رسول الله أي الخلق أول دخوله
الى الجنة ؟ قال : الأنبياء . قال : ثم من ؟ قال : الشهداء . قال : ثم من ؟ قال : مؤذنون
بيت المقدس . قال : ثم من ؟ قال : مؤذنون المسجد الحرام . قال : ثم من ؟ قال :
مؤذنون مسجدي . قال : ثم من ؟ قال : سائر المؤذنين .

وعن العلاء بن هارون قال : بلغني ان الشهداء يسمعون أذان مؤذني
بيت المقدس لصلاة الغداة يوم الجمعة .

وعن كعب قال : لم يستشهد عبد قط في بر ولا بحر إلا وهو يسم أذان مؤذني بيت المقدس ، وأنه يسم أذان مؤذني بيت المقدس من السماء .

﴿ فضل الصدقة في بيت المقدس ﴾

روي عن الحسن البصري رضي الله عنه انه قال : من تصدق في بيت المقدس بدرهم كان له براءة من النار ، ومن تصدق برغيف كان كمن تصدق بجبال الأرض ذهباً .

﴿ فضل الصيام فيه والاستغفار ﴾

روي عن كعب انه قال : من صام يوماً ببيت المقدس اعطاه الله براءة من النار ، ومن استغفر للمؤمنين والمؤمنات في بيت المقدس ثلاث مرات كتب له مثل جميع حسنات المؤمنين والمؤمنات ودخل على كل مؤمن ومؤمنة من دعائه في كل يوم وليلة سبعون مغفرة .

﴿ فضل الدفن في بيت المقدس ﴾

قد سأل موسى عليه السلام ربه ان يدينه من الأرض المقدسة رمية حجر . وتقدم ذكر ذلك عند ذكره عليه السلام .
وعن كعب : ان ببيت المقدس الف قبر من قبور الأنبياء عليهم السلام .
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : من مات ببيت المقدس فكأنما مات في السماء .

﴿ فضل الصخرة ﴾

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : صخرة بيت المقدس من صخور الجنة .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من انهار الجنة وتحت النخلة
 آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ينظمان سموط اهل الجنة الى يوم القيامة .
 وعن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : سيد البقاع بيت المقدس ، وسيد الصخور صخرة بيت المقدس .
 وعن ام عبد الله ابنة خالد بن سعدان عن أبيها : لا تقوم الساعة حتى ترف
 الكعبة الى الصخرة فيتعلق بها جميع من حجها واعتمرها فاذا رأتها الصخرة قالت :
 مرحباً بالزائرة والمزورة .
 وروي ان الله عز وجل يحمل الصخرة يوم القيامة مرجانة بيضاء ثم يبسطها
 عرض السماء والأرض .

﴿ فضل الصلاة عن يمين الصخرة ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن ابي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ :
 صليت ليلة اسري بي الى بيت المقدس عن يمين الصخرة .
 قال المشرف : ولم يختلف اثنان انه عرج به من عند القبة التي يقال لها
 قبة المعراج .

﴿ البلاطة السوداء ﴾

(وهي التي من داخل الباب الشامي من ابواب الصخرة ويعرف هذا الباب بباب الجنة)
 حكى انه رؤي الخضر عليه السلام يصلي هناك والله اعلم . ويقال : ان
 قبر سليمان عليه السلام بهذا الباب . وتقدم عند ذكر وفاته ما قيل ان قبره ببيت المقدس
 عند الجيسمانية ، وانه هو وابوه داود في قبر واحد .

﴿ اليمين عند الصخرة ﴾

حكى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه أمر ان يحمل عمال سليمان بن

عبد الملك يستحلفون عند الصخرة فحلفوا إلا رجلاً واحداً أفذى يمينه بألف دينار يقال له اهيب بن جندب ، فما حال عليهم الحول حتى ماتوا . والله أعلم .

﴿ فضل الصخرة ليلة الرجفة ﴾

روى ابو عمير عن جندب عن رسم الفارسي قال : انت الرجفة فليل لي : قم فأذن ، فاستهنت بذلك . ثم انت الثانية فليل لي : قم فأذن ، فاستهنت بذلك . ثم انت الثالثة فاتهزت انتهaze شديدة وقيل لي : قم فأذن . فأتيت المسجد فاذا الدور قد تهدمت . قال : فخرج لي بعض حراس الصخرة فقال لي : اذهب فأتني بخبر أهلي وأعماله حتى اخبرك بالمعجب . قال : فأتيت منزله فاذا هو قد هدم ، فرجمت فأعلمته ، فقال لي : لما كان من الأمر ما كان اتى اليه فحملت حتى نظرنا الى السماء والنجوم ثم اعيدت فسمعناهم يقولون : ساووها عدلوها . حتى اعيدت على حالها .

ورواه عبيد الله بن محمد القرماني عن ضمرة عن رسم بنحوه وفيه ان الذي خرج اليه رجل من حراس الصخرة الشريفة وكان على كل باب عشرة ، وفيه لما أخبره عن اهله قال : لم نعلم في اول الليل إلا وقد قلعت القبة من موضعها حتى بدت لنا الكواكب ، فلما كان قبل مجيئك سمعنا خفيفاً وجبكت ثم سمعنا قائلاً يقول : ساووها عدلوها . ثلاث مرات ، فأعيدت على حالها .

وروى الوليد بن حماد عن عبد الرحمان بن محمد بن منصور بن ثابت قال حدثني ابي عن ابيه عن جده ان ابا عثمان الانصاري كان يحيي الليل بعد انصرافه من القيام في شهر رمضان على البلاطة السوداء ، قال فينما هو قائم في الصلاة حتى سمع صوت الهددة في المدينة وصراخ الناس واستغاثهم . وكانت ليلة باردة مظامة كثيرة الرياح والأمطار . قال : سمعت قائلاً يقول - اسمع الصوت ولا أرى الشخص - ارفعوها رويداً بسم الله . فقلعت القبة قلماً حتى تبدى لنا يباض السماء والنجوم

فأصاب وجهه من رش المطر حتى أذن رستم الفارسي فسمع قائلاً يقول : ردوها
رويداً بسم الله ساووها أعدلوها . فردت القبة على ما كانت عليه ، وكانت هذا
في الرجفة الاولى . وكانت هذه الرجفة في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائة . والله
سبحانه وتعالى اعلم .

﴿ نبذة مما ذكر من فضائل بيت المقدس الشريف المعظم ﴾

قد تقدم ما رواه ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال : اربع من مدائن الجنة : مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس .
وروى المشرف بسنده عن عمران بن الحصين قال : قلت يا رسول الله
ما أحسن المدينة . قال : لو رأيت بيت المقدس . قال : قلت أهى احسن منها ؟ فقال :
كيف لا تكون احسن منها وكل من فيها يزار ولا يزور وتهدى اليه الأرواح
ولا يهدى روح بيت المقدس لغيرها ، إلا ان الله اكرم المدينة الشريفة وطيبها بي
وانا فيها حي ، وانا فيها ميت ، ولولا ذلك ما هاجرت من مكة فاني ما رأيت القمر
في بلاد قط إلا وهو بمكة احسن .

وروي ان موسى عليه السلام نظر وهو ببيت المقدس الى نور رب العزة
ينزل ويصعد الى بيت المقدس .

وعن كعب قال : باب مفتوح من السماء من ابواب الجنة ينزل منه النور
والرحمة على بيت المقدس كل صباح حتى تقوم الساعة ، والطل الذي ينزل على بيت
المقدس شفاء من كل داء لأنه من الجنة .

وعن مقاتل بن سليمان : ان كل ليلة ينزل سبعون الف ملك من السماء الى
مسجد بيت المقدس يهللون الله ويسبحونه ويقدمونه ويحمدونه لا يعودون اليه
حتى تقوم الساعة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من أراد ان ينظر الى بقعة من بقع الجنة فلينظر الى بيت المقدس .
 وقال كعب : ان الله ينظر الى بيت المقدس كل يوم مرتين .
 وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : ان الجنة لتحن شوقاً الى بيت المقدس
 وبيت المقدس من جنة الفردوس ، والفردوس بالسريانية : البستان ، وقيل الكرم .
 وعن خالد بن معدان : ان حذو بيت المقدس باب من السماء يهبط منه كل
 يوم سبعون الف ملك يستغفرون لمن يجدونه يصلي فيه .
 وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته
 وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه نبي او قام عليه ملك .
 وقال مقاتل : ان الله تعالى تكفل لمن سكن بيت المقدس بالرزق إن فاته
 المال ، ومن مات مقيماً محتسباً في بيت المقدس فكأنما مات في السماء ، ومن مات
 حول بيت المقدس فكأنما مات في بيت المقدس ، واول ارض بارك الله فيها
 بيت المقدس والارض المقدسة التي ذكرها الله في القرآن فقال : (الى الارض التي
 باركنا فيها للعالمين) : هي ارض بيت المقدس .
 وكلم الله موسى في ارض بيت المقدس .
 وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام في ارض بيت المقدس .
 ورد الله على سليمان ملكه في بيت المقدس .
 وبشر الله زكريا ببعثي في بيت المقدس .
 وسخر الله لداود الجبال والطير في بيت المقدس .
 وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يقربون القرابين ببيت المقدس .
 وتتغلب يأجوج على الارض كلها غير بيت المقدس . ويهلكهم الله في ارض
 بيت المقدس .

وينظر الله كل يوم بخير الى بيت المقدس .
 واوصى ابراهيم واسحاق عليهما السلام لما ماتا ان يدفنا بأرض بيت المقدس .

واوصى آدم عليه السلام لما مات بأرض الهند ، ان يدفن بييت المقدس .
واوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء
في بيت المقدس .

وولد عيسى عليه السلام وتكلم في المهد في بيت المقدس . وانزلت عليه المائدة
في ارض بيت المقدس . ورفعته الله الى السماء من بيت المقدس . وينزل من السماء
الى الأرض بييت المقدس .

وماتت مريم عليها السلام بييت المقدس .
وماجر ابراهيم عليه السلام من كونا الى بيت المقدس
وصلى النبي ﷺ زماناً الى بيت المقدس . واسري به الى بيت المقدس .
وتكون الهجرة في آخر الزمان الى بيت المقدس . والمحشر والمنشر الى
بيت المقدس . والحساب يوم القيامة الى بيت المقدس . وينصب الصراط على جهنم
الى الجنة بييت المقدس . وينفخ اسرافيل في الصور بييت المقدس .
والحوت الذي الأرضون على ظهره : رأسه في مطلع الشمس وذنبه بالمغرب
ووسطه تحت بيت المقدس .

ومن صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في سماء الدنيا .
وتخرب الأرض كلها وتعمر بيت المقدس .
ومن صبر في بيت المقدس سنة على لأوائها وشدتها جاءه الله برزقه من
بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه يأكل رغداً ويدخل
الجنة إن شاء الله تعالى .

وأول بقعة بنيت من الأرض كلها موضع صخرة بيت المقدس .
وتظهر عين موسى في آخر الزمان بييت المقدس .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان خيار امتي من هاجر هجرة بعد هجرة
الى بيت المقدس . ومن صلى بييت المقدس بعد ان توضأ واسبغ الوضوء ركعتين

او اربماً غفر له ما كان قبل ذلك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : النجاء النجاء الى بيت المقدس اذا ظهرت الفتن . قال : يا رسول الله فان لم أدرك بيت المقدس . قال : فأبذل واحرز دينك . وفي لفظ آخر : فأبذل مالك واحرز دينك .

وقال علي رضي الله عنه لصمصعة : نعم المسكن عند ظهور الفتن بيت المقدس القائم فيه كالجهاذ في سبيل الله وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم : ليتني تبنة في لبنة من لبنات بيت المقدس . أحب الشام الى الله تعالى بيت المقدس ، أحب جبالها اليه الصخرة وهي آخر الأرض خراباً بأربعين عاماً . قال : وهي روضة من رياض الجنة . وروي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني انه قال : لا تقوم الساعة حتى يضرب على بيت المقدس سبعة احياط حائط من فضة وحائط من ذهب وحائط من لؤلؤ وحائط من ياقوت وحائط من زمرد وحائط من نور وحائط من غمام .

واما ما يقال ان بيت المقدس طشت من ذهب مملوء عقارب وانه كأجرة الأسد فداخله اما ان يسلم واما ان يدركه العطب . فقد حمل ذلك على زمان بني اسرائيل الذين كانوا يعملون فيه بمعاصي الله تعالى ، فان اللفظ المذكور قيل انه مكتوب في التوراة . قال بعض العلماء : وظاهر الخطأ يدل على انهم - يعني المقارب - كانوا موجودين في ذلك الوقت ، ولو اراد قوماً من هذه الامة قال : املئوها عقارب حتى يكون للمستقبل والله أعلم ، وأما اليوم فالحمد لله فانما به وبأفئائه الطائفة المنصورة - كما تقدم - .

وعن أبي عمرو الشيباني قال : ليس يعد من الخلفاء إلا من ملك المسجدين المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس الشريف ، وقد اجتمعت الطوائف كلها على تعظيم بيت المقدس ما عدا السامرة فانهم يقولون : ان القدس جبل نابلس . وخالفوا جميع الامم في ذلك .

وقد كان بنو اسرائيل اذا نزل بهم خوف من عدو او اجدبوا صبوراً والقدس

وجملوه هيكلًا وصوِّروا ابوابه ومحاريبه واستقبلوا به العدو فيهمز به الله تعالى .
وكذلك في الجذب اذا صوروه واستقبلوا به فلا تزال السماء تمطر عليهم حتى
يرفعوا الهيكل وكانوا يفعلون ذلك في كل امرهم يدهمهم والله سبحانه وتعالى اعلم .

(ذكر ما يستحب أن يدعى به عند دخول المسجد الشريف)
والصخرة الشريفة وآداب دخولها ومن أى باب يدخلها

يستحب لمن اراد دخول المسجد ان يبدأ برجله اليمنى ويؤخر اليسرى
ويقول : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك . واذا خرج صلى على النبي (ص)
وقال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك .

ويستحب لمن اراد الدخول للصخرة الشريفة ان يجعلها عن يمينه حتى يكون
بخلاف الطواف حول البيت الحرام ويقدم النية ويمقد التوبة بالاخلاص مع الله تعالى .
وان احب ان ينزل تحت الصخرة الشريفة في المغارة ليفعل . فاذا نزل يكون
بأدب وخشوع ويصلي ما بدا له ويدعو بدعاء سليمان عليه السلام الذي دعا به
لما فرغ من بنائه وقرب القربان وهو قوله : اللهم من أتم من ذي ذنب فأغفر ذنبه
او ذي ضرر فأكشف ضرره ، ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ويحتمد
في الدعاء تحت الصخرة فان الدعاء في ذلك الموضع مقطوع له بالاجابة إن شاء الله تعالى .
وحكى جماعة من العلماء : ان الأدعية التي يدعى بها ليس فيها خصوصية
بهذا الموضع فان الانسان مأثور بالدعاء موعود عليه بالاستجابة لقوله تعالى : (وقال
ربكم ادعوني استجب لكم) ، وقوله تعالى : (واذا سألك عبادي غني فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان) . والمراد من الأدعية : ما وردت به السنة
الشريفة النبوية .

فمن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا أبى عياش زيد بن الصامت الزرقى حين رآه يصلي ويقول : اللهم اني

اسألك يا ذا الحمد لا إله إلا انت المنان بديم السماوات والارض يا ذا الجلال والاكرام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى .

ومن ذلك ما رواه عبيد الله بن زيد عن ابيه : ان رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم اني اسألك بأنك انت الله الأحد الصمد الذي لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب .

ومن ذلك ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو به ويقول : انه لن يدعو به ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح إلا كان من الدعاء المستجاب اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احيني ما علمت ان الحياة خير لي وتوفني ما علمت أن الوفاة خير لي ، واسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، واسألك نعيماً لا ينفد وقرة عين لا تنقطع وبرد العيش بعد الموت واسألك النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين .

وروي ان ادريس النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الدعوة ويأمر ان لا يعلموها السفهاء فيدعوا بها ، فكان يقول : يا ذا الجلال والاكرام يا ذا الطول لا إله إلا انت ظهر اللاجئين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين ، اللهم إن كنت كنبئتني عندك في ام الكتاب شقياً أو محروماً أو مقترأ علي في رزقي فاح اللهم بفضلك شقاوتي وحرمانني واقنار رزقي وأثبتني عندك في ام الكتاب سعيداً مرزوقاً موقفاً للخيرات مستوراً مكفياً مؤثمة من يؤذيني انك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل : (يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) .

وقد رأيت منقولاً : انه يستحب الدعاء بهذا في ليلة النصف من شعبان . وقد

ورد في الأخبار والأحاديث غير ذلك ، والمراد هنا الاختصار . والله الموفق
المهدي للصواب .

﴿ ذكر الفتح العمري ﴾

الذي يسره الله تعالى على يد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
وعماره المسجد الأقصى الشريف على يده

روى عوف بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعدد
ستاً بين يدي الساعة موتى . قال : فوجت عندها وجة قال : قل احدى ثم فتح
بيت المقدس ثم موتان يكون فيكم كقصاع الغنم واستفاضة المال فيكم حتى يعطى
الرجل مائة دينار فيظل لها ساخطاً ثم تكون فيكم فتنة فلا يبقى بيت من بيوت
المرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بين بني الأصفر فيغدرون بكم ، ثم يأتونكم
في ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر ألفاً .

قوله : فوجت وجة ، قال الجوهري : الوجم الذي اشتد حزنه حتى امسك
عن الكلام . والموتان - بضم الميم وسكون الواو - وهو الموت الكثير السريع
وقوعه . ولذلك شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بقصاص الغنم فهو داء يأخذها
لا يلبثها ان تموت . والقصاص : ان يضرب الانسان فيموت مكانه سريعاً ، فقليل
لهذا الداء قصاص لسرعة الموت ثم شبه به الموتان .

وعن عوف قال : اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة
من ادم فقال لي : يا عوف اعدد ستاً بين يدي الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس .
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لشداد بن اوس : ألا ان الشام ستفتح
وبيت المقدس سيفتح إن شاء الله تعالى وتكون انت وولدك من بعدك أئمة
بها إن شاء الله تعالى .

ثم ان الست المذكورة قد وقع بعضها ، فموته صلى الله عليه وسلم وفتح

بيت المقدس قد وجد ، ووقع الطاعون وهم بالجابية . ويقال : انه طاعون عموس الواقع في سنة ثمانية عشر من الهجرة الشريفة ، ثم استفاض المال في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه . قال الوليد بن مسلم : قال سعيد بن عبد العزيز : زاد عثمان للناس عامة الديوان مائة دينار بزيادة دينار في عطاءهم . وكانت الفتنة وهي قتل الوليد . وما وقع بين الناس بالشام والعراق وخراسان من الفرقة والمصبة ولا تزال متتابعة حتى تقع هدنة الروم .

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم استقر الامام ابو بكر الصديق رضي الله عنه بعده في الخلافة ، واسمه : عبد الله ، ولقبه : عتيق الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي .

وهو اول خليفة في الاسلام ، وكان يدعى خليفة رسول الله (ص) . له المواقف الرفيعة في الاسلام .

ثم ختم ذلك بهم من أحسن مناقبه واجل فضائله وهو استخلافه على المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فعهد به الاسلام واعز به الدين . وذلك أنه لما حضرته الوفاة شاور الصحابة في ذلك فأشاروا به . ثم دعا ابو بكر عثمان ابن عفان رضي الله عنهما فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه ابو بكر بن ابي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند اول عهده بالآخرة داخلها فيها حين يؤمن الكافر ويوقن العاجر ويصدق الكاذب ، اني مستخلف عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وإن بدل فاسكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا اعلم الغيب (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أمره فختم الكتاب وخرج به الى الناس ، فبايعوا عمر ورضوا به .

ولما اراد ابو بكر ان يقلد عمر الخلافة قال له عمر : اغني يا خليفة رسول الله فاني غني عنها . قال : بل هي فقيرة اليك . قال : ليس لي بها حاجة . قال : هي محتاجة اليك . فقلده الخلافة على كره منه ، ثم اوصاه بما اوصاه .

فلما خرج رفع ابو بكر يديه وقال : اللهم اني لم ارد بذلك إلا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فوليت عليهم خيارهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم في يدك وأصلح لهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وأصلح له رعيته .

ثم توفي ابو بكر الصديق رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة الشريفة وله ثلاث وستون سنة ، ودفن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وعشر ليالي .

وبويع عمر بن الخطاب (رض) بالخلافة في اليوم الذي مات فيه ابو بكر (رض) وهو اول من سمي بأمر المؤمنين . واما نسبه : فهو ابو حفص عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رواح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرشي العدوي .

واول خطبة خطبها قال : يا أيها الناس والله ما فيكم احد أقوى من الضعيف عندي حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه .

ثم اول شيء أمر به ان عزل خالد بن الوليد عن الامرة وولى ابا عبيدة ابن الجراح على الجيش والشام وارسل بذلك اليهما فأتتهما كانا قبل وفاة ابي بكر رضي الله عنه في وقعة اليرموك ، وفرغا منها وقصدا دمشق .

فلما ورد عليهما كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه سار ابو عبيدة ونزل دمشق الشام من جهة باب الجابية ، ونزل خالد بن الوليد من جهة الباب الشرقي

ونزل عمرو بن العاص من جهة باب توما ، وبزيد بن ابي سفيان من جهة الباب الصغير الى باب كيسان . وحاصروها قريباً من سبعين ليلة ، وفتح خالد ما يليه بالسيف . فخرج اهل دمشق وبذلوا الصلح لأبي عبيدة من الجانب الآخر وفتحوا له الباب فأمنهم ودخل ، والتقى مع خالد في وسط البلد .

وبعث ابو عبيدة بالفتح الى عمر . ثم بعد دمشق ببشير فتح حمص بعد حصار طويل . ثم فتح حماء صلحاً ، وكذلك المعرة . ثم فتح اللاذقية عنوة . وفتح جبلة والطرطوس . ثم فتح حلب وانطاكية . وفتح بلاداً أخرى منها : قيسارية ومبسطية ، ويقال ان بها قبر يحيى وزكريا . ونابلس ولبنا وتلك البلاد جميعها حتى دخلت سنة خمسة عشر من الهجرة الشريفة .

ثم سار ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حتى أتى الاردن فمسكرها بها ربعت الرسل الى اهل ايليا وكتب اليهم : بسم الله الرحمن الرحيم من ابي عبيدة ابن الجراح الى بلارقة اهل ايليا وسكانها سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول ، أما بعد ! فانا ندعوكم الى شهادة ان لا إله إلا الله محمد رسول الله وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ، فان شهدتم بذلك حرمت علينا دماءكم واموالكم وذرايركم وكنتم لنا إخواناً ، وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وانتم صاغرون ، وإن أبيتم سرت اليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر واكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم ان شاء الله تعالى ابداً حتى اقتل مقاتليكم واسبي ذرايركم .

وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح : سلام عليك فاني احمد الله تعالى اليك الذي لا إله إلا هو أما بعد : فالحمد لله الذي اهلك المشركين وانصر المسلمين وقد نما ما تولى الله امرهم واظهر فلاحهم واعز دعوتهم فتبارك الله رب العالمين أخبر أمير المؤمنين اكرمه الله انا لقينا الروم وهم جوع لم تلق العرب مثلها جوعاً

فأتونا وهم يرون لا غالب لهم من الناس احد فقاتلوا المسلمين قتالا شديداً ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط ، ورزق الله المؤمنين النصر وانزل عليهم الصبر فقتلهم الله تعالى في كل قرية وفي كل شعب وواد وجبل وسهل وغنم الله المسلمين عسكرهم وما كان فيهم من اموالهم ومتاعهم ، ثم اني تبعتم بالمسلمين حتى بلغت اقصى بلاد الشام وقد بعثت الى اهل الشام عمالي ، وقد بعثت الى اهل ايليا ادعوم الى الاسلام فان قبلوا وإلا فليؤدوا الجزية النية عن يد وهم صاغرون ، فان ابوا سرت اليهم حتى انزل بهم ثم لا ازيلهم حتى يفتح الله تعالى على المسلمين ان شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا إله إلا هو أما بعد : فقد اتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من اهلاك الله المشركين ونصره المؤمنين وما صنع بأوليائه واهل طاعته والحمد لله على حسن صنيعه النية وسيتم الله تعالى ذلك بشكره ، ثم اعلموا انكم لم تظهروا على عدوكم بمدد ولا قوة ولا حول ولكن بعون الله ونصره ومنه وفضله فله الطول والمنة والفضل العظيم فتبارك الله احسن الخالقين والحمد لله رب العالمين والسلام عليك .

ثم ان ابا عبيدة انتظر اهل ايليا ، فأبوا ان يأتوه وان يصالحوه . فأقبل سائراً اليهم حتى نزل بهم وحاصرهم حصاراً شديداً وضيق عليهم فخرجوا اليه ذات يوم فقاتلوا المسلمين ساعة ، ثم ان المسلمين شدوا عليهم من كل جانب ومكان فقاتلهم ساعة ثم انهزموا فدخلوا حصنهم .

وكان الذي ولي قتالهم يومئذ خالد بن الوليد ويزيد بن ابي سفيان كل رجل منهما بجانب .

فبلغ ذلك سعيد بن زيد وهو على اهل دمشق فكتب الى ابي عبيدة ابن الجراح : بسم الله الرحمن ، الرحيم الى ابي عبيدة ابن الجراح من سعيد بن زيد

سلام عليك فاني احمد الله الذي لا إله إلا هو اليك ، أما بعد : فاني لعمري ما كنت لأؤترك واصحابك بالجهاد على نفسى وعلى ما يدينني من مرضاة ربي اناك كنابي هذا فابعث إلى عملك من هو ارغب فيه فليله ما بدا لك فاني قادم اليك وشيكاً إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فقال ابو عبيدة - حين جاءه الكتاب - : ليركنها خلوفاً . ثم دعا يزيد بن ابي سفيان وقال : اكفني دمشق . فقال له يزيد : اكفيكما إن شاء الله تعالى . وسار اليها فولاهما له .

ولما حصر ابو عبيدة اهل ايليا واوجب على نفسه انه غير مقلع عنهم ولم يجذوا لهم طاقة بحربه قالوا : نصلحك . قال : واني قابل منكم . قالوا : فأرسل الى خليفتك فيكون هو الذي يعطينا هذا العهد ويكتب لنا الأمان . فقبل ابو عبيدة ذلك وهم ان يكتب .

وكان ابو عبيدة رضي الله عنه قد بعث معاذ بن جبل على الاردن ولم يكن سار . فقال معاذ لأبي عبيدة : أتكتب لأمر المؤمنين تأمره بالقدوم عليك فلعله يقدم ، ثم يأتي هؤلاء الصلح فيكون مجيئه فضلاً وعناء . فلا تكتب حتى يوثقوا اليك واستحلفهم بالإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة إن انت بعثت الى امير المؤمنين فقدم عليهم واعطاهم أماناً على انفسهم واموالهم وكتب عليهم بذلك كتاباً ليقبلن وليؤذن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه اهل الشام . فبعث بذلك اليهم ابو عبيدة . فأجابوه اليه .

فلما فعلوا ذلك كتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر امير المؤمنين من ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا إله إلا هو أما بعد : فانا اقننا على اهل ايليا فظنوا ان لهم في مطاولتهم فرجا فلم يزد هم الله بهذا إلا ضيقاً ونقصاً وهزالاً ، فلما رأوا ذلك سألوا ان يقدم عليهم امير المؤمنين فيكون هو الموثوق لهم والكتاب

فخشينا ان يقدم امير المؤمنين فيعذر القوم ويرجموا فيكون مسيرك - اصلحك الله -
عناء وفضلاً ، فأخذنا عليهم الموائيق المغلظة بأيامهم ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن
فيما دخل فيه اهل الذمة ففعلوا ، فان رأيت ان تقدم فافعل فان في مسيرك اجراً
وصلاحاً آتاك الله رشدك ويسر امرك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعث المسلمون اليه وفدأ وبعث الروم وفدأ مع المسلمين حتى اتوا المدينة
فجعلوا يسألون عن امير المؤمنين . فقال الروم لترجمانهم : عن يسألون . فقال : عن
امير المؤمنين . فاشتد عليهم وقالوا : هذا الذي غلب فارس والروم واخذ كنوز
كسرى وقبصر ليس له مكان معروف بهذا غلب الامم . فوجدوه وقد القى نفسه
حين اصابه الحر نائماً فازدادوا تمجباً .

فلما قدم الكتاب على عمر رضى الله عنه دعا برؤساء المسلمين اليه وقرأ
عليهم كتاب ابي عبيدة رضى الله عنه واستشارهم في الذي كتب اليه . فقال له
عثمان رضى الله عنه : ان الله تعالى قد اذلم وحصرهم وضيق عليهم وهم في كل
يوم يزدادون نقصاً وهزالاً وضعفاً ورعباً فان انت اقامت ولم تسر اليهم راوا انك
بأمرهم مستخف ولشأنهم حافر غير معظم فلا يلبثون إلا قليلاً حتى ينزلوا على الحمة
ويعطوا الجزية . فقال عمر : ما ترون هل عند احدكم رأي غير هذا ؟ فقال عمر
ابن ابي طالب رضى الله عنه : نعم ، عندي غير هذا الرأي . قال : ما هو ؟ قال
انهم قد سألوا المنزلة التي فيها لهم النذل الصغار وهو على المسلمين فتح ولهم فيه
وهم يعملونكها الآن في العاجل في عافية ليس بينك وبين ذلك إلا ان تقدم عليهم
ولك في القدوم عليهم الأجر في كل ظمأ ونخصة وفي قطع كل واد وفي كل نفقة حجة
تقدم عليهم فاذا قدمت عليهم كان الأمن والعافية والصلاح والفتح ولست آمن
إن ايسوا من قبولك الصلح منهم ان يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا او يأتي
منهم مدد فيدخل على المسلمين بلاء ويطول بهم حصار فيصيب المسلمين من الجوع
والجوع ما يصيبهم ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم بالنش

او يقدفونهم بالمناجيق فان اصاب بعض المسلمين تمنيتهم انكم افتديتم قتل رجل من المسلمين بمشرك الى منقطع التراب وكان المسلم لذلك من إخوانه اهلاً .

فقال عمر رضى الله عنه : قد احسن عثمان النظر في مكيدة العدو ، واحسن علي بن ابي طالب النظر لأهل الاسلام ، سيروا على اسم الله فاني سائر .

فخرج فمسكر خارج المدينة ، ونودي في الناس بالعسكر والمسير . فمسكر العباس بن عبد المطلب بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ووجوه قريش والأنصار والعرب رضى الله عنهم .

حتى اذا تكامل عنده الناس استخلف على المدينة علي بن ابي طالب رضى الله عنه وسار . فقل غداة إلا وهو يقبل على المسلمين بوجهه ويقول : الحمد الذي اعزنا بالاسلام واكرمنا بالايمان ورحمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة وجعلنا به من بعد الشتات وألف بين قلوبنا ونصرنا به على الأعداء ومكن لنا في البلاد وجعلنا إخواناً متحايين ، فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة واسألوه المزيد منها والشكر عليها وتام ما اصبحتم متقلبين فيه منها ، فان الله يزيد المزيدين من الراغبين ويتم نعمته على الشاكرين . وكان لا يدع هذا القول في كل غداة في سفره كله .

فلما دنا من الشام عسكر حتى قدم اليه من تخلف من العسكر ، فما هو إلا ان طلعت الشمس فاذا الرايات والرماح والجنود قد اقبلوا على الخيول يستقبلون عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قال الراوي : فكان اول مقنب لقينا من الناس سألنا عن المدينة واخبرناه بصلاح الناس . فنادوا هل لكم بأمر المؤمنين من علم ؟ فسكتنا ، ومضوا . فأقبل مقنب آخر فسلموا ، ثم سألوا عن أمير المؤمنين هل لنا به علم ، فقال لنا : ألا تخبرون القوم عن صاحبكم ؟ فقلنا : هذا أمير المؤمنين . فذهبوا يرجعون ويقتحمون

عن خيولهم . فناداهم عمر رضى الله عنه : لا تفعلوا . ورجع الآخرون الذين مضوا فसारوا معنا .

واقبل المسلمون يصفون الخيل ويشرعون الرماح في طريق عمر حتى طلع ابو عبيدة في عظيم الناس فاذا هو على قلوص اكفها بمباءة خطامها من شعر لابس سلاحه متكب قوسه ، فلما نظر الى امير المؤمنين اناخ قوسه ، واناخ امير المؤمنين بعيره . فنزل ابو عبيدة واقبل الى عمر ، واقبل عمر الى ابي عبيدة .

فلما دنا عمر من ابي عبيدة مد ابو عبيدة يده الى عمر ليصافحه ، فمد عمر يده ، فأخذها ابو عبيدة واهوى ليقبها يريد ان يعظمه في العامة . فاهوى عمر الى رجل ابي عبيدة ليقبها . فقال ابو عبيدة : مه يا امير المؤمنين ، وتنحى . فقال عمر : مه يا ابا عبيدة . فتعانق الشيخان ، ثم ركبا يتسامران ، وسارا وسار الناس امامهما .

وحكي أنهم تلقوا عمر ببردون وثياب بيض وكلموه ان يركب البرذون ليراه المدو فهو أهيأ له عندهم وان يلبس الثياب البيض وي طرح الفروة عنه ، فأبى . ثم لجوا عليه ، فركب البرذون بفروته وثيابه فهلج به البرذون وخطام ناقته يسيده بعد فنزل وركب راحلته وقال : لقد غرني هذا حتى خفت ان اتكبر وانكر نفسي ، فمليكم يا معشر المسلمين بالقصد وانما اعزكم الله عز وجل به .

وروي عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع جرموقيه فأمسكها بيده وخاض الماء ومعه بعيره . فقال ابو عبيدة : لقد صنعت اليوم صنعا عظيما عند اهل الأرض . فصكه عمر في صدره وقال له : لو غيرك يقولها يا ابا عبيدة انكم كنتم اذل الناس واحقر الناس واقل الناس فأعزكم الله بالاسلام ومهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله تعالى .

وروي : انه لما قدم عمر من المدينة ناهضوه القتال بعد قدومه فظهر المسلمون على اماكن لم يكونوا ظهوروا عليها قبل ذلك ، وظهروا يومئذ على كرم كان

في ايديهم لرجل من النصارى له ذمة مع المسلمين في كرمه عنب فجعلوا يأكلونه .
فأتى الذي عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له : يا امير المؤمنين كرمي كان
في ايديهم فلم يستبيحوه ولم يتعرضوا لي وأنا رجل لي ذمة مع المسلمين ، فلما ظهر
عليه المسلمون وقعوا فيه .

فدعا عمر رضى الله عنه بيرذون له فركبه عرباناً من المجلة ثم خرج يركض
في اعراض المسلمين ، فكان اول من لقيه ابو هريرة يحمل فوق رأسه عنباً فقال
له : وانت ايضاً يا ابا هريرة . فقال : يا امير المؤمنين أصابتنا نخصة شديدة فكان
أحق من أكلنا من ماله من قاتلنا . فتركه عمر ، ثم أتى الكرم فنظره فإذا هو قد
أسرعت الناس فيه . فدعا عمر رضى الله عنه الذي فقال له : كم كنت ترجو من غلة
كرمك هذا ؟ فقال له شيئاً . قال : فخل سبيله : ثم أخرج عمر رضى الله عنه ثمنه
الذي قال له فأعطاه إياه ، ثم أباحه للمسلمين .

وعن سيف عن ابي حازم وابي عثمان عن خالد وعبادة قالا : صالح عمر بن
الخطاب رضى الله عنه اهل ايليا بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتاباً
واحداً ما خلا اهل ايليا : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله امير المؤمنين
عمر اهل ايليا من الأمان ، أعطاهم اماناً لأنفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم
ومقيعهم وبريهم وسائر ملتهم انما لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها
ولا من حدها ولا من صليبهم ولا شيء من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار
احد منهم ولا يسكن بايليا معهم احد من اليهود وعلى اهل ايليا ان يعطوا الجزية كما
يعطي اهل المدائن وعلى ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن
على نفسه وماله حتى يبلغوا ما منهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل
ايليا من الجزية . ومن أحب من اهل ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى
بيعتهم وصليبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعتهم وصليبهم حتى يبلغوا ما منهم
ومن كان فيها من اهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايليا من

الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى ارضه فانه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن ابي سفيان .

وعن عبد الرحمن بن غنم قال : كتب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سالناكم الأمان لأنفسنا وذرائعنا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نحبي منها ما كان في خطط المسلمين ولا نمنع كنائسها ان ينزلها احد من المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل وان نزل من مسر من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نواري في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر شركاً ولا ندعوا اليه احداً ولا نمنع احداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان اراده وان نوفر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكلم بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ولا نقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وان نجزم مقام رؤسنا وان نلزم زيناً حيناً ما كنا وان نشد زنا نير على اوساطنا ولا نظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في اسواقهم ولا نقضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم .

قال : فلما اتيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالكتاب زاد فيه : ولا نضر بأحد من المسلمين شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فان نحن خالفنا شيئاً مما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق .

رواه الامام البيهقي وغيره وقد اعتمد أئمة الاسلام هذه الشروط وعمل بها الخلفاء الراشدون .

وروي ان عمر رضى الله عنه امر في اهل الذمة ان تجز نواصيهم وان يركبوا على الاكف عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمون وان يوتقوا المناطق اي الزناير . ولما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس نزل على الجبل الشرقي وهو طور زيتا ، واتى رسول - بطريقها اليه - بالترحيب وقال : انا منمطي بحضورك ما لم نكن نعطيـه لا حد دونك . وسأله ان يقبل منه الصلح والجزية وان يعطيه الأمان على دمايتهم واموالهم وكنائسهم . فأنعم له عمر بذلك . فسأله الرسول الأمان لصاحبه ليتولى مصالحته ومكاتبته . فأنعم وخرج اليه بطريقها في جماعة فصالحهم واشهد على ذلك .

والبطريق هو الأمير ، وأما البطرك فهو الكاهن . وكان اسم البطرك يوم ذلك صـ تريوس ، وكان قد اخبر النصارى ان الله يفتح البيت المقدس على يد عمر من غير قتال .

فلما فرغ عمر من كتاب الصلح بينه وبين اهل بيت المقدس قال لبطريقها : دلني على مسجد داود . قال : نعم . وخرج عمر مقلداً بسيفه في اربعة آلاف من الصحابة الذين قدموا معه متقلدين بسيوفهم وطائفة ممن كان عليها ليس عليهم من السلاح إلا السيوف والبطريق بين يدي عمر في اصحابه حتى دخلوا بيت المقدس فأدخلهم الكنيسة التي يقال لها القمامة وقال : هذا مسجد داود . فنظر عمر وتأمل وقال له : كذبت ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد داود بصفة

ما هي هذه . فمضى به إلى كنيسة يقال لها صيهون وقال له : هذا مسجد داود . فقال له : كذبت . فمضى به إلى مسجد بيت المقدس حتى انتهى به إلى الباب الذي يقال له باب محمد (من) وقد انحدر ما في المسجد من الزبالة على درج الباب حتى خرج إلى الزقاق الذي فيه الباب وكثر على الدرج حتى كاد أن يلصق بسقف الرواق فقال له ! لا تقدر أن ندخل إلا حبواً . فقال عمر : ولو حبواً . فحبا بين يدي عمر وحبا عمر ومن معه خلفه حتى ظهروا إلى صحنه واستووا فيه قياماً . فنظر عمر وتأمل ملياً ونظر يميناً وشمالاً ثم قال : الله أكبر هذا والذي تقني ييده مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسري به إليه . ووجد على الصخرة زبلاً كثيراً مما طرحته الروم غيظاً لبني إسرائيل ، فبسط عمر رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل ، وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل . ومضى نحو محراب داود وهو الذي على باب البلد في القلعة فصلى فيه ، ثم قرأ سورة ص ومسجد .

وروي أنه لما جلا المزبلة عن الصخرة قال : لا تصلوا فيها حتى يصيبها ثلاث مطرات .

وروي أنه لما فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس قال لكعب : يا أبا اسحاق أتعرف موضع الصخرة ؟ فقال : أذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم كذا وكذا ذراعاً ثم احفر فانك تجدها . وكانت يومئذ مزبلة فحفروا فظهرت لهم . فقال عمر لكعب : أين ترى أن نجعل المسجد - أو قال : القبلة - ؟ فقال : اجعله خلف الصخرة فتجتمع القبلة - ان قبلة موسى وقبلة محمد صلى الله عليه وسلم . فقال له : ضاهيت اليهودية يا أبا اسحاق ، خير المساجد مقدمها فبناها في مقدم المسجد .

وروي أن عمر قال لكعب : أين ترى نجعل المصلى ؟ قال : إلى الصخرة . فقال : ضاهيت والله يا كعب اليهودية بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها ، اذهب إليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكن امرنا بالكعبة .

ولما فرغ عمر من فتح ايليا وعزل الصخرة من القمامة وأبقى النصارى على حالهم بأداء الجزية ، فسمى المسلمون كنيسة النصارى العظمى عندهم قمامة تشبيهاً بالمزابل وتعظيماً للصخرة الشريفة . ثم ارتحل من القدس الى ارض فلسطين .

وكان هذا الفتح في سنة خمسة عشر من الهجرة الشريفة قاله ابن الجوزي وغيره من المؤرخين . وقيل : كان في سنة ستة عشر في ربيع الأول . وقيل : لحس خلون من ذي القعدة والله اعلم .

ووجد على رأس بعض التماثيل التي كانت في المسجد الأقصى عقب ما استنقذه المسلمون منهم هذه الأبيات - ويقال أنها لابن ضامر الضبيعي بمكا - :

أدعى الكنائس ان تكن عبثت بكم ايدي الحوادث او تغير حال
فلطالما سجدت لكن شماس شم الانوف ضراغم ابطال
بعداً على هذا المصاب لأنه يوم بيوم والحروب سجال

وروي ان امير المؤمنين عمر لما فتح بيت المقدس وكتب كتاب الأمان والصلح وقبضوا كتابهم وأمنوا دخل الناس بعضهم في بعض واقام عمر اياماً ، ثم قال لأبي عبيدة : لم يبق أمير من امراء الأجناد غيرك إلا استزارني . فقال ابو عبيدة : يا امير المؤمنين اني اخاف ان استزيرك فتعصب عينيك في بيتي . قال : فاستزرني . قال : فزرني .

فلما اتاه عمر في بيته فإذا ليس فيه شيء إلا لبد فرسه ، وإذا هو فراشه وسرجه وإذا هو وسادته ، وإذا كسر يابسة في كوة بيته فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه واتاه بملح جريش وكوز خزف فيه ماء . فلما نظر عمر الى ذلك بكى ثم التزمه وقال : انت اخي ، وما من احد من اصحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك . فقال له ابو عبيدة : ألم اخبرك انك ستعصب عينيك .

ثم ان عمر قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو اهل وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا اهل الاسلام ان الله تعالى قد صدقكم الوعد

ونصركم على الأعداء واورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض فلا يكونن جزاؤه منكم إلا الشكر وإياكم والعمل بالمعاصي فإن العمل بالمعاصي كفر للنعم وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ثم لم يفزعوا الى النوبة إلا سلبوا عزم وسلط عليهم عدوهم . ثم نزل ، وحضرت الصلاة فقال : يا بلال ألا تؤذن لنا رحمك الله . قال بلال : يا امير المؤمنين والله ما أردت ان أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن سأطيعك إذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها .

فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديداً ولم يكن من المسلمين يومئذ أطول بكاء من ابي عبيدة ومعاذ ابن جبل حتى قال لهما عمر : حسبكما رحمكما الله .

فلما قضى صلاته انصرف امير المؤمنين راجعاً الى المدينة . واجتهد فيما هو بصدد من إقامة شعائر الاسلام والنظر في مصالح المسلمين والجهاد في سبيل الله . ولم يزل كذلك حتى توفي رضي الله عنه ونقننا به وجمع بيننا وبينه في دار كرامته انه ولي الحسنات وغافر السيئات عنه وكرمه .

وقد حكى المصنفون لفضائل بيت المقدس قصة الفتح من طرق كثيرة بروايات وألفاظ مختلفة فأحسن ما رأيته منها ما نقلته هنا والله الموفق .

ذكر وفاة عمر رضي الله عنه

روي انه خرج لصلاة الصبح في جماعة فضربه ابو اؤاؤه غلام المغيرة بن شعبة - لما وقف يصلي - بخنجر برأسين وطعنه ثلاث طعنات احداها تحت سترته وهي التي قتلتة . وطعن اثني عشر رجلاً من اهل المسجد قنات منهم ستة . ثم نحر نفسه بخنجره فمات لعنه الله .

ولما طعنه ابو اؤاؤه وقع على الأرض ثم قال : أفي الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا : نعم . قال : مروه يصل بالناس وقال لولده عبد الله : انظر من الذي

قتلني . فقال : يا أمير المؤمنين ذلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه . فقال : الحمد لله الذي لم يجعل قتلي على يد رجل سجد لله سجدة واحدة .

ثم بعث ابنه عبد الله إلى عائشة رضي الله عنها فقال : قل لها : اقرأ عليك عمر السلام - ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم أمير المؤمنين - ويقول لك انه لاحق بربه أفأذن له ان يدفن مع صاحبيه . فجاء عبد الله إلى عائشة فاستأذن عليها فأذنت له ، فبلغها رسالة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه . فتسأوهت وبكت وقالت : لقد كنت أشم رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي بكر ، فلما مات أبو بكر كنت أشم رائحته في أمير المؤمنين عمر ، مالي والدنيا أفقد فيها الاحباب واحداً بعد واحد . ثم قالت له : بلغ أمير المؤمنين مني السلام وقل له : ألا انها كانت قد ادخرت ذلك لنفسها ولكنها آتتكم اليوم على نفسها .

فلما رجع عبد الله قال له عمر : ما وراءك يا عبد الله ؟ قال : الذي تحب قد اذنت لك عائشة . قال : الحمد لله ما كان شيء أهم إلي من ذلك ، فإذا انا قبضت فارجع إلى عائشة فاستأذنها ثانياً فربما تكون استحييت مني وانا حي ، فلا تستحي مني وانا ميت . واوصاهم ان يقتصروا في كفنه ولا يتغالوا .

وتوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة الشريفة . ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة اربع وعشرين ، وغسله ابنه عبد الله ، وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلي عليه في مسجده ، وصلى بهم عليه صهيب وكبر عليه اربعاً ، ونزله في قبره ابنه عبد الله وعثمان بن عفان وسعيد ابن زيد وعبد الرحمن بن عوف .

وكانت خلافته رضي الله عنه عشر سنين وستة اشهر وثمانية ايام ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور .

والصحيح : ان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أبي بكر رضي الله عنه وعمر وعلي وعائشة ثلاث وستون سنة .

وكان عمر رضى الله عنه طويلاً اصلم ايضاً ثعلوه حمرة ، وقيل : كان آدم شديد الادمية كث اللحية . وعليه اكثر اهل العلم وفضائله اشهر من ان تذكر واكثر من ان تحصر : جاهد في الله حق جهاده فجيش الجيوش وفتح البلاد ومصر الأمصار واعز الاسلام واذل الكفر واجلى اليهود والنصارى من بلاد الحجاز وفي ايامه فتح العراق والموصل ومصر والاسكندرية وغيرها ، وهو الذي اختط الكوفة ووسع في المسجد الحرام وعمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى ، وهو اول من جمع الناس لصلاة التراويح ، واول من كتب التاريخ وارض من السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واول من عس بالليل ، واول من نهى عن بيع امهات الاولاد ، واول من جمع الناس في صلاة الجنازة على اربع تكبيرات وكانوا يكبرون اربعاً وخمساً وستاً ، واول من حمل الدرة وضرب بها ودون الدواوين . ولو لم يكن من فضائله إلا فتح هذا البيت المقدس وتطهيره من الشرك لكفاه رضى الله عنه ونفعنا ببركته وبركات علومه في الدنيا والآخرة .

واما من دخل بيت المقدس من الصحابة رضى الله عنهم فهم خلق كثير لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى ، ولندكر جماعة من اعيانهم تبركاً بذكرهم ونجعل ترتيب اسمائهم على الوفيات من غير استقصاء في ذكر تراجمهم فأقول - وبالله التوفيق - : ابو عبيدة بن الجراح ، واسمه : عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري احد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وتقدم ذكره عند ابتداء ذكر الفتح . توفي في طاعون عمواس سنة ثمانية عشر من الهجرة الشريفة ، وقبره في قرية يقال لها عثما تحت جبل عجولون بين فقارس والعدالية بزاوية دير علا من النور الغربي ، ووفاته في خلافة عمر وله ثمان وخسون سنة .

معاذ بن جبل الانصاري رضى الله عنه استخلفه ابو عبيدة على الناس عند موته . فمات ايضاً بالطاعون بناحية الاردن في سنة ثمان عشرة وله ثمان وثلاثون

سنة . وقيل : ثلاث وثلاثون سنة . وقبره بالقصر الذي من النور .
ومات من المشكر في هذا الطاعون خمسة وعشرون ألف نفس ، وطال مكثه
شهرآ وطعم العدو في المسلمين .

بلال بن رباح مولى ابي بكر الصديق وهو مؤذن رسول الله ﷺ شهد
فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولم يؤذن بعد رسول الله (ص)
سوى مرة واحدة لما امره عمر بالاذان بعد الفتح - كما تقدم - . توفي بدمشق
في سنة تسعة عشر من الهجرة ، ودفن عند الباب الصغير وهو ابن بضع وستين
سنة . وقيل : مات بحلب سنة عشرين . وقيل : ثمانية عشر . والله أعلم .

عياض بن غم رضى الله عنه ابن عم ابي عبيدة دخل بيت المقدس وبنى فيها
حماماً ، وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم . توفي في سنة عشرين من الهجرة .
خالد بن الوليد رضى الله عنه سيف الله المسلول توفي سنة احدى وعشرين
من الهجرة الشريفة . واختلف في موضع قبره فقيل : بحمص . وقيل . بالمدينة .
ابو ذر الغفاري ، واسمه . جندب بن جنادة دخل بيت المقدس . وكانت
وفاته بالربهة في سنة اثنين وثلاثين والله اعلم .

ابو الدرداء عويمر رضى الله عنه ، توفي بدمشق في سنة اثنتين وثلاثين .
وقيل : احدى وثلاثين في خلافة عثمان رضى الله عنه .

عبادة بن الصامت الأنصاري رضى الله عنه ، وجهه عمر الى الشام قاضياً
ومملاً . وأقام بحمص ، ثم انتقل الى فلسطين وهو اول ولي قضاها . سكن
بيت المقدس ومات بفلسطين ودفن ببيت المقدس . وقيل بالرملة . والاول اشهر .
وكانت وفاته في سنة اربع وثلاثين للهجرة ، والآن قبره لا يعرف ببيت المقدس
ولا بالرملة واندرس لاستيلاء الافرنج على تلك الناحية .

سلمان الفارسي ، توفي في سنة ست وثلاثين من الهجرة ودفن بالمدائن عن
مائتين وخمسين سنة ، ويقال اكثر . ذكره النووي في التهذيب ، والكرمانى

وابن الجوزي في صفوة الصفوة . قال أهل العلم بالسيرة : كان سلمان من المعمرين أدرك وصي عيسى بن مريم . ورد بعض العلماء هذا القول وقال : انه لم يبلغ المائة . والله أعلم .

ابو مسعود الانصاري : عقبه بن عمرو البدرى ، سكن بدرأ ولم يشهدها على الراجح . توفي في سنة تسع وثلاثين من الهجرة . وقيل : سنة اربعين .

تميم الداري بن اوس رضي الله عنه ، وفدهو واخوه نعيم على رسول الله ﷺ سنة تسع واسلما . وصحب تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا معه وروى عنه . وام يزل بالمدينة حتى تحول الى الشام بعد قتل عثمان ، وكان اميراً على بيت المقدس ، وهو الذي اقطعه النبي صلى الله عليه وسلم ارض حبرون . وسنذكر نسخة الاقطاع فيما بعد عند ذكر بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام إن شاء الله تعالى . توفي سنة اربعين من الهجرة الشريفة .

عمرو بن العاص السهمي توفي سنة ثلاث واربعين من الهجرة في خلافة معاوية . عبد الله بن سلام : ابو الحارث الامام الحبر الاسرائيلي المشهود له بالجنة قدم بيت المقدس ، من خواص الصحابة . كان اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ بعبد الله . شهد فتح بيت المقدس ، توفي سنة ثلاث واربعين من الهجرة .

سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة . قدم بيت المقدس زمن الفتح توفي سنة احدى وخمسين من الهجرة بالعقيق ، وقيل : بالكوفة . وله بضع وسبعون سنة .

ابو اسحاق سعد بن ابي وقاص ، واسمه مالك بن وهب رضي الله عنه . قدم بيت المقدس واحرم منه بعمره ، اخذ العشرة المشهود لهم بالجنة . مات في قصره بالعقيق على عشرة اميال من المدينة ، فحمل الى المدينة وصلت عليه ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجره ، ودفن بالبقيع في سنة خمس - وقيل ست - وخمسين من الهجرة وهو ابن بضع وسبعين سنة .

سرة بن كعب الفهري رضي الله عنه ، نزل بالشام . وتوفي سنة سبع وخمسين من الهجرة بالاردن .

شداد بن اوس ابن اخي حسان بن ثابت ، نزل بالشام ناحية فلسطين . وكان ممن اوتي العلم والحلم والحكمة :

يروى انه لما دنت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قام ثم جلس ، ثم قام ثم جلس . فقال رسول الله (ص) : يا شداد ما سبب قلقك ؟ فقال : يا رسول الله ضاقت بي الأرض . فقال : ألا ان الشام ستفتح وبيت المقدس سيفتح ان شاء الله تعالى وتكون انت وولدك من ائمة بها ان شاء الله . فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم . وكان ذا عبادة واجتهاد . توفي سنة ثمان وخمسين من الهجرة وله خمس وسبعون سنة . وقيل : مات سنة احدى واربعين . وقبره ظاهر ببيت المقدس يزار في مقبرة باب الرحمة تحت سور المسجد الأقصى ، رضي الله عنه .

ابو هريرة رضي الله عنه ، واسمه عبد الرحمن بن صخر . قدم بيت المقدس وشهد فتحه . مات بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع وخمسين من الهجرة . وهو ممن لازم خدمة النبي (ص) ، وروى عنه الكثير . وليس هو المدفون بقرية يبنى التي هي من اعمال مدينة غزة وانما بها بعض ولده .

معاوية بن ابي سفيان امير المؤمنين ، قدم بيت المقدس وقدم عليه عمرو بن العاص فبايعه على طلب عثمان وكتبها كتاباً بينهما : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تعاهد عليه معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس بعد قتل عثمان وحمل كل واحد منهما صاحبه الأمانة ان بيننا عهد الله على التناصر والنخالص والنصاح في أمر الله والاسلام ، ولا يخذل احداً صاحبه بشيء ، ولا يتخذ من دونه وليجة ولا يحول بيننا ولد ولا والد ابداً ما حيينا فيما استطعنا . توفي بدمشق في النصف من رجب في سنة ستين من الهجرة وله ثمان وسبعون سنة . وقيل : ست وثمانون سنة . وقيل غير ذلك . وصلى عليه الضحالك ودفن بمقبرة دمشق .

عبد الله بن عمرو بن العاص ، اسلم قبل ابيه ولم يكن أصغر من ابيه إلا
بائنتي عشرة سنة . وكان يقرأ القرآن والتوراة ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً .
توفي في سنة خمس وستين من الهجرة .

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، مولده قبل الهجرة بثلاث سنين . ودعا
له النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . فكان
كذلك . وكان يسمى الحبر لكثرة علومه ، واهل من بيت المقدس في الشتاء .
توفي سنة ثمان وستين من الهجرة بالطائف بقرية تدعى السلامة ، وقبره ظاهر
معروف بها عليه قبة مبنية وحولها مسجد جامع .

عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، قدم بيت المقدس واهل منه
بعمرة . توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة بعد قتل ابن الوبير بثلاثة اشهر ، وله
سبع وثمانون سنة .

عوف بن مالك بن عوف الأشجعي : ابو محمد ، شهد فتح بيت المقدس
ونزل بحمص ، وهو صحابي جليل . توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . بايع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، والصلوات
الحسنى ، وان لا يسأل الناس شيئاً .

ابو جمة الانصاري ، واسمه جندب بن سباع . وقيل : جنيد بن سباع .
وقيل : ابن وهب . وقيل : ابن فديك . قدم بيت المقدس ليصلي فيه ، يعد من
الشاميين . مات بالشام اول المحرم سنة سبع وسبعين من الهجرة .

وائل بن الاسقع الهوازني ، اسلم والنبي ﷺ متوجه الى تبوك . ويقال :
انه خدمه ثلاث سنين . وهو من اهل الصفة ، سكن البصرة ثم الشام ، وشهد
المغازي بدمشق وحمص ، ثم تحول الى بيت المقدس ومات به وهو ابن مائة سنة .
وقيل : مات بدمشق في آخر خلافة عبد الملك بن مروان سنة خمس - اوست -
وثمانين من الهجرة رضي الله عنه .

ابو أمامة صدى بن عجلان الباهلي ، سكن بيت المقدس ودمشق الشام وكان آخر من أتى الشام من الصحابة رضي الله عنه ، شهد حجة الوداع وهو ابن ثلاثين سنة . توفي سنة ثمان - وقيل : ست - وثمانين من الهجرة .

محمود بن الربيع ابو نعيم ، وقيل : ابو محمد . في الصحيح من حديث الزهري عن محمود بن الربيع كان يزعم أنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين ، وزعم أنه عقل بحجة مجها رسول الله (ص) في وجهه . نزل بيت المقدس واهلّ منه بحج وعمرة ، وهو ختن عبادة بن الصامت . مات سنة تسع وتسعين من الهجرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة .

يزيد بن ابي سفيان صخر بن حرب كان اميراً بالشام على جنود من الأجناد ولما مات أمر عمر مكانه أخاه معاوية بن ابي سفيان .

ابو ريحانة واسمه شمعون - بشين ممجبة وقيل بالمهمل - شمعون القرظي من بني قريظة ، ويقال : من بني النضير . ويقال له مولى رسول الله ﷺ ، كانت ابنته ريحانة سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسكن ابو ريحانة بيت المقدس وكان يعظ في المسجد الأقصى .

الشريد بن سويد ، قدم بيت المقدس لأنه كان قد نذر ان يصلي فيه ان فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه في ذلك فأذن له .

ابن ابي الجدعا ، وهو عبد الله بن ابي الجدعا التميمي ، ويقال له الكناني ويقال له العبدى .

فيروز الديلمي ابو عبد الله ، ويقال ابو عبد الرحمن ، ويقال ابو الضحاك ، ويقال الحميري لنزوله بضمير . وهو من ابناء فارس من فرس صنعاء . وفيروز من الذين بعثهم كسرى الى اليمن فنفوا الحبشة منها وغلبوا عليها . سكن بيت المقدس ويقال انه مات بها وقبره به ، مات في خلافة عثمان .

ذو الأصابع التميمي ، ويقال الخزاعي ، ويقال الجهني . سكن بيت المقدس وهو من اهل اليمن من المدد الذين نزلوا الشام ببيت المقدس .

ابو محمد النجاري - بالجيم - الانصاري البصري . قال صاحب (مشير الغرام) : أظنه مسعود بن اويس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجاري . كذا نسب الواقدي وغيره ، وهو الذي زعم ان الوتر واجب فقال عبادة بن الصامت : كذب ابو محمد . قيل : توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقيل : شهد صفين مع علي .

سلام بن قيسر ، وقيل : سلامة . له صحبة ، وكان والياً لمساوية على بيت المقدس وله عقب به . وانكر بعضهم صحبته والله أعلم .

ابو أبي بن ام حرام ، ويقال ابي ، ويقال عبد الله بن ابي ، وقيل عبد الله ابن كعب ، وقيل عبد الله بن عمرو بن شمعون بن خليفة بن قيس . وامه ام حرام بنت ملحان اخت ام سليم . اسلم قديماً ويعد في الشاميين ، سكن بيت المقدس وكان ربيب عبادة بن الصامت وهو آخر من مات من الصحابة ببيت المقدس .

وقال الحافظ ابو بكر الخطيب فيمن ذكر : انه كان ببيت المقدس من الصحابة والتابعين ، ومات به عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وابو ابي بن ام حرام وابو ريحانة وسلامة بن قيسر وفيروز الديلمي وذو الأصابع وابو محمد النجاري . هؤلاء من اهل بيت المقدس ماتوا به واعقب منهم عبادة بن الصامت وشداد وسلامة وفيروز وهؤلاء الذين اعقبوا واولادهم ببيت المقدس وقبورهم به وام يعقب ابو ريحانة ولا ذو الأصابع ولا ابو محمد النجاري والله أعلم .

عصيف بن الحارث ، وهو الصواب في اسمه . قدم بيت المقدس هو واهله فصلى فيه وجماعة من الصحابة .

صفية بنت حي ام المؤمنين رضي الله عنها ، قدمت بيت المقدس فصلت فيه وصعدت على طور زيتا فصلت ، وقامت على طرف الجبل فقالت : من هاهنا يترقب

الناس يوم القيامة الى الجنة والى النار . توفيت في سنة خمسين ، وقبل : اثنتين وخمسين
وقيل : ست وثلاثين . ودفنت بالبقيع رضي الله عنها .

وحكى صاحب (مثير الفرام) ان حبراً من احبار بيت المقدس قدم المدينة
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :
لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، فلما
كان صبيحة الخميس اذا نحن بشيخ ابيض الرأس واللحية ملثم بعمامة على قعود له
فجاء فنزل فعقل بعيره بباب المسجد فنادى : السلام عليكم ورحمة الله هل فيكم محمد
رسول الله ؟ فقال علي : ما تريد ؟ فقال : أنا حبر من احبار بيت المقدس قرأت
النوراة ثمانين سنة وتدبرتها اربعين سنة صفاحاً فوجدت فيها ذكر محمد وانه ليس
بكاذب ولا قوال للكذب وقد جئت اطلب الاسلام على يديه . فذكر أثرأ طويلاً
مع علي رضي الله عنه .

﴿ ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان بالقدس الشريف ﴾

روى صاحب (مثير الفرام) عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) :
ينزل بأمّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع الناس ببلاء أشد منه حتى
تضيق عليهم الأرض بما رحبت وحتى تملاً الأرض جوراً وظلماً ، ثم ان الله يبعث
رجلاً يملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يرضى عنه ساكن السماء
وساكن الأرض لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا اخرجته ، ولا السماء من
قطرها شيئاً إلا صبه الله عليهم مدراراً ، يعيش فيهم سبع سنين او ثمانين سنين
أو تسعاً يتمنى الأحياء الأموات بما صنم الله بأهل الأرض من الخير .
ورواه ابو القاسم البغوي بنحوه . وفيه : وينزل بيت المقدس .
وروي عن علي قال : المهدي يولد بالمدينة من اهل بيت النبي صلى الله عليه
وسلم واسمه اسم نبي ، ويهاجر ببيت المقدس .

وعن محمد بن الحنفية قال : تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان اخرى سوداء وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له : شعيب بن صالح مولى بني تميم يهزمون اصحاب السفيناني حتى ينزل بيت المقدس ، يوطىء للمهدي سلطاناه ويفد اليه ثلثمائة من الشام ، يكون بين خروجه وبين ان يسلم اليه الأمر ثلاثة وسبعون شهراً .

وعن شريح بن عبيد عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا : يخرج شعيب بن صالح مولى بني تميم مختفياً الى بيت المقدس يوطىء للمهدي منزله اذا بلغه خروجه الى الشام .

وعن محمد بن علي قال : اذا سمع العباد الذي بحكمة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفاً فيهم الابدال حتى ينزلوا بابل - يعني بيت المقدس - الأثر .
وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا رأيتم خليفين خليفة بيت المقدس يقتل الذي هو دونه . يعني بالخليفة الذي يبيت المقدس المهدي والذي دونه السفيناني .

وعن سليمان بن عيسى قال : بلغني انه على يد المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة طبرية حتى يحمل فيوضع بين يديه في بيت المقدس ، فاذا نظرت اليه اليهود أسلموا إلا قليلاً منهم . ثم يموت المهدي .

واما ما روي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الناس إلا شحاً ولا الدنيا إلا ادباراً ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم . فقال الحافظ ابو محمد : انه حديث واه جداً لا يعارض ما تقدم .

وعن هشام بن عمار قال : سمعت ان رجلاً انتقل الى بيت المقدس فقبل له : ما تقلك اليها ؟ قال : بلغني انه لا يزال في بيت المقدس رجل يعمل عمل آل داود . والله أعلم .

﴿ ذكر بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة الشريفة ﴾
والمسجد الأقصى الشريف وما وقع في ذلك

لما توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعهد بالخلافة الى النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم : عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم ، وشرط ان يكون ابنه عبد الله شريكاً في الرأي ولا يكون له حظ في الخلافة .

وبويع بعده بالخلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله واستقر فيها لثلاث مضت من المحرم سنة اربع وعشرين من الهجرة . واستمر الى ان استشهد في يوم الاربعاء الثماني عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة . وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً . وفضائله ومناقبه مشهورة .

ثم استقر بعده في الخلافة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبويع له بالخلافة في يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة . ووقع بينه وبين معاوية بن ابي سفيان ما هو مشهور مما ليس في ذكره فائدة ، والسكوت عنه اولى . واستمر الى ان استشهد بالكوفة .

وكانت وفاته ليلة الأحد تاسع عشر رمضان سنة اربعين من الهجرة . وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر .

ثم استقر بعده في الخلافة ولده الحسن رضي الله عنه ، بويع له يوم وفاة والده . واستمر في الخلافة نحو ستة اشهر ، وهي تمام ثلاثين سنة لوفاة رسول الله (ص) . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً عضواً .

وكان آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة وسلم الأمر لمعاوية . فاستقر في الخلافة في شهر ربيع الأول سنة احدى واربعين من الهجرة الشريفة .

واستمر في الخلافة نحو عشرين سنة الى ان توفي بدمشق في النصف من رجب سنة ستين من الهجرة . وكان يلقب بالناصر لحق الله تعالى .

فلما توفي استقر بعده في الخلافة ولده يزيد ، ولقب نفسه بالمنتصر على اهل الزيغ . وكان قد بويع له بالخلافة قبل وفاة ابيه ، ثم جددت له البيعة بعد وفاته . فأساء السيرة ، وجار على الرعية ، وتجاهر بالمعاصي .

فلما اشتهر جوره ، وكثر ظلمه ، وقتل آل الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع اهل المدينة على اخراج عامله عثمان بن محمد بن ابي سفيان ومروان بن الحكم وسائر بني امية وذلك باشارة عبد الله بن الزبير .

فلما بلغ ذلك يزيد بن معاوية سير الجيوش الى اهل المدينة وجهز عليهم مسلم ابن عقبة المزني . فانهب المدينة الشريفة وقتل اهلها . ثم قصد مكة فمات قبل وصوله اليها ، واستخلف على الجيش الحصين بن نمير .

فأتى مكة وحاصر ابن الزبير اربعين يوماً ونصب المناجيق وهدم الكعبة الشريفة واحرقها . وكان ذلك قبل موت يزيد بأحد عشر يوماً .

فأهلك الله يزيد ومات ، وكان موته بجوارين من عمل حمص لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة اربع وستين من الهجرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية اشهر .

وكانت سيرته اقبح السير ولو لم يكن منها إلا قتل الحسين في ايامه ومه وقر منه في حق ذرية النبي صلى الله عليه وسلم لكفاه ذلك في قبح السيرة .

واستقر بعده في الخلافة بدمشق ولده معاوية بن يزيد بن معاوية ، ولقب بالراجع الى الله . وكان صالحاً فلم يعن بالخلافة ولا باشرها ، واقام ثلاثة اشهر وقيل دون ذلك . وتوفي رحمه الله

وكان الناس حين موت يزيد بايعوا عبد الله بن الزبير بمكة وتلقب خادم

وكان مروان بن الحكم بالمدينة . فقصده المسير الى عبد الله بن الزبير ومبايعته ، ثم توجه مع من توجه من بني أمية الى الشام . وبايع اهل البصرة ابن الزبير . واجتمع له الحجاز والعراق واليمن . وبعث الى مصر فبايعه اهله ، وبايع له في الشام نمر الضحاك بن قيس ، وبايع له بمصر السمان بن بشر الانصاري ، وبايع له بقنسرين بشر بن ذفر بن الحارث الكلابي وكاد يتم له الأمر بالكلية .

وشرع ابن الزبير في بناء الكعبة شرفها الله تعالى ، وكان ذلك في سنة اربع وستين من الهجرة الشريفة ، وكانت حيطانها قد ماتت من ضرب المنجنيق . فهدمها وحفر اساسها وشهد عنده سبعون من شيوخ قريش . وذلك ان قريشاً حين بنوا الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة بناء البيت سبعة أذرع من اساس ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي اسمه هو واسماعيل عليه السلام . فبناه عبد الله بن الزبير وزاد فيه السبعة اذرع وادخل الحجر في الكعبة واعادها على ما كانت عليه اولا وجعل لها بايين باب يدخل منه وباب يخرج منه . فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج ابن الزبير - كما سنذكره ان شاء الله تعالى - .

فلما مات معاوية بن يزيد بن معاوية بالشام بويع بالخلافة لمروان بن الحكم ولقب بالمؤتمن بالله . وافترق الناس فرقتين : فرقة تموى بني أمية ، وفرقة تموى ابن الزبير . ووقع بينهم خلاف وجرى بينهم وقائع وحروب . ثم استقر أمر الشام لمروان ودخلت مصر تحت طاعته ، ثم أمر الناس بالبيعة لولده عبد الملك ومن بعده لأخيه عبد العزيز . فما كان بأسرع من ان انقضت مدة مروان فمات بالطاعون بدمشق فجأة لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين من الهجرة . وكانت مدة ولايته تسعة اشهر وثمانية عشر يوماً ، وعمره ثلاث وستون سنة .

فلما مات بويج لولده عبد الملك بالخلافة في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين ، ولقب بالموفق لأمر الله ، وهو أول من سمي عبد الملك في الاسلام وأول من ضرب الدراهم والدنانير في الاسلام . وكان النقش على الجانب الواحد الله احد ، وعلى الآخر الله الصمد . وكانت الدراهم قبل ذلك رومية وكسروية . ولما ولي الخلافة وعد الناس - يوم بويج - بخير ودعاهم الى إحياء الكتاب والسنة وإقامة العدل .

فلما دخلت سنة ست وستين ابتدأ ببناء قبة الصخرة الشريفة وعمارة المسجد الأقصى الشريف ، وذلك لأنه منع الناس عن الحج لثلايميلوا مع ابن الزبير فضجوا . فقصده ان يشغل الناس بعمارة هذا المسجد عن الحج . فكان ابن الزبير يشتم على عبد الملك بذلك .

وكان من خبر البناء : ان عبد الملك بن مروان حين حضر الى بيت المقدس وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة بعث الكتب في جميع عمله والى سائر الأمصار ان عبد الملك قد أراد ان يبني قبة على صخرة بيت المقدس تقي المسلمين من الحر والبرد وان يبني المسجد وكره ان يفعل ذلك دون رأي رعيته فلتكتب الرعية اليه برأيهم وما هم عليه .

فوردت الكتب عليه من سائر عمال الأمصار : نرى رأي أمير المؤمنين موافقاً رشيداً إن شاء الله ينهم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ويجري ذلك على يديه ويحمله تذكرة له ولن مضى من سلفه .

فجمع الصناع لعمله ، وارصد للعمارة مالا كثيراً يقال : انه خراج مصر سبع سنين . ووضعه بالقبة الكائنة أمام الصخرة من جهة الشرق بعد ان أمر ببنائها وهي من جهة الزيتون وجعلها حاصلًا وشحنها بالأموال ، ووكل على صرف المال في عمارة المسجد والقبة وما يحتاج اليه أبا المقدام رجاء بن حياة بن جود الكندي وكان من العلماء الأعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وضم

اليه رجلا يدعى يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من اهل بيت المقدس وولديه .
ويقال : ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع
فصنعوا له وهو بيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها
قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها ، وأمر رجاء ويزيد بالنفقة
عليها والقيام بأمرها وان يفرغا المال عليها افراغا دون ان ينفقا اتفاقا .

واخذوا في البناء والعمارة عند القبة من شرقي المسجد الى غريبه حتى اكملوا
العمل وفرغ البناء ولم يبق للمتكلم فيه كلام . وكان البناء الذي هو في صدر المسجد
الى غريبه من السور الذي عند مهد عيسى الى المكان المعروف الآن بجامع المغاربة .
فكتب رجاء ويزيد الى عبد الملك بدمشق : قد أتم الله ما أمر به
أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى ولم يبق لتكلم فيه
كلام وقد بقي مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه - بعد ان فرغ البناء وأحكم -
مائة الف دينار فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب .

فكتب اليهما أمير المؤمنين : قد أمرت بها لكما جائزة لما وليتما من عمارة
البيت الشريف المبارك .

فكتب اليه : نحن اولى ان نزيده من حلي نسائنا فضلا عن اموالنا فاصرفها
في أحب الأشياء اليك .

فكتب اليهما بأن تسبك وتفرغ على القبة . فسبكت وافرغت عليها . فما
كان احد يقدر ان يتأملها مما عليها من الذهب . وهما لها جلالا من ابود وأدم
توضع من فوقها ، فاذا كان الشتاء ألبستها لتكتمها من الأمطار والرياح والثلوج .
ثم بعد انتقال الخلافة الى المنتقم لله الوليد بن عبد الملك أهدم شرقي المسجد
ولم يكن في بيت المال حاصل ، فأمر بضرب ذلك واتفاقه على ما أهدم منه .
وكانت ولاية الوليد في شوال سنة ست وثمانين ، ومات في جمادى الآخرة
سنة ست وتسعين من الهجرة .

وكان رجاء بن حياة ويزيد بن سلام قد حفا الصخرة بدرابزين ساسم ومن خلف الدرايزين ستور الديباج مرخاة بين العمدة ، وكان كل يوم اثنين وخميس يأمران بالزغفران فيدق او يطحن ثم يعمل من الليل بالمسك والعبر والماورد الجوري ويخمر بالليل . ثم يأمر الخدم بالغداة فيدخلون حمام سليمان يغتسلون ويتطهرون ثم يأتون الى الخزانة التي فيها الخلق فيلقون اثوابهم عنهم ثم يخرجون اثواباً جدداً من الخزانة مروية وهروية وشيثاً يقال له المصب ومناطق محلاة يشدون بها اوساطهم ، ثم يأخذون الخلق ويأتون به الى الصخرة فيلطفون ما قدروا أن تناله ايديهم حتى يغمروه كله ، وما لا تناله ايديهم غسلوا اقدامهم ، ثم يصعدون على الصخرة حتى يلطخوا ما بقي منها وتفرغ آنية الخلق ، ثم يأتون بمجامر الذهب والفضة والعود القماري والند مطري بالمسك والعنبر فترخي الستور حول الأعمدة كلها ، ثم يأخذون البخور ويدورون حولها حتى يحول البخور بينهم وبين القبلة من كثرة ، ثم تشمر الستور فيخرج البخور ويفوح من كثرة حتى يبلغ الى رأس السوق فيشم الريح من يمر من هناك وينقطع البخور من عندهم . ثم يناد مناد في صف البزازين وغيرهم : ألا ان الصخرة قد فتحت للناس فمن اراد الصلاة فيها فليأت . فتقبل الناس مبادرين الى الصلاة في الصخرة ، فأكثر الناس من يدرك أن يصلي ركعتين وأقلهم اربعاً فمن شم رائحته قال : هذا ممن دخل الصخرة ، ثم تفصل آثار اقدامهم بالماء ، وتمسح بالآس الاخضر ، وتنشف بالمناديل وتغلق الابواب ، وعلى كل باب عشرة من الحجبة ، ولا تفتح إلا يوم الاثنين ويوم الخميس ، ولا يدخلها في غيرها إلا الخدم .

وعن ابي بكر بن الحارث رضي الله عنه قال : كنت امرجها في خلافة عبد الملك كلها باللبان المديني والزنبق الرصاصي قال : وكانت الحجبة يقولون له : يا ابا بكر مر لنا بقنديل ندهن به وتنظيف به فكان يجيهم الى ذلك ، وكان يفعل بها ذلك في ايام خلافة عبد الملك بن مروان كلها .

قال الوليد وحدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت قال : حدثني ابي عن ابيه عن جده قال : كان في السلسلة التي في وسط القبة على الصخرة درة ثمينة وقرنا كبش ابراهيم وتاج كسرى معلقات في ايام عبد الملك بن مروان ، فلما صارت الخلافة الى بني هاشم حوّلوها الى الكعبة حرسها الله تعالى .

وكان المراءغ من عمارة قبة الصخرة والمسجد الاقصى في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة وهي السنة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير .

وكان من خبره : ان عبد الملك بن مروان لما صفاه له الوقت وثبت امره في الخلافة بعث الحجاج بن يوسف الثقفي الى حرب عبد الله بن الزبير بمكة ، فأتى الحجاج الطائف فأقام بها شهراً ، ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير في هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ودام الحصار حتى غلت الأسيعار واصاب الناس مجاعة وزاد الحجاج في الحصار والقتال ورمى الكعبة بالمنجنيق ، فلما رمى به ارعدت السماء وابرقت ، وجاءت صاعقة تتبعها اخرى ، فقتلت من اصحاب الحجاج اثني عشر رجلاً .

واشتد القتال وخرج ابن الزبير فقاتل قتالا شديداً ، وتكاثر اهل الشام الوفاً من كل جانب فشذخوه بالحجارة فانصرع ، فأكب عليه موليّان له فقتلوا جميعاً وتفرق اصحابه ، وامر به الحجاج فصلب . وكانت ذلك في يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة بعد قتال سبعة اشهر .

وكان له من العمر حين قتل نحو ثلاث وسبعين سنة . وهو اول من ولد للمهاجرين بعد الهجرة ، لأنه بويهم له سنة اربع وستين .

وكان سلطانه بالحجاز والعراق وخراسان واعمال الشرق . وكان كثير العبادة مكث اربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره ، وكانت خلافته تسع سنين ، وكان رضي الله عنه له جة مفروقة طويلة .

ولما صلب علق الحجاج الى جانبه كلباً ميتاً ومنع والدته من دفنه وكا
من العمر مائة سنة ، وهى اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها ، و
تدعى بذات النطاقين . ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بصلبه . فكتب
يلومه ويقول : هلا خليت بينه وبين امه . فأذن لها فدفنته ، وماتت بعده بقا
وبعث الحجاج الى عبد الملك يعلمه بما زاده ابن الزبير في الكعبة .
عبد الملك بهدمه وردّه الى ما كان عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه و
وان يجعل له باباً واحداً . ففعل الحجاج ذلك ، وهو البناء الموجود في عصرنا
وقد تقدم ذكر ما وقع من البناء والهدم في الكعبة . وخلاصة الأمر :
سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى الكعبة وهى بيت الله الحرام .
تقدم عند ذكره - بعد مضي مائة سنة من عمره . واستمر بناؤه نحو الي
وسبعمائة وخمس وسبعين سنة الى ان هدمته قريش في سنة خمس وثلاثين من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنوه - كما تقدم - وهو البناء الثاني ، واستمر
اثنين وثمانين سنة .

ثم هدمه الحصين واحرقه في ايام يزيد بن معاوية - كما تقدم - وذلك في
اربع وستين من الهجرة .

ثم بناه عبد الله بن الزبير على قواعد ابراهيم . وهو البناء الثالث ، واه
نحو تسع سنين . ثم هدمه الحجاج وقتل ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين من اله
ثم بناء الحجاج واخرج الحجر من البيت وجعله على ما كان عليه في
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو البناء الرابع وكان في سنة اربع وس
من الهجرة . واستمر على ما هو عليه الى هذا التاريخ ، وهو آخر سنة تسعما
وكانت الكعبة تكسى القباطي ، ثم كسيت البرود . واول من كس
الديباج الحجاج بن يوسف .

وأما ذرع جدران الكعبة الشريفة : فطول جدارها الشرقي من

الشاخص الى ارض المطاف ثلاثة وعشرون ذراعاً وثلاث ذراع بذراع الحديد وكذلك جدرانها الثلاث سوى الشامي فإنه ينقص عن الشرقي ربع ذراع ، والجدار الغربي ينقص عن الجدار الشرقي ثمن ذراع ، والجدار اليماني كالشرقي سواء بسواء . ذكر ذلك الفارسي في تاريخه المختصر ، وذكر هو وغيره من المؤرخين عرض البيت الشريف من كل جهة وحرروا ذلك . وليس هذا محل ذكره خشية الاطالة .

واما اخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته : فأول من وسعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بدور اشتراها ودور هدمها على من ابى البيعة وترك ثمنها لأربابها في خزانة الكعبة وذلك في سنة خمس عشرة من الهجرة . وكذلك فعل عثمان في سنة ست وعشرين من الهجرة .

ثم وسع عبد الله بن الزبير من جانبه الشرقي والشامي واليماني . ثم وسع المنصور العباسي من جانبه الشمالي والغربي ، وكان ما زاده مثل ما كان من قبل . وابتدأ في العمل في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة ، وفرغ في ذي الحجة سنة اربعين ومائة .

ثم ان الخليفة المهدي - هو ابو عبدالله محمد بن ابي جعفر المنصور العباسي - حج في سنة ستين ومائة وجرّد الكعبة وطلّى جدرانها بالمسك والعنبر من اعلاها الى اسفلها ، ووسع المسجد من جانبيه اليماني والغربي حتى صار على ما هو عليه اليوم خلا الزيادتين فانهما احداثا بعده . وكانت الكعبة الشريفة في جانب المسجد ولم تكن متوسطة ، فهدم حيطان المسجد واشترى الدور والمنازل واحضر المهندسين وصير الكعبة في الوسط . وكانت توسعته في نوبتين الأولى في سنة احدى وستين ، والثانية في سنة سبع وستين ومائة وهي السنة التي عمر فيها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس لأحد من الامراء في عمارة المسجد الحرام من النفقة مثل ما للمهدي رحمه الله .

وممن عمره من غير توسعة : عبد الملك بن مروان رفع جدرانہ وسقفه بالساج . وعمره ابنه الوليد وسقفه بالساج المزخرف وازره من داخله بالرخام . وزيد فيه بعد المهدي زيادة دار الندوة بالجانب الشامي ، والزيادات المعروفة بزيادة باب ابراهيم بالجانب الغربي .

وكان انشاء زيادة دار الندوة في زمن المعتضد العباسي ، وابتداء الكتابة اليه فيها في سنة احدى وثمانين ومائتين . وكان عمل الزيادة التي يباب ابراهيم في سنة ست وسبعين وثلاثمائة . ووقع في المسجد الحرام بعد ذلك عمارات كثيرة . واما ذراع المسجد الحرام غير الزياتين : فذكره بعض المؤرخين باعتبار ذراع اليد ، وحرره بعضهم بذراع العمل الحديد . فكان طوله من جداره الغربي الى جداره الشرقي المقابل له ثلثمائة ذراع وسنة وخمسين ذراعاً وعن ذراع بالذراع الحديد ، فيكون ذلك بذراع اليد اربعمائة وسبعة اذرع وذلك من وسط جداره الغربي الذي هو جدار رباط الجوزي الى وسط جداره الشرقي عند باب الجنائز ثم يمر به في الحجر ملاصقاً جدار الكعبة الشامي وكان عرضه من جداره الشامي الى جداره اليماني مائتي ذراع وستاً وستين ذراعاً بذراع الحديد ، فيكون بذراع اليد ثلثمائة ذراع واربعة اذرع وذلك من وسط جداره القديم عند العقود الى وسط جداره اليماني الذي فيما بين باب الصفا وباب اجياد يمر به فيما بين مقام ابراهيم والكعبة وهو الى المقام اقرب .

واما ذرع زيادة دار الندوة : فهو اربعة وسبعون ذراعاً إلا ربع ذراع بالحديد وذلك من جدار المسجد الحرام الكبير الى الجدار المقابل له الشامي منها وعنده باب مناوتها ، هذا ذرعها طولاً واما عرضاً : فسبعون ذراعاً ونصف ذراع وذلك من وسط جدارها الشرقي الى وسط جدارها الغربي .

واما زيادة باب ابراهيم : فذرعها طولاً تسع وخمسون ذراعاً إلا سدس ذراع وذلك من الاساطين التي هي في موازاة المسجد الكبير الى العتبة التي هي في باب

هذه الزيادة . واما ذرعها عرضاً : فاثنتان وخمسون ذراعاً ورباع ذراع وذلك من صدر باب الجوزي الى جدار رباط رامشت .

واما عدد ابواب المسجد الحرام : فتسعة عشر باباً تفتح على ثمان وثلاثين طاقة ، فمنها في الجانِب الشرقي : باب بني شيبه بثلاث طاقات ، وباب السلام ، وباب الجنائز طاقتان ، وباب المباس ثلاث طاقات ، وباب علي ثلاث طاقات . وفي الجانب اليماني : باب بازان ، وباب البغلة ، وباب الصفا ، وباب اجياد الصغير وباب المجاهدين ، وباب مدرسة الشريف عجلان ، وباب ام هاني . وكل من ابواب هذا الجانب طاقتان إلا باب الصفا فخمسة . وفي الجانب الغربي : باب غرورة وهو تصحيف الخزوزة وهو طاقتان ، وباب ابراهيم نسبة لابراهيم الخياط كان عندهم وبعضهم نسب له ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو بعيد ، وهو طاقة واحدة ، وباب العمرة طاقة واحدة . وفي الجانب الشمالي : باب السدة ، وباب دار المعجزة وباب الزيادة واحدة ، وباب السكينة وكل منها طاقتان إلا باب الزيادة فهو طاقة . وعدة ما فيه من المنائر : خمس منارات ، وزيدت منارة سادسة لمدرسة السلطان الملك الأشرف قايتباي نصره الله تعالى .

ومما وقع في الكعبة الشريفة في سنة سبع عشرة وثلثمائة في ايام المهدي بالله عبيد الله اول خلفاء الفاطميين ، وكان خليفة بغداد في ذلك العصر المقتدر بالله ابو الفضل جعفر العباسي ، أن ابا طاهر سليمان القرمطي صاحب البحرين قصد مكة ودخلها يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة ، فنهب اموال الحجاج وقتل الناس في رحاب مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام وفي جوف الكعبة ، ودفن القتلى في بئر زمزم وفي المسجد الحرام ، وامر بقلع الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين اصحابه ، وهدم قبة زمزم وامر بقلع الحجر الأسود واخذه الى هجر . واستمر بيلادهم ثنتين وعشرين سنة ، وام يرد الى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة .

ولما صنف الامام ابو القاسم عمر بن الحسين الخرقبي الحنبلي كتاب الخلاصة

في فقه مذهب الامام أحمد رضي الله عنه قال في كتاب الحج - في باب ذكر الحج ودخول مكة - : واذا دخل المسجد الحرام فلم يستحب ان يدخل من باب بني شيبه فاذا رأى البيت رفع يديه وكبر الله تعالى ، ثم اتى الحجر الأسود ان كان .
وانما قال ذلك لأن تصنيفه الكتاب كان حال كون الحجر الأسود بأيدي القرامطة حين اخذوه من مكانه ، ولم يردوه إلا بعد وفاة ابي القاسم الخرقى في التاريخ المتقدم ذكره ، فان ابا القاسم رحمه الله توفي بدمشق المحروسة في سنة اربع وثلاثين وثلثمائة قبل اعادة الحجر الى مكانه بخمسين سنة .

﴿ ذكر صفة المسجد الأقصى وما كان عليه في زمن عبد الملك وبعده ﴾

روى الحافظ بهاء الدين بن عساكر : انه كان فيه في ذلك الوقت من الخشب المسقف سوى اعمدة خشب ستة آلاف خشبة ، وفيه من الابواب خمسون باباً .
قال القرطبي : منها باب داود ، وباب سليمان ، وباب حطة ، وباب محمد عليه الصلاة والسلام ، وباب التوبة الذي تاب الله عز وجل على داود فيه ، وباب الرحمة ، وابواب الأسباط ستة ابواب ، وباب الوليد ، وباب الهاشمي ، وباب الخضر وباب السكينة . وكان فيه من العمود ستائة عمود من رخام . وفيه من المحاريب سبعة ومن السلاسل للقناديل اربعمائة سلسلة إلا خمسة عشر منها مائتا سلسلة وثلاثون سلسلة في المسجد الأقصى والباقي في قبة الصخرة الشريفة ، وذراع السلاسل اربعة آلاف ذراع ووزنها ثلاثة واربعون الف رطل بالشامي . وفيه من القناديل خمسة آلاف قنديل ، وكان يسرج مع القناديل الفا شمعة في ليلة الجمعة وفي ليلة النصف من رجب وشعبان ورمضان وفي ليلتي العيدين . وفيه من القباب خمسة عشر قبة سوى قبة الصخرة . وعلى سطح المسجد من شقف الرصاص سبعة آلاف شقفة وسبعمائة ، ووزن الشقفة سبعمون رطلا بالشامي غير الذي على قبة الصخرة .

وكل ذلك عمل في ايام عبد الملك بن مروان ، ورتب له من الخدم القوام

ثلثمائة خادم اشترت له من خمس بيت المال كلما مات منهم واحد قام مكانه ولده أو ولد ولده أو من اهلهم ، يجري عليهم ذلك ابدأ ما تناسلوا .

وفيه من الصهاريج اربعة وعشرون صهريجاً كبيراً . وفيه من المناير اربعة ثلاثة منها صف واحد غربي المسجد وواحدة على باب الأسباط .

وكان له من الخدم اليهود الذين لا يؤخذ منهم جزية عشرة رجال ، وتوالدوا فصاروا عشرين لكندس اوساخ المسجد الناشئ في المواسم والشتاء والصيف ولكندس المظاهر التي حول الجامع . وله من الخدم النصارى عشرة اهل بيت يتوارثون خدمته لعمل الحصر ولكندس حصر المسجد وكندس القناة التي يجري فيه الماء الى الصهاريج وكندس الصهاريج ايضاً وغير ذلك .

وله من الخدم اليهود جماعة يعملون الزجاج القناديل والأقداح والثريات وغير ذلك لا يؤخذ منهم جزية ولا من الذين يقومون بالقش لفتائل القناديل جارية عليهم وعلى اولادهم ابدأ ما تناسلوا من عهد عبد الملك بن مروان وهلم جرا .

وتوفي عبد الملك بن مروان بدمشق في يوم الخميس لحس عشرة ليلة مضت من رمضان سنة ست وثمانين من الهجرة الشريفة وعمره ستون سنة ، وكانت خلافته منذ قتل ابن الزبير واجتماع الناس له ثلاث عشرة سنة واربعة اشهر تنقص سبع ليال . وكان بالشام وما والاها قبل قتل ابن الزبير بسبع سنين ونحو تسعة اشهر . ومات الحجاج في شهر رمضان - وقيل - شوال - سنة خمس وتسعين للهجرة وله ثلاث وخمسون سنة ، وكانت موته بواسط وهو الذي بناها . واخفي قبره واجري عليه الماء .

ومات رجاء بن حياة الذي تولى بناء الصخرة والمسجد الأقصى في سنة اثنتي عشرة ومائة ، وكان رأسه احمر ولحيته حمراء .

ولما ولي سليمان بن عبد الملك الأموي الخلافة بعد أخيه الوليد في سنة ست وتسعين من الهجرة أتى بيت المقدس ، وافته الوفود بالبيعة ، فلم ير وفادة كانت

أهنيء من الوفادة اليه . فكان يجلس في قبة في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة ، ولعلها القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الدويدارية . ويسط البسط بين يدي قبة عليها التارق والكراسي فيجلس ويأذن للناس فيجلسون على الكراسي والوسائد الى جانبه الأموال وكتاب الدواوين . وقد همّ بالاقامة ببيت المقدس واتخذها منزلاً ، وجمع الأموال والناس بها .

وكان رحمه الله تعالى يعظم العلماء قال ابن سيرين رحمه الله : يرحم الله سليمان بن عبد الملك افتتح خلافته بخير فضلى الصلوات لمواقيتها ، وختمها بخير فاستخلف عمر بن عبد العزيز وكان يلقب بالمهدي بالله الداعي الى الله ، توفي سنة تسع وتسعين من الهجرة وله خمس واربعون سنة رحمه الله .

وعن عطاء عن ابيه قال كانت اليهود تسرح بيت المقدس ، فلما ولي عمر ابن عبد العزيز اخرجهم وجعل فيه من الخمس . فأثاه رجل من اهل الخمس وقال له : اعتقني . فقال : كيف اعتقك ولو ذهبت انظر ما كان لي شعرة من شعر جسدك . وكانت ولاية عمر بن عبد العزيز في صفر سنة تسع وتسعين من الهجرة ، وكان يلقب بالمعصوم بالله وخلافته سنتان وخمسة اشهر . وتوفي بدير سمران من اعمال حمص يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة رضي الله عنه .

وروي عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت عن ابيه عن جده : ان الأبواب كلها كانت ملبسة بصفائح الذهب والفضة في خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قدم ابو جعفر المنصور العباسي - وكان شرقي المسجد وغريبه قد وقعا - ففيل له : يا أمير المؤمنين قد وقع شرقي المسجد وغريبه من الرجفة في سنة ثلاثين ومائة ولو امرت ببناء هذا المسجد وعمارته . فقال : ما عندي شيء من المال . ثم امر بقلع الصفائح الذهب والفضة التي كانت على الأبواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وانفقت عليه حتى فرغ .

وكانت خلافة المنصور في سنة ست وثلاثين ومائة ، وهو ثاني الخلفاء من

بني العباس ، وهو الذي بنى مدينة بغداد . وكان الابتداء في بنائها في سنة خمس واربعين ومائة . وتوفي يوم السبت لست ليال خلت من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وله خمس وستون سنة ، ودفن بمكة .

ثم كانت الرجفة الثانية فوقع البناء الذي كان امر به ابو جعفر ، ثم قدم المهدي من بعده وهو خراب ، فرفع ذلك اليه فأمر ببنائه وقال : رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه . فتم البناء في خلافته . وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور الملقب بالمهدي ، بويغ بالخلافة لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة بين الركن والمقام .

ولما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق ومعه ابو عبد الله الأشعري كاتبه فقال له : يا ابا عبد الله سبقنا بنو امية بثلاث . فقال : وما هي يا امير المؤمنين ؟ فقال : بهذا البيت - يعني المسجد - لا اعلم على ظهر الأرض مثله ونيل الموالي فان لهم موالي ليس لنا مثلهم ، وبمعمر بن عبد العزيز لا يكون فينا والله مثله ابداً . ثم اتى بيت المقدس ودخل الصخرة فقال : يا ابا عبد الله وهذه رابعة .

وتوفي المهدي في يوم الخميس ثمان بقين من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وله ثمان واربعون سنة .

قال الحافظ ابن عساكر : وطول المسجد الأقصى سبعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعاً بذراع الملك وعرضه اربعمائة ذراع وخمسة وستون ذراعاً بذراع الملك . وكذا قال ابو المعالي المشرف .

قال صاحب (مثير الغرام) : أتيت الى زيارة القدس والشام ولكن رأيت قديماً بالحائط الشمالي التي فوق الباب مما يلي باب الدويدارية من داخل السور بلاطة فيها طول المسجد وعرضه . وذلك مخالف لما ذكرناه فالذى فيها ان طوله سبعمائة ذراع واربع وثمانون ذراعاً وعرضه اربعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعاً .

قال : ووصف فيها الذراع : انكني لم اتحقق ذلك ، هل هو الذراع المذكور أم غيره
لتشمت الكتابة . قال : وقد ذرع بالحبال طوله وعرضه في وقتنا هذا ، فجاء قدر
طوله من الجهة الشرقية ستمائة ذراع وثلاثة وثمانين ذراعاً ، ومن الغربية ستمائة ذراع
وخمسين ذراعاً ، وجاء قدر عرضه اربعمائة وثمانية وثلاثين ذراعاً خارجاً عن عرض
سوره انتهى .

واما طوله وعرضه في عصرنا هذا - وهو اواخر سنة تسعمائة - فسأذكرها
مستوفياً فيما بعد عند ذكر صفة المسجد الأقصى وما هو عليه في عصرنا ، فأذكر
طوله من جهة القبلة الى جهة الشمال وعرضه من جهة الشرق الى جهة الغرب ، وكذلك
داخل الجامع الأقصى من عند المحراب المجاور للمنبر الى باب الدخول له وعرضه
وصحن الصخرة الشريفة وارتفاع القبة ، واستوفي ذكر ذلك طولا وعرضاً بذراع
العمل الذي تذرع به الأبنية في عصرنا ، وحرر ذلك حسب الامكان إن
شاء الله تعالى .

ومما وجد في بيت المقدس على بعض الصخرات : ما نقله ابو سليمان الخطابي
في كتاب « العزلة عن ذي النون » انه قال : وجدت صخرة ببيت المقدس عليها
اسطر مكتبة فحيث ترجمتها فاذا عليها مكتوب : كل عام مستوحش ، وكل مطيع
مستأنس ، وكل خائف هارب ، وكل راج طاب ، وكل قانع غني ، وكل محب ذليل .
وعن ابي بكر الطرطوسي رحمه الله قال : كنت ليلة قائماً في المسجد الأقصى
فلم يرعني إلا صوت كاد يصدع القلب وهو يقول شعر :

أخوف وأمن ان ذا لعجيب تكاتك من قلب فأنت كذوب
اما وجلال الله لو كنت صادقاً لما كان للاغماض فيك نصيب
فوالله لقد أبكى العيون وأشجى القلوب .

وقال سهل بن حاتم - وكان من العابدين - : حدثني ابو سعيد - رجل من
الاسكندرية - قال : كنت أبيت في بيت المقدس وكان قليلاً ما يخلو من المتهمجين

قال : فقامت ذات ليلة بعد ما مضى من الليل طويل فنظرت فلم أر في المسجد متهجداً وذكر انه سمع قائلاً ينشد شعراً :

أيا عجباً للناس لذت عيونهم مطاعم غمض بعده الموت يفتصب
قال : فسقطت على وجهي وذهب عقلي ، فلما انفت نظرت واذا لم يدق متهجداً
إلا قام .

وقيل : انه دخل بيت المقدس في زمن بني اسرائيل خمسمائة عذراء اباسهن
الصوف يتذاكرن ثواب الله تعالى وعقابه فتن جميعاً من الخوف .
وروى البيهقي عن ابن شهاب انه في صبيحة قتل الحسين بن علي رضي الله عنه
لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم ، وكذلك يوم قتل والده علي
رضي الله عنهما . وكان قتل الحسين رضي الله عنه بكر بلاء يوم عاشوراء سنة
احدى وستين من الهجرة .

(ذكر جماعة من أعيان التابعين)

والعلماء والزهاد ممن دخلوا بيت المقدس بعد الفتح العمري وعمارة
عبد الملك بن مروان

فمنهم من دخله زائراً ، ومنهم من دخله مستوطناً . وذلك قبل استيلاء
الافرنج عليه . فمنهم جماعة لم اطلع على تاريخ وفاتهم وهم :

أويس بن عامر القرني من بني قرن صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
انه أمر عمر ان يسأله ان يستغفر له . قيل : انه اجتمع بعمر رضي الله عنه ببيت
المقدس ، وقيل : انما لقيه في الموسم فقال لعمر : قد حججت واعترت وصليت
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووددت لو اني صليت في المسجد الأقصى
فجهزه عمر واحسن جهازه . وآتى المسجد الأقصى فصلى فيه ، ثم آتى الكوفة وخرج
غازياً راجلاً الى بغداد فأصابه البطن والنجا الي اهل خيمسة فمات عندهم ، ومعه

جرب وقضيب. فقالوا لرجلين منهم : اذهبوا فاحفروا له قبراً . قالوا : فنظرنا في جرابه فاذا فيه ثوبان ليسا من ثياب اهل الدنيا ، وجاء الرجلان فقالا : اصبنا قبراً محفوراً في صخرة كأنما رفعت عنه الأيدي الساعة فكفنوه ثم دفنوه ثم التفتوا فلم يروا شيئاً . ويقال : قتل بصفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة الشريفة . ويقال : مات بدمشق ودفن بها . والله أعلم .

وعبيد عامل عمر رضى الله عنه على بيت المقدس لما وقم الطاعون في بيت المقدس كان عمر استعمله عليه ، فجعلت الجناز تغسل وهو يصلي عليها ، وجعل لا يحمل الجناز إلا الشباب .

وعمر بن سعد من عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على حمص . ويعلى بن شداد بن ثابت من الطبقة الثانية من تابعي اهل الشام ، حضر فتح بيت المقدس ، وكان ثقة روى عنه جماعة .

وابو نعيم المؤذن اول من اذن ببيت المقدس فكان عبادة بن الصامت والياً على ايليا فأبطأ بصلاة الصبح فأقام ابو نعيم الصلاة فصلى ، فحضر عبادة وهو يصلي فصلى بصلاته .

ابو الزبير المؤذن الدارقطني مؤذن بيت المقدس ، قال : جاءنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : اذا اذنت فترسل واذا أقمت فأحذر .

ابو سلام الجيشي واسمه محذور ، ويقال : الباهلي الدمشقي . كان يقدم بيت المقدس ويقرأ على عبادة بن الصامت ويروي عنه .

ابو جعفر الجرشى ، روى عنه انه قال : دخلت مع عبادة بن الصامت مسجد بيت المقدس فرأى رجلاً يصلي واضعاً نعله عن يمينه - او عن شماله - فقال له : لولا انك تناجي ربك لعلوت رأسك بهذه العصا تفعل كفعل اهل الكتاب .

وخالد بن معدان الكلاعي العبد الصالح الفقيه الكبير ، كان يسبح في اليوم

اربعين الف تسبيحة . آتى بيت المقدس ونزل من على ستة اميال ولم يصل فيه غير خمس صلوات .

ام الدرداء هجيمة ، ويقال : جهيمة . خطبها معاوية بن ابي سفيان فأبت وقالت : سمعت ابا الدرداء يقول : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول : المرأة لا خير ازواجها ، فان اردت ان تكوني زوجتي في الجنة فلا تتخذي من بعدي زوجاً . وكانت تأتي من دمشق الى بيت المقدس فاذا مرت على الجبال قالت لقائدها : أسمع الجبال ما وعدتها ربي . فيقرأ : (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرهما قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امناً * ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً) . وكانت تجالس المساكين ببيت المقدس وتقيم به نصف سنة وبدمشق نصف سنة .

وابو العوام مؤذن بيت المقدس روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ان السور المذكور في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي .

وقبيصة بن دويب ، وعبد الله بن محيرز ، وهاني بن كثوم . كل هؤلاء كانوا عباداً زهاداً ، فقبيصة ! كان عالماً ربانياً ، مات سنة ثمان وستين من الهجرة . وابن محيرز ! قرشي جمحي مكي ، نزل بيت المقدس . قال رجاء بن حياة : إن فخر علينا اهل المدينة بما بدم ابن عمر فانا نفتخر بما بدنا ابن محيرز ، إنما كنت اعد بقاءه اماناً لأهل الأرض . مات قبل المائة . وهاني عرضت عليه امارة فلسطين فامتنع . وكان الثلاثة يقصرون الصلاة من الرملة الى بيت المقدس .

ومحارب بن دثار وكان قاضياً ، وهو من العلماء الزهاد وحديثه مخرج في كتب الاسلام . قال : صحبنا القاسم بن عبد الرحمن الى بيت المقدس فغلبنا على ثلاث : على قيام الليل والبسط في النفقة والكف عن الناس .

وعبد الله بن فيروز الديلمي مقدسي ثقة ، خرج له ابو داود والنسائي وابن ماجه . وله أخ يقال له : الضحاك بن فيروز ، ثقة ايضاً .

وزياد بن أبي سودة مقدسي ، روى عن عبادة بن الصامت وأبي هريرة وهو من الثقات .

وأبو الحسن الزهري الأندلسي ، كان مقيماً ببيت المقدس . سمعه أبو عبد الله محمد الضوري في بقية . بسمع محمد بن العباس العيني قال : سمعت الشبلي وقد سأله رجل فقال له : يا أبا بكر ما تقول في رجل كان له حظ في قيام الليل فتركه ثم عاد وهو مجتهد أن يناله فلا يقدر ؟ قال : فأنشأ يقول !

تشاغلنموا عنا بصحبة غيرنا وأظهروا الهجران ما هكذا كنا
وروى عن جماعة .

وأبراهيم بن محمد بن يوسف العرباني ، نزل ببيت المقدس ، وروى عن جماعة وروى عنه جماعة ، وحديثه في كتاب ابن ماجه .

وأبو عتبة الخواص عباد بن عباد الأرسوفي ، قدم بيت المقدس وكان ثقة قال : رأيت بيت المقدس شيخاً كأنه محترق بنار وعليه مدرعة سوداء وعمامة سوداء ، طويل الصمت كرية المنظر كثير الشعر شديد الحزن ، فقلت : یرحمك الله لو غيرت لباسك هذا فقد علمت ما جاء في البياض ، فبكى وقال : هذا أشبه بلباس المصاب وإنما نحن في الدنيا في حداد وكأننا قد دعينا ثم غشي عليه .

وعابد ببعض قرى بيت المقدس في زمن ثور بن يزيد ، قال محمد بن المعتصم : سمعت أبي يقول : سمعت منبه بن عثمان الأحمي يقول : كان ثور بن يزيد قد سكن بيت المقدس وكان رجل متعبد في بعض قرى بيت المقدس يجلس إلى ثور ابن يزيد وكان يغدو من قريته مع الفجر فيصلّي الصلوات كلها في بيت المقدس وينصرف بعد العشاء الآخرة إلى قريته ، وقد سمع ثوراً يحدث : أن خالد بن معدان حدثه بحديث رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : من رأى شيئاً يهوله أو يفزع فليقل : ان الله هو الذي ليس كمثل شيء وهو الواحد القهار ، ما قالها أحد إلا فرج الله عنه ولو كان بين يديه سور من حديد . وانصرف ذلك الرجل

ليلة من الليالي الى الطريق فاذا بأسود بين يديه قد منعه من المسير ، فذكر حديث خالد فقال ، ففرج الله عنه . فمضى فلقى حمار وحش فاتحاً فاه يريد لباً كل يده فذكر حديث ثور فقال ، فولى الحمار وهو يقول : لا يرحم الله ثوراً كما علمك . وعبد الله بن عامر المصري قال : سألت راهباً ببית المقدس فقلت له : يا راهب ما اول الدخول في العبادة ؟ قال : الجوع قلت : وما دليل ذلك ؟ قال : لأن الجسد خلق من تراب والروح من ملكوت السماوات ، فاذا شبع الجسد ركن الى الأرض واذا لم يشبع اشتاق الى الملكوت . قلت : ما سبب الجوع ؟ قال : ملازمة الذكر والخضوع .

وابو عبد الله بن خفيف خرج من شيراز الى مكة ، ثم أتى بيت المقدس ثم دخل الشام رحمه الله .

وقاسم الزاهد قال : رأيت راهباً على باب بيت المقدس كالولهان لا يرقأ له دمع ، فهاثني أمره فقلت : يا ايها الراهب اوصني وصية احفظها عنك . فقال : كن كرجل احتوشته السباع والاهوام فهو خائف مذعور يخاف ان يسهو فتفترسه او يلهو فتتهشمه ، فليله ليل مخافة اذا أمن فيه المغترون ونهاره نهار حزن اذا فرح فيه البطالون . ثم ولى وتركتني فقلت : لو زدني شيئاً عسى الله ان ينفعني به . فقال : يا هذا ان الظمان يكفيه من الماء ايسره .

ومحمد بن حاتم بن محمد بن عبد الكريم الطائي ابو الحسن الطوسي تفقه على إمام الحرمين وكان صدوقاً خبيراً فقيهاً صوفياً دخل بيت المقدس وسمع به الحديث . ابو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الانصاري الفقيه المالكي سكن مصر وروى بها عن ابي محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني وغيره ، قال ابن الوليد : انبأنا ابو محمد بن ابي زيد قال : جماع آداب الخير وأزمته في اربعة احاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم : من كانت يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت . وقوله : من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه . وقوله - للذي

اختصر له في الوصية - : لا تفضب . وقوله : المؤمن بحب لأخيه ما يحب لنفسه .
توفي ابن الوليد ببيت المقدس ، و وفاة ابن أبي زيد في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة
فيعلم من ذلك العصر الذي كان فيه ابن الوليد .

وجعفر بن محمد النيسابوري قدم بيت المقدس في سنة سبعين وثلثمائة وقال :
سمعت الحسن بن الصباغ البزار يقول : سمعت الوليد بن مسلم يقول : سمعت
بلال بن سعد يقول : لا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر من عصيت . والله سبحانه
وتعالى اعلم . ومنهم جماعة ارّخت وفاتهم وذكرتهم على ترتيب الوفيات وهم :
كعب الأخبار ابن مانع الحميري أبو اسحاق ، كان يهودياً فأسلم في خلافة
أبي بكر ، وقيل : عمر . قال له العباس : ما منمك الاسلام الى عهد عمر ؟ فقال :
ان ابي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه إلي وقال : اعمل بهذا . وختم على
سائر كتبه وأخذ عليّ بحق الوالدين لا افض الخاتم . فلما رأيت الاسلام يظهر
قالت لي نفسي لعل اباك غيب عنك علم كتبك فلو قرأته ، ففضت الكتاب فوجدت
فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وامته فأسلمت الآن .

سكن الشام ، وروى عن جماعة من الصحابة كأبي هريرة ، وتقدم انه دخل
بيت المقدس واستشاره عمر في موضع القبلة . توفي بحمص سنة اثنتين وثلثين من
الهجرة في زمن خلافة عثمان رضي الله عنه .

وابراهيم بن أبي عبلة العقيلي المقدسي ، روى عن أبي امامة وانس ، وروى
عنه الامامان مالك وابن المبارك . توفي سنة اثنتين وخمسين من الهجرة .

وجبير بن نصير الحضرمي الحمصي في الطبقة الاولى من التابعين ، ادرك زمن
النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أتى
بيت المقدس للصلاة ، وروى عن خالد بن الوليد وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت
والنوّاس بن سمان . قال جبير : خمس خصال قبيحة : الحدة في السلطان والحرص
في العلماء والشره في الشيوخ والشح في الأغنياء وقلة الحياء في ذوي الأحساب .

توفي جبر سنة خمس وسبعين من الهجرة الشريفة .

وعبد الرحمن بن غنم الأشعري كان مسلماً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يفد اليه لكنه لازم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن حتى مات معاذ ، وسمع عمر بن الخطاب . قال صاحب (مشير الغرام) :
اظنه قدم بيت المقدس فانه هو الذي فقه عامة التابعين بالشام . توفي سنة تسع وسبعين من الهجرة الشريفة .

وخالد كان بصخرة بيت المقدس فجاء عمر بن عبدالعزيز امير المؤمنين رضي الله عنه فأخذ بيده وقال : يا خالد ما علينا ؟ قال : عليكم من الله اذن سماعة وعين بصيرة .
فارتعد عمر خوفاً من الله ونزع يده فقال خالد يوشك ان يكون هذا إماماً عادلاً .
ولزم خالد بيته في آخر امره وقال : ما بقي من الناس إلا حاسد او شامت . توفي سنة تسعين من الهجرة الشريفة .

ومالك بن دينار من الأئمة الأعلام روى عن انس ، واخرج له اصحاب السنن ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة . توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة .
ومحمد بن واسع ثقة زاهد من اهل البصرة من الأزد ، روى عن انس بن مالك وغيره ، اخرج له مسلم وابو داود والترمذي والنسائي . وجمعه الطريق ومالك بن دينار وعبد الواحد بن زيد وساروا الى بيت المقدس . توفي سنة تسع وعشرين ومائة .

ام الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عقيل الصالحة المشهورة كانت من اعيان عصرها واخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة ، وكانت تقول في مناجاتها : إلهي أتحرق بالنار قلباً يحبك . فتهتف بها مرة هاتف : ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظن سوء . ومن وصاياها : اكنموا حسناتكم كما تكتنمون سيئاتكم . واورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف المعارف :
اني جعلتك في القواد محدثي وأبحت جسمي من اراد جلوسي

فالجسم مني للحبيب مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي
توفيت سنة خمس وثلاثين - وقيل : وثمانين - ومائة ، وقبرها على رأس جبل
طور زيتا شرقي بيت المقدس بجوار مصعد السيد عيسى عليه السلام من جهة
القبلة وهو في زاوية ينزل إليها من درج وهو مكان مأنوس يقصد للزيارة .
ومن النساء العابدات ببيت المقدس امرأة تسمى طافية كانت تأتي بيت المقدس
تتعبد فيه ، وامرأة أخرى تسمى لبابة . ذكرها ابن الجوزي ، وذكر عدة من
العابدات المجهولات الأسماء ولم يؤرخ وفاة واحدة منهن .
وسليمان بن طرخان الهيثمي التيمي نزل بالبصرة وسمع أنساً ، وكان يقول :
إذا دخلت بيت المقدس كأن نفسي لا تدخل معي حتى أخرج منه . توفي سنة
ثلاث وأربعين ومائة .

ومقاتل بن سليمان المفسر قدم بيت المقدس فصلى فيه وجلس عند باب الصخرة
القبلي ، واجتمع إليه خلق كثير من الناس يكتبون عنه ويسمعون منه ، فأقبل
بدوي يطاءً بنعليه على البلاط وطأاً شديداً ، فسمع مقاتل فقال لمن حوله : اتفرجوا
فأنفرج الناس عنه ، فأهوى بيده يشير إليه ويزيده بصوته : ايها الواطيء ارفق
بوطئك فوالذي نفس مقاتل بيده ما تطأ إلا على اجاجين الجنة .
وفي كلام آخر قال الامام الشافعي رضي الله عنه : الناس كلهم عيال على
ثلاثة : مقاتل بن سليمان في التفسير . . . وذكر الآخرين . توفي مقاتل سنة
خمسین ومائة .

والاوزاعي عبد الرحمن بن عمر واحد الأئمة الأعلام فقيه الشام كان رأساً
في العلم والعبادة قدم بيت المقدس فصلى فيه ثمان ركعات والصخرة وراءه ، ثم
صلى فيه الخمس وقال : هكذا فعل عمر بن عبد العزيز ، ولم يأت شيئاً من المزارات .
توفي في الحمام سنة سبع وخمسين ومائة .

وسفيان الثوري هو ابن سعيد بن مسروق الامام العالم المجمع على جلالته

وزهده وورعه ، أتى المسجد الأقصى فصلى فيه بموضع الجماعة ، وأتى قبة الصخرة الشريفة وختم فيها القرآن ، وروى انه اشترى موزاً بدرهم فأكل منه في ظلها ثم قال : ان الحمار اذا وفي عليه - او قال علفه - زيد في عمله . ثم قام بصلى حتى رحمه من رآه . توفي بالبصرة سنة احدى وستين ومائة .

وابراهيم بن ادم بن اسحاق من كور بلخ احد الزهاد وهو من ثقات اتباع التابعين ومن ابناء الملوك ، خرج يوماً يتصيد وأثار ثعلباً - او ارنباً - واسرع في طلبه ، فهتف به هاتف : ألهذا خلقت أم بهذا امرت ؟ ثم هتف به من قربوس سرجه : والله ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت ، فنزل عن دابته وترك الامارة . ودخل البادية وزهد وصحب الامام ابا حنيفة وله من الكرامات ما هو مشهور بها ، قدم بيت المقدس وقام بالصخرة الشريفة ، وسكن الشام . وتوفي بمدينة جبلة من اعمال طرابلس وقبره مشهور بها .

قال صاحب (مشير الغرام) : انه مات ببلاد الروم ووفاته في سنة احدى وستين ومائة .

الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم عالم اهل مصر كان نظير مالك في العلم . قيل : انه كان دخله في كل سنة ثمانين الف دينار فما وجبت عليه زكاة . وفي رواية : لا ينقضي عليه عام إلا وعليه دين من كثرة جوده وبره . وقدم بيت المقدس . قال الليث لما ودعت ابا جعفر - يعني الخليفة - بيت المقدس قال : اعجبني ما رأيت من شدة عقلك فالحمد لله الذي جعل في ريعتي مثلك . ويقال : انه كان حنفي المذهب ، وانه ولي القضاء بمصر . ولد سنة اثنتين وتسعين من الهجرة الشريفة . وتوفي يوم الخميس منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، ودفن يوم الجمعة بالقرافة الصغرى وقبره احد المزارات . قال بعض اصحابه : لما دفن الليث ابن سعد سمعنا صوتاً يقول :

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم غريباً وفتر

قال : فالتفتا فلم نرا أحداً . وترجى الشافعي رحمه الله ترجمة عظيمة ، وكان يأتي الى قبره بالقراءة كل عشية جمعة ويستمر حتى يقرأ على قبره ختما كاملا . فاستمر اهل مصر يفعلون ذلك بقبره في عشية كل جمعة الى يومنا هذا ويختلفون لذلك ولهم فيه اعتقاد عظيم وله شهرة ظاهرة واحوال بارزة ، نفعا الله به .

ووكيع بن الجراح بن مليح ابوسفيان الرواسي مولده سنة تسع وعشرين ومائة ، وكان من الأعلام . وهو من الرواة عن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه يروى عنه الامام احمد ايضاً وقال عنه : ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ .

قدم بيت المقدس واحرم منه الى مكة . توفي يوم عاشوراء ودفن بفيد راجعاً من الحج سنة تسع - وقيل : سنة ثمان وتسعين ومائة .

الامام الأعظم والخبير الاكرم محمد بن ادريس الشافعي الملقب باحد الأئمة المجتهدين الأعلام وإمام اهل السنة ركن الاسلام ، ولد بغزة من بلاد الشام على الأصح سنة خمسين ومائة وهي التي توفي فيها الامام الأعظم ابو حنيفة رضي الله عنه وقيل : في اليوم الذي مات فيه .

خرج كتاب الام وكتاب السنن واشياء كثيرة كلها في اربع سنين ، قدم بيت المقدس فصلى فيه وقال : سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل له ما تقول في محرم قتل زنبورا ؟ فقال : قال الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وحدثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقتدوا من بعدي بابي بكر وعمر ، وحدثنا ابن عيينة عن مسعود عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب : ان عمر امر المحرم بقتل الزنبور .

وتوفي الامام الشافعي رضي الله عنه بمصر يوم الجمعة ودفن من يومه بعد العصر آخر يوم من رجب سنة اربع ومائتين بالقرافة الصغرى وقبره مشهور يزار نفعا الله به .

واما الأئمة الثلاثة رضى الله عنهم فلم اطلع على شيء يدل على قدوم احد منهم بيت المقدس .

والمؤمل بن اسماعيل البصري صدوق وكان شديداً في السنة ، قدم بيت المقدس واعطى به قوماً شيئاً وداروا به تلك الأماكن . توفي سنة ست ومائتين .
ويشرب بن الحارث الحافي احد رجال الطريقة من كبار الصالحين واعيان الأتقياء المتورعين ، اصله من مرو من قرية من قراها ، وسكن بغداد . وانما لقب بالحافي : لأنه جاء الى اسكاف يطلب منه شمساً لأحد نعليه وكان قد انقطع ، فقال له الاسكاف : ما اكثر كلفتكم على الناس ؟ فألقى النعل من رجله وحلف لا يلبس نعلاً بعدها . ولد سنة خمسين ومائة .

قيل له : لم يفرح الصالحون ببيت المقدس ؟ قال : لأنها تذهب الهم ولا تشغل النفس بها . وقال : ما بقي عندي من لذات الدنيا إلا ان استلقي على جنبتي تحت السماء بجامع بيت المقدس . توفي في شهر ربيع الآخر سنة ست - وقيل : سبع - وعشرين ومائتين ببغداد ، وقيل : بمرو .

وذو النون المصري ابو الفيض ثوبان بن ابراهيم الصالح المشهور احد رجال الطريقة ، قدم بيت المقدس وقال : وجدت على صخرة بيت المقدس : كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب ، وكل قانع غني ، وكل محب ذليل . قال : فرأيت هذه الكلمات اصول ما استعبد الله به الخلق . توفي سنة خمس واربعين ومائتين .

والسري بن المغلس السقطي ، قدم بيت المقدس وروى عنه جماعة قال : خرجت من الرملة الى بيت المقدس الشريف فمررت بمشرفة وغدير ماء وعشب نابت فجلست آكل من العشب واشرب من الماء فقلت في نفسي إن كنت اكلت او شربت في الدنيا حلالاً فهو هذا ، فسمعت هاتفاً يقول : ياسري فالنفقة التي بلغتك من أين ؟ توفي سنة احدى وخمسين ومائتين .

ومحمد بن كرام المتكلم التي تنسب اليه الفرقة الكرامية الذي ينسب اليهم تجويز وضع الأحاديث للترغيب والترهيب ، وكرام - بفتح الكاف وتشديد الراء - على وزن جمال ؛ ابو عبد الله السجستاني العابد ، ومنهم من يقول : محمد بن كرام - بكسر الكاف وتخفيف الراء - . روى عن جماعة وكان حبسه طاهر بن عبد الله فلما اطلقه ذهب الى نفور الشام ، ثم عاد الى نيسابور فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله فطال حبسه ، وكان يتأهب لصلاة الجمعة فيمنعه السجناء فيقول : اللهم انك تعلم ان المنع من غيري . اقام بيت المقدس وكان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مهد عيسى واجتمع عليه خلق كثير ، ثم تبين لهم انه يقول : ان الايمان قول . فتركه اهل بيت المقدس . توفي ببيت المقدس ليلا ودفن بباب اريحا عند قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وله بيت المقدس نحو عشرين سنة ، وكانت وفاته في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين .

قلت : والباب المعروف بباب اريحا قد اندرس لطول المدة واستيلاء الافرنج ولم يبق له اثر ، والظاهر انه كان عند انتهاء البناء الذي كان متصلا بطور زيتا وكذلك قبور الأنبياء لا يعلم مكانها لطول المدة واستيلاء الافرنج على الأرض المقدسة .

وصالح بن يوسف ابو شعيب المقنع الواسطي الأصل يقال : انه حج تسعين حجة راجلا في كل حجة يحرم من صخرة بيت المقدس ، وكان يدخل بادية تبوك على التجريد والتوكل . توفي بمدينة الرملة سنة اثنتين وثمانين ومائتين . حكى انه يستشفى بقبره ويستجاب الدعاء عنده .

قلت : ولم يعلم الآن قبره لطول الزمان واستيلاء الافرنج على تلك الاراضي مدة طويلة رحمه الله تعالى .

وبكر بن سهل الدمياطي المحدث ، قدم الى بيت المقدس فجمعوا له الف دينار حتى روى لهم التفسير . توفي في ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائتين .

واحمد بن يحيى البزاز البغدادي ، حكى عنه ابو الحسن علي بن محمد الجلال البغدادي انه اخبره انه قدم من مكة الى بيت المقدس فندم على مجيئه وقال : تركت الصلاة بمكة بمائة الف صلاة وهنا بخمسة وعشرين الف صلاة ، وبمكة تنزل مائة وعشرون الف رحمة للطائفين والمصلين والناظرين . واراد الخروج الى مكة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ما خطر بباله من الفضل فقال له النبي ﷺ نعم هناك تنزل الرحمة نزولاً وهنا تنضب الرحمة صباً ولو لم يكن لهذا الموضع شأن - وأشار بيده الى موضع الاسراء عند قبة المعراج - لما اسري بي اليه . فأقام الرجل بالقدس الى ان مات به . وكانت هذه الرؤيا في رجب سنة احدى واربعين وثلاثمائة .

والشيخ سلامة بن اسماعيل بن جماعة المقدسي الضرير صاحب شرح المفتاح لابن الفاص ، وله ايضاً مصنف مفرد في التقاء الختاتين ، كان عديم الظير في زمانه لأجل ما خصه الله به من حضور القلب وصفاء الذهن وكثرة الحفظ وقد ذكره جماعة واثنوا عليه . توفي سنة ثمانين واربعمائة .

وشيوخ الاسلام الامام الحبر ابو الفرج عبد الواحد بن احمد بن محمد ابن علي بن احمد الشيرازي ثم المقدسي الانصاري الحنبلي شيخ الشام في وقته وهو من اصحاب القاضي ابي يعلى بن الفراء امام الحنابلة قدم الشام فسكن ببيت المقدس وهو الذي نشر مذهب الامام احمد رضي الله عنه فيما حوله ، ثم أقام بدمشق فنشر المذهب بها وكان له اتباع وتلامذة ، ويقال : انه اجتمع مع الخضر عليه السلام دفعتين وكان يتكلم في عدة اوقات على الخاطر كما كان يتكلم ابن القزويني الزاهد . له تصانيف منها المبهيج والايضاح والتبصرة في اصول الدين ومختصر في الحدود في اصول الفقه ومسائل الامتحان ، ويقال : ان له كتاب الجواهر في التفسير وهو ثلاث مجلدات . توفي يوم الأحد ثامن عشر من ذي الحجة سنة ست وثمانين واربعمائة بدمشق ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى .

والشيخ العلامة ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي الشافعي شيخ

المذهب بالشام صاحب التصانيف مع الزهد والعبادة ، سمع الحديث وأملى وحدّث . أقام بالقدس مدة طويلة بالزاوية التي على باب الرحمة المعروفة بالناصرية ، والظاهر ان تسميتها بالناصرية نسبة للشيخ نصر ، ثم عرفت بالغزالية لاقامة الغزالي بها . ثم قدم دمشق فسكنها وعظم شأنه . وحكى بعض اهل العلم قال : صحبت إمام الحرمين ثم صحبت الشيخ ابا اسحاق فرأيت طريقته أحسن ، ثم صحبت الشيخ نصر فرأيت طريقته أحسن منهما . ولما قدم الغزالي الى دمشق اجتمع به واستفاد منه .

ومن تصانيفه : التهذيب وكتاب التقريب وكتاب الفصول وكتاب الكافي ، وله شرح متوسط على مختصر شيخه سليمان بن ايوب الرازي سماه الاشارة وكتاب الحجة لتارك المحجة . توفي يوم عاشوراء سنة تسعين واربعمائة بدمشق ، ودفن بالباب الصغير - رحمه الله .

والفقيه ابو الفضل عطاء شيخ الشافعية بالقدس الشريف فقهاً وعلماً ، وشيخ الصوفية طريقة ، كان في زمن الشيخ نصر المقدسي رحمهما الله تعالى .

والشيخ الامام ابو المعالي المشرف بن المرجا بن ابراهيم المقدسي كان من علماء بيت المقدس ، له كتاب فضائل البيت المقدس والصخرة وما اتصل بذلك من اخبار وآثار وفضائل الشام ، وهو كتاب مفيد رواه بالأسانيد عنه ابو القاسم مكي الرميلي - الآتي ذكره بعده - . ولم اطلع لأبي المعالي على ترجمة ولا تاريخ وفاة ولكنه كان في عصر ابي القاسم المذكور .

والشيخ ابو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الانصاري الرميلي الشافعي الحافظ ، مولده سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة ، كانت الفتاوى تأتي اليه من مصر والشام وغيرها ، وكان من الجوالين في الآفاق كثير التعب والنصب والسهر ، وكان ورعاً سمع بالقدس وبلاد كثيرة وشرع في تاريخ بيت المقدس وفضائله وجمع فيه اشياء كثيرة .

ولما اخذ الافرنج بيت المقدس في سنة ثنتين وتسعين واربعمائة اخذوه

أسيراً وبعثوه الى البلاد ينادى في فكأكه بألف دينار لما علموا انه من علماء المسلمين فلم يستفكه احد ، فرموه بالحجارة على باب انطاكية حتى قتلوه رحمه الله .

وقال السبكي في (طبقات الشافعية) : أنهم قتلوه ببيت المقدس في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ثنتين وتسعين واربعائة .

ابوالقاسم عبد الجبار بن احمد بن يوسف الرازي الشافعي تفقه على الخجندي بأصبهان ، ثم استوطن بغداد مدة ، ثم انتقل الى بيت المقدس وسلك سبيل الورع والانقطاع الى الله تعالى الى ان استشهد على يد الافرنج لعنهم الله تعالى حين اخذهم القدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين واربعائة .

والغزالي الامام زين الدين حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي الشافعي ، ولد سنة خمسين واربعائة ، ولم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله . اشتغل في مبدأ امره بطوس ثم قدم نيسابور وصار من الأعيان المشار اليهم وارتفعت منزلته .

أقام بدمشق ، ثم انتقل الى بيت المقدس مجتهداً في العبادة والطاعة وزيارة المشاهد والمواضع العظيمة ، واخذ في التصانيف المشهورة ببيت المقدس فيقال : انه صنف في القدس احياء علوم الدين . وأقام بالزاوية التي على باب الرحمة المعروفة قبل ذلك بالناصرية شرقي بيت المقدس فسميت بالغزالية نسبة اليه ، وقد خربت ودثرت . توفي بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخسمائة رحمه الله .

والقاضي محمد بن حسن بن موسى بن عبد الله البلاشاعوني التركي الحنفي ويعرف بالاشتلي ، ولي قضاء بيت المقدس فشكوا منه ف عزل ، ثم ولي قضاء دمشق وكان عالماً في مذهب ابى حنيفة ، وهو الذي رتب الاقامة مثني ، وكان شديد التعصب . توفي في جمادى الآخرة سنة ست وخسمائة .

والامام الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن احمد المعروف بابن القيسراني كذا اسمه في تاريخ ابن خلكان ، وقيل : اسمه علي بن احمد بن محمد بن طاهر

المقدس الجوال في الآفاق الجامع بين الذكاء والحفظ وحسن التصنيف وجودة الخط . ولد ببيت المقدس في سادس شوال سنة ثمان واربعين واربعمائة ، وحدث في سنة ستين واول من سمعه الفقيه نصر المقدسي ، وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث وله في ذلك مصنفات مجموعات تدل على غزارة علمه وجودة معرفته ، وصنف تصانيف كثيرة منها : اطراف الكتب الستة وهي : صحيح البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، واطراف الفرائب تصنيف الدارقطني وكتاب الانساب في جزء لطيف ، وهو الذي ذيله الحافظ ابو موسى الاصبهاني ، وغير ذلك من الكتب . وله شعر حسن . وكتب عنه غير واحد من الحفاظ منهم ابو موسى المذكور .

رحل الى بغداد في سنة سبع وستين واربعمائة ، ثم رجع الى بيت المقدس واحرم منه الى مكة . توفي ببغداد يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسائة ، ودفن بالمقبرة العتيقة بالجانب الغربي . وكان ولده ابو زرعة طاهر من المشهورين بعلوم الاسناد وكثرة السماع ، قدم بغداد للحج فحدث بها بأكثر مسموعاته ، وسمع منه الوزير ابو المظفر يحيى بن هبيرة والقيسراني - بفتح القاف والسين المهملة بينهما ياء مثناة من تحتها ثم راء مفتوحة وبعد الألف نون - هذه النسبة الى قيسرية بلدة على ساحل البحر ببلاد الشام .

وابو الغنائم محمد بن علي بن ميمون الفرشي الكوفي الحافظ كان ديناً خيراً ثقة ، رحل الى الشام وسمع الحديث ببيت المقدس . وتوفي سنة عشر وخمسائة بحيلة وحمل الى الكوفة .

وابو روح ياسين بن سهل القابسي الخشاب ، توفي بنيسابور سنة اثنى عشرة وخمسائة .

وابو الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسي الفقيه الشافعي صاحب البخائر ، ولد بالقدس سنة اثنتين واربعين واربعمائة وتفه على الفقيه نصر حتى برع

في المذهب ، ودخل مصر بعد السبعين والاربعمائة وكان من الفقهاء بمصر وقرأ عليه اكثرهم ، روى عنه السلفي وغيره ، وصنف كتاباً في احكام النقاء الختائين . توفي سنة ثمانية عشر أو في التي بعدها ، وقبل في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

الطرطوشي الامام ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب القرشي الفهري الاندلسي المالكي ، قدم بيت المقدس وحج على نفقة الامام ابي بكر الشاشي المستظهر ، وكان إماماً عالماً زاهداً سكن الشام ودرس بها مولده سنة احدى وخمسين واربعمائة تقريباً . وتوفي ليلة السبت لأربع بقين من جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة بغير الاسكندرية . والطرطوشي : نسبة الى طرطوشة وهي مدينة بالاندلس في آخر بلاد المسلمين في شرقي الاندلس على ساحل البحر .

وابو عبد الله محمد بن احمد بن يحيى الاموي العثماني المقدسي النابلسي ، نزل بغداد وتفقه على الشيخ نصر المقدسي ، وكان يفتي ويدرس ، وهو من اهل العلم والعمل . توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة عن خمس وستين سنة .

وابو عبد الله محمد بن احمد المقدسي العثماني المشهور بالديباجي من اولاد الديباجي بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان ومحمد الديباجي امه فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب . سمي الديباجي لحسنه ولأن ديباجة وجهه كانت تشبه ديباجة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اصله من مكة ، وأقام ببيت المقدس وكتب الاحاديث بها وسميها ، وسكن بغداد بدرب السلسلة . وهو فقيه فاضل حسن السيرة قوأل بالحق ، كان يقال له سمي النبي صلى الله عليه وسلم وشبيهه . توفي يوم الأحد سابع عشر من صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ودفن بالوردية .

وابو الحسن علي بن احمد بن عبد الله الربيعي المقدسي الشافعي اشتغل على الشيخ ابي اسحاق ، وسمع الحديث من الشيخ نصر المقدسي والحافظ ابي بكر

الخطيب ، ثم دخل الغرب وسكن البرية . توفي سنة احدى وثلاثين وخمسمائة .
 وابو علي الحسن بن فرج بن حاتم المقدسي الواعظ الشافعي ، روى عن
 القاضي الرشيد المقدسي . توفي في نصف شعبان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .
 والامام ابو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المغربي المصافري الاندلسي
 الاشبيلي الحافظ المشهور ، دخل مع ابيه الى المشرق سنة خمس وثمانين واربعمئة
 ولقي الامام الطرطوشي وتفقه عليه ، وصحب الشاشي والغزالي ، قدم بيت المقدس
 وروى عنه خلق كثير من العلماء . توفي سنة ثلاث واربعين وخمسمائة .

وابو بكر الجرجاني محمد بن احمد بن ابي بكر من اهل جرجان من عمل
 نيسابور ، قصد هو وابو سعيد السمعاني زيارة بيت المقدس فذهبا ولم يفترقا حتى
 رجعا الى العراق . وكان شيخاً صالحاً قياً بكتاب الله دائم البكاء كثير الحزن
 مولده سنة خمس وستين واربعمئة . توفي سنة اربع واربعين وخمسمائة .

وتاج الاسلام ابو سمد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني الشافعي
 صاحب كتاب الذيل لتاريخ مدينة السلام عدة مجلدات ، وله تاريخ مرور الاسباب
 وطراز المذهب في آداب الطلب وتحفة المسافر وعز العزلة والمناسك والتخيير
 في المعجم الكبير والاماني وغير ذلك ، قدم بيت المقدس زائراً له وهو في ايدي
 الكفار . وتوفي في غرة ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

ومن عباد بيت المقدس المشهورين بالصلاح ادريس بن ابي خولة الانطاكي
 وعبد العزيز المقدسي ، وكانا صالحين . ذكرهما ابن الجوزي في صفوة الصفوة
 وذكر لهما كرامات ولم يؤرخ وفاتها .

واما من دخل بيت المقدس واستوطنه من الزهاد والصالحين ممن لم يعرف
 اسمه فكثير ، ولهم اخبار ومناقب لم نذكرها لعدم معرفة اسمائهم وبالله التوفيق .
 وقد انتهى ذكر ما قصدته من تراجم الاعيان بالقدس الشريف ممن كان
 به في الزمن السالف قبل استيلاء الافرنج عليه ، ولم اظفر بغير ذلك لطول الازمنة

وانقطاع اخبار السلف باستيلاء الكفار على الأرض المقدسة . وما ذكر ما تيسر من اسماء العلماء والأعيان بالقدس الشريف ممن كان به بعد الفتح الصلاحي - كما تقدم الوعد به - ان شاء الله تعالى .

وانذكر الآن نبذة يسيرة مما وقع ببيت المقدس من الحوادث والأخبار في ذلك الزمان :

فمن ذلك ما وقع في شهور سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ان الحاكم بأمر الله ابو علي المنصور بن العزيز الفاطمي خليفة مصر أمر بتخريب كنيسة القيامة من بيت المقدس واباح للعامة ما كان بها من اموال وامتعة وغير ذلك ، وكان ذلك بسبب ما انهى اليه من الفعل الذي تتعاطاه النصارى يوم الفصح من النار التي يحترقون بها بحيث يتوهم الاغمار من جهلهم انها تنزل من السماء وانها مصبوغة بدهن البيلسان في خيوط الابرسم الرفاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التي تروج على العظام منهم والعوام ، وهم الى الآن يستعملونها في القيامة ويسمى ذلك اليوم عندهم سبت النور ويقع فيه من المنكر بحضور المسلمين ما لا يحل سماعه ولا رؤيته من جهرهم بالكفر ورفع اصواتهم يقولون يا لدين الصليب واظهار كتبهم ورفع الصلبان على رؤسهم ، وغير ذلك من الامور التي تقشعر منها الأجساد . ثم لما توفي الحاكم بأمر الله في شوال سنة احدى عشرة واربعمائة ولي بعده الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي ، واستمر الى ان توفي في شعبان سنة سبع وعشرين واربعمائة .

ثم تولى بعده المستنصر بالله ابو تميم معد ، فهاذن ملك الروم على ان يطلق خمسة آلاف أسير ليتمكن من عمارة قمامة التي كان خربها جده الحاكم في ايام خلافته . فأطلق الأسرى ، وأخرج ملك الروم عليها اموالا عظيمة .

(قلت) : والذي يظهر ان تخريبها لم يكن تخريباً كلياً بل كان في غالبها

والله اعلم .

ورأيت في بعض التواريخ : انه في سنة سبع واربعمائة في ربيع الأول
احترق مشهد الحسين بن علي رضي الله عنه بشرارة وقعت من بعض الشعـالين من
حيث لم يشعر .

وورد الخبر بشعب الركن اليماني من المسجد الحرام وسقوط جدار بين
يدي قبر النبي صلى الله عليه وسلم .
وانه سقطت القبة الكبيرة التي على صخرة بيت المقدس . قال الناقل : وهذا
من أغرب الانفاقات وأعجبها .

(قلت) : واسم اطلم على حقيقة الحال في سقوط القبة التي على الصخرة
ولا اعاتها ، والظاهر ان السقوط كان في بعضها لا في كلها والله أعلم .
وفي سنة خمس وعشرين واربعمائة كثرت الزلازل بمصر والشام ، فهدمت
اشياء كثيرة ومات تحت الردم خلق كثير ، وانهدم من الرملة ثلثها وتقطع جامعها
تقطعاً وخرج اهلها منها فأقاموا بظاهرها ثمانية ايام ، ثم سكن الحال فعادوا اليها .
وسقط بعض حيطان بيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ، ومن
مسجد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قطعة .

وفي سنة اثنتين وخمسين واربعمائة سقط تنور قبة الصخرة ببيت المقدس وفيه
خمسائة قنديل ، فتطير المقيمون به من المسلمين وقالوا : ليكون في الاسلام حادث
عظيم . فكان اخذ الافرنج له على ما سذكروه ان شاء الله تعالى .

وفي جمادى الاولى سنة ستين واربعمائة كانت زلزلة بأرض فلسطين اهلكت
بلاد الرملة ، ودمت شرافتين من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانشقت
الأرض عن كنوز من المال وهلك منها خمسة عشر الف نسمة ، وانشقت صخرة
بيت المقدس ثم عادت فالتأمت بقدرة الله تعالى ، وغار البحر مسيرة يوم ودخل
الناس في ارضه يلتفتون منه ، فرجع عليهم فأهلك خلقاً كثيراً منهم ، فسبحان من
يتصرف بعباده بما يشاء .

وفي سنة ثلاث وستين واربعمئة في ايام المستنصر بالله العبيدي خليفة مصر استولى على القدس والرملة آتسز بن اوق الخوارزمي صاحب دمشق .
وفي سنة خمس وستين اقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس وقطعت دعوة الفاطميين ، ثم استولى آتسز على دمشق بعد استيلائه على القدس والرملة وقطع الخطبة العلوية من دمشق فلم يخطب بعدها لهم بها ، وأقام الخطبة العباسية يوم الجمعة لحس بقين من ذي القعدة سنة ثمان وستين واربعمئة .
فلما قتل آتسز في سنة احدى وسبعين واربعمئة استولى بعده على دمشق تاج الدولة الأمير تنش بن السلطان البارسلان السلجوقي وكان القدس من مضافاته على عادة من تقدمه ، فقلده للأمير أرتق بن اكسك التركماني جد الملوك اصحاب ماردين . واستمر ارتق مالكا للقدس الى ان توفي في سنة اربع وثمانين واربعمئة .
ثم استقر الأمر بعده في القدس لولديه ايلغازي وسفمان ابني ارتق . واستمر على ذلك الى ان قتل تنش صاحب دمشق في سنة ثمان وثمانين واربعمئة .
ثم سار الأفضل بن بدر الجمالي امير الجيوش من مصر بعسكر الخليفة العلوي وهو المستعلي بأمر الله فاستولى على القدس بالأمم في شعبان سنة تسع وثمانين واربعمئة .

وسار سقمان واخوه ايلغازي من القدس ، واقام سقمان ببلد الرها ، وسار اخوه ايلغازي الى العراق . وبقي القدس في يد المصريين .

(ذكر تغلب الافرنج على بيت المقدس واستيلائهم عليه)

لما فتح الله البيت المقدس على يد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر على يده ، ثم على يد عبد الملك بن مروان وغيره من الخلفاء - كما سبق شرحه - استمر بأيدي المسلمين الخلفاء من حين الفتح العمري في سنة خمس وعشرين من الهجرة الشريفة الى سنة اثنتين وتسعين واربعمئة في خلافة المستظهر بالله هو ابو العباس

احمد بن المقتدي بأمر الله العباسي خليفة بغداد .

وكان لبثه بأيدي المسلمين اربعمائة سنة وسبعا وسبعين سنة .

وكان الفاطميون قد تغلبوا على بني العباس وادعوا الخلافة بالمغرب من اواخر سنة ست وتسعين ومائتين في ايام المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المستنصر العباسي خليفة بغداد ، ثم بنوا القاهرة واستولوا على الديار المصرية والشام ومكة واليمن وبیت المقدس .

واولهم : عبيد الله المهدي بالله الذي ينسبون اليه ، ثم ابنه ابو القاسم محمد القائم بأمر الله ، ثم ابنه ابو الطاهر اسماعيل المنصور بنصر الله ، ثم ابنه ابو تميم معد المعز لدين الله بأبي القاهرة المحروسة على يد القائد ابى الحسن جوهر المعروف بالكتاب الرومي فانه جهزه من المغرب لأخذ الديار المصرية فأخذها في سنة ثمان وخسين وثلثمائة ، وبنى القاهرة المحروسة والجامع الأزهر . ثم ارسل يستدعي مخدمه المعز لدين الله ، فحضر الى القاهرة واستوطنها في شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، واستمر الى ان توفي بها في يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وثلثمائة ، وهو الذي تنسب اليه القاهرة فيقال : القاهرة المعزية . ولما بناها جوهر سماها المنصورية . فلما قدم المعز لدين الله اليها سماها القاهرة .

وقيل : ان سبب تسميتها بذلك انها تقهر من شدتها عليها ورام مخالفة امرها .

ولما توفي استقر بعده في الخلافة بمصر ابنه المنصور نزار العزيز بالله . ثم ابنه ابو علي المنصور الحاكم بأمر الله الذي امر بتخريب كنيسة القمامة - كما تقدم - . ثم ابنه ابو الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله . ثم ابنه ابو تميم معد المستنصر بالله الذي مكن الكفار من اعادة كنيسة القمامة - كما تقدم - . ثم ابنه ابو القاسم احمد المستعلي بأمر الله .

وسياتي ذكر من بقى منهم عند ابتداء ذكر الفتح الصلاحي ان شاء الله تعالى .

فلما آل الأمر الى المستعلي بأمر الله وكانت وفاة ابيه المستنصر في ذي الحجة

سنة سبع وثمانين واربعمئة ولي الأمر بعد ابيه بالديار المصرية ، وكان المتولي لتدبير دولته الأفضل ابو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي أمير الجيوش .
وفي ايام المستعلي بأمر الله اختلفت دولتهم وضعف امرهم وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتهم وانقسمت البلاد الشامية بين الاتراك والافرنج ، وكان مدبر دولته الأفضل قد استولى على بيت المقدس في شعبان سنة تسع وثمانين واربعمئة - كما تقدم - . وكان الفاطميون يخافون من الافرنج خوفاً شديداً فلا يطيقون مقاتلتهم بخلاف الدولة الايوبية .

فلما دخلت سنة تسعين واربعمئة سار الافرنج الى الشام واخذوا انطاكية بعد ان حاصروها تسعة اشهر وملكوها في ذي القعدة ، وحصل بينهم وبين المسلمين وقعات وحروب ، وولى المسلمون هارين وكثر القتل فيهم ونهب الافرنج خيامهم وتقووا بأسلحتهم . ثم سار الافرنج الى معرة النعمان فاستولوا عليها ووضعوا السيف في اهلها فقتلوا فيها ما يزيد على مائة الف انسان وسبوا السبي الكثير . واقاموا بالمعرة اربعين يوماً وساروا الى حمص وصالحهم اهلها ، وذلك في سنة احدى وتسعين .

فلما دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمئة قصد الافرنج بيت المقدس وهم في نحو الف مقاتل لعنهم الله ، وحاصروا بيت المقدس نيفاً واربعين يوماً وملكوه في ضحى نهار الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة اثنتين وتسعين واربعمئة . ولبت الافرنج يقتلون في المسلمين بالقدس الشريف اسبوعاً ، وقتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين الف نفس منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وساداتهم وعبادهم وزهادهم ممن جاور في هذا الموضع الشريف ، وغنموا ما لا يقع عليه الحصر ، وجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً .

ثم حصروا جميع من في القدس من المسلمين بداخل المسجد الشريف واشتروطوا عليهم انهم متى تأخروا عن الخروج بعد ثلاثة ايام قتلهم عن آخرهم . فشرع

المسلمون في الاسراع والمبادرة الى الخروج ، فمن شدة ازدحامهم بأبواب المسجد قتل منهم خلق كثير لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى .

واخذ الافرنج من عند الصخرة الفين واربعين قنديلا من فضة زنة كل منهم ثلاثة آلاف وسُمائة ، وتنورا من فضة وزنه اربعون رطلا بالشامي ، وثلاثة وعشرين قنديلا من الذهب .

وهزم الأفضل بن بدر الجمالي امير الجيوش بظاهر عسقلان اقبح هزيمة .
وكان عند الافرنج شاعر منتجع اليهم فقال - يخاطب ملك الافرنج واسمه صنجلي - :

نصرت بسيفك دين المسيح فلهه درك من صنجلي
وما سمع الناس فيما روي بأقبح من كسرة الأفضل
فتوصل الأفضل الى ذبح هذا الشاعر .

وذهب الناس هارين على وجوههم من الشام الى العراق ، ووصل المستنفرون الى بغداد في رمضان مستغيثين الى الخليفة والسلطان ، منهم القاضي بدمشق ابو سعد الهروي . واجتمع اهل بغداد في الجوامع واستغاثوا وبكوا حتى انهم افطروا من عظم ما جرى عليهم .

وندب الخليفة ببغداد - وهو المستظهر بأمر الله ابو العباس احمد العباسي - الفقهاء الى الخروج في البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد . فخرج الامام ابو الوفاء ابن عقيل الحنبلي ، وغير واحد من اعيان الفقهاء وساروا في الناس فلم يفد ذلك شيئا . فانا لله وإنا اليه راجعون .

ووقع الخلف بين السلاطين السلجوقية فتمكن الافرنج في البلاد ، وانزعج المسلمون في سائر ممالك الاسلام بسبب اخذ بيت المقدس غاية الانزعاج . ثم استولى الافرنج على اكثر بلاد السواحل في ايام المستعلي بأمر الله ، فملكوا يافا وقيسارية وغيرها من القلاع والحصون . وكانت محنة فاحشة ، فالحكم لله العلي

الكبير . وكان الآخذ لهذه البلاد بيت المقدس وغيره بردويل الافرنجي .
 ثم في سنة احدى عشرة - وقيل : اربعة عشرة - وخمسمائة قصد الديار المصرية
 ليأخذها فانتهى الى غزة ودخلها وخرّبها واحرق مساجدها ورحل عنها وهو مريض
 فهلك في الطريق قبل وصوله الى العريش فشق اصحابه بطنه ورموا حشوته هناك
 فهي ترجم الى اليوم ورحلوا بجثته فدفنوها بكنيسة قمامة بالقدس الشريف .
 وسبخة بردويل هي التي في سبخة الرمل على طريق الشام وهي مما يلي العريش
 الى جهة مصر منسوبة الى بردويل المذكور والحجارة الملقاة هناك والناس يقولون
 هذا قبر بردويل وانما هي الحشوة لعنة الله عليه .
 ولما اخذ بيت المقدس وغيره من المسلمين قال في ذلك مظفر الايبوردي
 اياتاً منها :

مزجنا دماء بالدموع السواجم	فلم يبق منا عرضة للمزاحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه	اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايهاً بني الاسلام ان وراءكم	وقائع يلحقن الذرى بالمناجم
وكيف تنام العين ملاً جفونها	على هفوات ايقظت كل نائم
فاخوانكم بالشام يضحي قتيلاهم	ظهور المذاكي او بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم	تجرون ذيل الخفض فعمل المسالم
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمي	توارى حياء حسنها بالمعاصم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقعة	يظل لها الولدان شيب القوام
وتلك حروب من يغب عن غمارها	ليسلم يقرع بعدها من نادم
سللنا بأيدي المشركين قواضياً	ستعمل منهم في الطلى والجماجم
يكاد لهن المستكن بطيبة	ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى امتي لا يشرعون الى العدى	رماحهم والسدين واهي الدعائم
وتجتنبون النار خوفاً من الردى	ولا تحسبون العار ضربة لازم

أترضى صناديد الأعراب بالأذى وتفضي على ذل صماة الأعاجم
فليتهموا إذ لم يذودوا حمة عن الدين شنوا غيرة للمحارم
وإن زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى فهلا اتوه رغبة في المغام
واستمر بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد الافرنج احدى وتسعين سنة .
فلم ير في الاسلام مصيبة اعظم من ذلك .

وعجز ملوك الأرض عن انتزاعه منهم ، حتى اذن الله سبحانه وتعالى وقد ر
فتحه على يد من اختاره من عباده في شهر شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسائة .

فأقول - وبالله استعين وعليه اتوكل فهو حسبي ونعم الوكيل - :

﴿ ذكر الفتح الصلاحي ﴾

الذي يسره الله تعالى على يد السلطان الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته

قد تقدم ذكر تغلب الفاطميين على غالب المملكة واستيلائهم عليها ، وتقدم
ان اولهم المهدي بالله عبيد الله ، وتقدم ذكر من بعده الى المستعلي بأمر الله الذي
اخذ الافرنج القدس في ايامه ، فلما مات المستعلي بأمر الله استقر بعده في خلافة مصر
ابنه ابو علي المنصور الملقب بالآمر بأحكام الله ، ثم ابن عمه ابو الميمون عبد المجيد
الحافظ لدين الله ، ثم ابنه ابو منصور اسماعيل الظاهر بأمر الله ، ثم ابنه ابو القاسم
عيسى الفارز بنصر الله ، ثم ابن عمه ابو محمد عبد الله العاضد لدين الله وهو آخرهم
وكان استقراره في خلافة مصر في سنة خمس وخمسين وخمسائة .

وكان صاحب دمشق في ذلك الزمان السلطان الملك العادل نور الدين
ابا القاسم محمود بن زنكي الملقب بالشهيد رضي الله عنه .

فلما دخلت سنة اربع وستين وخمسائة تمكن الافرنج من البلاد المصرية
وتحكموا على المسلمين بها وملكوا بلبيس قهراً في مستهل شهر صفر ونهبوها وقتلوا

اهلها واسروهم . ثم ساروا من بلبس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها .
وكان وزير العاضد أمير الجيوش شاور ، فأحرق شاور مدينة مصر خوفاً
من ان يملكها الافرنج ، وامر اهلها بالانتقال الى القاهرة . فبقيت النار تحرقها
اربعة وخمسين يوماً .

وارسل العاضد العلوي خليفة مصر الى السلطان نور الدين الشهيد يستغيث
به ، وارسل في الكتب شعور النساء .

وصالح شاور الافرنج على الف الف دينار يحملها اليهم . فحمل اليهم مائة الف
دينار وسألهم ان يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال وحمله ، فرحلوا .
ولما وصل الى السلطان نور الدين كتب العاضد جهاز الأمير اسد الدين
شير كوه بن شادي الى الديار المصرية ومعه المساكر النورية واتفق فيهم الأموال
واعطى شير كوه مائتي الف دينار سنوي الثياب والدواب والأسلحة وغير ذلك
وارسل معه عدة امراء منهم ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب الذي تسلمن
فيما بعد ، وكان مسير صلاح الدين على كره منه ، أحب نور الدين مسير
صلاح الدين وفيه ذهب الملك من بين يديه ، وكره صلاح الدين المسير وفيه
سمادته وملكه . (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً
وهو شر لكم) . فان نور الدين امره بالمسير مع عمه شير كوه ، وكان شير كوه
قد قال بحضرة نور الدين . تجهز يا يوسف . فقال : والله لو اعطيتني ملك مصر
ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية ما لا انساه ابداً . فقال شير كوه لنور الدين :
لا بد من مسيره معي . فأمره نور الدين وهو يستقيل ، فقال نور الدين : لا بد
من مسيرك مع عمك . فشكى الضيقة ، فأعطاه ما تجهز به ، فكأنما يساق الى الموت .
ولما قرب شير كوه من مصر رحل الافرنج من ديار مصر على اعقابهم الى
بلادهم فكان هذا المضر فتعاً شديداً .

ووصل اسد الدين شير كوه الى القاهرة في رابع ربيع الآخر ، واجتمع

بالعاضد وخلم عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية . وشرع شاور بماطل شير كوه فيما كان بذله لنور الدين قبل ذلك من تقرير المال وإفراد تلك البلاد له ومع ذلك فكان شاور يركب كل يوم الى اسد الدين شير كوه ويمده ويمنيه ، (وما يمدهم الشيطان إلا غرورا) .

ثم ان شاور عزم على ان يعمل دعوة لشير كوه وامرائه ويقبض عليهم ، فتمعه ابنه الكامل بن شاور من ذلك . ولما رأى عسكر نور الدين من شاور ذلك عزموا على الفتك بشاور ، واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف ومن معه من الامراء وعرفوا شير كوه بذلك فتهاجم عنه .

واتفق ان شاور قصد شير كوه على عادته فلم يجده في الخيم وكان قد مضى لزيارة قبر الشافعي رضي الله عنه ، فلقى صلاح الدين شاور واعلمه برواح شير كوه الى زيارة الشافعي ، فسارا ومن معهما جميعاً الى شير كوه ، فوثب صلاح الدين ومن معه على شاور وألقوه على الارض عن فرسه وامسكوه في سابع عشر ربيع الآخر سنة اربع وستين وخمسمائة فهرب اصحابه عنه ، واعلموا شير كوه بما فعلوا فحضر ولم يمكنه الاتمام لذلك .

وسمع العاضد الخبر فأرسل الى شير كوه يطلب منه انقاذ رأس شاور . فقتله وارسل رأسه الى العاضد ، ودخل بعد ذلك شير كوه الى القصر عند العاضد فخلع عليه خلعة الوزارة ولقبه الملك المنصور امير الجيوش . واستقر في الأمر وكتب له منشوراً بالوزارة وتفويض امور الخلافة اليه .

ولما لم يبق له منازع أتاه أجله (حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) ، وتوفي في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وستين وخمسمائة ، فكانت ولايته شهرين وخمسة ايام وهي ابتداء الدولة الأيوبية . وكان شير كوه وأيوب ابني شادى من بلددوين واصلهما من الاكراد وخرجا عماد الدين زنكي ثم ولده نور الدين محمود ، وبقي معه الى ان ارسل

شيركوه الى مصر مرة بعد اخرى حتى ملكها وتوفي في هذه السنة على ما ذكرناه .
ولما توفي شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية التقدم على المسكر
وولاية الوزارة العاضدية . فأحضر العاضد صلاح الدين وولاه الوزارة ولقبه الملك
الناصر وثبت قدمه على انه نائب لنور الدين يخطب له على المنابر بالديار المصرية
وكان نور الدين يكتب لصلاح الدين الاسفهلار ويكتب علامته على رأس
الكتاب تعظيماً عن ان يكتب اسمه ، وكان لا يفرده بكتاب بل الى الأمير
صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا .

ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أباه ايوب واهله ليتم له السرور
وتكون قضيته مشاكلة لقضية يوسف الصديق عليه السلام . فأرسلهم اليه نور الدين
فوصل والده اليه في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسمائة .

وسلك مع والده من الأدب ما جرت به عادته ، وألبسه الأمر كله فأبى ان
يلبسه ، فحكمه في الخزائن كلها . واعطى صلاح الدين أهله الاقطاعات بمصر .
وتمكن من البلاد وضعف امر العاضد .

وفي هذه السنة وهي سنة خمس وستين وخمسمائة سار الافرنج الى دميضات
وحاصروها ، وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح . فحاصروها خمسين يوماً .
وخرج نور الدين فأغار على بلادهم بالشام ، فرحلوا عائدين على أعقابهم ولم يظهروا
بشيء منها .

وفي سنة ست وستين وخمسمائة سار صلاح الدين من مصر ففزا بلاد الافرنج
قريب عسقلان والرملة ، وعاد الى مصر . ثم خرج الى ايلة وحاصرها وهي للافرنج
على ساحل البحر الشرقي ونقل اليها المراكب وحاصرها براً وبحراً وفتحها في العشر
الأول من ربيع الآخر واستباح أهلها وما فيها . وعاد الى مصر وعزل قضاة
المصريين وكانوا شيعية ، ورتب قضاة شافعية ، وذلك في العشر من جمادى الآخرة
سنة ست وستين .

ثم لما دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة اقيمت الخطبة العباسية بمصر وقطعت خطبة العاضد لدين الله ، وانقرضت الدولة العلوية الفاطمية .

وكان سبب الخطبة العباسية بمصر : انه لما تمكن الملك الناصر صلاح الدين من مصر وحكم على القصر واقام فيه قراقوش الأسدي وكان خصياً ايضاً ، وبلغ نور الدين ذلك ، ارسل الى صلاح الدين يأمره حتماً جزماً بقطع خطبة العلويين وإقامة الخطبة العباسية . فراجع صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة ، فلم يلتفت اليه نور الدين وأصر على ذلك . وكان العاضد قد مرض ، فأمر صلاح الدين الخطباء ان يخطبوا للمستضى . بأمر الله هو ابو محمد الحسن بن المستنجد بالله العباسي خليفة بغداد ويقطعوا خطبة العاضد . فامتلأوا ذلك ، ولم ينتطح فيها عنزان .

وكانت قد قطعت الخطابة لبني المباس من ديار مصر في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله العباسي حين تغلب الفساطميون على مصر أيام المعز بالله الفاطمي بأبي القاهرة الى هذا الآن وذلك مائتا سنة وثمان سنين .

وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلم احد من أهله بقطع خطبته . فتوفي العاضد يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة ولم يعلم بقطع خطبته . واستولى صلاح الدين على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه ، وكانت كثرته تخرج عن الاحصاء . ونقل اهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم وخلا القصر من سكانه (كأن لم يغب بالأمس) . وهذا العاضد هو آخر خلفاء الفاطميين .

وجملة مدتهم من حين ظهور جدم المهدي بالله عبيد الله بجلاسة في ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين الى ان توفي العاضد في التاريخ المذكور مائتان وسبعون سنة ونحو شهر . وهذا دأب الدنيا لم تعط إلا واستردت ، ولم تحمل إلا وتمرت ولم تصف إلا وتكررت ، بل صفوها لا يخلو من الكدر . وانقرضت دولتهم في خلافة المستضى . بأمر الله العباسي - كما تقدم - .

ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر الى بغداد ضربت لها البشارة عدة أيام وسيرت الخلم مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدام المنسوبة الى نور الدين وصلاح الدين والخطباء وسيرت الأعلام السود .

ثم توفي والد الملك صلاح الدين وهو الملك الأفضل نجم الدين ابو الشكر ايوب وكان ولده غائباً عن القاهرة في جهة الكرك ، لأنه كان قصدها لغزو الافرنج فلما عاد وجد اياه قد مات . وسبب موته : انه ركب بمصر فنفرت به فرسه فوقم فحمل الى قصره وبقي أياماً ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وكان خيراً عاقلاً حسن السيرة كريماً كثير الاحسان . ودفن الى جانب اخيه شيركوه ، ثم نقلوا بعد سنتين الى المدينة الشريفة على ما كنهما افضل الصلاة والسلام .

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة فتوفي فيها الملك العادل نور الدين الشهيد هو ابو القاسم محمود بن الملك المنصور عماد الدين أبي الجود زنكي بن ابي سنقر تغمده الله برحمته . ومولده في شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة ، وكانت وفاته يوم الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة وكان ملكه لدمشق في سنة تسع واربعين وخمسمائة بعد ان ملك حلب وغيرها من قبل ذلك ، وكان ملكاً عادلاً مجاهداً خيراً فتح الفتوحات واتسع ملكه وخطب له بالحرمين واليمن ومصر وخطب له في الدنيا على جميع منابر الاسلام وبني السبل والمكاتب واكمل سور المدينة الشريفة وطبق ذكره الأرض بحسن سيرته وعدله وزهده رضي الله عنه .

واستقر بعده في الملك بدمشق ولده الملك الصالح اسماعيل ، فقصد الملك الناصر صلاح الدين دمشق وأخذها ، وكان الصالح توجه الى حلب ليقوم بها . وثبتت قدم الملك صلاح الدين وقرر امر دمشق ، وكان دخوله اليها في سلخ ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة . ثم سار الى حمص وخماه وملكهما ، ثم الى حلب وحاصرها فلم يقدر على اخذها لأن اهلها صدوه عنها محبة في الملك الصالح

وآخر الأمر وقع الاتفاق ان يكون للملك الناصر صلاح الدين ما بيده من الشام وللملك الصالح ما بقي بيده منه ، فصالحهم على ذلك .

ورحل عن حلب واخذ عدة اما كن وقلاع ممن هي بيده ثم عاد الى مصر .
فلما توفي الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين في سنة سبع وسبعين وخمسمائة استقر بعده في الملك بحلب عمه عز الدين مسعود .

ثم استقر بحلب عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار ، واستقر مسعود بسنجار بتراضيهما .

ثم في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة في خامس المحرم سار الملك الناصر صلاح الدين عن مصر الى الشام ولم يعد بعد ذلك الى مصر الى ان توفي ، وسار في طريقه على بلاد الافرنج وغنم ووصل الى دمشق في صفر . ثم سار في ربيع الاول ونزل قرب طبرية وشن الاغارة على بلاد الافرنج مثل بيسان وجيبين والنور فغنم وقتل . ثم سار الى بيروت وحاصرها وأغار على بلادها . ثم سار الى عدة بلاد .
وفي السنة المذكورة وهي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة قصد الافرنج المقيمون بالكرك والشوبك المسير لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره الشريف وينقلوا جسده الكريم الى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل . فأنشأ البرنس ارباط صاحب الكرك سفناً حملها على البر الى بحر القلزم وركب فيها الرجال . وسارت الافرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة .

فكان السلطان صلاح الدين على حوران ، فلما بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة بن منقذ نائبه بمصر يأمره بتجهيز حسام الدين لؤلؤ الحاجب خلف العدو .

فاستعد لذلك وسار في طلبهم حتى ادر كهم ولم يبق بينهم وبين المدينة الشريفة النبوية إلا مسافة يوم ، وكانوا نيفاً وثلاثمائة وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة ففرت العربان ، والتجأ الافرنج الى رأس جبل صعب المرتقى . فصعد اليهم في نحو

عشرة انفس وضايقهم فيه فخارت قوام بعد ما كانوا معدودين من الشجمان ،
 وقبض عليهم وقيدهم وحملهم الى القاهرة ، وكان لدخولهم يوم مشهود .
 وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وارباب الديانة بعد ما ساق رجلين من اعيان
 الافرنج الى منى ونحرها هناك كما تنحر البدن التي تساق هديا الى الكعبة .
 ثم في سنة تسع وسبعين وخسمائة ملك حمص وآمد وعتاب وغيرها ، ثم سار
 الى حلب وحاصرها واخذها من صاحبها عماد الدين زنكي ابن مودود بن عماد الدين
 وعوضه عنها سنجار وما معها وتسلم حلب في صفر من هذه السنة .
 ومن الاتفاقات المجيبة ان محيي الدين ابن الزكي قاضي دمشق مدح
 السلطان بقصيدة منها :

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
 فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين على ما سذكروه ان شاء الله تعالى .
 وفي سنة ثمانين وخسمائة غزا السلطان الكرك وضيق على اهلها من الافرنج
 وملك ربض الكرك وبقيت القلعة وحصل بين المسلمين والافرنج القتال ، فرحل
 عنها وسار الى نابلس واحرقها ونهب ما بتلك النواحي وقتل وأسر وسبي ، وعاد
 الى دمشق .

وفي سنة احدى وثمانين وخسمائة ملك ميفارقين .
 وفي سنة اثنتين وثمانين وخسمائة أحضر السلطان ولده الملك الأفضل من
 مصر فأقطعه دمشق ، ثم أحضر أخاه العادل من حلب وجعل ولده العزيز عثمان
 نائباً عنه بمصر ، واستدعى نائبة بمصر - هو ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين عمر
 ابن شاهنشاه - وزاده على حماء منج والمرة وكفر طاب وميفارقين . واستقر
 العزيز عثمان والعادل ابو بكر في مصر .

واستمر الحال على ذلك الى ان دخلت سنة ثلاث وثمانين وخسمائة ، فيها
 كانت الوقعة العظيمة التي فتح الله بها بيت المقدس وغيره على يد السلطان الأعظم

والبيت الهمام المقدم سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين قاتل الكفرة
والمشركين قاهر ٠٠٠ والمتمردين جامع كلمة الايمان قانع عبدة الصلبان رافع
علم العدل والاحسان خادم الحرمين الشريفين منقذ البيت المقدس من اهل الزيغ
والظفان الملك الناصر صلاح الدين هو ابو المظفر يوسف بن ايوب بن
شاذي تقدمه الله برحمته واسكنه فسيح جنته وجزاه عن الاسلام والمسلمين خيراً .
وذلك في ايام الامام الاعظم والخليفة الاكرم امير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين
وارث الخلفاء الراشدين الامام الناصر لدين الله هو ابو العباس احمد بن الامام
المستضيء بالله بن محمد بن الحسن بن الامام المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن
الامام المقتني لأمر الله أبي عبد الله ابي العباس محمد بن الامام المستظهر بالله احمد بن
الامام المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن محمد الذخيرة بن الامام القاسم بأمر الله
ابن جعفر عبد الله بن الامام القادر بالله ابي العباس احمد بن الأمير اسحاق بن
الامام المقتدر بالله ابي الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله ابي العباس احمد بن
الموفق بالله أبي احمد طلحة بن الامام المتوكل على الله ابي الفضل جعفر بن الامام
المعتصم بالله ابي اسحاق محمد بن الامام الرشيد ابي جعفر هارون بن الامام المهدي
ابن عبد الله محمد بن الامام المنصور ابي جعفر عبد الله باني مدينة السلام بغداد
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وعن
اسلافه الطاهرين .

وقد جكي ! ان السلطان لما كثرت فتوحاته في السواحل واوجع فيهم بسهامه
وسطوته ، وكان لا يتجاسر على فتح بيت المقدس لكثرة ما فيه من الابطال والعدة
لكونه كرسي دين النصرانية . وكان في بيت المقدس شاب مأسور من اهل دمشق
كتب هذه الأبيات وارسل بها الى الملك صلاح الدين على لسان القدس فقال :

يا ايها الملك الذي لمعالم الصلبان نكس
جاءت إليك ظلامه تسعي من البيت المقدس

كل المساجد طهرت وأنا على شرفي منجس

فكانت هذه الآيات هي الداعية له الى فتح بيت المقدس . ويقال : ان السلطان وجد في ذلك الشاب اهلية فولاه خطابة المسجد الأقصى .

وكان السلطان الملك الناصر رحمه الله لما عزم على الفتح كتب يستدعي للجهاد من جميع البلاد . وبرز من دمشق يوم السبت مستهل شهر الله المحرم الحرام سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قبل اجتماع المساكر عليه وحضور من استنفره للجهاد اليه وسافر بمن معه من عسكره ، وخيم على قصر سلامة من بصرى على سمت الكرك خوفاً على الحاج من صاحب الكرك البرنس ارباط ، فانه كان شديد العدواة للمسلمين مقداماً على الشر وإثارة الحروب ، وكان قد عزم على أسر الحجاج . فلما أحس بنزول السلطان قريباً منه ، عاد وأقام بحضنه خشية على نفسه . فوصل الحاج في اول صفر الى وطنهم بدمشق واطمأنت فكرة السلطان عليهم .

وانتظر السلطان وصول العسكر المصري فأبطأ عليه ، فأمر ولده الملك الأفضل نور الدين علياً ان يقيم برأس الماء ويجمع المساكر الواصلة اليه . وتوجه السلطان ومن معه الى الكرك وضياعه فأحرق فيها ونهب واسر ، وسار الى الشوبك ففعل كذلك . ووصل اليه عسكر مصر . واستمر على هذا الحال شهرين والملك الأفضل مقيم برأس الماء في جمع عظيم ينتظر ما يأمره به والده .

ثم قوى عزمه على مطرية فسار بمن معه ووصل الى صفورية فخرج اليهم الافرنج في جمع كبير والتقى الفريقان ، فنصر الله المسلمين وظفرهم بالمشركين فقتلوا منهم واسروا ، وعد ذلك من حسن تدبير الملك الأفضل . فوردت البشائر على السلطان بالكرك .

ثم سار السلطان واجتمع به ولده ، وقد كثر عسكر الاسلام واجتمع واشتد عزمهم على الجهاد وقوى . وسمع الافرنج بما هم فيه من الكثرة وتحققوا أنهم

مأخوذون . وكان بينهم خلف وتسايفر ، فشرعوا حينئذ في الصلح وتوافقوا على اجتماع الكلمة .

ثم ان السلطان سار بالمسكر الى ديار الافرنج بعد ان رتب العسكر واستعرضه ورحل علي، هيئة عظيمة يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر وخيم على جيبين ثم اصبح سائراً ونزل على الاردن وهو نهر الشريعة . والافرنج قد تأهبوا للحرب بصفورية ورتبوا جيوشهم ورفعوا صلبانهم وكانوا نحو خمسين الفا واكثر والسلطان في كل صباح يسير اليهم ويراميهم .

(فتح طبرية)

ثم قوى عزمه على طبرية فسار اليها ونزل عليها واحضر الحجارين والنقابين وامرهم بالهدم والنقب ، وكان ذلك يوم الخميس . فنقبوا في برج فهدموه وتسلقوا فيه وتسلموه ودخل الليل .

فلما بلغ الافرنج ذلك اعتدوا وشدوا عزمهم وعلمو ان طبرية متى اخذت تؤخذ منهم جميع البلاد ، فاجتمع الافرنج مع ملوكهم وساروا بفارسهم وراجلهم نحو السلطان . فبلغ السلطان ذلك يوم الجمعة فما كذب الخبر واستخار الله تعالى وسار بمسكره .

وجاء يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر والافرنج سائرون الى طبرية فرتب السلطان الاطلاق في مقاتلتهم ، فحال الليل بين الفريقين .

(وقعة حطين - وهي الوقعة العظمى)

فلما اسفر الصبح ثار الحرب بين الفريقين وصاح المسلمون صبيحة رجل واحد فالتقى الله الرعب في قلوب الكافرين ووقع البطش في الافرنج ومكن الله المسلمين منهم . فأووا الى جبل حطين - وهي قرية عندها قبر النبي شبيب عليه الصلاة والسلام - وانهمز القمس حين أحس بالكسرة وذلك قبل اضطراب الجمع . فدهمهم المسلمون

ومالوا عليهم من كل جانب فتثبتوا ، فأحاط بهم عسكر الاسلام واوقدوا حولهم النيران فانه كان تحت اقدام خيولهم حشيش ، فأمر السلطان بالقاء النار فيه . فاجتمع عليهم حر الشمس وحر النار واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر ووقع السيف فيهم واشتد القتال فنصر الله المسلمين واطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وأبادوا الافرنج قتلاً واسراً . وأسروا ملكهم ومن معه . وسميت هذه الواقعة : وقعة حطين ، وهي من الوقعات المشهورة . وقتل من الافرنج ثلاثون ألفاً من شجعانهم وفرسانهم .

رؤي بعض الفلاحين وهو يقود نيفاً وثلاثين اسيراً قد ربطهم في طناب خيمته وباع منهم واحداً بنعل لبسه في رجله . فقيل له في ذلك ، فقال : احببت ان يقال باع أسيراً بمُداس .

وجلس السلطان لمرض اكابر الاسارى ، فأول من قدم اليه مقدم الراوية وعدة كثيرة منهم ومن الاستبارية واحضر الملك كى واخاه جقرى وأود صاحب جبيل وهنقرى والبرنس ارباط صاحب الكرك وهو أول من اسر ، وكان السلطان قد نذر دمه وأقسم انه اذا ظفر به يمجّل باتلافه ، لأنه كان قد عبر به بالشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم . فناشدوه الصلح الذي بينه وبين المسلمين ، فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وقصد المسير الى المدينة ومكة المشرفة . كما تقدم ذكره . وبلغ ذلك السلطان فحملته الحمية الدينية على ان نذر دمه .

ولما فتح الله عليه بنصره وجلس في دهليز الخيمة لأنها لم تكن نصبت بمد وعرضت عليه الاسارى ، فلما حضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك بجانب السلطان وقرّعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين وذكره بذنبه من حلفه وخثه ونقضه المهود والموائيق . فقال الترجمان : انه يقول : قد جرت بذلك عادة الملوك . وكان الملك كى يلهث من الظما فأنسه السلطان وسكن رعبه ، واتى بماء

مثلوج فشرب منه ، ثم ناوله البرنس فأخذه من يده فشربه الملعون . فقال السلطان للملك : ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذني فيكون اماناً له .

ثم نصبت له الخيام ، فلما جلس في خيمته أحضر البرنس ، فلما اقبل عليه أوقفه بين يديه وقال له : ها أنا انتصر لمحمد منك ، ثم عرض عليه الاسلام فلم يقبل فبادره وضربه بالسيف فصرعه ، ثم أمر برأسه فقطع وجرحه برجله قدام الملك . فارتاع وانزعج ، فعرف السلطان منه ذلك فاستدعاه وأمنه وطمنه وقال : لما غدر غدرنا به لأنه تجاوز الحد وتجراً على الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وكانت هذه النصرة للمسلمين في يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر . وبات الناس في تلك الليلة على أتم ترفع اصواتهم سرور بحمد الله تعالى وشكره وتمليله وتكبيره حتى طلعت الفجر .

وأما الصليب الأعظم عندهم فان المسلمين استولوا عليه يوم المصاف ولم يؤسر الملك حتى اخذ صليب الصليبيات وهو الذي اذا رفع ونصب سجد له كل نصراني وركب ، وهم يزعمون انه من الخشبة التي صلب عليها معبودهم . وقد غلفوه بالذهب وكللوه بالجواهر وكان اخذه عندهم اعظم من اسر الملك ، وعظمت مصيبتهم بأخذه . ثم نزل السلطان على صحراء طبرية وندب الى حصنها من تسلمه بالآمان وكانت الست صاحبة طبرية قد حتمته ونقلت اليه كل ما تملكه ، فأمنها على اصحابها واموالها وخرجت بمن معها الى طرابلس بلد زوجها القمس . وصارت طبرية للمسلمين وعين لولايتها صارم الدين قيا زاصنجي ، وكانت من الأكابر والسلطان نازل ظاهر طبرية .

فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشر من ربيع الآخر طلب السلطان الاسارى من الراوية والاستبارية ، فأحضر المسكر منهم في الحبال مائتين ، وأمر بضرب اعناقهم . وكان عنده جماعة من اهل العلم والتصوف فسأل كل واحد في قتل واحد فقتلوا بحضرة السلطان . ثم سير ملك الافرنج واخاه وهنقرى وصاحب جيبيل

ومقدم الراوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشق وسجنهم .

(فتح عكا)

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء بمن معه من المساكر الاسلامية ونزل عشية بأرض لوبيا ، فلما أصبح سار . وكان في صحبته الأمير عز الدين ابو فليسة القاسم ابن المهني الحسيني أمير المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام وكان حضر تلك السنة صحبة الحجاج وهو ذو شيبة نيرة وحضر مع السلطان هذا الفتح جميعه .

فأقبل السلطان على عكا وخيم قريباً منها واصبح يوم الخميس ركب لحربها فخرج اهل البلد يطلبون الأمان . فأمنهم وخبرهم بين المقام والانتقال ، وامهلهم اياماً حتى ينتقل من يختار النقلة . فأسرع الافرنج في الخروج منها ، ودخل الجند واستولوا على الدور ونزلوا بها وغنموا منها شيئاً كثيراً .

وكان السلطان جمل للفقير ضياء الدين عيسى الهكاري كل ما يتعلق بالراوية من منازل وضياع فأخذها بما فيها . ووهب عكا لولده الملك الأفضل .

ودخلها المسلمون مستهل جمادى الاولى وصليت الجمعة بها وجعلت الكنيسة العظمى مسجداً جامعاً ورتب فيه القبة والمنبر ، وخطب جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ ابي نجيب السهروردي وتولى بها القضاء والخطابة .

وأقام السلطان في خيمة بياب عكا على التل وكتب لأخيه الملك العادل سيف الدين ابي بكر وهو بمصر يعلمه بالفتح ، فوصلت البشائر للسلطان بوصوله وانه فتح في طريقه حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوة وغنم ما فيها . فتوجه اليه القصاد من اخيه السلطان الملك وانعم عليهم بما غنمه وسباه بشيء كثير . واستمر السلطان مقبلاً بمخيمه وفرق الامراء لفتح البلاد المجاورة وأمدهم بالمساكر .

﴿ فتح الناصرة وصفورية ﴾

فسار مظفر الدين كوكبوري صاحب اربد الملقب بالملك المعظم الى الناصرة
ومعه حسام الدين ابن طومان وفتحها واخذ ما فيها وسبي نساءها واسر رجالها .
واما صفورية فهرب اهلها فلم يجدوا بها احداً ، وكان بها من الأموال
والنخائر ما لا يحصى .

﴿ فتح قيسارية ﴾

وتوجه بدر الدين دلدردم وغرس الدين فليج وجماعة من الاسراء الى قيسارية
ففتحوها بالسيف واستولوا على ما فيها ، ثم تسلموا ارسوف .

﴿ فتح نابلس ﴾

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس ، ووصل الى
سبسطية فتسلمها ، ووجد مشهد زكريا عليه السلام قد اتخذته القسوس كنيسة
فأعاده مشهداً كما كان ، ثم قصد نابلس ونازلها وحاصرها ولم يزل مقيماً عليها حتى
استأنوه ووثقوا بأمانه ثم سلموها وخلصت له نابلس واعمالها ، وكان معظم اهلها
وجميع سكان نواحيها مسلمين وكانوا في شدة عظيمة من الافرنج .

﴿ فتح الفولة وغيرها ﴾

وكانت الفولة من احسن الحصون وفيها من العدد والأموال شيء كثير
وكانت بجمعهم ، فلما كان يوم المصاف خرجوا بأجمعهم ، وحصل لهم ما حصل من
القتل والحصر والأسر ولم يبق فيها إلا الاراذل فسلموا الحصن بما فيه الى السلطان .
وتسلموا جميع ما بتلك الناحية مثل دبورية وجيبين ودرعين والطواليه واللاجون
وييسان والقيموون ، وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات والزيب ومعلبا
والبعثة واسكندرية .

﴿ فتح تبين ﴾

ثم امر السلطان ابن اخيه الملك المظفر نبي الدين عمر بن شاهنشاه بقصد حصن تبين . فقصده واخذ في مضايقته وطال حصاره ، فأرسلوا الى السلطان وسألوه الأمان واستمهلوا خمسة أيام ، فأمهلوا بعد ان بذلوا رهائن واطلقوا ما عندهم من الاسرى . فسر السلطان بذلك واحسن الى المأسورين ، وكان هذا دأبه في كل بلد يفتحه . فخلص في تلك السنة من الأسرى اكبر من عشرين الف أسير . وأخلوا القلعة .

ثم ساروا الى صور صحبة جماعة من عسكر السلطان ، ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدوري واوصاه بحفظها .
وكان النزول على تبين يوم الاحد حادي عشر جمادى الاولى ، وتسلمها يوم الاحد الثامن عشر منه .

﴿ فتح صيدا ﴾

نزل السلطان عليها يوم الاربعاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى وهي مدينة لطيفة على الساحل بها انهار وبساتين وأشجار ، فجاءت رسل صاحبها بتفاتيحها وقد أخلاها . وتسلمها السلطان ، ونصبت عليها رايات الاسلام ، واقامت بها الجمعة والجماعة .

﴿ فتح بيروت ﴾

ثم سار السلطان الى بيروت ، وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى ، ووقع القتال واشتد ، ثم نقب السور حتى كاد يقع البرج ، وضاق الأمر بهم فطلبوا الأمان وان يكتب لهم السلطان مثالا بذلك ، فكذب لهم وأمنهم . وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى .

(فتح جبيل)

ولما كان السلطان على بيروت وصل اليه كتاب الصفي بن القاين من دمشق يتضمن ان اود صاحب جبيل اذعن بتسليمها ويطلق فرس السلطان باحضاره وهو مقيد . فأحضر بين يديه وسمح بتسليم بلده ، وتسلمها السلطان واطلقه . ولم تكن عاقبة اطلاقه حميدة فانه كان من اعظم الافرنج واشدهم عداوة للمسلمين . وكانت معظم اهل صيدا وبيروت وجبيل مسلمين وكانوا في ذل كبير من مساكنة الافرنج ففرج الله عنهم .

وكان تسليم جبيل في يوم الثلاثاء سابع عشر من جمادى الاولى والسلطان يومئذ على بيروت . وكان كل من استأمن من الكفار مضى الى صور وصارت منزلهم ، وهي التي فر القمس اليها يوم كسرتهم على حطين .

(هلاك القمس ودخول المركيس الى صور)

لما عرف القمس قرب السلطان منها أخلاها وتوجه الى طرابلس فهلك بها . وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام ، واتفق وصوله الى ميناء عكا ولم يعلم بفتحها ولا ما فيها من المسلمين . فلما قدم عليها تعجب من أهلها لكونهم لم يتلقوه ، ورأى من فيها غير هيئة النصارى فارتاب لذلك وسأل عن الحال فأخبروه بما وقع ، ففكر في النجاة وقصد الفرار فلم تهب له ريح ، وسأل عن البلد ومن اليه امره ، فقليل له : الملك الأفضل . فقال : خذوا لي منه أماناً ، حتى ادخل فنجي اليه بالأمان ، فقال : ما أثق إلا بخط يده . فما زال يردد الرسل ويدبر الحيل حتى وافقته الريح فأقلع وتوجه الى صور وضبطها عن فيها وارسل رسله الى الجرائر يستعدي ويستنفر . وثبت في صور وبقي كلما فتح السلطان بلداً بالأمان يسير اهلها في حفظ السلطان الي صور ، فاجتمع اليه اهل

البلاد المفتوحة بأجمعهم . وشرع المركيس يحفر الخندق ويحكمه . وسنذكر ما كان من امره إن شاء الله تعالى .

(فتح عسقلان وعزة والرملة والداروم وغيرها)

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة . ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل عاد عابراً على صيدا وصرفند ، وجاء الى صور ولم يكثر بأمرها . وكان قد استعصر ملك الافرنج ومقدم الراوية وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الأسر اذا تمكن من بقية البلاد ، فانزعج المركيس بصور واشتد خوفه .

واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل واتفقا على السير ، ونزل على عسقلان وحاصرها ورماها بالمناجيق واشتد القتال ، وراسلهم عند ذلك الملك المأمور وأشار عليهم بعدم مخالفته ، وترددت الرسل . ثم اذعنوا بأنهم يسلمون عسقلان على ان يخرجوا بأموالهم بعد اخذهم الميثاق واليمين وذلك في يوم السبت سابع جمادى الآخرة فكان حصارها اربعة عشر يوماً . وكان بين فتح عسقلان واخذ الافرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة ، فانهم كانوا اخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان واربعين وخمسمائة .

ومن استشهد على عسقلان من الامراء الكبار ابراهيم بن حسين المهراني وهو اول امير استشهد .

وكان السلطان قد اخذ في طريقه اليها الرملة وبيننا وبين بيت لحم والخليل ، وأقام بها حتى تسلم حصون الداروم وغزة والنطرون وبيت جبريل . واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان بعسقلان ، فقرت عينه بقدمه واعتضد به . وكان قد استدعى الأساطيل فحضرت والحاجب لؤلؤ مقدمها ، وشرع يقطع الطريق على سفن المدو ومراكبه ويقف له في جزائر البحر . وسنذكر ذلك في محله . إن شاء الله تعالى .

﴿ فتح بيت المقدس ﴾

ثم رحل السلطان من عسقلان الى القدس الشريف وسمع خبره من في القدس فاشتد رعبهم ، وكان بها من مقدمي الافرنج باليان بن بارزان والبطرك الأعظم ومن كلا الطائفتين الاستبارية والراوية ، وضائق بهم منازلهم فأخذوا في تدبير انفسهم وأيسوا وصاروا في هرج ومرج واشتد بهم الكرب .

واقبل السلطان بمساكر الاسلام وهو في ابته وهيئته المهربة ، ونزل على القدس الشريف من جهة الغرب يوم الأحد خامس عشر رجب . وكان في القدس يومئذ مستون الف مقاتل من الافرنج وقد وقفوا دون البلد للمبارزة وقاتلوا أشد القتال . واستمر الحرب بين الفريقين فانتقل السلطان يوم الجمعة لعشرين من رجب الى الجانب الشمالي وخيم هناك وضيق على الافرنج ونصب المناجيق ورمى بها حتى تهدم غالب السور ، ثم اخذ المسلمون في نقب السور مما يلي وادي جهنم ، واشتد القتال وتباشر اهل الاسلام بالفتح (وكان يوماً عسيراً . على الكافرين غير يسير) . فبرز من الافرنج ابن بارزان ليطلب الأمان من السلطان فلم يجبه السلطان الى ذلك وقال : لا آخذها إلا بالسيف مثل ما أخذها الافرنج من المسلمين .

فتمرضوا للتضرع وعادوه في طلب الأمان وعرفوه ما هم عليه من الكثرة وانهم إن ايسوا من الأمان قاتلوا خلاف ذلك ولا يجرح احد منهم حتى يجرح عشرة ويخربوا الدور وقبة الصخرة ويقتلوا كل من عندهم من اسارى المسلمين . وهم الوف - ويمدوا ما عندهم من الأموال وكذلك الدراري .

فعمد السلطان محضراً للمشورة واحضر اكابر دولته واكثر عساكره وشاورهم في الأمر ودار الكلام بينهم واجتمع رأيهم على الصلح بشرط ان يؤدي كل من بها من الرجال عشرة دنانير ومن النساء خمسة ويؤدي عن الطفل ديناران وأي من عجز عن الأداء كان أسيراً .

فأجاب الافرنج الى ذلك ، ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدم الراوية والاستبارية في الضمان ، وبذل ابن بارزان ثلاثين الف دينار عن الفقراء . وسلموا البلد يوم الجمعة قبيل الظهر وقت الصلاة السابع والعشرين من رجب على هذا الشرط ولم تتفق يومئذ صلاة الجمعة لضيق الوقت . وكان فيه أكثر من مائة الف انسان من الرجال والنساء والصبيان . واغلقت ابواب المدينة ورتب، النواب لعرضهم واستخراج المال منهم ، ووكل بكل باب أمين ومقدم كبير يضبط من يدخل ويخرج فمن أدى ما عليه مكن من الخروج ومن لم يؤد قعد في الحبس . وحصل التفريط من العمال في المال وشرعوا يواطئون الافرنج في ذلك لارتشائهم منهم ، فمنهم من دلي من السور بالجبال ، ومنهم من ظهر مختفياً ، ومنهم من وقعت فيه شفاعاة .

وكانت في القدس ملكة مترهبة ولها مال كثير فمنَّ عليها السلطان بالافراج ولم يتعرض منها الى شيء ، وكانت زوجة الملك المسأور ابنة الملك أيادى فخلصت بمن معها ومن تبعها . وكذلك الابرنسانية ابنة فليب ام هنقرى اغفيت من الوزن . واستطلق صاحب البيرة زهاء خمسمائة ارمني ادعى انهم من بلده وانهم حضروا للزيارة . وطلب مظفر الدين كوكبوري الف ارمني ادعى انهم من الزهاد فأطلقهم السلطان .

وكان السلطان قد رتب عدة دواوين في كل ديوان منها عدة من النواب المصريين ومنهم من الشاميين ، فمن أخذ من احد من الدواوين خطأ بالأداء انطلق مع الطلقاء بعد عرض خطه على من الباب من الامناء والوكلاء .

وحصل من الامناء مواطناء واختلاس كثير في المال ، ومع ذلك حصل لبیت المال ما يقارب مائة الف دينار . وبقي من الافرنج جماعة في الأسر لعدم القيام بما عليهم .

﴿ ذكر يوم الفتح ﴾

وهو يوم سابع عشري رجب - كما تقدم - واتفق فتح بيت المقدس في يوم كان مثل ليلة معراج النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت الأعلام الاسلامية على اسواره وجلس السلطان للقاء الاكابر والامراء والمتصوفة والعلماء ، وهو جالس على هيئة التواضع وعليه الابهة والوقار وحوله اهل العلم والفقهاء وعليهم السكينة والجلال . وقد ظهر السرور على اهل الاسلام بنصرتهم على عدوهم المخذول . وزينت بلاد الاسلام لفتح بيت المقدس وتسامع الناس بهذا النصر والفتح فوفدوا للزيارة من سائر البلاد .

واما الافرنج فشرعوا في بيع أمتعتهم واستخراج ذخائرهم وباعوها بالهوان وتقاعد الناس في الشراء فابتاعوها بأرخص ثمن ، وكان ما يساوي عشرة دنانير يباع بأقل من دينار ، واخذوا ما في كنائسهم من اواني الذهب والفضة والستور وجمع البطرك كل ما كان على القبر من صفائح الذهب والفضة وجميع ما كان في القمامة فقال العماد الكاتب للسلطان : هذه اموال جزيلة تبلغ مائتي الف دينار والأمان في اموالهم لا على اموال الكنائس والديارات فلا تتركها لهم . فقال السلطان : اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر فنحن نجريهم على ظاهر الأمان ولا ندعهم يتكلمون في حق المسلمين وينسبونهم الى الغدر والنكث بل ندعهم يشنون عنا الجليل . فأخذ الافرنج ما خف حمله وتركوا ما ثقل .

وانتقل بعضهم الى صور وبقي منهم زهاء خمسة عشر ألفاً لم يؤدوا ما شرط عليهم فدخلوا في الرق ، وكان الرجال نحو سبعة آلاف فأقتسمهم المسلمون واحصيت النساء والصبيان ثمانية آلاف نسمة .

وما اصاب الافرنج من حين خرجوا الى الشام في سنة تسعين واربعمئة الى الآن بمصيبة مثل هذه الواقعة . ووصل المستنفرون من الكفار الى اقصى بلاد الافرنج

ومثلوا صورة المسيح عليه السلام وصورة النبي صلى الله عليه وسلم وهو بيده عصا وهو يقصد المسيح ليضربه والمسيح مهزم منه ، وأقاموا الشناع والفوغا في بلادهم لذلك ، واشتد ملوكهم واعتدوا وجهزوا العساكر لقصد بلاد الاسلام ومحاربة الملك صلاح الدين رحمه الله تعالى .

ولما استقر بيت المقدس مع المسلمين وطهره الله من المشركين سأل النصارى في الاقامة به ببذل الجزية وان يدخلوا في الذمة فأجيبوا الى ذلك .

ولما تسلم السلطان القدس أمر باظهار المحراب وكان الروية قد بنوا في وجهه جداراً وتركوه هويأً، وقيل: اتخذوه مستراحاً وبنوا غربي القبلة داراً واسعة وكنيسة. فهدم ما قدام المحراب من الأبنية ونصب المنبر واظهر المحراب ونقض ما احداثه بين السواري وفرش المسجد بالبسط وعلقت القناديل . وكان يوماً مشهوداً ظهر فيه عز الاسلام ، وعلت كلمة الايمان ، وبطلت نفقات القسس والرهبان ، وعلت اصوات اهل التوحيد بالقرآن ، وخرس الناقوس وسمع الاذان ، وعزل الانصاع ، وتولى القرآن ، وبطل ما كان بالمسجد الأقصى من الكفر والطغيان ، وعبد فيه الملك الديان. وقد تقدم ان من الاتفاقات العجيبة ان محيي الدين زكي قاضي دمشق لما نتح السلطان صلاح الدين حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمسائة مدحه بقصيدة منها :

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
فكان كما قال ، وفتح القدس في رجب - كما تقدم - فليل لمحيي الدين : من أين لك هذا ؟ فقال : اخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى : (الم غلبت الروم * في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين) وكان الامام ابو الحكم ابن برجان الاندلسي قد صنف تفسيره المذكور في سنة عشرين وخمسائة وبيت المقدس إذ ذاك في يد الافرنج لعنهم الله تعالى .

قال ابن خلكان في تاريخه - في ترجمة ابن الزكي - : ولما وقفت انا علي

هذا البيت وهذه الحكاية لم ازل اطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة قال : ولكن رأيت هذا الفصل مكتوباً على الحاشية بخط غير الأصل ولا ادري هل كان من اصل الكتاب أم هو ملحق . وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حتى حرره من قوله (في بضع سنين) انتهى .

﴿ ذكر اول خطبة بعد الفتح ﴾

ولما فتح السلطان القدس تطاول الى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا في خدمته حاضرين وجهر كل واحد منهم خطبة بليغة طمعا في ان يكون هو الذي يعين لذلك ، والسلطان لا يعين الخطبة لأحد . فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان واجتمع الناس لصلاة الجمعة حتى امتلأ الجامع ونصبت الأعلام على المنبر ، وتسكلم الناس فيمن يخطب والأمر مبهم حتى حان الزوال وأذن المؤذن للجمعة ، فرسم السلطان وهو بقبة الصخرة للقاضي محيي الدين محمد بن زكي الدين علي القرشي ان يخطب ، وهي اول جمعة صليت بالمسجد الأقصى الشريف بعد الفتح . وأعاره العماد الكاتب ابهة سوداء كانت عنده من تشريف الخلافة لبسها في الحال .

فلما رقى على المنبر استفتح بسورة الفاتحة فقرأها الى آخرها ثم قال : (فقطم دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

ثم قرأ اول سورة الانعام : (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون * هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلاً واجلاً مسمى عنده ثم انتم تمترون * وهو الله في السماوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) .

ثم قرأ من سورة سبحان الذي اسرى : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا) .

ثم قرأ من سورة الكهف - اولها - : (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيباً * لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً ما كثين فيه ابداً * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون إلا كذبا * فلملك باخع تنسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) .
ثم قرأ من سورة النمل : (وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير مما يشركون) .

ثم قرأ من سورة سبأ : (الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير) .
ثم قرأ من سورة فاطر : (الحمد لله فاطر السماوات والأرض ، جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير * ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) .

ثم شرع في الخطبة فقال : الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بجهده ، ومصرف الامور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار بمكره الذي قدر الأيام دولا بعده ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، واظهر دينه على الدين كله ، الفاخر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليفته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فما يدافع . احمده على اظماره واظهاره ، واعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من ادناس الشرك واوذائه ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره ، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وارضى به ربه ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله رافع الشك ، وداحض الشرك ، ورافض الافك ، الذي اسرى به ليلاً

من المسجد الحرام الى هذا المسجد الأقصى وعرج به منه الى السماوات العلى (الى سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاعج البصر وما طفى) صلى الله عليه وسلم وعلى خليفته ابي بكر الصديق السابق الى الايمان . وعلى امير المؤمنين عمر بن الخطاب اول من رفع عن هذا البيت شعائر الصلبان ، وعلى امير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى امير المؤمنين علي بن ابي طالب منزل الشوك ومكسر الأوثان ، وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان .

ايها الناس ابشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا ، لما يسره الله على ايديكم من استرداد هذه الضالة من الامة الضالة وردها الى مقرها من الاسلام بعد ابتذالها في ايدي المشركين قريباً من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذي اذن الله ان يرفع ويذكر فيه اسمه ، وإمطة الشوك عن طوقه بعد ان امتد عليها رواقه ، واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد ، فانه بني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد ، فانه اسس على النقي من خلفه ومن بين يديه ، فهو موطن ايكم ابراهيم ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام وقبلتكم التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام ، وهو مقر الانبياء ، ومقصد الاولياء ، ومدفن الرسل ، ومهبط الوحي ، ومنزل ينزل به الأمر والنهي ، وهو ارض المحشر ، وصعيد المنشر ، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين ، وهو المسجد الأقصى الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين ، وهو البلد الذي بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التي القاها الى مريم وروحه عيسى الذي اكرمه برسالاته وشرفه بنبوته ، ولم يحزحه عن رتبة عبوديته ، فقال تعالى : (ان يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون * كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا مبيناً * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى

عما يشركون * لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الأرض جميعاً * والله ملك السماوات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل اتم بشر من خلق يغفر لمن يشاء ويمذب من يشاء * والله ملك السماوات والارض وما بينهما واليه المصير * يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير * فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) .

وهو اول القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا اليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطئين إلا عليه ، فلولاً انكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاكم من سكان بلاده ، لما خصكم الله بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها حجار ، ولا يباريكم في شرفها مبار ، فطوبى لكم من جيش ظهرت على ايديكم المعجزات النبوية ، والوقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ، والفتوحات العمرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات البلوية ، جددتم للاسلام أيام القادسية والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الخيبرية ، والهجمات الخالدية . فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء ، وتقبل منكم ما تقرّبتم به اليه من اوراق الدماء ، واثابكم الجنة فهي دار السعداء ، فاقدرُوا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا الله فائتين بواجب شكرها فله تعالى المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ، وترشيحكم لهذه الخدمة فهذا هو الفتح الذي فتحت له ابواب السماء ، وتبلغت بأثوار وجوده الظلماء ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقر به عينا الأنبياء والمرسلون ، فماذا عليكم من النعمة ان جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه البيت المقدس في آخر الزمان ، والجند الذي تقوم بسيفهم بعد فترة من النبوة اعلام الايمان فيوشك

ان يفتح الله على ايديكم امثاله وان يكون التهاني لأهل الخضراء اكثر من التهاني لأهل الغبراء ، أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ونص عليه في محكم خطابه فقال تعالى : (مسبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله انريه من آياتنا انه هو السميع البصير) ؟ أليس هو البيت الذي عظمته الملل واثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من الله عز وجل ؟ أليس هو البيت الذي امسك الله تعالى لأجله الشمس على يوشع ان تغرب وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ؟ أليس هو البيت الذي امر الله عز وجل موسى ان يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلا ن وغضب الله عليهم لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للمعصيان ؟ فاحمدوا الله الذي امضى عزائمكم لما نكثت عنه بنو اسرائيل وقد فضلت على العالمين ، ووفقكم لما خذلت فيه امم كانت قبلكم من الامم الماضية ، وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى ، واغناكم بما امضته كان وقد عن سوف وحتى ، فليهنكم ان الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد ان كنتم جنودا لا هويتكم جنده وشكر لكم الملائكة المنزلون على ما اهديتم لهذا البيت من طيب النوحيد ، ونشر التقديس والتمجيد ، وما امطتم عن طرفهم فيه من اذى الشرك والتلثيث ، والاعتقاد الفاجر الخبيث ، فالآن تستغفر لكم املاك السماوات ، وتصلي عليكم الصلوات المباركات ، فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم ، واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها وسلم ومن اعتصم بعروتها نجاة وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى ، ومواقعة الردى ورجوع القهقري ، والنكول عن المدي ، وخذوا في اتمام الفرصة ، وإزالة ما بقى من الغصة ، واجاهدوا في الله حق جهاده ، وبيموا عباد الله انفسكم في رضاه إذ جعلكم من خيار عبياده ، وإياكم ان يستزلكم الشيطان ، وان يتداخلكم الطفيان فيخيّل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد ، وخيولكم الجياد ، وبجلادكم في مواطن الجلال ، لا والله ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . فاحذروا

عباد الله بعد ان شرفكم الله بهذا الفتح الجليل ، والمنح الجزيل ، وخصكم بنصره المبين ، واعلق ايديكم بحبله المتين ، ان تقترفوا كبيراً من مناهيه ، وان تأتوا عظيماً من معاصيه (فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً وكالذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) ، والجهاد الجهاد فهو من افضل عباداتكم ، واشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، احفظوا الله يحفظكم اذكرو الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، خذوا في حسم الداء وقطع شاة الأعداء ، وطهروا بقية الأرض من هذه الانجاس التي اغضبت الله ورسوله واقطعوا فروع الكفر واجتثوا اصوله ، فقد نادت الأيام بالثارات الاسلامية ، والملة المحمدية ، الله اكبر فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، اذل الله من كفر . واعلموا رحمكم الله ان هذه فرصة فانهزوها ، وفريسة فناجزوها ، وغنيمة فحوزوها ومهمة فأخرجوا لها هممكم وابرزوها ، وسيروا اليها سرايا عزماتكم وجهزوها ، فالامور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول وهم مثلكم او يزيدون ، فكيف وقد اضحى قبالة الواحد منهم منكم عشرون فقد قال تعالى : (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) . أعاننا الله وإياكم على اتباع اوامره ، والازدجار بزواجه ، وايدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) . ان أشرف مقال يقال في مقام ، وانفذ سهام ترمق عن قسي الكلام ، وامضى قول تحلى به الافهام ، كلام الواحد الفرد العزيز العلام ، قال الله تعالى : (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) . اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر

ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار .

ثم قال : آمركم وإياي عباد الله بما أمر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه وانهاكم وإياي عما نهى الله عنه من قبح المعصية فلا تمصوه ، اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه .

ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مقتصرة ، ثم دعا للامام الناصر خليفة العصر ثم قال :

اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المتعرف بموهبتك سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والمحامي عن دينك المدافع ، والذاب عن حرمك الممانع ، السيد الأجل ، الملك الناصر ، جامع كلمة الايمان ، وقامع عبدة الصليبان صلاح الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس من ايدي المشركين ، ابي المظفر يوسف بن ايوب محيي دولة امير المؤمنين . اللهم عم بدولته البسيطة ، واجمل ملائكتك براياته محيطة ، واحسن عن الدين الحنيفي جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاهه . اللهم ابق للاسلام مهجته ، ووف للايمان حوزته ، وانشر في المشرق والمغرب دعوته . اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد ان ظنت الظنون ، وابتلوا المؤمنون ، فافتح على يديه داني الارض وقاصيها ، وملكه صياحي الكفرة ونواصيها ، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقتها ، ولا جماعة إلا فرقها ، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها . اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سميه ، وانقذ في المشرق والمغرب امره ونبيه . اللهم واصلح به اوساط البلاد واطرافها ، وارحأ الممالك واكنافها . اللهم ذلل به معاطس الكفار ، وارغم به انوف القجار ، وانشر ذوائب ملكه على الامصار ، وابثث سرايا جنوده في سبل الاقطار . اللهم اثبت الملك فيه وفي عقبه الى يوم الدين ، واحفظه في بنيه الفر الميامين ، واخوانه

اولي العزم والتمكين ، وشد عضده ببقائهم ، واقض باعزاز اوليائه واوليائهم . اللهم كما اجريت علي يده في الاسلام هذه الحسنة التي تبقى على الالام ، وتتجدد على ممر الشهور والاعوام ، فارزقه الملك الأبدى الذي لا ينفد في دار المتقين ، وأجب دعاءه في قوله (رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) .

ثم دعا بما جرت به العادة ، ونزل وصلى .

ولما قضيت الصلاة انتشر الناس ، وكان قد نصب سرير الوعظ تجاه القبلة فجلس عليه الشيخ زين الدين ابو الحسن علي بن نجا الانصاري الحنبلي المعروف بابن نجية وعقد مجلساً للوعظ ، وكان واعظاً حسناً بليغاً .

وصلى السلطان الجمعة في قبة الصخرة ، وكانت الصفوف ملىء الصحن . ثم رتب في المسجد الاقصى الشريف خطيباً .

وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد عزم على فتح بيت المقدس وعمل منبراً بحباب وتعب عليه مدة وقال : هذا لأجل القدس ، فأدركته المنية ، وكان الفتح على يد من أراد الله . فأرسل السلطان صلاح الدين من احضر المنبر من حلب وجعله في المسجد الاقصى ، وهو الموجود في عصرنا هذا .

واما الصخرة فقد كان الافرنج بنوا عليها كنيسة ومذبحاً وجعلوا فيها الصور والنماثيل ، فأمر السلطان بكشفها ونقض البناء المحدث فيها ، واعادها كما كانت ورتب لها إماماً حسن القراءة ، ووقف عليها داراً وارضاً ، وحمل اليها والى محراب المسجد الاقصى مصاحف وخمات وربعات شريفة ، ورتب للصخرة وللمسجد الاقصى خدمة .

وكان الافرنج قد قطعوا من الصخرة قطعاً وحملوا منها الى قسطنطينية ونقلوا منها الى صقلية ، قيل : باعوها بوزنها ذهباً . ولما فتح السلطان القدس كان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فتسلق المسلمون وقلموه ، فسمع لذلك ضجة لم يعهد مثلها من المسلمين للفرح والسرور .

ثم شرع السلطان في العمارة وامر بترخيم محراب الاقصى ، وكتب عليها
بالقصص المذهبة ما قراءته : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب
المقدس ، وعمارة المسجد الاقصى الذي هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليّه
يوسف بن ايوب ابوالمظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على
يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله ايزاعه شكر هذه النعمة
واجزال حظه من المغفرة والرحمة .

وشرع ملوك بني ايوب في فعل الآثار الجميلة بالمنسجد الاقصى منهم الملك
العادل سيف الدين ابو بكر اخو السلطان .

واما الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه فانه فعل فعلا حسناً وهو : انه
حضر في قبة الصخرة مع جماعة وتولى بيده كنس ارضها ، ثم غسلها بالماء مراراً
ثم اتبع الماء بماء الورد وطهر حيطانها وغسل جدرانها وبخرها ، ثم فرق مالا عظيماً
على الفقراء . وكذلك الملك الافضل نور الدين علي والملك العزيز عثمان ، فعلا
فيه انواعاً من البر والخير ووضع الاسلحة برسم المجاهدين في سبيل الله .

﴿ محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد ﴾

اما محراب داود عليه السلام : فهو خارج المسجد الاقصى في حصن عند باب
المدينة وهو القلعة ، وكان الوالي يقيم بهذا الحصن ، ويعرف هذا الباب قديماً
بباب المحراب والآن بباب الخليل . فاعتني السلطان بأحواله ورتب له إماماً ومؤذنين
وقوَّاماً ، وامر بعمارة جميع المساجد والمشاهد ، وكان موضع هذه القلعة
دار داود عليه السلام .

وكان الملك العادل نازلاً في كنيسة صهيون واجناده في خيامهم على بابها
وفاوض السلطان جلساءه من العلماء في مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للصالحاء
الصوفية ، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحة . فيقال : ان فيها قبر خُصة ام

مريم وهي عند باب الاسباط . وعين للرباط دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة وبعضها راكب على ظهر قمامة ووقف عليهما اوقافاً حسنة ، وأمر باغلاق كنيسة قمامة ومنع النصارى من زيارتها . وأشار عليه بعض اصحابه بهدمها ، ومنهم من أشار بعدم الهدم لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح بيت المقدس أقرم عليها ولم يهدمها .

وأقام السلطان على القدس على تسلم ما بقي بها من الحصون . ورحل الملك الأفضل الى عكا ، ثم تبعه الملك المظفر الى عكا ايضاً .

ثم ان السلطان فرق ما جمعه على مستحقيه من الجند والفقهاء والفقراء والشعراء ، فقيل له : لو ادخرت هذا المال لأمر يحدث . فقال : أمني بالله قوي . وجمع الاسارى - وكانوا الوفا من المسلمين - فكسام وأحسن اليهم ، وذهب كل منهم الى وطنه .

ومكث السلطان على القدس ينظر في مصالحه ، وكان في خدمته الأمير علي بن أحمد المشطوب وكان معه (أهل) صيدا وبيروت وها بقرب صور وخاف ان يفوته فتحها وكان يحث السلطان على المسير اليها . وكان المركيس عند اشتغال المسلمين بالقدس شرع في احكام سور حصنها وجعل لها خندقاً وضيق طريقها .

وكتب السلطان الى الخليفة الناصر لدين الله يعلمه بالفتح ، وكتب ايضاً الى الآفاق رسائل من إنشاء العماد الكاتب فيها من البلاغة والألفاظ الفائقة ما لا يقدر عليه غيره .

﴿ ذكر رسالة السلطان للخليفة ﴾

وكانت الرسالة الى الخليفة على يد ضياء الدين بن الشهرزوري بخط القاضي الفاضل من إنشائه وهي : أدام الله ايام الديوان العزيز النبوى ولا زال مظفر الجدد بكل جاحد ، غنياً بالتوفيق عن رأي كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات

المحمد ، مستيقظ النصر والنصل في جفنه راقد ، وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد ، متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يلقي إلا بشكر واحد ، ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي إلا بفيل غوى وریش راشد ، ولا زالت غيوث فضله الى الأولياء انواء الى المرائب وانوار الى المساجد ، وبموت رعبه الى الاعداء خيلا الى المراقب وخيالا الى المراقد ، كتب الخادم هذه الخدمة تلوما صدر عنه مما كان يجري مجرى التبشير لصبح هذه الخدمة والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة فانها بحر فيه للأقلام سبج طويل : ولطف لتحمل الشكر فيه عبء ثقیل ، وبشرى للخواطر في شرحها مآرب ، ويسرى للأسرار في إظهارها مشارب ، والله تعالى في إعادة شكره رضا ، وللنعمه الراهنة به دوام لا يقال معه هذا مضي ، ولقد صارت امور الاسلام الى احسن مصائرهما ، واستثبتت عقائد أهله على ائین بصائرهما ، وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط وصدق الله اهل دينه ، فلما وقم الشرط وقبح المشروط وكان الدين غريباً فهو الآن في وطنه ، والفوز معروضاً فقد بذلت الانفس في ثمنه وأمر أمر الحق وكان مستضعفاً ، واهل ربه وكان قد عيف حين عفا ، وجاء أمر أمرا الله وانوف اهل الشرك راغمة ، وادجت السيوف الى الآجال وهي نائمة ، وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين ، واستطارت له انوار ابانت ان الصباح عندها حسان الجبين ، واسترد المسلمون ترائماً كان عنهم آبناء ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا انهم يظفرون به طيفاً على النأي طارفاً ، واستقرت على الاعلام أقدامهم ، وخفقت على الاقصى اعلامهم ، وتلاقى على الصخرة قبيلهم ، وشفيت بها وان كانت صخرة كما يشفى بالماء غليلهم ، ولما قدم الدين عليها عرق منها سويداء قلبه وهنا كفوها الحجر الأسود بيت عصمتها من الكافر بحربه ، وكان الخادم لا يسمى سعيه إلا بهذه العظمى ، ولا يقاسي تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى ، ولا يحارب من يستظلمه في حربه ، ولا يماذب بأطراف القنا من يتفادى في عتبه إلا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا ، وليفوز بمجوهر الآخرة لا بالمرض الأدنى

من الدنيا ، وكانت الالسن ربما سلقته فأنفج قلوبها بالاحتقار ، وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فأطفأها بالاحتمال والاصطبار ، ومن طلب خطيراً خاطراً ، ومن رام صفقة رابحة جاسراً ، ومن سما لأن يجلي غمرة غامر ، وإلا فإن العقود تلين تحت نيوب الاعداء المعاجم ، فيمظها وتضمف في ايديها مهن القوائم ، فيفضها هذا الى كون القمود لا يقضى به فرض الله في الجهاد ، ولا يراعى به حق الله في المباد ولا يوفى به واجب التقليد الذي تطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وكانوا به يعدلون ، وخلفاء الله كانوا في مثل هذا اليوم لله يسألون ، لا جرم أنهم اورثوا اسرارهم وسريهم خلفهم الاطهر ، ونجلهم الاكبر ، وبقيتهم الشريفة ، وطلبيتهم المنيفة ، وعنوان صحيفة فضلمهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفة ، فما غابوا لما حضر ، ولا غصوا لما نظر ، بل وصلهم الاجر لما كان به موصولا ، وشاطروه العمل لما كان عنه مسؤولا ، ومنه مقبولا ، وخلص اليهم الى المضاجع ما اطمانت به جنوبها والى الصفائح ما عبت به جيوبها ، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميراً ، والنهار به بصيراً ، والشرق يهتدي بأنواره بل ان أبدى نوراً في ذاته هتف به الغرب بأن واره ، فانه نور لا تكنه اغساق السدف ، وذكر لا توازيه اوراق الصحف وكتب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي نشطت قناته شققا ، وطارت من فرقه فرقا ، وفل سيفه فصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الاكثر عدداً وحصا وكلت حملاته وكان قدراً يضرب فيه العنان بالعنان ، وعقوبة من الله ليس لصاحب بدنها يدان ، وعثرت قدمه ، وكانت الارض لها حليفة ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كشيعة ، ونام جن سيفه وكانت يقظته تريق لطف الكرى من الجفون ، وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شاحخة بالمنا اوراغفة بالمنون ، واصبحت الارض المقدسة الطاهرة ركائز الطامات ، والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث ، وبيوت الكفر مهدومة ، ونيوب الشرك مهتومة ، وطوائفه المحامية مجمعة على تسليم القلاع الحامية ، وشجمانه المتوافية مذعنة لبذل القطائع الوافية

لا يرون في ماء الحديد لهم عصره ، ولا في نار الأتفة لهم نصره ، قد ضربت عليهم
الذلة والمسكنة وبدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من ايدي اصحاب
المشعة الى ايدي اصحاب الميمنة ، وكان الخادم لقيهم اللقاء الاولى فأمد الله
بمداركتهم ، وانجده بملائكته فكسروهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة
لا ينتمض بعدها بمشيئة الله كفر ، وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم
من فتكت به المناصل ، واجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار
وعن المصاف بخيل فان قتلهم بالسيوف الأفلاق والزماح الاكسار ، فنيلاوا بشار من
السلاح ونالوه ايضاً بشار ، فكلم أهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى عادت
كالمراجين ، وكم انجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين ، وكم فارسية
ركض عليها فارسها الشهم الى أجل فاختلسه وفغرت تلك القوس فاهها ، فاذاقوها
قد نهش القرن على بعد المسافة وافترسه ، وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة
شهودا ، وكان الصليب صارخا ، وكان الاسلام مولودا ، وكانت ضلوع الكفار
لنار جهنم وقودا ، وأسر الملك ويده اوثق وثائقه ، وأكد وصله بالدين
وعلائقه ، وهو صليب الصليبوت ، وقائد اهل الجبروت ، ما دهموا قط بأمر إلا وقام
بين دهمائهم يبسط لهم باعه ، فكان مد اليدين في هذه الوقعة وداعه ، لا جرم
انه تنهات على ناره فراشهم ، ويجتمع في ظل ظلاله خشاشهم ، ويقاثلون تحت
ذلك الصليب اصلب قتال واصدقه ، ويرونه ميثاقاً بينون عليه اشد عقد واوثقه
ويعمدونه سوراً تحفر حوافر الخيل خندقه ، وفي هذا اليوم اسرت سراهم ، ودهيت
دهاتهم ، ولم يفلت منهم معروف إلا القومص ، وكان لمنة الله ملباً يوم الظفر
بالقتال ، وملياً يوم اتخذلان بالاحتفال ، فنجوا ولكن كيف وطار خوفاً من ان
يلحقه منسر الرمح او جناح السيف ، ثم اخذه الله بعد ايام بيده ، واهلكه لموعده
فكان لعدتهم فذاك ، وانتقل من ملك الموت الى مالك ، وبعد الكسرة مر
الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء ، صبغا البيضاء

صمما الخائفة هي وقلوب أعدائها الغالبة هي وعزائم أوليائها، المستضاء بأنوارها. اذا
 فتتح عيها النسر، وأشارت بأنامل العذبات الى وجه النصر، فافتتح بلاد كذا وكذا
 وهذه كلها امصار ومدن، وقد تسمى البلاد بلاداً وهي مزارع وفدن، وكل
 هذه ذوات معقل ومعقر، وبحار وجزائر، وجوامع ومنابر، وجوع وعساكر
 يتجاوزها الخادم بعد ان يحرزها، ويتركها وراءه بعد ان يفتنرها، ويحصدها منها
 كفرأ ويزرع ايماناً، ويحط من منابر جوامعها صلباناً، ويرفع اذاناً، ويبدل
 المذامح منابر، والكنايس مساجد، ويبوي اهل القرآن بعد اهل الصليان للقتال
 عن دين الله مقاعد، ويقر عينه وعيون اهل الاسلام ان يعلق النصر منه ومن عسكره
 بجار ومجرور، وان يظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله ولا زباله الى يوم النفخ
 في الصور، ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع اليه كل شريد منهم وطريد، واعتصم
 بتمته كل قريب منهم وبعيد، وظنوا انها من الله ما نعمتهم، وان كنيستها الى الله
 شافعتهم، فلما نزلها الخادم رأى بلداً كبلاد، وجمعاً كيوم التناد، وعزائم قد
 تألت وتألفت على الموت فنزلات بعرضته، وهان عليها مورد السيف وان تموت
 بفصته، فداور البلد من جانب فلذا أودية عميقة، ولجج وعر غريقة، وسور قد
 انمطف عطف السوار، وابرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار، فعدل
 الى جهة اخرى كان للمطامع عليها معرج، وللخيل فيها متولج، فنزل عليها، وأحاط
 بها، وقرب منها، وضرب خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه، ويزاحمه السور
 بأكتافه، وقابلها ثم قاتلها، ونزلها ثم نازلها، وبرز اليها ثم بارزها، وحاصرها
 ثم ناجزها، وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح، وصدده جمعها فلما لم يبصرون على
 عبودية الحد عن عنق الصفح، فراسلوه ببذل قطيعة الى مدة، وقصدوا نظرة من
 شدة، وانظار النجدة، ففرهم الخادم في لحن القول، وأجابهم بلسان الطول
 وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصيها وحبالها، وأوتر لهم قسيها
 التي ترمي ولا تفارقها سهامها، ولكن تفارق سهامها نصالها، فصافحت السور فلذا

سهما في ثنايا شرفاتهم — اسواك ، وقدم النصر نسرأ من المنجنيق يخلد اخلاده الى الأرض ويملو علوه الى السماك ، فأناخ مراهم ابراجها ، وابتنع صوت عجيجها صم اعلاجها ، ورفع المدارع ما بين العنق الى المرفق مثار عجاجها ، فأخلى السور من السيارة ، والحرب من النظارة ، فأمكن النقاب ان يسفر للحرب النقاب ، وان يعيد الحجر الى سيرته الاولى من التراب ، فتقدم الى الصخرة فمضع سرده بأنياب مموله ، وحل عقده بضربه الاخرق الدال على لطافة عمله ، وأسمع الصخرة الشريفة اينه باستقلته ، آلى ان كادت ترق لمقاتله ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض واخذ الحراب عليها موثقاً فلن يبرح الارض ، وفتح من السور باباً سد من نجاتهم أبوابا ، واخذ يفت في حجره فقال عنده الكافر يا ليتني كنت ترابا ، فحينئذ يئس الكافر من أصحاب الدور كما يئس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرم بالله الغرور ، وفي الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام أمرهم : ابن بارزاق سائلا ان تؤخذ البلد بالسلم لا بالمنوة ، وبالأمان لا بالسطوة ، وألقى بيده الى التهلكة ، وعلاه ذل الهلكة بعد عز الملكة ، وطرح جنبه على التراب وكان جنباً لا يتعاطاه طارح ، وبذل مبلغاً من القطيعة لا يطمح اليه أمل طامح ، وقال : هاهنا اسارى مسلمون يتجاوزون الالوف وقد تعاقد الافرنج على انه ان هجمت عليهم القدار ، وحملت الحروب على ظهورهم الأوزار بدى بهم فمجلوا ، وثنى بنساء الافرنج واطفالهم فقتلوا ، ثم استقتلوا بعد ذلك فلا يقتل خصم إلا بعد ان ينقصف ، ولا يفك سيف من يد إلا بعد ان تقطع او ينقصف ، فأشار الامراء بأخذ الميسور من البلد المأسور ، فانه لو أخذ حرباً فلا بد ان يقتحم الرجال الأنجاد ، وتبذل نفوسها في آخر أمر قد نيل من اوله المراد ، وكانت الجراح في المساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات ، وانقل الحركات ، فقبل منهم المبدول عن يد وهم صاغرون ، وانصرف اهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون ، وملك الاسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان ، فخدمها الكفر الى ان صارت روضة جنان ، لا جرم ان الله اخرجهم

منها واهبطهم ، وأرضى اهل الحق واسخطهم ، فأنهم خذلهم الله حموها بالأسل والصفاح ، وبنوها بالعمد والصفاح ، واودعوا الكنائس بها وبيوت الدبوبة والاستبارية فيها كل غريبة من الرغام الذي يطرد مأؤه ، ولا ينطرد لألاؤه ، قد لطف الحديد في تجزيه ، وتفنن في توشيعه ، الى ان صار الحديد الذي فيه بأس شديد ، كالذهب الذي فيه نعيم عتيق ، فما ترى إلا مقاعد كالرياض لها من يياض الترخيم ررقاق ، وعمدأ كالأشجار لها من التنبيث اوراق ، واذعن الخادم برد الأقصى الى عمده الممهود وأقام له من الأئمة من يوفيه ورده المورود ، واقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شهر شعبان ، فكادت السماوات يتفطرن للنجوم لا للوجوم ، والكواكب منها ينتثرن للطرب لا للرجوم ، ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكان طريقها مسدودة فظهرت قبور الانبياء . وكانت بالنجاسات مكدودة ، واقيمت الخمس وكان التثليث يعمدها ، وجهرت الألسن بالله اكبر وكان سحر الكفر يعقدها ، وجهر باسم امير المؤمنين في وطنه الأشرف من المنبر ، فرحب به ترحيب من بر لمن بر ، وخفق علماه في حافتيه ، فلو طار سرور الطائر بجناحيه ، وكتاب الخادم وهو مجد في استفتاح بقية النفور ، واستشراح ما ضاق بتمادي الحرب من الصدور ، فان قوى المساكر قد استنفدت مواردها ، وایام الشتاء قد قربت مواردها ، والبلاد المأخوذة المشار اليها قد جاست المساكر خلالها ، ونهبت ذخائرها واكلت غلالها ، فهي بلاد ترفد ولا تسترفد ، وتجم ولا تستنفد ، ينفق عليها ولا ينفق منها ، وتجهز الأساطيل لبحرها وتقام المراتب لساحلها ، ويدأب في عمارة اسوارها ومرمات معقلها ، وكل مشقة بالاضافة الى نعمة الفتح محتملة ، واطماع الفرنج بمد ذلك مرأبها غير مرجئة ولا معترلة ، فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله انها لا تسمع ، ولن يفكوا ايديهم من اطراف البلاد حتى تقطع ، وهذه الألفاظ لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص ، ولا بما سوى المشاهدة تتلخص ، فلذلك نفذ الخادم لساناً شارحاً ، ومبشراً صادحاً ، يطالع بالخير على سياقته ، ويعرض بجيش المسرة من

طليعته الى ساقته ، وهو فلان فليسمع منه ووليرو عنه ، والرأي اعلى ان شاء الله تعالى والله الموفق .
هذا آخر الرسالة الفاضلية .

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر شعبان وودعه ولده الملك العزيز وسار معه قدر مرحلة ثم وصاه وشيعه ، وصحب اخاه الملك العادل فوصل الى عكا في اول شهر رمضان فخيّم بظاهرها .
ثم سار فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة فنزل بميداً من سورها ومكث حتى ورد عليه العسكر وتكامل ، ثم تقدم اليها يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وحاصرها . وحضر اليه ولده الملك الظاهر غياث الدين غازي فشد ازره . وزحفوا على الكفار ، وقطعت الاشجار ، ورى عليهم بالمناجيق ، واشتد الأمر وتمسر الفتح .

(ذكر ما تم على الاسطول)

وكان السلطان قد تقدم من صور واحضر اليها من عكا ما كان بها من مراكب الاسطول ، فوصلت منها عشر شواني مشحونة بالرجال والمعدد ، واتصلت بها مراكب المسلمين من بيروت وجبيل . فاستشعر المراكيس الضرر منها وعمر الآخر مراكب . وكانت مراكب المسلمين بالساحل محفوظة بالعسكر ولا يتمكن الفرنج منها وكل من الفريقين يعالج الآخر .

فاطمأن المسلمون واغتروا بالسلامة وبات ليلة خامس شوال وربطوا بقرب ميناء صور وسهروا الى قريب الصبح ، فغلب عليهم النوم فما انتبهوا إلا وصفن الفرنج محيطه بهم ، فاخذت شواني المسلمين واسروا منها جماعة ، فاغتم السلطان لذلك وكانت هذه اول حادثة حدثت للمسلمين .

فأزعج العسكر الاسلامي واشتد حزن المسلمين ، وأشار الناس بإبعاد بقية

الشواني . فسرت الى بيروت وركب المسكر في الساحل مبارجا وهي بحذائه في البحر فظهر عليها شواني الفرنج ، فخرج المسلمون الى البر على وجوههم وتواقموا الى الماء خوفاً على انفسهم وكانوا لا معرفة لهم بالقتال .

وكان في جملة الشواني قطعة رئيسها له خبرة بالامور ، فأسرع وفات الفرنج ولم يدركوه ، فنجا بالركب ومن فيه وبقيت المراكب الباقية خالية من كان فيها فدفعها المسلمون الى البر ، هذا والقتال مشد بين الفريقين .

ولما عبر الفرنج على تلك المراكب ظنوا عجز المسلمين وخرجوا للقتال في جمع كبير واشتد الأمر وارتفعت الاصوات ووقع المسلمون في الفرنج فولوا مدبرين وعادوا الى البلاد ، واسر منهم مقدمان واسر قمص عظيم عندهم . وكان الملك الظاهر غازي لم يحضر شيئاً مما تقدم من الوقعات فبادر وضرب عنقه . وكان القمص يشبه الرئيس فظنوا انه هو .

فلما رأى المسلمون هذا الحال وان السلطان مصمم على ما هو فيه وله قدرة وثبات على القتال اجتمع بعض الامراء وشرعوا في تدبير امر يعرض على السلطان يتضمن ان هذا الأمر امر عسير والأولي تركه والرحيل عن هذا المكان . فظلم السلطان على ما هم فيه فتلطف بهم ووعظهم وقال : كيف تخلي هذا المكان ونذهب ؟ واذا سئلنا عنه فماذا نجيب ؟ ثم اخرج الاموال وفرقهـا على المسكر وامرهم بالثبات . فامتلوا امره .

﴿ فتح حصن هرنين ﴾

كان السلطان قد وكل بها بعض امرائه ، فاستمر يحاصرها حتى طلب اهلها الايمان . فورد الخبر على السلطان بذلك وهو على محاصرة صور فندب بدر الدين ويدرم البارزني - وهو من اكبر عظمائه - . فمضى اليهم وتسلمت هرنين بما فيها وتسلمها بيرم اخو صاحب بايناس .

واقام السلطان على صور يحاصرها ، فدخل الشتاء وضجر العسكر وكثرت الجرحى وتوالت الامطار ، والسلطان يحرضهم على القتال والثبات . وكثر القتال واشتد الامر ، وما زالوا يراجعون السلطان ويشيرون عليه بالرحيل .

وكان السلطان اتفق في تلك المدة اموالا كثيرة على آلة القتال ولا يمكن نقلها وإن تركها تقوى بها الكفار ، فنقضها وفك بعضها واحرق ما تعذر حمله وحمل بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا ، وتأخر السلطان عن قرب صور . فشرع العسكر في الانصراف وواعد في المماودة الى اوان الربيع ، وودع الملك المظفر تقي الدين من هناك .

وبقي السلطان يتأسف على الفتح فسار الى عكا وخيم على بابها ، ثم اشتد البرد فدخل السلطان المدينة وسكن بها وشرع في التاهب الى الجهاد واصلاح العدد واكرام من يغدو اليه ، وكانت رسل الآفاق من الروم وخراسان والعراق عاكفين على بابه فما مر يوم ولا شهر إلا ويصل اليه رسول .

ورتب احوال عكا وامورها ووقف نصف دار الاستبارة رباطاً للصوفية وانصفها مدرسة للفقهاء وجعل دار الاسقف بيارستان للضعفاء .

ودخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بمكا . فلما دخل فصل الربيع سار ونزل على سمت حصن كوكب في العشر الأوسط من المحرم قبل تكامل العسكر وحاصره فرأى ان فيه صعوبة ويطول أمره . ثم وكل بها قائماً النجمي في خمسمائة مقاتل ، ورتب على صفد خمسمائة فارس وجهزم اليها .

﴿ ذكر حال المكرك من أول الفتح ﴾

قد مضى ذكر ابرنس الكرك وقتله ، وكانت زوجته ابنة فليب صاحب الكرك مقيمة بالقدس ومن اسر ولدها هنقرى ابن هنرى ، فلما فتح بيت المقدس حضرت الى السلطان وتخضعت له وتذلت وسألت في فك ولدها من الأسر ، وصحبتهما

زوجة ابنها ابنة الملك ، وحضرت الملكة مع صاحبة الكرك تسأل في زوجها الملك فأكرمهن السلطان واحسن اليهن .

واما الملكة فجمع شملها بالملك وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتي الشوبك والكرك . فاستحضر هنقرى من دمشق واجتمع بوالدته وسارا مع جماعة من الامراء لتسليم القلعتين . فلما وصلت هي وولدها لم يطعها اهل الكرك ولم يسلموا وأفحشوا في الخطاب لها .

ثم وقم لها كذلك بالشوبك ، فرجعت الى السلطان فقبل عذرها وطمن قلبها على ولدها . فتوجهت الى عكا ، ثم انتقلت الى صور .

وجهر السلطان المساكر لحصار الكرك والشوبك . ثم وصل الى السلطان وهو على كوكب بهاء الدين قراقوش ، فندبه لعمارة عكا لعلمه بكفاءته وأمدّه بالأموال والرجال . فسار الى عكا وشرع في عمارتها وتحصين اسوارها . وورد على السلطان الرسل من ملوك الروم وغيرها وأقام السلطان على كوكب الى آخر صفر فتمسر فتحها . ثم رحل السلطان الى دمشق ، ودخل اليها في يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول ، فنثر المدل وفصل الحكومات .

فوصل الخبر بوصول العسكر من الشرق واصبح السلطان بكرة يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الاول على الرحيل ، ثم سار الى بعلبك ورحل على سمت اللبوة ووصل اليه عماد الدين صاحب سنجار بالعسكر ، فتلقاه السلطان احسن لقاء واکرمه . واجمعوا على دخول بلاد الساحل وتجردوا عن الأثقال وساروا . فنزل السلطان على حصن غور وفتح وغنم ما فيه ، ثم عاد الى مخيمه . وانقضى شهر ربيع الآخر وقد وصل قاضي جبلة بحث على قصدها ، وكان بها خلق كثير من المسلمين .

ورحل السلطان يوم الجمعة رابع جمادى الاولى الى جهة الساحل فوصل الى انطرسوس وحاصرها وبها وسبا اهلها . فاحتفى جماعة بيرجين هناك ، فهدم احدهما وامتنع الآخر . ونقض اسوار انطرسوس وترك البرج الممتنع . ورحل العسكر عنها ونزل

على مربية وقد اخلاها أهلها . وكان الفرنج قد صفوا المراكب في البحر . وسار السلطان بالمسكر .

ووقع بين المسلمين والافرنج وقعات وامور يطول شرحها . وقصد جبلة .

﴿ فتح جبلة ﴾

اشرف السلطان على جبلة بكرة يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى واحاط بها المساكر . فطلبوا الأمان على ان يميّدوا ما استرهنوه في انطاكية من اهلها ويسلموا كل ما لهم من السلاح والعدّة والخيل ، وكان قاضي جبلة هو المتوسط لهم في اخذ الأمان . وسلمت الى المسلمين يوم الخميس .

وأقام السلطان بها اياماً يقرر امورها ، وكان يعظم قاضي جبلة ويحسن اليه ووقف عليه ملكاً نفيساً واقره على ولايته بمنصب القضاء . وكان حصن بكرائل قد سلم من قبل .

﴿ فتح اللاذقية ﴾

ورحل السلطان ثالث عشر جمادى الاولى يوم الاربعاء ، وبات تلك الليلة بالقرب من اللاذقية بجبل عاصم . فلما اصبح يوم الخميس كان حصارها واشتد القتال ونقب اسوارها ، فطلبوا الأمان في يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى ، وصعد اليهم قاضي جبلة يوم السبت وفتحت صلحاً وسلموا القلاع بما فيها ورحل منها جماعة ، ودخل جماعة في عقد الذمة .

ورتب السلطان فيها جماعة من مماليكه ، وركب السلطان وطاف بالبلد وقرر امورها ورحل عنها .

﴿ فتح حصن صهيون وغيره ﴾

رحل السلطان من اللاذقية ظهر يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الاولى وأخذ على سميت صهيون ، وخيم عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين

واحاط المسكر بها يوم الاربعاء وحاصرها فملكوا ثلاثة اسوار بما فيها ، فطلبوا الأمان وسلموا البلد .

ثم سلم حصن صهيون بجميع اعماله وما فيه من الذخائر . وتسلم يوم السبت قلعة المبد ، ويوم الأحد قلعة الجماهريين ، ويوم الاثنين حصن بلاطنس . وسار السلطان في ثاني يوم فتح صهيون ونزل على المعاصي . وتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة . ثم حاصر قلعة الشعر وطال القتال حتى أيس منه فخرج من الحصن من يطلب الأمان في ثالث عشر الشهر يوم الثلاثاء وتسلم قلعة الشعر . ثم سار ولد السلطان الملك الظاهر الى قلعة سرمانية فحاصرها وخربها وفتحها يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة .

﴿ فتح حصن برزية ﴾

وسار السلطان الى قلعة برزية وهي من أحصن القلاع ، فنازلها يوم السبت رابع عشري الشهر ، ثم تجرد يوم الأحد ورقق الجبل فرآها قلعة على من من الجبل عالية فأحرق بها وبالجبل وزحف عليها في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر ورتب عليها الامراء نواباً فقاتلوا . واشتد القتال ، وتقدم السلطان بنفسه في النوبة الثانية . فلما ايقنوا بأنهم ملكوا طلبوا الأمان وسلموا الحصن . فلما حصل الفتح عاد السلطان الى خيامه .

وكانت صاحبة حصن برزية اخت زوجة الابرنس صاحبة انطاكية قد سبيت فأمر باحضارها واعتقها وكذلك زوجها ، وأحضر ايضاً ابنة لهما وزوجها وعدة من اصحابهم وادخلهم معهم في الاطلاق . وقلد الحصن لأمر من جماعته .

وكان فتح هذا الحصن من آيات الله تعالى لحصاته وعدم القدرة عليه ، فيسر الله فتحه في ايسر وقت .

﴿ فتح حصن دريساك ﴾

رحل السلطان وأقام أياماً على جسر الحديد ثم قصد دريساك وهو حصن مرتفع ، وكان عشى الراوية نزل عليه يوم الجمعة ثامن رجب وحصره ورمى برجاً من السور بالنقب ، فلما كان يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب طلبوا الأمان ، وتسلم الحصن بما فيه يوم الجمعة ثاني عشري الشهر .

﴿ فتح حصن بقراس ﴾

توجه بكرة السبت الى بقراس وهي قلعة قريبة من انطاكية وهي على رأس جبل عالية حصينة وهي للراوية ، فخيم بقرها في المرج وتقدم جمع كثير من العسكر بينها وبين انطاكية ، وصار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية . وصعد السلطان متجرداً في جماعة من عسكره الى الجبل بازاء الحصن ونصب عليه المناجيق من جميع جهاته ورمى عليه وحاصره ، فطلبوا الأمان ، وتسلم القلعة في ثاني شعبان ، وحزر ما في بقراس من الغلة فكان تقديراً اثني عشر ألف غرارة .

﴿ عقد الهدنة مع انطاكية ﴾

ولما فرغ السلطان من فتح هذه الحصون قصد انطاكية وكانت قد تلاشت احوالها وقل ما فيها من القوات . وكان الابرئ صاحبها قد ارسل اخا زوجته يسأل في عقد الهدنة وطلب الأمان على ماله وولده لثمانية اشهر من تشر بن الى آخر ايسار .

واجابه السلطان الى ذلك وهادئه وشرط عليه اطلاق من عنده من الاسارى . وسار رسول السلطان ومعه شمس الدولة بن منقذ لأجل الاسارى . ورحل السلطان ثالث شعبان الى سمت حلب . ولما رحل السلطان من بقراس

ودع عماد الدين بن زنكي وعساكر البلاد ، وخلع عليه ومنحه بالتحف النفيسة وانعم على العسكر بأشياء خلاف ما غنموه . وسار في عسكره ووصل الى حلب ، ثم سار منها ووصل الى حماه ، وبات بها ليلة واحدة ، ثم سار على طريق بعلبك فجاءها قبل رمضان بأيام . وكان العسكر قصدهم الصوم في اوطانهم بدمشق . فلما وصل السلطان الى دمشق اشتد عزمه وتحرك للجهاد من اجل صفد وكوكب وغيرها ، وخرج من دمشق في اوائل شهر رمضان .

﴿ فتح الكرك وحصونه ﴾

ووردت البشائر بتسليم حصن الكرك فان السلطان لما كان في بلاد انطاكية لم يزل الحصار على الكرك ، وكان اخوه الملك العادل بمن معه على تبنين لحفظ البلاد ، وكان صهره سعد الدين كشه بالكرك موكلا بمحصاره . فراسل الافرنج الملك العادل في الأمان ، فامتنع . ثم صالحهم وسلموا الحصن .

﴿ محاصرة صفد وفتحها ﴾

ثم سار السلطان حتى نزل على صفد وجاء الملك العادل وشرعوا في حصار القلعة ورميها بالمناجيق ، واستمر الحال على ذلك الى ثامن شوال وصعب فتحها حتى اذن الله تعالى وسهل فأذعنوا وخرجوا من عندهم من أسرى المسلمين ليشفعوا لهم في طلب الأمان وسلمت للمسلمين وخرج من فيها من الكفار الى صور . ولما اشرفت صفد على الفتح شرع الافرنج في تقوية قلعة كوكب واجمعوا على تسير مائتي رجل من الابطال المعدودين ليكنوا للمسلمين في الطريق . فعثر بواحد منهم بعض جند المسلمين فأمسكه واتى به الى صارم الدين قايمز فأخبره بالحال وان الكمين بالوداي فركب اليهم في اصحابه والتقطهم عن آخرهم وأحضرهم الى السلطان وهو على صفد . وكان فيهم مقدمان من الاستبارية فأحضرا عند السلطان ، فأنطقهما

الله تعالى وقالوا : ما نطقنا انما بعد ما شاهدناك يلحقنا سوء . فمال الى كلامهما وأمر باعتاقهما ، فان تلك الكلمة اوجبت عدم قتلها ، فانه كان لا يبقى على احد من الاستبارية والرواية .

وفتح الله صفد في ثامن شوال .

(حصار كوكب وفتحها)

وسار السلطان الى كوكب وهي في غاية الحصانة فحاصرها وقاتل من فيها اشد قتال ، وحصل الضيق الزائد لوقوع البرد الشديد وقوة الشتاء . وما زال السلطان ملازماً للحصن بالرمي حتى تهدم غالب بنائيه ونصر الله المسلمين وملكوا كوكب واخرجوا الكفار وغنموا أموالهم . وكان هذا الفتح في منتصف ذي القعدة . وعرض السلطان القلعة على جماعته فلم يقبلوها ، فولأها قايمآز النجمي على كره منه .

ثم تحول السلطان الى ارض بيسان ، وأذن للامراء والجند في الانصراف . وسار معه اخوه الملك العادل في مستهل ذي الحجة الى القدس الشريف . ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخرة وعيد بها يوم الاحد الاضحى ونحر الاضحية . وسار يوم الاثنين الى عسقلان للنظر في مصالحها وتدبير احوالها وأقام أياماً . ثم ودعه اخوه الملك العادل وسار بمسكركه الى مصر . ورحل السلطان الى عكا .

ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بمكا يرتب إمرهـا ويحصنها الى ان وصل جماعة من مصر فأمرهم بالاقامة فيها وأمر بهاء الدين قراقوش بأعام بناء سورها . ثم سار الى طبرية ودخل دمشق مستهل شهر صفر . ثم خرج منها يوم الجمعة ثالث ربيع الاول متوجهاً الى شقيف ارنون واتى مرج عيون وخيم فيه بقرب الشقيف .

واعتد للقتال يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول ، وكان الشقيف في يد ارناط صاحب صيدا فنزل الى خدمة السلطان يسأله ان يعمله ثلاثة اشهر لينقل اهله من صور وأظهر انه يخاف ان يعلم المركيس بحاله فلا يمكنه من أهله . فأجابه السلطان لذلك . وشرع ارناط في تحصين نفسه واستعداده للحرب .

فعلم السلطان بحقيقة حاله ، فتقرب السلطان من الشقيف . فلما علم صاحب الشقيف بذلك حضر الى خدمة السلطان وشرع في الاستعطاف له وإزالة ما عنده وعاد الى حصنه ، ثم حضر وأنهى تخوفه على اهله وسأل المملة سنة . فأرسل السلطان من كشف الحصن فوجده قد تحصن زيادة على ما كان فيه . فأمسك صاحب الحصن وقيد وحمل الى قلعة بانياس . ثم استحضره في سادس رجب وهدده ، ثم سيره الى دمشق وسجنه .

وحاصر الحصن في يوم الاربعاء ثامن رجب ورتب عليه عدة من الامراء لمحاصرته الى ان تسلمه بعد سنة واطلق صاحبه .

ولما كان السلطان بمرج عيون اجتمع الافرنج واتفقوا على إقامة المركيس بصور واجمعوا على حرب المسلمين والمركيس يمدحهم من صور . فبلغ السلطان ذلك في يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى وانهم على قصد صيدا ، فركب في الحال والتقى بمسكره مع الافرنج فهزمهم باذن الله تعالى ونصر الله المسلمين واسر من اعيانهم سبعة .

وعاد السلطان الى مخيمه واقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر جمادى الاولى ثم ركب في ذلك اليوم وتواقع هو والافرنج واشتد القتال فاستشهد جماعة من المسلمين وقتل خلق كثير من المشركين . ثم قوى عزم السلطان على قصدهم في مخيمهم وشاع هذا الخبر فخاف الافرنج وذهبوا الى صور فاقضى الحال التأخير .

وسار السلطان الى تبنين صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر ، ثم سار منها الى عكا ورتب امورها وعاد الى المعسكر وأقام الى يوم السبت سادس

جمادى الآخرة ، فبلغه ان الافرنج يقتشرون في الارض فأمر السلطان بتكين كمان لهم واذا رأوهم يطاردونهم .

وسار السلطان يوم الاثنين فتواقموا واشتد القتال ، وكان بالمسكر جماعة من العرب لا خبرة لهم بالطريق فتطاردوا بين يدي الافرنج في واد لا ينفذ فحصرهم الافرنج فلم يقدروا على السلوك من الوادي فاستشهدوا رحمهم الله تعالى .

﴿ مسير الافرنج الى عكا ﴾

وصل الخبر يوم الاربعاء ثامن رجب ان العدو على قصد عكا وان جماعة منهم سبقوا الى النواقر ونزلوا باسكندرونة وتواقموا مع جماعة من المسلمين . فكتب السلطان للمسكر يجمعهم . ورحل الافرنج يوم الاحد ثاني عشر رجب ونزلوا على عين عسد . فأصبح السلطان على الرحيل ، وجاء عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كفر كنا ، ثم أصبح يوم الاربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل الخروبة وترك الانتقال بأرض صفورية . ونزل الافرنج على عكا من البحر الى البحر محتاطين بها يحاصرونها ، واجتمعت المساكر فصار العدو حول البلد . واحاط المسلمون بالافرنج ومنعهم من الطرق واشتد القتال ، واستدارت الافرنج بعكا ومنعوا من الدخول والخروج وذلك يوم الاربعاء والخميس سلخ رجب ، فأصبح السلطان يوم الجمعة منتهل شعبان على عكا .

وتباشر المسلمون بالنصر ، وثار الحرب واصبحوا يوم السبت على ذلك ، وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شديدة ، وانهزم الافرنج الى تل الصياصية واخلوا ذلك الجانب ، وانفتح للمسلمين طريق عكا ، ودخل المسكر اليها وخرج واستطرت اليها الجيوش واطلع السلطان على الافرنج من سورها وخرج عسكر البلد للقتال وتشاور المسلمون فيما بينهم ودبروا الحيل في قتال العدو المخذول .

فلما كان يوم الاربعاء ثامن شعبان ركب الافرنج آخر النهار بأجمعهم

وتقدموا وحملوا على المسلمين ، فصددهم المسلمون فولى الكفار هارين مدبرين وقتل وجرح منهم ، ودخل الليل وبات الحرب على حاله . وانتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر الى تل الصياصية لأنه مشرف عليهم للعلو .

وبلغ السلطان ان الافرنج يخرجون للاحتشاش وينتشرون في الارض . فانتدب جماعة من العربان ، فأغاروا عليهم وحاولوا بينهم وبين خيامهم وحشروهم وابادوهم قتلا وقطعوا رؤسهم واحضروها عند السلطان وذلك يوم السبت سادس عشر شهر شعبان ، وسرّ المسلمون وتباشروا هذا والقتال على عكاس متصل .

((نادرة))

ومن النواذر الواقعة انه افلت من بعض مراكب الافرنج حصان من الخيول الموصوفة عندهم فلم يقدروا على امساكه وما زال يعوم في البحر وهم حوله الى ان دخل ميناء البلد ، فتسارع المسلمون اليه وأخذوه واهدوه الى السلطان . فتباشروا المسلمون بالنصر ، ورآه الافرنج من إمارات خذلانهم .

❦ الوقعة الكبرى ❦

واصبح الافرنج يوم الأربعاء لعشرين من شعبان وقد رفعوا صلبانهم وتقدموا وزحف ابطالها . وقد عي السلطان الميمنة والميسرة وشرع يمر بالصفوف ويقوّي عزم العساكر . واشتد القتال واستشهد جماعة من المسلمين وولى العسكر الإسلامي منهزماً ، فمنهم من وصل طبرية ، ومنهم من وصل دمشق ، وبقي المسلمون في شدة عظيمة حتى ادركهم الله تعالى بالنصر ، وهو انه لما تمت الكسرة على المسلمين وصل جماعة من الافرنج الى خيمة السلطان ولم يتبعهم من يعضدهم فهابوا الوقوف هناك فأنحدروا عن التل ، فاستقبلهم المسلمون وتبعوهم وظفروا بهم فقتلوا منهم وضربوا رقابهم واشتد الحرب وثبت المسلمون فمالوا على ميسرة الافرنج

ففلوها ووضعوا فيهم السيوف فأبادوهم قتلاً ، ومن قتل مقدم عسكرهم ، وتبهم المسلمون حتى كلت سيوفهم . وقتل من الافرنج خمسة آلاف فارس ، وقتل مقدم الراوية .

وحكي عنه أنه قال : عرضنا في مائة الف وعشرة آلاف ومن العجب ان الذين ثبتوا من المسلمين لم يبلغوا الفاً فردوا مائة الف ، فكان الواحد من المسلمين يقتل من الكفار ثلاثين واربعين .

وارسل السلطان بهذه النصرة البشائر الى دمشق ، وعاد السلطان الى مكانه وعزم على انه يصالح العدو ، وتفقد العسكر فاذا هو قد غاب . وذلك ان بعض الغلمان والاباش لما وقعت الواقعة ظنوا ان عسكر الاسلام انهزم ، فنهبوا الأتقال وانهزموا ، وانهزم جماعة من الجند . فمضى العسكر وراء الغلمان فتأخر من اجل ذلك العزم على المسير ، وانتعش الافرنج لذلك .

وكرثت جيف الافرنج المقتولين ، فشكى المسلمون نين راءحتهما . فرسم السلطان بحملها على العجل ورميها في النهر ، فحمل اكثر من خمسة آلاف جثة . ثم في يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان حضر اكابر الامراء عند السلطان ودار الكلام بينهم في المشورة ، فأشاروا بالانصراف لهجوم البرد والشتاء وان أبدانهم وخيولهم قد ضعفت ، وان السلطان يرسل البلاد ويجمع الجموع ثم يحضر للجهاد في سبيل الله تعالى . هذا والسلطان متكره من هذه المقالات وليس عنده ملل ، وفي كل يوم يطوف على المسكر ويقوي عزمهم .

فانتقل ليلة الثلاثاء رابع شهر رمضان الى الخروبة عند الانتقال وأمر من بمكا بفتح الباب . وشرع الافرنج في حفر خندق على معسكرهم حوالي عكا من البحر الى البحر وتحصنوا وتستروا . واقام السلطان بالمخيم وهو متوعك ، فمن الله تعالى عليه بالعافية ، وصرف الأجناد الغرباء ليرجعوا في الربيع ، واقام بماليكه . فما مضى يوم إلا وفيه وقعة والماليك ظافرون بالافرنج .

وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان اخذ المسلمون بمكا مركباً للافرنج مقلعاً الى صور فيه ثلاثون رجلاً وامرأة واحدة ورزمة من الحرير ، فغنموه وتباشروا واشتد ازهرهم بذلك .

(وصول ملك الألمان)

ورد الخبر بوصول ملك الألمان الى قسطنطينية في عدد كثير على قصد العبور الى بلاد الاسلام وانه في ثلثمائة الف مقاتل ، وقد قطع الروم الى جهة الشام . فأزعج المسلمون لذلك ، وندب السلطان الرسل الى جميع الأمصار يستنفر للجهاد . فوصل الملك العادل سيف الدين من مصر في نصف شوال في جيش عظيم ، فحصل به السرور وقوى المسلمون ، ونزل في غنيمه . وارسل السلطان الى رجال دمشق والبلاد ، فحضروا . وشرع المسلمون في كل يوم يماجون الافرنج ولهم معهم في كل ليلة كبسة .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة وصل الاسطول من مصر وعدته خمسون شونة (١) . فان السلطان لما وصل الافرنج الى عكا كتب الى مصر بتجهيز وتكثير رجاله وعدده ، فصادف مراكب الافرنج في البحر . فأول ما ظفر الاسطول بشونة للافرنج فقتل مقاتليه ، ووقع بينهم وقعة كبرى ، وتفرقت سفن الافرنج . وصارت البشائر للمسلمين بوصول الاسطول .

ولما اشتد البرد وكثرت الامطار واستظهر البلد برجال الاسطول وكانوا زهاء عشرة آلاف بحري فامتلاً البلد ، وشرعوا يتلصصون على الكفار وكبسوا ليلة سوق الحمارات ، وسبوا عدة من النساء الحسان . فكان في ذلك نكايه عظيمة للكفار ، وامكن الله المسلمين منهم وشرعوا في نهبهم وأسرههم في كل وقت .

(١) الشونة : المركب الممدد للجهاد في البحر انتهى (قاموس) .

﴿ ذكر نساء الافرنج ﴾

ثم وصلت مراكب فيها ثلثمائة امرأة افرنجية من النساء الحسنات اجتمعن من الجزائر لاسعاف العزبان وسبلن أنفسهن وفروجهن للعزبان ورأين ان هذه قرابة ما ثم افضل منها . وعند الافرنج ان العزباء اذا مكنت منها الأعزب لا حرج عليها . وتسامع عسكرا لاسلام بهذه القضية فأبق من الممالك والجهال جماعة وذهبوا اليهن . ووصلت أيضاً في البحر امرأة كبيرة القدر وهى ملكة بلدها وفي خدمتها خمسمائة فارس .

وفي الافرنج نساء يلبسن هيئة الرجال ويقاتلن ، وفي يوم الوقعة اسر جماعة منهن فلم يعرفن حتى سلبن وعرين . وأما المجائز فعضر منهن جماعة وهن ينشدن تارة ويحرقن ويذخين الرجال لعنة الله عليهن .

وفي هذه السنة ندب السلطان الرسل الى البلاد لاستنفار المجاهدين ، وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزلة الخروبة سحر ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين ، وكان من الاعيان وله منزلة عند السلطان . وحمل من يومه الى القدس ودفن به .

ودخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بمسكرو بمنزلة الخروبة وعكاً محصورة ، وخرجت هذه السنة والحصار مستمر ، ووقعت وقائع وهلك من الافرنج عدد لا يقع عليه الحصر .

﴿ وقعة الرمل ﴾

وكان السلطان يركب احياناً للصيد وهو لا يبعد من المخيم ، فركب يوماً في صفر فأبعد والكر كبة على الرمل وساحل البحر ، فخرج الافرنج وقت المصير

فتسامع المسلمون بهم فخرجوا اليهم وزحفوا عليهم وطردوهم وأحاطوا بهم ورموهم حتى فرغ الشباب . فلمّا علم الافرنج بذلك تجاسروا وحملوا حملة واحدة حتى ردوا المسلمين الى النهر . فثبت جماعة وسدشهد جماعة ، ودخل الليل وحال بين الفريقين .

(فتح شقيف أرنون)

وفي يوم الأحد خامس عشر ربيع الأول تسلم بالأمان شقيف أرنون وكان صاحبه ارناط صاحب صيدا معتقلا بدمشق لأجله فسلمه بما فيه واخرج عنه وسار الى صور . ورحل السلطان ونزل على تل كيسان يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول .

(مقالة الافرنج عكا)

وكان السلطان قد رتب طيوراً تحمل البطاقات منه الى من بمكا وتميد اليه الجواب منهم ، وكان يأتي اليه الخبر ايضاً على يد العوامين في البحر وكان الافرنج شرعوا في عمل ابراج من خشب واتقنوها وزحموا فيها الى السور ، وتساعدوا على طم الخنادق . فوصل الى السلطان عوامٌ يخبره بالحال ، فركب وزحف الى الافرنج في عشرين من ربيع الأول يوم الجمعة ، وسار الى القتال بخيله ورجله وضايقهم حتى دخل الليل .

فلما أصبح يوم السبت صبحهم بالحرب واستمر الى آخر النهار . واصبح يوم الاحد على القتال وايده الله تعالى بالنصر ، واستمر القتال .

فلما كان يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر بعد الظهر واذا بنار في احد الابراج موقدة فأحذقت النار بالبرج حتى احرقته ، ثم احرقت البرج الثاني . ثم الثالث ، وسقطت الثلاثة ابراج بقدرة الله تعالى ، فحصل للمسلمين السرور بذلك ودمر الله الكافرين .

والمعجب ان الابراج كانت متباعدة وقد ابعدتها الافرنج بمسافات وكل واحد منها على جانب من البلد فأحترقت في وقت واحد . وكان سبب حرقها : ان رجلا يعرف بعلي بن عريف النحاسين بدمشق كان استأذن السلطان في دخول عكا للجهاد وأقام بها وشرع يعمل النفط ويركب عقاقيره والناس يسخرون منه ، فلما قدمت الابراج الى البلد رمى عليها بالنفوط وغيرها فلم يقد . فحضر ابن العريف الى بهاء الدين قراقوش واستأذنه في الرمي ، فأذن له على كره فان الصناع قد أيسوا . فلما اذن له بهاء الدين قراقوش رمى احد الابراج فأحرقه وكان فيه سبعون رجلا تمذر عليهم الخلاص منه ، ودخل جماعة لاستنقاذ ما فيه فأحرقوا بدروعهم وسيوفهم وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج الثاني فأحرقه ، وانتقل الى الثالث فأحرقه . ولم يكن ذلك بصنعه بل وفقه الله تعالى له .

وخرج المسلمون من البلد فحفروا الخندق وجأوا الى موضع الحريق واستخرجوا الحديد من موضع الحريق وما وجدوا من الزرديات وغيرها والله الحمد والمنة.

﴿ وصول الاسطول من مصر ﴾

كان السلطان أمر بتعمير اسطول آخر من مصر ، فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ظهر الاسطول ، فركب السلطان ليشغل الافرنج عن قتال الاسطول فعمر الافرنج اسطولا وتلاقى هو واسطول المسلمين ، فجاءت مراكب المسلمين ونطحت مراكبهم ، واخذ المسلمون مركباً للافرنج ، واخذ الافرنج مركباً للمسلمين . واتصل الحرب في البحر الى غروب الشمس ، فقتل من الافرنج عدة كثيرة ، وسلم المسلمون

﴿ قصة ملك الألمان ﴾

صح الخبر ان ملك الألمان عبر من قسطنطينية بجنوده فقيل : انهم اقاموا

في قفار ومواضع مدة شهر لا يجدون الطعام فصاروا يذبحون خيلهم ويأكلونها ويكسرون قنطارياتهم لعدم الحطب ويشعلونها في البرد الشديد وزمان الثلج ، وحصل لهم من الشدة ما لا يكاد يوصف وضمف حالهم . وذلك من لطف الله بالمسلمين . فلما وصل الى بلاد قلج أرسلان بن مسعود حصل بينه وبين الكفار طراد وقتال ، ثم تراسلا واصطلحا وتهاديا ، واقتضى الحال بينهما ان ملك الألمان يدخل الى البلاد الشامية وانه يسير في بلاده ، واعطاه عشرين مقدماً من اكابر امرائه ليكونوا معه حتى يصل المأمن . فلما وصل الملعون الى بلاد الأرمن غدر بالرهائن وتناول عليهم بأن التركمان سرقوا منه في طريقه .

ونزل على طرطوس وهناك نهر فتواردت عليه المساكر وازدحموا ، فقصد ملك الألمان النزول الى النهر ليفتسل فقال : هل تعرفون موضعاً يمكن العبور منه ؟ فقال له واحد : هنا مخاضة ضيقة لا يدخل فيها إلا واحد بعد واحد . فدخل في تلك المخاضة فقوى عليه الماء فصدمته شجرة في وجهه شجت جبينه وتورط في الماء فتمبوا في اخراجه . فلما خرج بقي مريضاً ، ثم هلك لعنه الله وخلفه ولده . فقيل : انهم سلقوه في قبر حتى تخلص عظمه وانهرى لحمه وجمعوا عظامه في كيس ليدفن في كنيسة قمامة بالقدس حسبما أوصى به .

ووصل الخبر الى السلطان بهلاك الكافر وأن ولده خلفه وهو واصل في جمع كبير . فعزم السلطان على استقباله وصدده ، ثم تثبت وارسل المساكر الى البلاد التي هي في طريق هذا الكافر القادم . ووقع المرض في الافرنج . وأمر السلطان بهدم سور طبرية وهدم ياما وارموف وقيسارية وهدم صور وصيدا وجبيل ونقل اهلها الى بيروت .

وأما ولد ملك الألمان فمرض اياماً في بلاد الأرمن وهلك اصحابه من الجوع ووقع الموت في خيلهم . ثم ساروا من بلاد الارمن ، وحصل له ولعسكره شدة عظيمة .

(الوقعة العادلية)

كان الافرنج لما صح عندهم وصول ملك الألمان الى البلاد في جمع كبير قالوا : اذا جاء صار الأمر له ولا يبقى لنا كلام معه ، فنحن نهجم على المسلمين ونظفر بهم قبل قدومه . فخرجوا ظهر يوم الاربعاء لعشرين من جمادى الآخرة في جمع كبير وقصدوا مخيم الملك العادل .

فوقف الملك العادل ومن معه من الامراء وحمل معه المسكر الحاضر قبل ان تتصل به بقية المساكر ، فكسر الافرنج كسرة فاحشة ، وركبت العادلية اكتافهم وحكموا فيهم السيوف .

وكان السلطان قد ركب وسار مع جماعة من المماليك فوصل وشاهد مأسره وقتل من الافرنج زهاء عشرة آلاف ، ولم يبلغ من امتهد من المسلمين عشرة انفس . وكسب السلطان الى بغداد ودمشق وغيرها يبشر بذلك .

(ذكر ما تجدد للإفرنج بوصول الكندهرى)

وما زال الافرنج في وهن وضعف حتى وصل من البحر رجل يقال له كندهرى وهو عندهم عظيم القدر أفاض عليهم الأموال فقوى اهل الكفر . وشاع هذا الخبر فتشاور السلطان واكابره ، ورحل يوم الاربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة الى منزله الأول بالحروبة واشتغل بتدبير أمره ، والأخبار متواردة من عكا مع السباحين وبطاقات الحمام واخبار ملك الألمان متواصلة بضعف حاله وتلاشي احواله .

حريق المنجنقات

وفي رجب من السنة المذكورة انفق الكندهرى على الرجال فأعطى عشرة آلاف رجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال ، وضائق عكا ونصب عليها المناجيق

فاشتد عزم المسلمين من بمكا وخرجوا بالفارس والراجل وحالوا بين الافرنج وبينها وخرج الزراقون من البلد ورموا النار فيها فاحترق جميعها وقتل في ذلك اليوم من الافرنج سبعون فارساً ، واسر منهم خلق كثير ، فخمد الافرنج بذلك . وكان من جلته منجنيقان كبيران مصروف احدهما الف وخمسمائة دينار ، وكان ذلك في الليلة الاولى من شعبان .

((وصول ولد ملك الالمان الذي قام مقام أبيه الى الإفرنج بعكا))

وصل الى السلطان خبر وصوله في سادس شعبان وحزهم من شاهدهم بخمسة عشر الفاً ، ووصل في البحر الى عكا آخر النهار سادس شهر رمضان فرآه الافرنج وليس له وقعة ، فقالوا : ليت له لم يصل بنا . فأخذ يحرضهم ويقوي عزمهم بمرفوه قوة بأس المسلمين ، فأظهرهم قوة وعزماً ، فلما عرفوا جهله قالوا له : نخرج للمسلمين لعلنا نظفر بهم . فاجتمعوا وساروا الى مخيم السلطان . فركب من خيمته وتقدم الى تل كيسان ، ووقف ينهض المسكر وحال بينهم الليل وحصل للألمان مشقة ، فلما لم يبنفوا قصدهم من المسكر اخذوا في قتال البلد وحصاره .

((ذكر برج الذبان))

وعند ميناء عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان منفرد عن البلد قصد الافرنج حصاره قبل مجيء ملك الألمان في الثاني والعشرين من شعبان بمراكب جهزوها من البحر وشحنوها بالآلات والعدد ، ومنها مركب عظيم لما قرب من البرج رميت عليه النار فاحترق بكل ما فيه ، وملؤا بطة اخرى بالأحطاب فمرى فيها النفط فأحرقها وكان الافرنج في مراكب من ورائها ، فانقلب الريح على الافرنج وتطاير الشرر من بطة الحطب وعاد على الافرنج فالتهبوا وانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا واحتوى برج الذبان فلم يظفروا منه بشيء .

((ذكر الكباش وحريقه))

واستأنف الافرنج حمل ذبابة في رأسها شكل عظيم يقال له الكباش وقد سقفوها مع كبشها بأعمدة الحديد وألبسوا رأس الكباش بعد الحديد بالنحاس خشية عليها من النار وسحبوها ، فأزعج المسلمون لذلك وقالوا : ليس في هذه حيلة . ثم نصب المسلمون مناجيق ورموا بالحجارة ، فنفر من حولها من الرجال ، ثم قذفوها بالنار فدخلت من باب الذبابة فاشتعلت النار فيها ، وخرج منها الافرنج واحترقت تلك الذبابة ، ورموها بالمناجيق حتى انهدمت . وخرج المسلمون من الثغر وقطعوا رأس الكباش واستخرجوا ما تحت الرماد من الحديد وحملوا منه ما استطاعوا وحصل بذلك النصر للمسلمين والخذلان للمشركين ، وكان ذلك يوم الاثنين ثالث عشر رمضان ، واحترقت البطة يوم الاربعاء خامس عشر .

واتفق في يوم الاثنين هذا من العدو وعلى البلد الزحف الشديد ورموا بالمناجيق ، وخرج المسلمون فطردوهم الى خيامهم .

((ذكر غير ذلك من الحوادث))

وصل الخبر أن صاحب انطاكية تحرك على المسلمين ، فسربت له الكمان فخرجوا عليه وقتلوا اكبر رجاله ، وفي هذا التاريخ القى الريح بساحل الذيب بطتين خرجتا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان والنساء ، وحصل بين المسلمين والكفار وقائع وغنم المسلمون من الكفار .

وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحل السلطان الى منزل يعرف بشعزم لما بلغه من تحرك الافرنج ، فخيم هناك وشرع يتوقع هو والافرنج في كل وقت وغلت الأسعار عند الافرنج واشتد بهم البلاء وخرج منهم جماعة ولجؤا الى السلطان مما اصابهم من الجوع ، فقبلهم واحسن اليهم . فمنهم من اعتذر ومنهم من اسلم وصار في خدمة السلطان .

((نوبة رأس الماء))

ولما ضاق بالافرنج الامر تشاوروا وعزموا على المصادمة فخرجوا في عدد كثير وذلك في يوم الاثنين حادي عشر شوال بعد ان رتبوا على البلد من يحصرها وكان اليزك على تل الصياصية ونزل العدو تلك الليلة . واتصل خبرهم بالسلطان فرحل الثقل وبقى الناس على جرائد الخيل ، وسار العدو يوم الثلاثاء والمساكر في احسن اهبه ، وامتد الجيش في الميمنة الى الجبل ، وفي الميسرة الى النهر بقرب البحر ، والسلطان في القلب .

فسار حتى وقف على تل عند الخروبة وحوله اولاده واخوه وخواص امرائه وامراء القبائل من الاكراد . وسار الافرنج شرقي النهر مواجهين حتى وصلوا الى رأس النهر فانقلبوا الى غريبه ونزلوا على التل بينه وبين البحر . والسلطان في خيمة لطيفة يشاهد القوم .

واصبح الافرنج يوم الاربعاء راكبين الى ضحوة النهار والمسلمون قد قربوا منهم ، فأحس الافرنج بالخذلان فساروا وولوا مدبرين . فتبعهم عسكر الاسلام ورموهم بالسهم وهم مجتمعون في سيرهم ، وكلما صرع منهم قتيل حملوه ودفنوه حتى لا يظهر للمسلمين كسرهم . ونزلوا ليلة الخميس ففطموا الجسر واصبحوا بكرة الخميس وقد دخلوا الى مخيمهم فعاد السلطان الى محله . وكان مع الافرنج الخارجين الرئيس والكندهرى . وأقام ملك الالماس على عكا .

((وقعة الكمين))

اقتضى رأي السلطان ان يرتب كميناً للعدو فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال رجاله وابطاله وانتخب منهم من عرف بالشجاعة وامرهم ان يكتنوا على ساحل البحر . فمضوا وكنوا ليلة السبت وخرجت منهم عدة يسيرة بمقد الصباح

ودنوا من الافرنج فطعموا فيهم وحملوا عليهم وطردوهم ، فانهزم المسلمون أمامهم حتى وقفوا على الكين ، فخرجوا عليهم فلم يستطع فارس منهم ان يفر ، فقتل معظمهم ووقع في الأسر خازن الملك وعدة من الافرنجية ومقدمهم .

وجاء الخبر للسلطان فركب بمن معه ووقف على تل كيسان وشاهد النصر وجاءه مماليكه بالأسرى ، وفك السلطان الأسلاب والخيول لآخذها وكانت بأموال عظيمة ، وحلس السلطان في خيمته وحوله جنده والنصاره ، وأحضر الأسرى بين يديه واحسن اليهم واطعمهم والبسهم والبس المقدم الكبير فروته الخاصة وأذن لهم ان يسيروا غلمانهم لاحضار ما يريدون ، ثم جهزهم الى دمشق للاعتقال .

﴿ ذكر غير ذلك من الحوادث ﴾

ثم هجم الشتاء فصرف السلطان العسكر للاستراحة الى الربيع وأقام هو على الجهاد ثم نقل الافرنج سفنهم خوفاً عليها الى صور وأخلوا ساحل عكا . وانام الملك العادل على البحر ، فوصل يوم الاثنين ثاني ذي الحجة من مصر سبعة مراكب فيها الفلة فخرج اهل البلد لمشاهدتها والمساعدة في نقلها .

فعلم الافرنج بخروج اهل البلد الى جانب البحر فزحفوا زحفاً شديداً واحاطوا بعكا واتوا بسلاطهم فنصبوها على السور وتزاحموا على الطلوع في سلم وتصادموا فاندق بهم السلم فقتلوا ، فتداركهم المسلمون وقتلوا فيهم وقتلوا منهم جماعة وردوهم على اعقابهم . فلما اشتغل الناس بأمرهم تركوا المراكب وما فيها من الغلال فهاج البحر فكسرت المراكب وتلف ما فيها وغرق ما كان فيها من الامتعة وهلك بها زهاء ستين نفساً والحكم لله العلي الكبير .

وفي ايلة السبت سابع ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا فهدمت منه جانباً ، فبادر الافرنج طمعاً في الهجوم ، فجاء اهل البلد وصدوهم حتى عمر الهدم وجرح من العدو خلق كثير كل ذلك بهمة بهاء الدين قراقوش .

وفي ثالث عشر ذي الحجة هلك ابن ملك الالمان فحصل الوهن في الافرنج بموته ، وهلك منهم عدد كثير .

وفي يوم الاثنين عشري ذي الحجة عاد المستأمنون من الافرنج الذين انهضهم السلطان لينزوا في البحر ويكونوا جواسيس فرجعوا وقد غنموا اشياء كثيرة فوهبهم السلطان ذلك ولم يتعرض لشيء منها . فلما رأوا ذلك اسلم منهم شطرهم . وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أخذ من الافرنج مراكوسين فيهما نيف وخمسون نفرأ .

وفي الخامس والعشرين منه أخذ ايضاً مراكوساً فيه جماعة من اعيان الافرنج ومعهم ملوطة مكللة بالؤلؤ بأزرار من جوهر قيل : انها من ثياب ملك الالمان . وأسر فيه رجل كبير قيل : انه ابن اخيه . واستشهد في هذه السنة جماعة بمسكا من الامراء .

ودخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة والشتاء موجود والمسلمون مع الكفار في وقعات . وفي اول ليلة من شهر ربيع الاول خرج المسلمون على العدو فكبسوه في نحيبه واسروا من الافرنج وقتلوا وعادوا سالمين ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السبي . وفي يوم الأحد ثالث الشهر المذكور نار الحرب بين المسلمين والكفار فنصر الله المسلمين وهلك من الافرنج خلق كثير وقتل منهم مقدم كبير ، ولم يفقد من المسلمين إلا خادم صغير . وكن المسلمون كئافين . ووصل الى السلطان من بيروت خمسة واربعون اسيراً من الافرنج ، وقدم على السلطان جماعة من عسكر الاسلام . (وصول ملك الافرنسيس - واسمه فليب - لتجدة الافرنج بعكا)

وفي ثاني عشر ربيع الأول يوم السبت وصل ملك الافرنسيس الى الافرنج في عدد قليل . ومن النوادر : انه كان مع هذا الملك بازي اشهب ففارقه يوم وصوله وطار ووقع على سور عكا فأمسكه المسلمون واحضروه للسلطان . فسر بذلك ، وبذل الملك فيه الف دينار فما اجيب .

وما وقع انه كان المستأمنون اليينا من الافرنج تسلموا مرا اكيس يغزون فيها ووصلوا الى ناحية من جزيرة قبرص يوم عيدهم ، وقد اجتمعوا في كنيسة فصلوا معهم واغلقوا باب الكنيسة واسروهم بأسرهم وسبواهم واخذوا جميع ما في الكنيسة وحملوهم الى اللاذقية وباعوا بها كل ما اخذوه ومن جلته سبعم وعشرون امرأة سبايا وصبيان فباعوها واقتسموا أثمانها .

وفي سادس عشري ربيع الآخر هجم جماعة من العسكر واخذوا قطيعاً من غنم الافرنج ، وخالطوهم في خيامهم . وركب الافرنج بأسرهم في أثرهم فلم يظفروا بهم . وفي يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد وكاد يأخذها فاستنفروا العساكر ، فأصبح السلطان وركب وسير من كشف حال العدو وهمل لهم كمين . فكلما شاهد الافرنج عسكر المسلمين قد اقبل تركوا الزحف وتأخروا ، فاذا عاد عادوا .

﴿ قصة الرضيع ﴾

كان لصوص المسلمين في الليل استلبوا طفلاً من الافرنج من يدا امه له ثلاثة اشهر ، فخرجت والدته والهة عليه فلم يشعر السلطان إلا وهي يبابه واقفة فأحضرها السلطان وهي باكية ، فأخبرته الخبر . فطلب الرضيع فقبل له : ان من اخذه بابه بثمان بخس . فما زال يبحث عنه حتى جىء به في قماطه ودثمه لامة وشيع معها من اوصلها الى مكانها وما رد الطفل إلا بعد ما اشتراه ممن هو في يده بثمان يرضيه رحمة الله عليه .

﴿ انتقال السلطان الى تل الصياصية ﴾

لما امر الافرنج على مضايقة عكا انتقل السلطان الى تل الصياصية بعساكره وانتقاله واشتد الحرب بينه وبين الكفار في كل وقت . وضاق الامر على من بعكا وجرى فصول وحروب يطول شرحها .

﴿ وصول ملك الانكثير ﴾

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر اشاع الكفار وصول ملك الانكثير في عدد كثير ووقع الارجاف في الناس والسلطان قوي الجنان لا يرهبه ذلك وهو معتد على الله في اموره ، واعلم ملك الانكثير ان اهل التوحيد لهم قوة وانهم لا يبالون به .

﴿ غرق البطة ﴾

كان السلطان قد عمر في بيروت بطه وشحنها بالمدد والآلات وفيها نحو سبعمائة رجل مقاتل ، فلما توسطت في البحر صادفها ملك الانكثير واحاطت بهامراكبه وحصل القتال بين الفريقين ، وقتل من الافرنج خلق كثير وعجزوا عن اخذها . فلما رأى مقدمها اشتد الامر نزل فخرقها حتى غرقت في البحر . ووصل خبرها للسلطان في السادس عشر من جمادى الاولى . وكانت هذه الواقعة اول حادثة حصل بها الوهن للمسلمين .

﴿ حريق الذبابة ﴾

وكان الافرنج قد اتخذوا ذبابة عظيمة ولها اربع طبقات وهي خشب وورصاص وحديد ونحاس وقرّبوها الى ان بقي بينها وبين البلد خمسة اذرع ، وكانت هذه الذبابة على المعجل . وانزعج المسلمون بذلك ورموا عليها النفط وهو لا يفيد فيها حتى قدر الله تعالى وجاءها سهم صائب فأحرقها الله تعالى . فحصل للمسلمين السرور وزال عنهم ما كان من الغم بسبب غرق البطة ، فان حريق الذبابة كان يوم وصول خبر غرق البطة .

ثم وقع وقعات في هذا الشهر ، وكانت العلامة بين عسكر السلطان وبين المقيمين بمكا عند زحف المدودق الكؤوس فاذا سمعت ادركهم المسكر . فوقع

لهم عدة وقعات . فمن ذلك : وقعة في يوم الجمعة تاسع عشر الشهر اشتد فيها القتال الى وقت الظهر حتى حوى الحر فافترق الفريقان ورنجم كل الى مخيمه .
 ووقعة في يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر حصر العدو البلد واستشهد اثنان من المسلمين ، وقتل جماعة من المشركين .
 ووقعة في اليوم الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسلوا راجلا .
 وركب السلطان واشتد الأمر واستشهد من المسلمين بدوي وكردى وهلك خلق كثير من المشركين ، واسر منهم فارس بفرسه .
 ووقعة في يوم الأحد التاسع والعشرين من الشهر طال فيها القتال واسر الكفار من المسلمين واحداً فأحرقوه . واسر المسلمون منهم واحداً وأحرقوه .
 قال العماد الكاتب : وشاهدنا الدارين في حالة واحدة يشتعلان والصفان واقعان يقتتلان .

﴿ ذكر المركيس ومفارقته ﴾

وفي يوم الاثنين سلخ الشهر ذكر عن المركيس انه هرب الى صور فانه كان بينه وبين هنغرى عداوة واحقاد باطنية لامور كانت بينهما . فلما جاء ملك الانكشير تظلم اليه هنغرى واستعداه على المركيس . فلما علم المركيس بذلك فر منه .

﴿ فصل ﴾

ووصل المساكر الى السلطان من سنجار ومن مصر ، وحضر رسول من عند بعض ملوك الافرنج الى السلطان بكلام مهمل لا طائل تحته . ثم حضر رسل ثلاثة فأكرمهم السلطان واحسن اليهم ، وكان غرض الافرنج بتكرير الرسالات الخداع حتى يشنغل المسلمون عنهم . وضعف الثغر من قوة الحصر .
 ولما علم السلطان يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة بما عليه البلد من غلبة

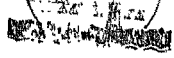
البلاء زحف بمسكره ودم الافرنج ونهب من خيامهم ، وامسى تلك الليلة . ثم أمر بدق الكؤوس سحراً حتى ركب المسكر فجرى ذلك اليوم من القتال أشد ما كان من أمس . ووصل الى السلطان مطلعة من البلد انهم عجزوا ولم يبق إلا تسليم البلد . فمظم الأمر على السلطان ، وفي هذا اليوم بمث المساكر وزحف الى خنادقهم وخالطوهم وحصل بينهم قتال شديد .

ولما تكاثر الافرنج على عكسا وقل المسلمون لكثرة من استشهد خرج سيف الدين علي المشطوب الى ملك الافرنجيس بأمان وقال له قد علمتم ما عاملناكم به عند اخذ بلادكم من الأمان لأهلها ونحن نسلم اليك البلد على ان تمطينا الأمان ونسلم . فقال : ان اولئك الملوك كانوا عبيدي وأنتم ممالكي أفعل بكم ما يقتضيه رأيي . فقام المشطوب من عنده مقتظاً واغلظ له في القول وقال : نحن لا نسلم البلد حتى تقتل بأجمعنا ونقتلكم قبلنا ، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين .

ولما رجم المشطوب وعلم حاله هرب جماعة من الامراء والاجناد ممن بالبلد يغضب عليهم السلطان واخرج اقطاعهم ، ثم رجع بعضهم الى البلد فحصل له الرضا ووقع في بمضهم شفاعا واستمروا على المقت عند السلطان .

وفي يوم الخميس حصلت وقعة عظيمة واشتد فيها الحرب ، واصبح المسكر يوم الجمعة عاشر الشهر على اهبة القتال فلم يحصل شيء ، وانقضى النهار والعسكر محيط بالعدو والعدو محيط بالبلد .

واصبح يوم السبت والافرنج قد ركبوا وخرج منهم اربعون فارساً واستدعوا ببعض المماليك الناصرية ، فلما وصل اليهم اخبروه ان الخوارج صاحب صيدا في اصحابه وهو يستدعى نجيب الدين احد امناء السلطان لأنه كان يتردد في الرسالات للافرنج . فلما حضر ارسله الى السلطان ليتحدث في خروج من بمكا بأنفسهم بحكم الأمان ، وطلبوا في مقابلة ذلك اشياء لا يمكن وقوعها وتمنوا في الاشتراط ، فتردد من عند السلطان نجيب الدين مراراً .

وكان الافرنج اشترطوا إعادة جميع البلاد وإطلاق أسراهم . فبذل السلطان لهم عكا بما فيها وان يطلق لهم في مقابلة كل شخص اسيراً ، فلم يقبلوا . وسمح لهم برد صليب الصليبوت . وانفصل الأمر على غير اتفاق ، وضعف البلد وعجز من فيه 

الاستيلاء الإفرنج على عكا

وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة اجتمعت الافرنج بمجموعها وهجمت وطلعت في السور المهدوم فثار عليهم المسلمون وصدوم ، وحصلت الوقعة حتى كلت الرجال ، فخرج سيف الدين علي بن احمد المشطوب وحسام الدين حسين بازيك واخذوا امان الافرنج على ان يخرجوا بأموالهم وانفسهم على تسليم البلد ومائتي الف دينار وخمسمائة أسير من المجهولين وما اسر من المعروفين وصليب الصليبوت واشياء ذكرها غير ذلك فلم يشعروا إلا بالرايات الافرنجية قد نصبت على عكا وما عند السلطان علم بما جرى عليه الحال ، فأنزعج السلطان والمسلمون لذلك . ونقل الثقل تلك الليلة الى منزله الاول بشغرعم واقام في خيمة لطيفة ، ثم انتقل سحر ليلة الأحد تاسع عشر الشهر الى المخيم وهو في غم عظيم ، فسلاه اصحابه واستعطفوا بخاطره . وخرج رسول بهاء الدين قراقوش لطلب ما قدروه من القطيعة وقال : ادر كونا بنصف المال وجميع الاسارى وصليب الصليبوت قبل خروج الشهر وإن تأخر شيء من ذلك أسرفنا ، ونصف المال يصبرون به الى شهر آخر .

فأحضر الأكابر وفأوضحهم ، فأشاروا باستنقاذ اخوانهم من المسلمين . فشرع السلطان في تحصيله ، وكتب الى الاقطار يعلمهم بالحال ويستنفدهم للجهاد في سبيل الله .

وفي يوم الخميس سلخ جمادى الآخرة خرج الافرنج وانتشروا ، فضربت الكاسات السلطانية . فانتدب المسكر واشتد الحرب وانهزم الافرنج ، فجاءت

المرب وحالت بينهم وبين اسوارهم وصرعوا زهاء خمسين رجلاً وكروا عليهم . ثم كرك الافرنج على المسلمين كرة عظيمة فتثبتوا ، ثم عادوا عليهم حتى طردوهم الى خنادقهم ، وانتصف الاسلام في ذلك اليوم بعض الانتصاف .

وفي يوم الجمعة ثاني رجب جاءت الرسل في تقرير القطيعة المقررة بخلاص الجماعة واخبروا ان ملك الافرنجيس توجه الى صور لترتيب اموره ووكل المركيس في قبض ما يخصه . فجهز السلطان رسولا لكشف خبره وعلى يديه هدية له . ونقل خيمته يوم السبت الى تل بازاء شفرعم وراء التل الذي كان عليه ، وما زالت الرسل تتردد حتى أحضر مائة الف دينار والاسارى المطلوبين وصليب الصلبوت ليوصل ذلك الى الافرنج في الاجل المعين .

ووقع الخلف في كيفية التسليم ، فقال السلطان : اسلمه اليكم على ان تطلقوا جميع اصحابنا وتأخذوا بباقي المال قوماً رهائن . فأبوا إلا اخذ الجميع بسرعة ويسلموا ويحلفون للمسلمين على تسليم من عندهم . فقبل لهم : تضمنكم الراوية . فلم يضمنوا . فتعير السلطان وقال : متى سلمنا اليهم من غير احتياط بالشرط كان على الاسلام غبن وعار ، فلو ايقنا بخلاص اصحابنا سمعنا لهم في الحال بصليب الصلبوت والاسارى والمال . ووقف الأمر الى ان مضى الأجل .

وجاء الرسل ورأوا الاسارى قد حضروا والمال موزوناً فظنوا ان صليب الصلبوت قد ارسل الى دار الخلافة فسألوا احضاره لينظروه ، فلما احضر خروا له ساجدين واطمأنوا وظهر للسلطان منهم إمارات القدر .

وفي يوم الاربعاء الحادي والعشرين من رجب أخرج الافرنج الى ظاهر المريج خياماً نصبوها وجلس فيها ملك الانكثير ومعه خلق من جماعته .

(غدر ملك الانكثير وقتل المسلمين المأخوذين بعكا)

وفي عصر يوم الثلاثاء سادس عشري رجب ركب الافرنج بأسرهم وجاؤا

الى المريج الذي بين تل الصياصية وتل كيسان ، فعلم السلطان بذلك فركبت المساكر نحوهم . وكانوا قد احضروا اسارى المسلمين وهم واقفون في الجبال . وحملوا عليهم وقتلوا جميعهم ، فحمل عليهم المسكر وقتل منهم خلقاً كثيراً . وانصرف المدو الى خيامه .

فلما وقع هذا الغدر تصرف السلطان في ذلك المال وأعاد أسارى الافرنج الى دمشق واعاد صليب الصلبوت .

رحيل الافرنج صوب عسقلان

وفي سحر الأحد غرة شعبان عزم الافرنج على التوجه الى عسقلان وساروا . فعلم السلطان بذلك ، وكانت نوبة اليزك في ذلك اليوم للملك الأفضل فوقف في طريقهم وشقت شملهم وارسل يستنجد والده أن يعمده بعسكر حتى يقاتلهم . فاستشار من حضر من عسكره ، ف قيل للسلطان : ان العسكر لم يتأهب للقتال والافرنج قد فاتوا والحرب قائم عند قيسارية وقصده أولى . فصرف السلطان عزمه وتوجه نحو قيسارية ونزل على النهر الذي يجري الى قيسارية ، ونقام هناك واتى مزاراً بأسارى فأمر باراقة دمعهم .

((وقعة قيسارية))

وفي يوم الاثنين تاسع شعبان وصل الخبر للسلطان برحيل الافرنج وانهم سارون في جمع . فركب السلطان ومن معه ، وسار المدو بازائه . وكانت هناك بركة كبيرة مملوءة بالماء والافرنج على عزم ورودها فصددهم عسكر الاسلام عنها وطردوهم ، فولوا مدبرين وانصرفوا نحو الساحل ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب بعد مشقة حصلت لهم من المسلمين ونزل العسكر بعد انقضاء الحرب على البركة ، ثم رحل ونزل على أعلا نهر القصب في اوله وهو الذي نزل المدو في أسفله فقربت المسافة .

وكان شخص من الأمراء اسمه عز الدين ابن المقدم أبصر جماعة من الافرنج مقبلين لكشف حال المسكر فعبر اليهم النهر وقتل منهم عدة وأسر ثلاثة ، فركب الافرنج وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة ، واحضر الاسارى عند السلطان ، ورحل وقت الظهر فاصداً نحو ارسوف ونزل على قرية بقرها ، واقام بها يوم الأربعاء والمدو في مكانه الأول .

اجتماع الملك العادل وملك الانكثير

كان في اليزك علم الدين سليمان بن جندر فراسله العدو ان يتحدث مع الملك العادل . فاجتمعا يوم الخميس فتكلموا في الصلح واتحاد الفتنة ، فقال له الملك العادل : ما الذي تريده ؟ فقال : رد البلاد . فقال العادل : هذا لا سبيل اليه ، واغلظ له في القول . وكان الترجمان بينهما هنفرى بن هنفرى . فلما سمع ملك الانكثير ذلك غضب وتفرقا على غير شيء .

وقعة ارسوف

لما عرف السلطان من اخيه الملك العادل ما جرى بينه وبين ذلك الملعون جمع يوم الجمعة المساكر وسير الثقل وركب . فلما اسفر صباح السبت رابع عشر شعبان ركب العدو على صوب ارسوف فهجم عليهم عسكرا لاسلام واحاط بهم واشتد القتال بينهم فحملوا على اطلاب المسلمين حملة واحدة فاستشهد جماعة من المسلمين ، ثم كر المسكر على الكفار فصدوهم وكسروهم وقتل منهم جماعة ، واسر جماعة . وهرب الافرنج ودخلوا ارسوف ونزلوا قريباً من الماء وبات السلطان تلك الليلة على نهر العوجاء . واقام العدو يوم الأحد في موضعه ، ثم رحل يوم الثلاثاء سائراً الى يافا ، فعارضهم المسكر في طريقهم . ثم رحل السلطان يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ونزل بالرملة واجتمع عنده

الأنفال كلها ، ثم رحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر .

❦ خراب عسقلان ❦

لما نزل السلطان بالرملة أحضر عنده اخاه الملك العادل واكابر الامراء وشاورهم في امر عسقلان . فأشار بعضهم بخرابها للعجز عن حفظها فان الافرنج نزلوا يافا وهي مدينة بين القدس وعسقلان متوسطة ولا سبيل الى حفظ المدينتين إلا بعدد كثير ، وتيقن أنهم اذا وصلوا الى عسقلان تسلموها كما وقع في عكا واقتضى الحال هدمها .

ووصل السلطان الى عسقلان وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان فنقض اسوارها وهدم منازلها . وكانت من احسن المدن واظرفها ، فصارت خراباً دائرة ، وحصل لأهلها مشقة زائدة بهدمها وباعوا امتعتهم بأبخس الأثمان وتشتتوا في البلاد .

❦ فصل ❦

فلما هدمها رحل يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان ونزل على يينا ، ونزل يوم الاربعاء ثالث الشهر بالرملة ، ثم خرج الى لد واشرف عليها وامر باخراجها وخراب قلعة الرمل ، ففعل ذلك . ثم توجه الى بيت المقدس واتاه يوم الخميس ، وخرج منه يوم الاثنين ثامن شهر رمضان بعد الظهر وبات في بيت نوبة . وعاد الى المحيم يوم الثلاثاء ضحوة .

وفي هذا التاريخ خرج ملك الانكثير متكرراً فخرج عليه الكمين وجري قتال عظيم حتى كاد يؤسر الملك وقد اسر منه جماعة .
وجرى يوم الجمعة ثاني عشر الشهر بين اليزكية واهل الكفر وقعة قتل منهم مقدم كبير .

ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل عال عند النطرون وهي قلعة منيعة فهدمها ، واشاع الاقامة هناك ، وأفاض الانعام على المسكر .

ذكر ما تجدد لمملك الانكثير

وصلت رسل ملك الانكثير الى العادل بالمصالحة وترددت الرسل وانتظم الحال على ان العادل يتزوج اخت ملك الانكثير ويحكم العادل في البلاد وتكون المرأة مقيمة بالقدس وبوطن العادل مقدسي الافرنج والراوية والاستبصار ببعض القرى ولا يمكنهم من الحصون ولا يقيم معها في القدس إلا قس ورهبان . فاستدعى العادل جماعة من الاعيان منهم العماد الكاتب وغيره وسألهم في المضي الى السلطان واعلامه بذلك وسؤاله في ذلك .

فحضروا الى السلطان واخبروه بالحال ، فسمح ورضى وذلك في يوم الاثنين تاسع عشري رمضان . وعاد الرسول الى ملك الانكثير .

ثم ان اكابر الافرنج عرضوا ذلك على قسهم فلم يرضوه وخبثوا المرأة وندموها وعنفوها بتزويجها بالمسلم ، فانثنى عزمها عن التزويج وقالت : أزواجه بشرط ان يوافقني على ديني . فأنف العادل من ذلك . واعتذر الملك بامتناع اخته وبطل الاتفاق ، وكان ذلك يوم العيد .

وفي يوم العيد خلع السلطان على اكابره ومد لهم سماًطاً . ونزل السلطان بالرملة ليقرب من العدو . وتواتر الخبر بأن الافرنج على عزم الخروج ، فسار يوم الاثنين سابع شوال وخيم خارج الرملة .

وجاء الخبر ان العدو قد خرج الى بازور ، فتسارع العسكر اليهم وقربوا من خيامهم واحاطوا بهم . فركب الافرنج وحملوا على الناس حملة واحدة فاندفعوا بين ايديهم فاستشهد ثلاثة . وكان السلطان في كل يوم يركب ، ولا يخلو من وقعة يقتل فيها من الكفار .

﴿ وقعة السكين ﴾

وفي ليلة الاربعاء سادس عشر شوال امر السلطان رجال الحلقة المنصورة بأن يكمنوا في جهة عينها . وخرج الافرنج للاحتشاش ، ولقيهم اعراب فتواقعوا معهم وخرج السكين واقتتلوا معهم وقتل جماعة من الكفار ، واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص ، واسر من الافرنج فارسان واحضرا للسلطان ، وانفصل الحرب وقت الظهر .

﴿ اجتماع الملك العادل بملك الانكثير ﴾

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب اليزك لأجل ملك الانكثير ثلاث خيام وجهاز فاكهة وحلوى وطعاماً . وحضر ملك الانكثير وطالت بينهما المحادثة واختلفا عن غير موافقة ، ومضى الملك .

وكان قد وصل صاحب صيدا من صور برسالة المراكيس لطلب الصلح مع السلطان حتى يقوى يده على ملك الانكثير ، وبلغ ذلك ملك الانكثير فوصل رسوله ايضاً بنظير هذا الأمر ، ومضى القول مع صاحب صيدا الى المراكيس على شرائط شرطت عليه . واما مراسلة الملك فلم ينتج منها أمر ، وكلما حصل الاتفاق معه على شيء نقضه ، وكلما قال قولاً رجع عنه فلعمنة الله عليه .

وفي يوم الاحد سابع عشري شوال عاد السلطان الى الخيم بالنظرون . ورحل الافرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة ونزلوا بها ولم يشك انهم على قصد القدس .

وأقام السلطان في كل يوم له سرايا وصار لهم في كل يوم وقعة ، وما يخلو من اسرى تقاد اليه . ثم هجم الشتاء وتوالت الأمطار فعزم على الرحيل .

﴿ رحيل السلطان إلى القدس ﴾

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذي القعدة ركب السلطان والفيث نازل وسار بمن معه حتى وصل الى القدس قبل العصر ونزل بدار الاقساء المجاورة

لكنييسة قمامة ، وشرع في تحصين المدينة ، وصلى يوم الجمعة مستهل ذي الحجة في قبة الصخرة . وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة وصل اليه عسكر من مصر ، وتتابعت المساكر المصرية . ووصل الخبر بنزول الافرنج بالطرون فوق الارجاف في الناس . وجرت يوم الخميس سابع الشهر وقعة قرب بيت نوبة من سرية جهازها السلطان فوقعوا على سرية الافرنج فأسروها وقتلوا ووصلوا بزهاء خمسين أسيراً الى القدس وكانت بشرى عظيمة .

ثم وقعت وقعة اخرى قتل من الكفار ستة واهر اربعة . وصلى السلطان عيد الاضحية بالقدس يوم الاحد وكانت الوقعة بمكة يوم الجمعة لكن لم ير الهلال بالقدس ليلة الخميس . وفي يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة وقعت بالرملة من أميرين أغارا على الافرنج وأخذوا اموالا واغناماً وخيلاً وجمالاً وبغالاً ، وأسرا ممن كان في القافلة ثلاثين واحضروهم للسلطان . واحاط بالافرنج البلاء وكثرت عليهم الفارات فرحلوا وعادوا الى الرملة . وطابت قلوب المسلمين .

(ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القدس)

وصل من الموصل جماعة للعمل في الخندق جهازهم صاحب الموصل صحبة بعض حجابيه وسير معه مالا يفرقه عليهم في رأس كل شهر ، وأقاموا نصف سنة في العمل وامر السلطان بحفر خندق عميق وأنشأ سوراً ، وأحضر من اسرى الافرنج قريباً من الفين ورتبهم في ذلك ، وجدد ابراجاً حربية من باب العمود الى باب المحراب وباب المحراب هو المعروف الآن بباب الخليل . وانفق عليها اموالا جزیلة وبنائها بالأحجار الكبار ، وكان الحجر يقطع من الخندق ويستعمل في بناء السور . وقسم بناء السور على اولاده واخيه العادل وامراته ، وصار يركب كل يوم ويحضر على بنائه .

وكان يحمل الحجر على قربوس سرجه ويخرج الناس لموافقته على حمل الحجر الى موضع البناء ، ويتولى ذلك بنفسه وبجماعة خواصه والامراء ، ويجمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية والأولياء وحواشي المساكن والاتباع وعوام الناس . فبني في اقرب مدة ما يتعذر بناؤه في سنين .

وأرسل السلطان لصاحب الموصل يشكره على تجهيز الرجال لحفر الخندق بمكاتبة الشاه المهاد الكاتب رحمه الله تعالى .

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسائة والسلطان مقيم بالقدس في دار الافسا بجوار قبامة لتقوية البلد وتشييد اسواره ، وجد في عمارة الصخرة المقدسة واكمل السور والخندق وصار في غاية الاتقان ، واطمان اهل الاسلام .

(ذكر الحوادث مع الافرنج)

رحل الافرنج يوم الثلاثاء ثالث المحرم من الرملة الى بلد عسقلان ونزلوا بظاهرها يوم الاربعاء ، وتشاوروا في إعادة عمارتها ، وكان اثنان من الامراء نازلين في بعض اعمالها . فركب ملك الانكثير عصر يوم الخميس فشهد دخاناً على البعد فساق متوجهاً الى تلك الجهة ، فما شعر المسلمون إلا بالكيسة عليهم فلم يزعجوا فانه كان وقت المغرب وهم مجتمعون ولم ير العدو إلا احد القسمين من المسلمين فقصده ، فعرف القسم الآخر هجوم العدو فركبوا الى العدو فدفعوه حتى ركب رفقاؤهم المقصودون واجتمعوا وردوا العدو ، ثم تكاثر الافرنج وتواصلوا ووقعت الوقعة فلم يفقد من المسلمين إلا اربعة ونجا الباقون . وكانت نوبة عظيمة ولكن الله سلم فيها .

وفي يوم الثلاثاء عاشر المحرم ركب السلطان على عادته في نقل الحجارة والعمارة ومعه الملوك والامراء والقضاة والعلماء والصوفية والزهاد والأولياء وخرج

كل من بالبلد وهو قد حمل على سرجه والناس ينقلون معه . ولما دخل الظهر نزل في خيمة بالصحراء ومد السماط ثم صلى الظهر وانصرف الى منزله .

واما سراياه فكانت لا تزال تغير على الكفار ، فمن ذلك : سرية اغارت يوم الاربعاء الحادي عشر من المحرم على يينا وفيها الافرنج فغنمت اثني عشر أسيراً وخيلاً ودواب واثناً كثيراً .

وفي يوم الثلاثاء ثاني صفر اغارت السرية على ظاهر عسقلان وغنمت ثلاثين أسيراً سوى الخيل والبغال .

وفي ليلة الأحد رابع عشر صفر صبحت سرية على يينا وظهرت على قافلة الافرنج فأخذتها بأسرها مع رجالها وبغالها وأحماها . ثم اغارت على يافا فقتلت وفتكت وعادت بالغنيمة والسبايا ، وعجز جماعة من الاسارى عن المشي فضربت اعناقهم ، ووجب ذلك عتق الباقين .

ولما خرج سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر قرر على نفسه قطيمة خمسين الف دينار فأدى منها ثلاثين الفاً وأعطى رهائن على عشرين الفاً ، ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر . فقام اليه واعتنقه وتلقاه واقطعه نابلس واعمالها وعاش الى آخر شوال من هذه السنة وتوفي رحمه الله فعين السلطان ثلث نابلس واعمالها لمصالح البيت المقدس وعمارة سورته وأبقى باقيا لولده .

(هلاك المركيس بصور)

أضافه الأسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر فأكل وخرج وركب فوثب عليه رجлан وقتلاه بالسكاكين فأمسكا ومثلا من هو الأمر السكا بقتله ؟ فقالا : ملك الانكثير ، فقتلا شر قتلة .

ولما هلك المراكيس تحكّم ملك الانكثير في صور وولاه الكندهري وارسل الملك يطلب من السلطان نصف البلاد سوى القدس فانه يبق للمسلمين بمدينته وقلعته سوى كنيسهم قلعة . فأبى السلطان ولم يرض .

(استيلاء الإفرنج على قلعة الداروم)

وقلعة الداروم هذه على حد مصر خلف غزة وكانت منها مضرة كبيرة ، فلما شرع الإفرنج في عمارة عسقلان ترددوا اليها مراراً ، ثم نزلت الإفرنج عليها واشتد زحفهم اليها عشية السبت تاسع جادى الاولى بعد ان تقبوها ، وطلب اهلها الأمان فام يؤمنوا . ولما عرف الوالي بها انهم مأخوذون عمد الى الخيل والجمال والدواب فمرقبا والى الدخائر فأحرقها . وفتحوها بالسيف وقتلوا من بها واسروا منهم عدة يسيرة . وكانت نوبة كبيرة على الاسلام .

ثم رحل الإفرنج عنها ونزلوا على ماء يقال له الحسي يوم الخميس رابع عشر الشهر . ثم تركوا خيامهم وباروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الجبان ، فخرج عليهم المسلمون وقتلوهم قتالا شديداً ، وقتل منهم خلق كثير وانهمزوا .

ثم رحلوا من الحسي يوم الأحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين فبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبريل ، فتقدم السلطان الى المساكن بمبارزتهم . وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا بتل الصافية . ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنظرون ، فأرجف بقصدهم القدس . ثم ضربوا خيامهم يوم الاربعاء على بيت نوبة .

وأظهر السلطان الاقامة بالقدس ، وفرق الامراء على الابراج ، وجرت وقعات وكبسات .

وفي يوم السبت نزل الناس اليهم وقتلوهم في خيامهم . وركب العدو وساق الى قلونية وهي ضيعة من القدس على فرسخين وعاد منهزماً .

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة خرج كمين في طريق يافا على قافلة
أخذوها وأسروا من فيها .

(كبسة الإفرنج على عسكر مصر الواصل)

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله ويدعوه منجدة لأهل القدس
فغضب خيامه على بلبس مدة حتى اجتمعوا وانضم اليهم التجار فافترسوا بكثرتهم
والعدو منتظر قدومهم . وجاء الخبر للسلطان ليلة الاثنين تاسع جمادى الآخرة ان
ملك الانكثير ركب في جمع كبير وسار عصر يوم الأحد . فجرد السلطان أميراً
وجاءة لتلقي الواصل وأمرهم بأن يأخذوا بالناس في طريق البرية ، فعبروا على ماء
الحسي قبل وصول العدو اليه .

وكان مقدم العسكر المصري فلك الدين اخو العادل فلم يسأل عن المنزلة
وقصد الطريق الأقرب وترك الاحمال على طريق اخرى ونزل على ماء يعرف
بالخويلفة ونادى تلك الليلة انه لا رحيل الى الصباح وناموا مطمئنين فصبحهم العدو
عند انشقاق الصبح في الغاس ، فلما بغتهم ركب كل منهم على وجهه ، وفيهم من
ركب بغير عدة وانهمزوا وتركوا العدو وراءهم . فوقع العدو في امتعتهم وتفرق
العسكر في البرية ، فمنهم من رجع الى مصر ومنهم من توجه على طريق الكرك .
فأخذ الكفار من الجبال والاحمال ما لا يمد ولا يحصى ، وكانت نكبة عظيمة .
ووصل الجند مسلوين منكوبين ، فسلامهم السلطان ووعدهم بكل جميل . واشتغل
الكفار بالمال عن القتل والقتال .

(رحيل ملك الانكثير صوب عكا مظهرأ انه على قصد بيروت)

لما تمعذر على الافرنج قصد القدس ورأوا ان بيروت فرع منهم وقطم عليهم
طريق البحر فقالوا : هذا البلد اخذه هين ، واذا قصدناه جاء السلطان وعسكره الينا
وخلا القدس ، فنبادر اليه من يافا وعسقلان وعلمكه . فلما عرف السلطان ما عزموا

عليه أمر ولده الملك الأفضل بمبادرتهم في الرحيل وسبقهم الى مرج عيون حتى اذا تيقن قصدهم سبقت المساكر الى بيروت ودخلتها . وكتب السلطان الى المساكر الواصلة الى دمشق ان يكونوا مع ولده . فنزل بمرج عيون والافرنج بمسكا لم تخرج منها .

{ نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها }

لما رحل ملك الانكثير وترك في مدينتي يافا وعسقلان جمعا من المسكر انتهز السلطان الفرصة لغيبته ونهض بمسكركه الحاضر ونزل على يافا وحصرها ورماتها بالمناجيق وزحف عليها ، وهجم على المدينة وقتل من بها ، ووجدت الاحمال المأخوذة من قافلة مصر فاخذت ، وامتلات البلد من المسلمين وبقيت القلعة وطالب اهلها الايمان ويسلمونها ، وكان قرب الاستيلاء عليها . فلما طلبوا الايمان كف الناس عنها ، فخرج البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين والاكابر على ان يدخلوا تحت طاعة السلطان ويسلموا المال والذخائر حتى دخل الليل فاستمهلوا الى الصباح وطلبوا من يحفظهم من المسلمين .

وما زال يخرج من يستدعي زيادة التوثقة حتى وصل ملك الانكثير في البحر في مراكب في الليل ودخل القلعة من الجانب البحرى ، ونادوا بشعار الكفر فاكتفى منهم بمن أسر ، وندم المسلمون على ما وقع من الايمان . ولو ان السلطان توقف في تأمينهم لآخذت القلعة ، وكان ذلك فتحا عظيما . واخذ المسلمون من الاموال والفنائم ما لا يحصى ، واستمادوا من الكفار ما نهبوه من الكيسة المصرية ، وقتل من اقام بالبلد واسر ، وحصل في ايدي المسلمين من مقدمي القلعة نيف وسبعون . وكان القصد في الأول رجوع الكفار عن قصد بيروت وضعف الافرنج من هذه الواقعة . وعاد السلطان وخيم على النظرون ، واقام السلطان حتى تكاملت المساكر . ورحل السلطان ونزل بالرملة وقد اجتمع المساكر من سائر البلاد وقوى واشتد

عزم المسلمين وحصل لهم السرور بفتح يافا واخذ ما فيها ، وتباشروا بالنصر
وخذلان العدو .

{ الهدنة العامة }

لما عرف ملك الانكثير اجتماع المساكر واتساع الخرق عليه وان القدس
قد امتنع اخذه قصر عما كان فيه وخضع واطهر انه لم يهادن السلطان ، واقام
وجد في القتال ، ثم طلب المهادنة وكاتب الملك العادل يسأله الدخول على
السلطان في الصلح . فلم يجب السلطان لذلك ، وأحضر السلطان الأمراء
وشاورهم وقال لهم : نحن بحمد الله في قوة وقد ألقنا الجهاد وما لنا شغل
إلا العدو ، وحرصهم على التثبيت والتصميم وحثهم على الجهاد . فقالوا له : رأيك
سديد والتوفيق في كل ما تريد ، غير ان البلاد تشعث وقلت الأقوات واذا حصلت
الهدنة في مدتها نستريح ونستعد للحرب والصواب القبول عملا بقول الله عز وجل :
(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) وتعود البلاد الى العمارة واستيطان اهلها وتكثر في مدة
الهدنة الغلة ، واذا عادت ايام الحرب عدنا . وما زالوا بالسلطان حتى رضى وأجاب .
ثم حصل الصلح والمهادنة بين السلطان وبين الافرنج بشفاعة جماعة من
أعيان جماعة السلطان ، وعقد الهدنة عامة في البحر والبر وجعل مدتها ثلاث سنين
وثمانية اشهر اولها يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمس مائة
الموافق لأول ايلول وحسبوا ان وقت الانقضاء يوافق وصولهم من البحر ، واستقر
أمر الهدنة وتحالفوا على ذلك . ولم يحلف ملك الانكثير بل اخذوا يده وعاهدود
واعتذر بأن الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك . وحلف الكنديهري ابن
اخته وخليفته في الساحل ، وحلف غيره من عظماء الافرنج . ووصل ابن الهنفرى
وما لبث الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين واخذوا يد السلطان على الصلح
واستحلفوا الملك العادل أخا السلطان ، والمسكين الأفضل والظاهر ابني السلطان

والملك المنصور صاحب حماء محمد بن تقي الدين عمرو الملك المجاهد شير كوه صاحب حصن حمص ، والملك الأجد بهرام شاه صاحب بعلبك ، والأمير بدر الدين ولدردم البارقي صاحب تل باشر ، والأمير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب سرمين ، والأمير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار .

وكانت الهدنة على ان يستقر بيد الافرنج من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور وان تكون عسقلان خراباً ، واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلية في عقد هدنته ، واشترط الافرنج دخول انطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم وان تكون لد والرمة مناصفة بينهم وبين المسلمين .

فاستقرت المعاهدة على ذلك وحضر العماد الكاتب لانشاء عقد الهدنة وكتبها ونادى المنادي بانتظام الصلح وان البلاد النصرانية والاسلامية واحدة في الأمن والمسألة فمن شاء من كل طائفة يترددوا الى بلاد الطائفة الاخرى من غير خوف ولا محذور .

وكان يوماً مشهوداً قال الطائفتان فيه من المسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى وكان ذلك مصلحة في علم الله تعالى لأنه اتفقت وفاة السلطان بعد الصلح بيسير فلو اتفق ذلك في اثناء وفاته كان الاسلام على خطر .

((ذكر ما جرى بعد الصلح))

عاد السلطان الى القدس واشتغل في اكمال السور والخندق ، وفسح للافرنج كافة في زيارة قمامة فجاؤا وزاروا وقالوا انما كنا نقاتل على هذا الأمر . وكان ملك الانكثير ارسل للسلطان يسأله منع الافرنج من الزيارة إلا من وصل معه كتابه او رسوله ، وقصد بذلك ربوعهم الى بلادهم بحسرة الزيارة ليشدد حنقهم على الجهاد والقتال اذا عادوا . فاعتذر السلطان اليه بوقوع الصلح والهدنة وقال له : انت أولى بردهم وردعهم فانهم اذا جاؤا لزيارة كنيسهم ما يليق بنا ردهم .

ومرض ملك الانكثير وركب البحر وأقلع وسلم الأمر الى الكندهرى ابن اخته من امه وهو ابن اخت ملك افرنيس من ابيه .
وعزم السلطان على الحج وصمم عليه ، وكتب الى مصر واليمن بذلك .
فما زال الجماعة به حتى انشئ عزمه ، فشرع في ترتيب قاعدة القدس في الولاية والعمارة
وكان الوالي بالقدس حسام الدين شاروخ وهو تركي وفيه دين وخير ، وكان
قد أحسن السيرة ، وفوض ولاية القدس الى عز الدين جرد بك وكان أميراً معترفاً
شجاعاً ، وولى علم الدين قنصو اعمال الخليل وعسقلان وغزة والداروم وما وراءها
وسأل الصوفية عن احوالهم ، وزاد في اوقاف المدرسة الصلاحية والختاف ، وجعل
الكنيسة المجاورة لدار الاستبارية بقرب قمامة يمارستان للمرضى ووقف عليه
مواضع ووضع فيه ما يحتاج من الأدوية والعقاقير ، وفوض النظر والقضاء في هذا
الوقف الى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المشهور بابن شداد
لعلمه بكفاءته .

((رحيل السلطان الى دمشق))

وخرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال ونزل على نابلس
ضحوة يوم الجمعة ، فشكى اهلها على صاحبها سيف الدين علي المشطوب انه ظلمهم
فأقام السلطان بها الى ظهر يوم السبت حتى كشف ظلامتهم ، ورحل بعد الظهر واصبح
على جينين ، ثم رحل الى بيسان ، ثم الى قلعة كوكب ، ثم سار ونزل بظاهر طبرية
واقية هناك بهاء الدين قراقوش وقد اخرج من الاسر ، ثم رحل ونزل بقرب قلعة
صفد تحت الجبل وصعد السلطان اليها وأمر بعمارها ، ثم سار الى ان خيم على مرج
تبين وتفقد احوالها وأمر بعمارة قلعها ، ثم سار ونزل على عين الذهب ، ورحل
وخيم بمرج عيون ، ثم سار وعبر من عمل صيدا . وكلما نزل في مكان يدبر أمره
ويرتب احواله ويأمر بعمارته ، الى ان وصل بيروت فتلقاه واليها عز الدين اسامة
وقدم للسلطان ولا ركان دولته الهدايا والتحف النفيسة .

﴿ وصول الإبرنس صاحب انطاكية ﴾

لما اراد السلطان الرحيل من بيروت في يوم السبت الخادي والعشرين من شوال قيل له : ان الابرنس الانطاكي قد وصل الى الخدمة . فأقام السلطان واذن للابرنس في الدخول عليه . فلما تمثل بين يديه أكرمه واطهر البشاشة وسكن روعه ، وكان معه من مقدمي فرسانه اربعة عشر باروشا . وخلق عليه وعليهم وأجزل لهم العطاء ، وودعه يوم الأحد وفارقه وهو مسرور محبوب .

﴿ وصول السلطان الى دمشق ﴾

لما خرج السلطان من بيروت يوم الأحد بات بالمخيم على البقاع ، ثم سار ووصل اليه اعيان دمشق لتلاقيه ، وجاءه فواكه دمشق واطايبها واصبح يوم الاربعاء فدخل دمشق لحس بقين من شوال سنة ثمان وثمانين وخسمائة . وزينت البلد وخرج كل من في المدينة ، وفرح الناس به . وكانت غيبة السلطان عن دمشق أربع سنين في الجهاد . فحصل لهم الفرح والسرور ، وكان يوماً مشهوداً لدخوله .

وجلس السلطان في دار العدل ، ونظر في احوال الرعية وازال المظالم ، وأقام بهاء الدين قراقوش الى أن خلص اصحابه من الأسر ثم توجه الى مصر . واطمأن الناس في اوطانهم ، وخرجت السنة والأمر على ذلك .

ودخلت سنة تسم وثمانين وخسمائة والسلطان مقيم بدمشق في داره ورسل الأمصار واردون عليه وهو يجلس كل يوم وليلة بين اخصائه ويجالسه العلماء والفضلاء والظرفاء والادباء ، وسار الى الصيد شرقي دمشق وصحبته الملك المعادل ثم عاد يوم الاثنين حادي عشر صفر ، ووافق عود الحاج الشامي فخرج لتلقيه . فلما رآه فاضت عيناه لفوات الحج وسألهم عن احوال مكة وأميرها ، وسرّ بسلامة

الحاج . ووصل اليه من اليمن ولد أخيه سيف الاسلام فتلقاه واكرمه ، وتوجه الملك العادل الى الكرك .

﴿ ذكر وفاة السلطان رحمة الله عليه ﴾

جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلسه على عادته وحوله خواصه منهم العماد الكاتب حتى مضى من الليل ثلثه وهو يتحدثهم ويحدثونه ، ثم صلى وانصرفوا . فلما بات لحقه كسل عظيم وغشيه نصف الليل حمى صغراوية . واصبحوا يوم السبت وجلسوا في الايوان لانتظاره ، فخرج بعض الخدام وأمر الملك الأفضل ان يجلس موضعه على السباط . وتطير الناس من تلك الحال ودخلوا اليه ليلة الأحد لعيادته . واخذ المرض في التزايد وحدث به في السابيع رعشة وغاب ذهنه ، واشتد الارجاف في البلد ، وغشي الناس من الحزن والبكاء عليه ما لا يمكن شرحه . واشتد به المرض ليلة الثاني عشر من مرضه فتوفي رحمه الله تعالى صبيح تلك الليلة وهي المسفرة عن نهار الاربعاء السابع والعشرين من شهر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بعد صلاة الصبح . وغسله الفقيه ضياء الدين ابو القاسم عبد الملك بن يزيد الدولقي الشافعي خطيب جامع دمشق ، واخرج بعد صلاة الظهر من نهار الاربعاء في تابوت مسجى بشوب ، وجميع ما احتاج اليه في تكفينه أحضره القاضي الفاضل من جهة حل عرفه ، وصلى عليه الناس . وكثر عليه التأسف من الخلق واشتد حزنهم لفراقه . ودفن في قلعة دمشق في الدار التي كان مريضاً فيها ، وكان نزوله الى قبره وقت صلاة العصر .

وكان يوم موته لم يصب الاسلام بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وغشى القلعة والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله .

قال العماد الكاتب : مات بموت السلطان رجاء الرجال ، وفات بفواته الاتصال وفاضت الأيادي ، وفاضت الأعادي ، وانقطعت الارزاق ، وادهمت الآفاق ، فجعم

الزمان بواحدته وسلطانه ، ورزى الاسلام بمشيد اركانه .
وأرسل الملك الأفضل الكتب ب وفاة والده الى اخيه العزيز عثمان بمصر والى
اخيه الظاهر الغازي بحلب والى عمه الملك العادل بالكرك .

ثم ان الملك الأفضل عمل لوالده تربة بالقرب من الجامع الأموي - وكانت
داراً لرجل صالح - ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة
ومشى الأفضل بين يدي تابوته ، واخرج من باب القلعة على دار الحديث الى باب
البريد ، وادخل الى الجامع ووضع قدام الستر ، وصلى عليه القاضي محيي الدين بن
القاضي زكي الدين بالجامع الأموي ، ثم دفن . وجلس ابنه الملك الأفضل
في الجامع ثلاثة ايام للعزاء .

وأنفقت ست الشام بذت ايوب اخت السلطان في هذه النوبة اموالا عظيمة .
وكان عمر السلطان حين وفاته قريباً من سبع وخمسين سنة ، لأن مولده
بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة لما كان عمه وابوه بها ، وكان
خروجهم منها في الليلة التي ولد فيها فتشاءموا به وتطيروا منه فقال بعضهم : لعل
فيه الخيرة وما تعلمون . فكان كما قال .

واتفق اهل التاريخ على ان اياه وامه من دوين - بضم الدال المهملة وكسر
الواو وسكون الياء المشناة من تحتها وبعدها نون - وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان
وانهم اكراد روادية ، ولم يزل صلاح الدين تحت كنف ابيه حتى ترعرع ، ولما
ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي دمشق لازم نجم الدين ايوب خدمته
وكذلك ولده الملك صلاح الدين ، ولم تزل مخائل السعادة عليه لائمة والنجاة
له ملازمة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ، ومنه تعلم
صلاح الدين طريق الخير وفعل المعروف والجهاد الى ان كان من تقدير الله ماسبق
شرحه من أمر سلطنته وسيرته .

وكانت مدة ملكه بالديار المصرية نحو اربع وعشرين سنة ، وملك الشام

قريباً من سبع عشرة سنة ، وهو أول الملوك بالديار المصرية بعد انقراض الدولة الفاطمية . قال العيني : وهو أول من لقب بالسلطان . والذي يظهر : ان مراده أول من لقب بالسلطان : من ملوك مصر والله أعلم ، فاني رأيت في التواريخ من لقب بالسلطان من ملوك العراق قبل الملك صلاح الدين .

وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وابنة صغيرة ، ولم يخلف في خزائنه سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهماً ناصرية . وهذا من رجل له الديار المصرية والشام وبلاد المشرق واليمن دليل قاطع على فرط كرمه . ولم يخلف داراً ولا عقاراً ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به وكانت مجالسه منزهة عن الهزل والهزل ، ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى إلا في جماعة وكان شافعي المذهب يكثر من سماع الحديث النبوي وقرأ مختصراً في الفقه تصنيف سليم الرازي وكان اذا عزم على امر توكل على الله ، وكان حسن الخلق صبوراً على ما يسكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه ، وكان يوماً جالساً فرمى بعض المماليك بعضاً بسر موزة فأخطأته ووصلت الى السلطان فأخطأته ووقعت بالقرب منه ، فألقت الى الجهة الأخرى ليتغافل عنها . وكان طاهر المجلس فلا يذكر أحد في مجلسه إلا بخير ، وطاهر اللسان فلا يبولع بشتم قط .

وقد أخبرت ان الدعاه عند قبره مستجاب ، وكذلك عند قبر الملك العادل نور الدين الشهيد رحمة الله تعالى عليهما .

وقد رثى الملك صلاح الدين الشعراء واكثروا فيه ، ومن احسن المراثي مرثية العماد الكاتب وهي مائتان واثنان وثلاثون بيتاً فمناها :

شمل الهدى والملك عم شتاته	والدهر ساء وأقلعت حسناته
بالله أين الناصر الملك الذي	له خالصة صفت نياته
أين الذي ما زال سلطاناً لنا	يرجى نداءه وتتقى سطواته

اغلال اعناق المدي اسيافه
 من في الجهاد صفاحه ما اعمدت
 من في صدور الكفر صدر قناته
 ألف المناعب في الجهاد فلم يكن
 مسعودة غدواته محمودة
 في نصره الاسلام يسهر دائماً
 لا تحسبوه مات شخص واحد
 ملك عن الاسلام كان محامياً
 قد اظلمت مذ غاب عنها نوره
 دفن السماح فليس ينشر بعدما
 الدين بعد ابي المظفر يوسف
 بحر خلا من وارديه ولم تزل
 من للبتاني والارامل راحم
 فعلى صلاح الدين يوسف دائماً
 من للشغور وقد عداها حفظه
 بكت الصوامر والصواهل اذخلت
 يا وحشة الاسلام يوم تمكنت
 ما كان اسرع عصره لما انفضى
 لم أنس يوم السبت وهو لما به
 والبشر منه تبلجت انواره
 ونقول لله المهيمن حكمة
 هذي مناشير الممالك تقضي
 قد عاد زرعك في الربيع بجمعها

اطواق اجياد الوري مناته
 بالنصر حتى اعمدت صفحاته
 حتى توارت بالصفاح قناته
 مذ عاش قط لذاته لذاته
 روحاته ميمونة ضحواته
 ليطول في روض الجنان سناته
 فمات كل العالمين مماته
 ابدأ الى ان اسلمته حماته
 لما خلت من بدره داراته
 ووري الى يوم النشور رقاته
 أقوت قواه وأقوت ساحاته
 محفوفة بوفوده خفاته
 متمطف منضوذة صدقاته
 رضوان رب العرش بل صلواته
 من للجهاد ولم تعد عاداته
 من سلها وركوبها غزواته
 في كل قلب مؤمن روعاته
 فكأنما سنواته ساعاته
 يبيدي السبات وقد بدت غشياته
 والوجه منه تلالأت سبحاته
 في مرضة حصلت بها مرضاته
 توقيمه فيها فأين دواته
 هذا الربيع وقد دنا ميقاته

والجند في الديوان جدد عرضه وإذا أمرت تجددت ثقاته
والقدس طامحة اليك عيونه عجل فقد طمحت اليه عداته
والغرب منتظر طلوعك نحوه حتى تفيء إلى هداك بغاته
والشرق يرجو عز عزمك راضياً في ملكه حتى تطين عساته
مغرى بإسداء الجليل كأنما فرضت عليه كالصلاة صلاته
هل للملوك مضائوه في موقف شدت على أعدائه شداته
كم جاءه التوفيق في وقعاته من كان بالتوفيق توقيعاته
ياراغباً في الدين حين تمكنت منه الذئاب وأسلمته رعاته
فارقت ملكاً غير باق متعباً ووصلت ملكاً باقياً راحته
أبني صلاح الدين ان أباكم ما زال يابى ما الكرام أباته
لا تقتصدوا إلا بسنة فضله ليطيب في مهد النعيم سباته
وردوا موارد عدله وسماحه لترد عن نهج الشمات شماته

﴿ ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة الملك صلاح الدين ﴾
تغمده الله برحمته

واستقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها الملك الأفضل نور الدين
أبو الحسن علي أكبر أولاد السلطان بهمد من أبيه
وبالديار المصرية الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان . وبحلب الملك
الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازي . وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك
العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب أخو السلطان . وبحماء وسلمية والمرة ومنبج
الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .
وبمطبك الملك الأجد مجد الدين بهرام شاه ابن فرخ شاه ابن شاهنشاه بن أيوب .
وبحمص والرحبة وتدمر الملك المجاهد شير كوه بن محمد شير كوه ابن شادي .

ويبد الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين بصرى وهو في خدمة
اخيه الملك الأفضل .

ويبد الملك الزاهر مجير الدين داود ابن السلطان صلاح الدين البيرة واعمالها .
واستقر اقليم اليمن للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اخي السلطان .
ولم يزل الملك الأفضل بالشام والمملك العزيز بمصر الى ان وقع الخلف بينهما
وجرى بينهما وقائم يطول شرحها .

تم في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة اتفاق الملك العادل وابن اخيه الملك
العزيز على ان يأخذا دمشق وان يسلمها العزيز الى العادل لتكون الخطبة والسكة
للعزيز كسائر البلاد كما كانت لأبيه .

فخرجا وسارا من مصر الى دمشق واخذها في يوم الاربعاء السادس والعشرين
من رجب من هذه السنة . وكان الملك الظافر خضر صاحب بصرى مع اخيه الملك
الأفضل معاضداً له فاخذت منه بصرى فلحق بأخيه الملك الظاهر فأقام عنده بحلب
واعطي الملك الأفضل صرخد فسار اليها بأهله وامتنوطنها .

وسلم العزيز دمشق لعمه العادل على حكم ما وقع عليه الاتفاق . ورحل العزيز
من دمشق يوم الاثنين تاسع شعبان .

فكانت مدة الأفضل بدمشق ثلاث سنين واشهرآ ، وكانت ولادته يوم
الفرط وقت المص سنة خمس وستين وخمسمائة بالقاهرة ووالده يومئذ وزير المصريين
وتوفي في صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة فجأة بسميساط ونقل الى حلب ودفن
بترتبه بظاهرها .

واما العزيز عثمان فاستقر بمصر وفي ايامه في شهور سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
وصل جم عظيم من الافرنج الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت ، وسار الملك
العادل ونزل بتل المجول واته النجدة من مصر ووصل اليه سنقر الكبير صاحب
القدس وميمون القصرى صاحب بلبيس .

ثم سار الملك العادل إلى يافا وهجمها بالسيف وملسها وقتل الرجال المقاتلة وكان هذا الفتح ثالث فتح لها . ونازلت الإفرنج تبنين فأرسل الملك العادل إلى الملك العزيز صاحب مصر ، فسار بنفسه بمن بقي معه من عساكر مصر فاجتمع بيمه الملك العادل على تبنين ، فرحل الإفرنج على أعقابهم إلى صور .

وعاد العزيز إلى مصر وترك غالب المسكر مع العادل وجعل إليه امر الجزية والصلح . ومات في هذه المدة منقر الكبير ، فجعل الملك العادل أمر القدس إلى صارم الدين قتلو مملوك عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن ايوب .

وتوفي الملك العزيز صاحب مصر في ليلة الاربعاء الحادية والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وكانت مدة ملكه ست سنين إلا اشهرأ ، وكان عمره سبعا وعشرين سنة واشهرأ ، وكان حسن السيرة رحمه الله .

ثم استقر بعده في السلطنة والده الملك المنصور محمد ، وعمره تسع سنين . فتشاور الامراء واتفقوا على احضار الملك الأفضل من صرخد ليقوم بالملك . فسار عثا ووصل إلى مصر على انه اتابك ملك المنصور . فخرج المنصور للقائه فترجل له الأفضل ودخل بين يديه إلى دار الوزارة وكانت مقر السلطنة .

ثم برز الأفضل من مصر وسار إلى الشام لبأخذها ، لاشتغال عمه الملك العادل بحصار ماردن . فبلغ العادل ذلك فسار إلى دمشق ودخلها قبل نزول الأفضل عليها ، وحصل بينهما قتال .

ثم سار الأفضل إلى مصر ، فخرج الملك العادل في أثره ، فخرج إليه الأفضل واقتتلا فانكسر الأفضل وانهزم إلى القاهرة . ونزل العادل القاهرة وتسلمها ودخل إليها في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة .

ثم سار الأفضل إلى صرخد ، وأقام العادل بمصر على انه اتابك الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان مدة يسيرة . ثم ازال الملك المنصور واستقر الملك العادل في السلطنة ، وخطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال

سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وخطب له ابن اخيه الملك الظاهر بحجاب وضرب
السكة باسمه ، وانتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك
ملكه ، وخطب له علي منابرها .

وفي الشهر الذي دخل فيه العادل القاهرة توفي القاضي الفاضل ابو علي عبد الرحيم
ابن القاضي الأشرف بهاء الدين ابي المجد علي اللخمي العسقلاني الشافعي الملقب
بمحير الدين وزير السلطان صلاح الدين ، وكان إماماً في صناعة الانشاء وسيرته
مشهورة وكانت وفاته في ليلة الاربعاء سابع عشر وقيل : سادس عشر ربيع الآخر
سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة فجأة . ودفن بترتبه بسفح المقطم في الفراصة
الصغرى رحمه الله وله نحو سبعين سنة . وأرخ السبكي مولده في منتصف جمادى
الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وتوفي العماد الكاتب هو ابو عبد الله محمد بن صفي الدين الاصفهاني الشافعي
الذي كان في خدمة الملك صلاح الدين ، له (النسخ القسي في الفتح القدسي)
كله رجز مسجع ، وهو من كتب الدنيا لما فيه من البلاغة والصناعة ووفاته في ثاني
جمادى الآخرة وقيل في شعبان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وله نحو تسعين سنة .
وكان بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات ومحاورات لطيفة ، فمن ذلك
ما يحكى عنه : انه لقيه يوماً وهو راكب علي فرس فقال له العماد : سر فلا كبا
بك الفرس .

فقال له الفاضل : دام علا العماد . وهذا مما يقرأ مقلوباً ومستقيماً بالسواء .
وكانت وفاة العماد بدمشق ودفن في مقابر الصوفية رحمه الله .

وفي سنة ستماية كانت الملك العادل بدمشق واجتمع الافرنج لقصد
بيت المقدس ، فخرج السلطان الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور
في قبالة الافرنج بالقرب من نابلس ، ودام ذلك الى آخر السنة .
ثم دخلت سنة احدى وستماية فيها كانت الهدنة بين الملك العادل والافرنج

وسلم الى الافرنج يافا ، ونزل عن مناصفة لد والرملة ، ثم سار الى مصر .
ثم في سنة ثلاث وستمائة سار الملك العادل من مصر الى الشام ونازل في طريقه
عكا ، فصالحه اهلها على اطلاق جميع من بها من الاسرى ، ثم سار الى طرابلس
وحصرها ورحل عنها .

ثم في سنة اربع وستمائة وقمت الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس ، وعاد
العادل الى دمشق .

ولما كان بتاريخ سنة اربع عشرة وستمائة والمملك العادل بالديار المصرية
اجتمع الافرنج في داخل البحر ووصلوا الى عكا في جمع عظيم ، فلما بلغ الملك
العادل ذلك خرج بمساكر مصر وسار حتى نزل على نابلس . فسار الافرنج اليه
ولم يكن معه من المساكر ما يقدر به على ملتقاهم فاندفع قدامهم فأغاروا على بلاد
المسلمين ووصلت غارتهم الى نوى من بلد السواد ونهبوا ما بين يديسان ونابلس
ومشوا سراياهم فقتلوا واسروا وغنموا من المسلمين ما يفوق الحصر وعادوا الى مرج
عكا . وكانت مدة هذا النهب ما بين منتصف رمضان وعيد الفطر . وافقضت السنة
والافرنج بجمعهم في عكا .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة والمملك العادل بمرج الصقر وجوع الافرنج
بمرج عكا ، ثم ساروا منها الى الديار المصرية ونزلوا على دمياط .

وسار الملك الكامل بن العادل من مصر ونزل قبالهم ، واستمر الحال على
ذلك اربعة اشهر . وأرسل العادل المسكر الذي عنده الى ابنه الملك الكامل . فلما
اجتمعت المساكر اخذ في قتال الافرنج ودفعهم عن دمياط .

ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر الى عالقين - قرية ظاهر دمشق - فنزل بها
ومرض واشتد مرضه ، وتوفي هناك رحمه الله في سابع جمادى الآخرة سنة خمس
عشرة وستمائة . وكان مواده سنة اربعين وخمسمائة ، فكان عمره خمسا وسبعين سنة
وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثا وعشرين سنة ، ولمصر نحو تسعة عشرة سنة .

وكان رحمه الله حازماً مستيقظاً غزير العقل شديد الآراء ذا مكر وخديعة حليماً صبوراً ، وافته السعادة واتسع ملكه وكثرت اولاده وخلف ستة عشر ولداً ذكراً غير البنات ، ولم يكن احد من اولاده حاضراً عنده ، فحضر اليه ابنه الملك المعظم عيسى وكان بنابلس فكنم موته واخذه ميتاً في محفة وعاد به الى دمشق واحتوى على جميع ما كان مع ابيه من الجواهر والسلاح ، فلما وصل الى دمشق حلف الناس واظهر موت ابيه ، وكتب الى الملوك من اخوته وغيرهم يخبرهم بموته . واستقر بعده في السلطنة بالديار المصرية ولده الملك الكامل ابو المعالي محمد واستقر في الشام اخوه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر ، وكانت مملكته من حدود بلد حمص الى العريش يدخل في مملكته بلاد السواحل الاسلامية وبلاد النور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد وغير ذلك .

﴿ تخريب اسوار بيت المقدس ﴾

لما توفي الملك العادل عاد الافرنج لجهة القاهرة وملكوا دمياط وجموها في عاشر رمضان سنة ست عشرة وستائة واسروا منها وجعلوا الجامع كنيسة واشتد طمعهم في الديار المصرية .

فلما رأى الملك المعظم عيسى ذلك خشي ان يقصدوا القدس فلا يقدر على منهم فأرسل الحجارين والنقابين وشرعوا في تخريبه في سنة ست عشرة وستائة فخرّب أسواره وكانت قد حصنت الى الغاية .

وانتقل منه عالم عظيم ، وهرب اهله منه خوفاً من الافرنج ان تهجم عليهم ليلاً او نهاراً وتركوا اموالهم واتقاهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق ، حتى قيل : انه يعم القنطار الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم ، وضج الناس وابتهلوا الى الله تعالى عند الصخرة وفي الأقصى .

وكان الملك المعظم عالماً فاضلاً وكان حنفياً متعصباً لمذهبه ، وخالف جميع اهل بيته فانهم كانوا شافعية . وله بالقدس مدرسة الحنفية عند باب المسجد الأقصى المعروف الآن بباب الدويدارية ، وبنى على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكاناً يسمى النحوية للاشتغال بعلم العربية ، ووقف على ذلك اوقافاً حسنة .

وفي ايامه جددت عمارة القناطر التي على درج الصخرة القبلي عند قبة الطومار وغير ذلك بالمسجد الأقصى ، وغاب الابواب الخشب المركبة على ابواب المسجد عملت في ايامه واسمه مكتوب عليها ، وعمر مسجد الخليل عليه السلام ووقف عليه قريتي دورا وكفربريك . ولما غاب عن القدس كتب اليه بعض اصدقائه .

غبت عن القدس فأوحشته لما غدا باسمك مأنوسا

وكيف لا تلحقه وحشة وأنت روح القدس يا عيسى

وفي سنة سبع عشرة وستائة فتح الملك المعظم قيسارية وهدمها .

وفي سنة ثمانى عشرة قوى طمع الافرنج المتسلكين دمياط في ملك الديار المصرية وتقدموا عن دمياط الى جهة مصر ، ووصلوا الى المنصورة . واشتد القتال بين الفريقين براً وبحراً ، وكتب السلطان الملك الكامل متواترة الى اخوته واهل بيته يستحثهم على انجاده .

فسار الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بمسكره ، واخوه الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب البلاد الشرقية بمساكره ، واستصحب عسكر حلب ، والملك الناصر قليج ارسلان صاحب حماه ، وصاحب بعلبك الملك الأبعد بهرام شاه وصاحب حمص اسد الدين شيركوه ، ووصلوا الى الملك الكامل وهو في قتال الافرنج على المنصورة فركب والتقى مع اخوته ومن في صحبتهم من الملوك وأكرمهم فقيوت نفوس المسلمين وضعفت نفوس الافرنج لما شاهدوه من كثرة المساكر الاسلامية وتجمعهم .

واشتد القتال بين الفريقين ، ورسل الملك الكامل واخوته مترددة الى الافرنج

في الصلح ، وبذل لهم المسلمون تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة
وجميع ما فتحه السلطان من الساحل ما عدا الكرك والشوبك على ان يجيبوا الى
الصلح ويسلموا دمياط للمسلمين . فلم يرض الافرنج بذلك وطلبوا ثلثمائة ألف دينار
عوضاً عن تخريب اسوار بيت المقدس وقالوا : لا بد من تسليم الكرك والشوبك .

وبينا الأمر متردد في الصلح والافرنج يمتنعون إذ عبر جماعة من عسكر
المسلمين في بحر المحلة الى الأرض التي عليها الافرنج من بر دمياط ففتحوها فجوة
عظيمة من النيل وكان ذلك في قوة زيادته والافرنج لا خبرة لهم بأمر النيل .
فركب المساء تلك الأرض وصار حائلاً بين الافرنج وبين دمياط ، وانقطعت عنهم
الميرة والمدد فهلكوا جوعاً ، وبعثوا يطلبون الأمان على ان ينزلوا عن جميع
ما بذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ويمقدوا مدة الصلح ، وكان فيهم عدة ملوك
كبار نحو عشرين ملكاً .

واختلفت الآراء في ذلك ، ثم حصل الاتفاق على إجابتهم لتضجر العسكر
وطول المدة لأنهم كان لهم ثلاث سنين واشهر في القتال ، فأجابهم الملك الكامل .
وطلب الافرنج رهينة ، فبعث ابنه الملك الصالح أيوب وعمره يومئذ خمس عشرة
سنة الى الافرنج . وحضر من الافرنج رهينة ملك عكا ، وصاحب رومة الكبرى
وغيرهما من الملوك . وكان ذلك في سابع رجب سنة ثمانى عشرة .

وجلس الملك الكامل مجلساً عظيماً ووقف بين يديه الملوك من اخوته واهل
بيته جميعهم ، وسلمت دمياط للمسلمين في تاسع عشر رجب . وهنأت الشعراء الملك
الكامل بهذا الفتح العظيم .

ثم دخل الملك الكامل الى دمياط بمن معه ، وكان يوماً مشهوداً . ثم توجه
الى القاهرة ، وانصرف الملوك الى بلادهم .

(وفاة الخليفة الناصر الذي فتح القدس في أيامه)

وتوفي الامام الناصر لدين الله العباسي - المتقدم ذكره - في اول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وكانت خلافته نحو سبعم واربعين سنة ، وعمي في آخر عمره وكان عمره نحو سبعين سنة .

ولما دخلت سنة اربع وعشرين وستمائة وقع تنافر بين الملك الكامل صاحب مصر واخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق لأمر بينهما ، فكاتب الملك الكامل الانبرطون ملك الافرنج في ان يقدم الى عكا ليشغل سر آخيه الملك المعظم عما هو فيه ، ووعد الانبرطون بأن يعطيه القدس . فسار الانبرطون الى عكا ، وبلغ الملك المعظم ذلك .

ثم توفي الملك المعظم عيسى في هذه السنة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنة اربع وعشرين وستمائة ودفن بقلمة دمشق ، ثم نقل الى جبل الصالحية ودفن في مدرسته هناك المعروفة بالمعظمية ، وكان نفيه ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة . وكانت مدة ملكه دمشق تسع سنين وشهوراً .

ولما توفي الملك المعظم ترتب في مملكته بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود .

فلما دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة ارسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن اخيه الناصر داود حصن الشوبك ، فلم يعطه إياه ولا أجابه اليه . فسار الملك الكامل من مصر الى الشام في رمضان من هذه السنة ، ونزل على تل المعجول بظاهر غزة ، وولى ابن يوسف على نابلس والقدس وغيرها من بلاد ابن اخيه . ووقع بينهما أمور ومراسلات .

وقدم الانبرطون الى عكا بجموعه وقد مات الملك المعظم ، فاستولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والافرنج وسورها خراب ، فعمر الافرنج سورها واستولوا عليها .

والانبرطون مفضاه : ملك الامراء بالافرنجية ، وكان صاحب جزيرة صقلية
وكان فاضلا يحسن الحكمة والمنطق والطب ويعيل الى المسلمين .

﴿ ذكر تسليم بيت المقدس الى الافرنج ﴾

لما دخلت سنة ست وعشرين ومستمائة واستهلت وملوك بني ايوب متفرقون
مختلفون قد صاروا احزاباً بعد ان كانوا اخواناً واصحاباً ، فقوى الافرنج بذلك
وبعوت المعظم عيسى ومن وفد اليهم من البحر .

وكان الملك الكامل قد عزم على انتزاع دمشق من ابن اخيه الناصر داود
وسير الملك الكامل أخاه الملك الأشرف موسى لحصار دمشق ، والكامل مشغول
بمراعاة الانبرطون .

ولما طال الأمر ولم يجد الكامل بداً من المعاهدة أجاب الانبرطون الى تسليم
القدس اليه على ان تستمر اسواره خراباً ولا يعمره الافرنج ولا يتعرضوا الى قبة
الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون المرجوع في الرستاق الى والي المسلمين
ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الأمر
على ذلك وتحالفا عليه .

وتسلم الانبرطون القدس في ربيع الآخر على القاعدة المذكورة . وعظم
ذلك على المسلمين وحصل به ومن شديد وارجف في الناس .

ولما وقع ذلك كان الناصر داود في الحصار لانتزاع دمشق منه فأخذ
في التشجيع على عمه الكامل بذلك ، وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبط
ابن الفرج الجوزي وكان واعظاً له قبول عند الناس فأمره الناصر داود ان يعمل
مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت المقدس وما حل بالمسلمين من تسليمه الى الافرنج
ففعل ذلك . فكان مجلساً عظيماً ومن جملة ما أنشد قصيدة تائية ضمنها

فضل بيت المقدس منها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
وارتفع بكاء الناس وضجيجهم لذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الانبرطون وخلا سره من جهة الافرنج
سار الى دمشق فوصل اليها في جمادى الاولى .

واشتد الحصار على دمشق واستولى عليها الملك الكامل وسلمها لآخيه
الملك الاشرف موسى ، وعوض الناصر داود عنها الكرك والشوبك والبلقا والصلت
والاغوار . ثم نزل الناصر داود عن الشوبك وسأل عمه في قبولها فقبله .
واستمر الاشرف موسى بدمشق الى ان توفي في المحرم سنة خمس وثلاثين
وسمائه ، وتملك دمشق بعده اخوه الملك الصالح اسماعيل بعهد منه .

ثم سار الملك الكامل الى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك ونزلا عليها
في جمادى الاولى من هذه السنة وحصلت امور ووقائع . ثم سلم الصالح اسماعيل
دمشق الى اخيه الكامل لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وتموض
عنها بملك .

ولم يلبث الكامل غير ايام حتى مرض واشتد مرضه ، ومات لتسم بقين من
رجب سنة خمس وثلاثين وسمائه وعمره نحو ستين سنة ، وكانت مدة ملكه مصر
من حين مات والده عشرين سنة . وكان ملكاً مهيباً حسن التدبير يحب العلماء
ومجالستهم ، وهو الذي بنى القبة على قبر الامام الشافعي رضي الله عنه .
واستمر بعده في السلطنة بمصر ولده الملك العادل ابو بكر بن الكامل فانه
كان نائبه بمصر .

واتفق الامراء بدمشق حين وفاة والده على تحليف المسكر له . وأقاموا
في دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب نائباً
عن الملك العادل ابن الكامل .

ورحل الناصر داود الى الكرك ، وتفرقت المساكن .
 فلما دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة استولى الملك الصالح نجم الدين أيوب
 ابن الملك الكامل على دمشق واعمالها بتسليم الملك الجواد يوسف في جمادى الآخرة .
 ودخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة وكان الملك الصالح أيوب سار من
 دمشق واستخلف فيها ولده الملك المنيف فتح الدين عمرو .
 ووصل الصالح أيوب الى نابلس لقصد الاستيلاء على الديار المصرية . فسار
 الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ومعه شيركوه صاحب حمص بمجموعهما ، وهجموا على
 دمشق وحصروا القلعة ، وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على الملك المنيف في صفر .
 فلما بلغ الصالح أيوب ذلك رحل من نابلس الى القوز وتشقت عنه
 عساكره وضاق به الأمر فقصد نابلس ونزل بها بمن معه ، فسار
 اليه الناصر داود بمسكركه من الكرك وامسك الصالح
 أيوب وارسله الى الكرك واعتقله بها وأمر بالقيام
 في خدمته بكل ما يختاره ، ولما اعتقل بالكرك
 ارسل اخوه الملك العادل ابو بكر صاحب
 مصر يطلبه من الناصر داود فلم يسلمه
 الناصر داود . فأرسل العادل
 وتهدد الناصر بأخذ بلاده
 فلم يلتفت الى
 ذلك .

تم الجزء الأول من تاريخ الانس الجليل ، وبليه الثاني
 أوله : (الفتح الناصري الداودي)

فهرس مواضيع كتاب (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل)

صفحة	مواضيع الكتاب
٠٠٠	مقدمة الكتاب :
١	مقدمة المؤلف في جمعه ورنيب وضعه يتضمن تاريخ البيت المقدس
٥	نبذة يسيرة من تفسير أول سورة الاسراء وذكر اسماء المسجد الأقصى
٩	ذكر اول ما خلق الله سبحانه وتعالى
«	خلق العرش والكرسي والريح
١٠	خلق الأرضين والجبال والبحار
١١	العقل : وما جاء عن النبي (ص)
١٢	خلق الله السموات وسكانها وصفة الملائكة وخلق الشمس والقمر
١٣	خلق الشمس والقمر
«	ذكر الجنة والنار وما فيهما
١٤	ذكر الجن والجنان وما كان من ابتداء أمرهم وعبادة ابليس .
١٧	ذكر آدم عليه السلام
١٩	ذكر نوح عليه السلام .
٢٢	ذكر هود وصالح عليهما السلام
٣٤	ذكر هجرة ابراهيم الخليل عليه السلام
٣٦	قصة بناء الكعبة المشرفة وذكر سيدنا اسماعيل عليه السلام
٣٩	ذكر قصة الذبيح
٤١	ذكر شراء المغارة
٤٧	ذكر ختانه وتسروله عليه السلام وشيئته
٤٩	ذكر رأفته بهذه الامة صلى الله عليه وسلم

صفحة	مواضيع الكتاب
٤٩	ذكر ضيافته وإكرامه للضيف وأخلاقه الكريمة
٥٢	معنى الخلّة والاستصفاء
٥٣	ذكر وفاته عليه السلام
٥٤	ذكر قصة الاسكندر وكان في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام
٥٥	ذكر بناء سليمان عليه السلام الخير الذي على المفارقة بوحى من الله تعالى
٥٦	ذكر فضل سيدنا الخليل عليه افضل الصلاة والسلام وفضل زيارته
٥٧	القول في آداب الزيارة . وزيارة إبراهيم الخليل «ع»
٥٩	فصل في حكم السور السليمانى
٤	ذكر ذرعه طولاً وعرضاً
٦٤	ذكر اسحاق عليه السلام
٦٥	ذكر سيدنا يعقوب عليه السلام .
٦٦	ذكر يوسف الصديق عليه السلام
٧٠	ذكر لوط عليه السلام
٧٢	ذكر ايوب عليه السلام
٧٣	ذكر شعيب عليه السلام
٧٤	ذكر سيدنا موسى الكليم وأخيه هارون عليهما السلام
٧٦	قصة التابوت والبقاء في اليم
٧٧	ذكر قصة الرضاع
٧٩	قصة القبطي
٨٠	قصة أرض مدين
٨١	قصة رجوعه من أرض مدين
٨٣	قصة دخوله إلى مصر

صفحة	مواضيع الكتاب
٨٥	قصة الحية واليد البيضاء
٩٠	قصة السحرة
٨٦	قصة الصرح
٨٧	قصة الآيات التسم
٩٠	قصة المسخ وقتل آسية
٨٨	قصة النيل وحكاية فرعون
٩٠	قصة غرق فرعون وخروج موسى من مصر
٩٠	قصة السامري وحكاية بني اسرائيل
٩١	ذكر قصة الرؤية
٩٣	قصة الجبل . وقصة الحجر
٩٤	قصة طلب الرؤية (فقالوا أرنا الله جهرة)
٩٤	قصة الجبارين والنيه والخطه
٩٦	قصة قارون بن مصعب
٩٧	قصة الخضر واجتماعه مع موسى عليهما السلام
٩٩	قصة البقرة وايام موسى
٩٩	ذكر وفاة هارون عليه السلام
١٠٠	ذكر وفاة موسى عليه السلام
١٠٣	فائدة : والدنو من الأرض المقدسة
١٠٣	ذكر السبب في ملك سيدنا داود عليه السلام
١٠٧	ذكر قصة أوريا وعمر داوود (ع)
١١٣	ذكر بناء سيدنا داوود عليه السلام مسجد بيت المقدس
١١٧	ملك سليمان عليه السلام

صفحة	مواضيع الكتاب
«	بناء سليمان عليه السلام مدينة بيت المقدس ومسجدها
١٢٦	طلسم الحيات القاتلة .
«	قصة بلقيس ملكة اليمن
١٣٩	ذكر فتنة سليمان (ولقد فتنا سليمان)
١٤٤	ذكر وفاته عليه السلام .
١٤٥	ذكر خراب بيت المقدس على يد بخت نصر
١٥١	ذكر عمارة بيت المقدس الثانية
١٥٣	قصة أرميا عليه السلام
١٥٥	فصل : قصة ملك الاسكندر وعظمة مملكة اليونان
١٥٦	ذكر سيدنا يونس بن متى عليه السلام
١٥٨	ذكر سيدنا زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام
١٦٢	زول المائدة ولباس عيسى الصوف
١٦٥	ذكر صعود سيدنا عيسى إلى السماء
١٦٨	ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثاني وهلاك اليهود وزوال دولتهم زوالاً لا رجوع بعده .
١٧٠	ذكر عمارة بيت المقدس الشريف المرة الثالثة
١٧٢	قصة النيل وملك الحبشة اليمن بعد حمير
١٧٤	ذكر سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين البشير النذير الداعي إلى الله بأذنه السراج المنير محمد بن عبد الله (ص)
١٧٦	وفاة آمنة أم النبي (ص)
١٧٧	ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وابتداء الوحي اليه .
١٧٩	الهجرة الاولى وخروج اصحابه إلى الحبشة .

صفحة	مواضيع الكتاب
١٨٠	أمر الصحيفة واضمحلال المشركين
١٨١	قصة المراج وما وقع لنبينا محمد (ص) ليلة الاسراء بالمسجد الأقصى
١٨٦	إبتداء أمر الأنصار . وإرادة الله تعالى إظهار دينه
١٨٧	بيعة العقبة الاولى
«	بيعة العقبة الثانية
«	ذكر الهجرة الشريفة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
١٩٠	ذكر بناء المسجد الشريف النبوي على صاحبها افضل الصلاة والسلام
٢٠٣	عمرة القضاء سنة سبع ممتراً
٢٠٤	نقض الصلح وفتح مكة
٢١٤	حج ابي بكر (رض) بالناس
«	حجة الوداع
٢١٥	ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم
٢١٨	ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم ونبذة من معجزاته
٢٢٠	ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم
٢٢٠	ذكر الأسود العنسي ومسيلمة وسجاح وطلحة وما جرى منهم
٢٢٣	فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيفيتها
٢٢٤	ذكر آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وما يستحب ان يفعله الزائر
	ويدعو به
٢٢٦	ذكر فضائل المسجد الأقصى الشريف وما ورد في ذلك من الآيات والاحاديث
٢٢٨	فضل الصلاة في بيت المقدس
٢٢٩	مضاعفة الصلاة في مسجد بيت المقدس
٢٣٠	مضاعفة الحسنات والسيئات في مسجد بيت المقدس

صفحة	مواضيع الكتاب
٢٣٠	شد الرحال اليه
٢٣١	كراهة استقبال الصخرة ببول أو غائط
«	فضل الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس
٢٣٢	بيت المقدس أرض المحشر والمنشر
«	توكل الملائكة بالمسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى
٢٣٣	فضل اسراج بيت المقدس الشريف عند المعز عن الوصول فانه يقوم مقام الصلاة فيه
«	صفة الدجال قاتله الله - الدجال لا يدخل بيت المقدس
٢٣٤	فضل الأذان في بيت المقدس
٢٣٥	فضل الصلاة في بيت المقدس
«	فضل الصيام فيه والاستغفار
«	فضل الدفن في بيت المقدس
٢٣٦	فضل الصلاة عن يمين الصخرة
«	البلاطة السوداء وابواب الصخرة
«	اليمين عند الصخرة والحلف عندها
٢٣٧	فضل الصخرة ليلة الرجفة
٢٣٨	نبذة مما ذكر من فضائل بيت المقدس الشريف المعظم
٢٤٢	ذكر ما يستحب ان يدعى به عند دخول المسجد الشريف
٢٤٤	ذكر الفتح العمري
٢٥٨	ذكر وفاة عمر (رض)
٢٦٧	ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان بالقدس الشريف
٢٦٩	ذكر بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة الشريفة

صفحة	مواضيع الكتاب
٢٨٠	ذكر صفة المسجد الأقصى وما كان عليه في زمن عبد الملك وبعده
٢٨٥	ذكر جماعة من اعيان التابعين والعلماء والزهاد
«	أوليس بن عامر القرني ، من بني قرن
٢٨٦	عبيد عامل عمر (رض)
«	عمير بن سعيد «
«	يعلى بن شداد بن ثابت
«	ابو نعيم المؤذن
«	ابو الزبير المؤذن الدارقطني
«	ابو سلام الجيشي واسمه محصور
«	ابو جعفر الجرشي
«	خالد بن معدان الكلاعي
٢٨٧	أم الدرداء هجيمة وبقال جهيمة
«	ابو العوام مؤذن بيت المقدس
«	قبيصة بن دويب وعبد الله بن محيرز وهاني بن كلثوم كل هؤلاء عباداً
«	محارب بن دثار كان قاضياً
«	عبد الله بن فيروز الديلمي مقدسي
٢٨٨	زياد بن أبي سودة مقدسي
«	ابو الحسن الزهري الاندلسي
«	ابراهيم بن محمد بن يوسف العرباني
«	ابو عتبة الخواص عباد بن عباد الارسوفي
«	عابد يبعث قرى بيت المقدس . زمن ثور بن يزيد
٢٨٩	عبد الله بن عامر العامري

صفحة	مواضيع الكتاب
٢٨٩	ابو عبد الله بن خفيف من شيراز
«	قاسم الزاهد ببيت المقدس
«	محمد بن حاتم بن محمد بن عبد الكريم الطافي ابو الحسن الطوسي
«	محمد بن عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري
٢٩٠	جعفر بن محمد اليسابوري
«	كعب الاحبار ابن مانع الحميري ابو اسحاق
«	ابراهيم بن ابي عبلة المقيلي المقدسي
«	جبير بن نصر الحضرمي الحمصي
٢٩١	عبد الرحمن بن غنم الأشعري
«	خالد كان بصخرة يدت المقدس
«	مالك بن دينار من الأئمة الأعلام
«	محمد بن واسع زاهد من اهل البصرة
«	ام الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية
٢٩٢	ومن النساء العابدات امرأة تسمى طافية وامرأة تسمى لبابة
«	سليمان بن طرخان الهيثمي التميمي
«	مقاتل بن سليمان المفسر
«	الأوزاعي عبد الرحمن بن عمر
«	سفيان الثوري بن سعيد بن مسروق .
٢٩٣	ابراهيم بن ادم بن اسحاق من بلخ
«	الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي
٢٩٤	وكيع بن الجراح بن مليح ابو سفيان الرواسي
«	محمد بن ادريس الشافعي المظلي .

صفحة	مواضيع الكتاب
٢٩٥	المؤمل بن اسماعيل البصري
«	بشر بن الحارث الحافي
«	ذو النون المصري ابو الفيض ثوبان بن ابراهيم
«	السري بن المغلس السقطي
٢٩٩	محمد بن كرام المشكلم تنسب اليه الفرقة الكرامية
«	صالح بن يوسف ابو شعيب المقنم الواسطي
«	بكر بن سهل الدمياطي المحدث
٢٩٧	احمد بن يحيى البزاز البغدادي
«	الشيخ سلامة بن اسماعيل بن جماعة الضرير
«	شيخ الاسلام ابو الفرج عبد الواحد بن احمد الشيرازي
«	الشيخ ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي
٢٩٨	الفقيه ابو الفضل عطاء شيخ الشافعية
«	الشيخ ابو المعالي بن المرجا بن ابراهيم المقدسي
«	الشيخ ابو القاسم مكي بن القاسم الرميلى الشافعي
٢٩٩	ابو القاسم عبد الجبار بن احمد الرازي
«	الغزالي حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي
«	القاضي محمد بن حسن بن موسى بن عبد الله البلاشعوني
«	الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر بن علي المعروف بابن القيسراني
٣٠٠	ابو الفنائم محمد بن علي بن ميعون القرشي الكوفي
«	ابو روح ياسين بن سهل القابسي الخشاب
«	ابو الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم
٣٠١	الطرطوشي ابو بكر محمد بن الوليد بن ايوب القرشي الفهري

صفحة	مواضيع الكتاب
٣٠١	ابو عبد الله محمد بن احمد بن يحيى الأموي العثماني
«	ابو عبد الله محمد بن احمد المقدسي المشهور بالديباجي
«	ابو الحسن علي بن احمد بن عبد الله الربيعي
٣٠٢	ابو علي الحسن بن فرج بن حاتم الواعظ
«	الامام ابو بكر بن العربي محمد بن عبد الله
«	ابو بكر الجرجاني محمد بن احمد من جرجان نيسابور
«	تاج الاسلام ابو سعيد عبد الكريم السمعاني
«	من عباد بيت المقدس ادريس بن ابي خولة الانطاكي وعبد العزيز المقدسي
٣٠٣	الحاكم بأمر الله ابو علي المنصور بن العزيز الفاطمي
«	المستنصر بالله ابو تميم معد
٣٠٤	سقوط جدار بين يدي قبر النبي (ص)
«	كثرة الزلازل بمصر والشام سنة ٤٢٥
«	سقوط تنور قبة الصخرة سنة ٤٥٢
«	في سنة ٤٦٠ حدوث زلزلة بأرض فلسطين والرملة
٣٠٥	في سنة ٤٦٣ استولى على القدس والرملة آتسز بن اوق الخوارزمي
«	في سنة ٤٦٥ اقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس
«	قتل آتسز في سنة ٤٧١ واستيلاء تاج الدولة امير تنش
«	ذكر تغلب الافرنج على بيت المقدس واستيلائهم عليه
٣٠٦	تغلب الفاطميين على بني العباس وبدء الدعوة بالمغرب
«	٠٠ واوهم عبيد الله المهدي بالله ثم ابنه ابو القاسم محمد القائم بأمر الله
«	ابو تميم المعز لدين الله باني القاهرة المحروسة
٣١١	إرسال العاضد العلوي خليفة مصر

صفحة	مواضيع الكتاب
٣١١	وصول اسد الدين شيركوه إلى القاهرة
٣١٢	عزم شاور على دعوة شيركوه والقبض عليه
«	ولما لم يبق له منازع اتاه اجله (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) الآية
٣١٣	إرسال صلاح الدين يطلب من نور الدين إياه أيوب واهله
«	في سنة ٥٦٥ سار الافرنج إلى دمياط وحاصروها
«	في سنة ٥٦٦ سار صلاح الدين من مصر فغزا بلاد الافرنج
٣١٤	اقيمت الخطبة العباسية بمصر . وانقراض الدولة العاطمية
«	سبب الخطبة العباسية بمصر وتمكن الملك الناصر صلاح الدين
«	قطع الخطبة لبني العباس سنة ٣٥٩ في خلافة المطيع لله العباسي
«	وفاة المعاضد يوم عاشوراء سنة ٥٦٧
«	استيلاء صلاح الدين على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه
«	ظهور المهدي بالله عبيد الله بجماعة سنة ٢٩٦
٣١٥	وصول خبر الخطبة العباسية بمصر إلى بغداد وضربت لها البشائر عدة ايام
«	وفاة والد الملك صلاح الدين . وهو نجم الدين ابو الشكر ايوب
«	وفاة الملك العادل نور الدين الشهيد سنة ٥٦٩
«	استقرار الملك بدمشق وولده الملك الصالح اسماعيل
«	تثبيت قدم الملك صلاح الدين وقرار امر دمشق .
٣١٦	استقرار عماد الدين زنكي بن مودود بحلب . واستقر مسعود بسنجار
«	سفر صلاح الدين عن مصر إلى الشام سنة ٥٧٠
«	قصد الافرنج المسير لمدينة الرسول لنبش قبره الشريف ونقل جسده
«	الكريم إلى بلادهم ليدفنوه عندهم ولا يتمكنوا المسلمين من زياته
	إلا بجعل

صفحة	مواضيع الكتاب
٣١٦	ارسال صلاح الدين إلى نائبه منقذ لنجهيز حسام الدين خلف العدو
	وسار في طلبهم حتى ادر كههم قرب المدينة وكانوا نيفاً وثلثمائة وهرب الافرنج
٣١٧	مدح قاضي دمشق محيي الدين ابن الزكي عند السلطان .
«	وفي سنة ٥٨٠ غزا السلطان الكرك وضيق على اهلها
«	احضار السلطان ولده الملك الأفضل من مصر الى دمشق
٣١٩	انتظار السلطان ولده نور الدين علياً وإبطاءه عليه
«	وصول نور الدين وعزمه على الجهاد
٣٢٠	فتح طبرية من قبل السلطان واجتماع الافرنج
«	وقعة حطين - وهي الوقعة العظمى
٣٢١	جلوس السلطان وعرض اكابر الاسارى عليه
٣٢٢	استيلاء المسلمين على الصليب الأعظم
٣٢٣	فتح عكا وحضور السلطان وخروج اهل البلد لملاقاته
٣٢٤	فتح الناصرة وصفورية
«	فتح قيسارية وفاج جماعة من الامراء
«	فتح نابلس واخراج القسوس من مشهد زكريا عليه السلام
«	فتح القولة وغيرها وهي احسن الحصون
٣٢٥	فتح تبينين والحصار من قبل عمرو بن شاهنشاه
«	فتح صيدا ونزول السلطان واستلام مفاتيحها
«	فتح بيروت وتسلم السلطان لها
٣٢٦	فتح جبيل واخبار السلطان بتسليمها
«	هلاك القمس ودخول المركيس الى صور
٣٢٧	فتح عسقلان، وغزة والرملة والداروم وغيرها

صفحة	مواضيع الكتاب
٣٢٨	فتح بيت المقدس والمهرج والمرج بين الافرنج
٣٢٩	زوجة الملك المأمور ابنة الملك اياضي وخلصها
٣٣٠	ذكر يوم الفتح في سابع عشرين رجب
٣٣٢	ذكر اول خطبة بعد الفتح يوم الجمعة
٣٣٣	ما في الخطبة : الحمد لله معز الاسلام بنصره الخ
٣٤٠	محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد
٣٤١	ذكر رسالة السلطان للخليفة
٣٤٨	ذكر ما تم على الاسطول
٣٤٩	فتح حصن هرفين وتعيين السلطان بعض امراءه
٣٥٠	ذكر حال الكرك من اول الفتح
٣٥٢	فتح جبلة : واحاطة العسكر بها
«	فتح اللاذقية وارتحال السلطان عنها
«	فتح حصن صيهون وغيره
٣٥٣	فتح حصن برزية ودخول السلطان الى قلعتها
٣٥٤	فتح حصن دريساك : وهو حصن مرتفع
«	فتح حصن بقراس : وهي قلعة قريبة من انطاكية
«	عقد الهدنة مع انطاكية وكان الأبراس صاحبها
٣٥٥	فتح الكرك وحصونه
«	محاصرة صفد وفتحها
٣٥٦	حصار كوكب وفتحها
٣٥٨	مسير الافرنج إلى عكا
٣٥٩	نادرة : افلات بعض سراكب الافرنج

مواضيع الكتاب	صفحة
الوقعة الكبرى مع الافرنج	٣٥٩
وصول ملك الألمان الى قسطنطينية	٣٦١
ذكر نساء الافرنج ووصول المراكب	٣٦٢
وقعة الرملة وكان السلطان في الصيد	٤
فتح شقيف وأرنون بالأمان	٣٦٣
مقاتلة الافرنج عكا وحمل الطيور البطاقات	٤
وصول الاسطول من مصر	٣٦٤
قصة ملك الالمان وعبره بجنوده	٤
الوقعة المادلية ووصول ملك الألمان	٣٦٦
ذكر ما تجدد للافرنج بوصول الكندھري	٤
حريق المنجنيقات ومضايقه عكا	٤
وصول ابن ملك الألمان الذي قام مقام أبيه الى الافرنج بمكا	٣٦٧
ذكر برج الذبان قرب ميناء عكا	٤
ذكر الكبش وحريقه	٣٦٨
ذكر غير ذلك من الحوادث	٤
نوبة رأس الماء ومضايقه الافرنج	٣٦٩
وقعة الكمين للمعدو	٤
ذكر غير ذلك من الحوادث	٣٧٠
قصة الرضيعم والصوص في الليل	٤
انتقال السلطان الى تل الصياصية	٣٧٢
وصول ملك الانكثير	٣٧٣
غرق البطة في وسط البحر	٤

صفحة	مواضيع الكتاب
٣٧٣	حريق الذبابة وهي من خشب ورصاص
٣٧٤	ذكر المركيس ومفارقته
«	فصل : في وصول المساكر من سنجار ومن مصر
٣٧٦	استيلاء الافرنج على عكا
٣٧٧	غدر ملك الانكثير وقتل المسلمين المأخوذين بعكا
٣٧٨	رحيل الافرنج صوب عسقلان
«	وقعة قيسارية ووصول الخبر برحيل الافرنج
٣٧٩	اجتماع الملك العادل وملك الانكثير
«	وقعة أرسوف وما جرى بين العسكرين
٣٨٠	خراب عسقلان ونزول السلطان بالرملة
«	فصل : في هروب ملك الانكثير متنكراً
٣٨١	ذكر ما تجدد لملك الانكثير إلى العادل بالمصالحة
٣٨٢	وقعة الكمين وأمر السلطان لرجال الحلقة بأن يكتنوا
«	اجتماع الملك العادل بملك الانكثير
«	رحيل السلطان إلى القدس الشريف
٣٨٣	ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القدس
٣٨٤	ذكر الحوادث مع الافرنج ورحيلهم من الرملة
٣٨٥	هلاك المركيس بصور وقتله بالسكاكين
٣٨٦	استيلاء الافرنج على قلعة الداروم
٣٨٧	كيسة الافرنج على عسكر مصر الواصل
٣٨٨	نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها
٣٨٩	الهدنة العامة بين السلطان وبين الافرنج

صفحة	مواضيع الكتاب
٣٩٠	ذكر ما جرى بعد الصلح
٣٩١	رحيل السلطان الى دمشق
٣٩٢	وصول الابرئس صاحب انطاكية
«	وصول السلطان الى دمشق
٣٩٣	ذكر وفاة السلطان رحمة الله عليه
٣٩٥	رثاء الملك صلاح الدين : ومرثية المهدي الكاتب
٣٩٧	ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة الملك صلاح الدين
٤٠٢	تخريب اسوار بيت المقدس
٤٠٥	وفاة الملك الناصر الذي فتح مدينة القدس في أيامه
٤٠٦	ذكر تسليم بيت المقدس سنة ٦٢٦
٤٠٨	خاتمة الجزء الأول من تاريخ الانس الجليل

(تم الكتاب)



١٢٤

Library

The

JUAL

